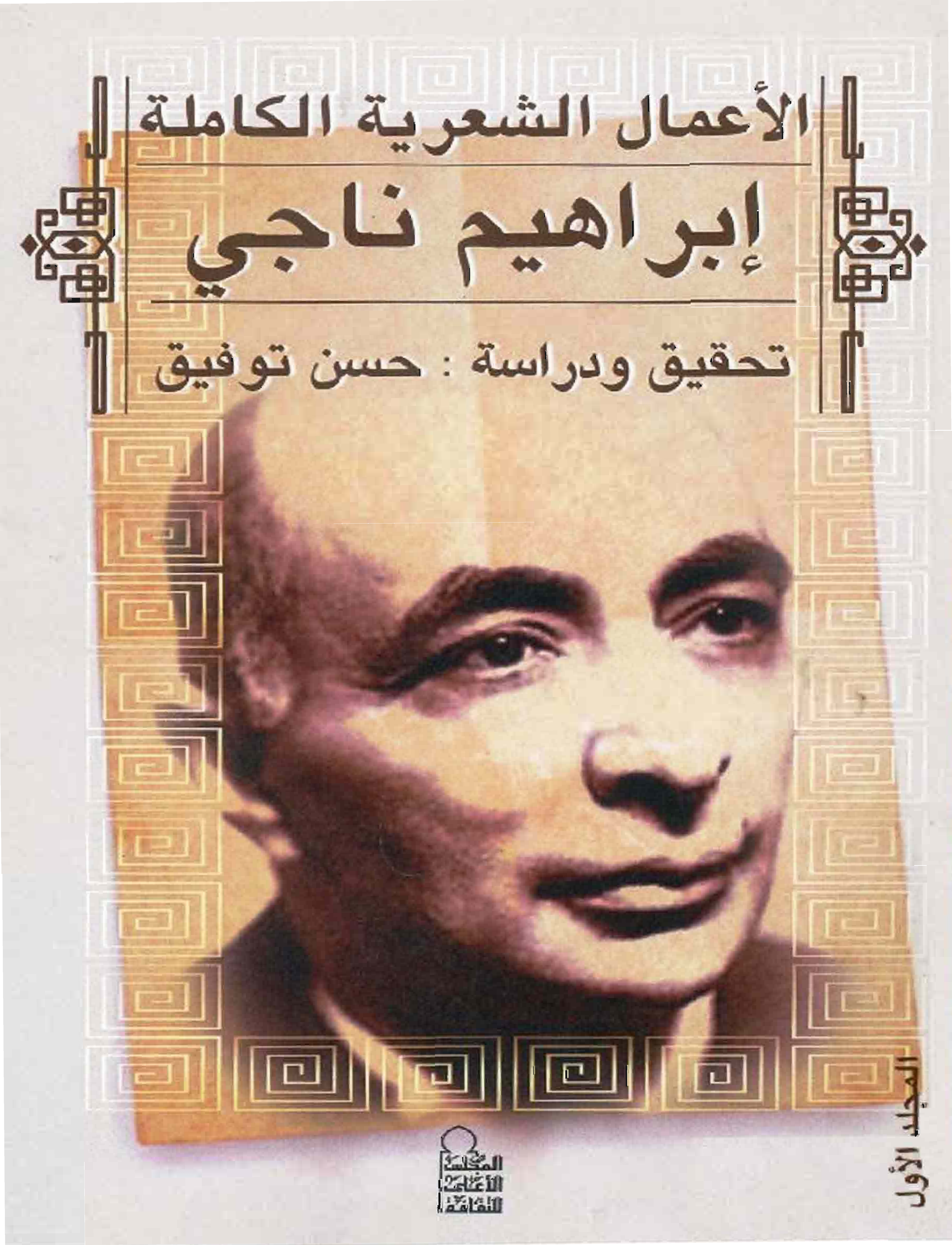


الأعمال الشعرية الكاملة
إبراهيم ناجي
تحقيق ودراسة : حسن توفيق
المجلد الأول
المجلس الأعلى للثقافة

الناشيء

المجلس الأعلى للثقافة

ابراهيم ناجى

الأعمال الشعرية الكاملة

(المجلد الأول)

تحقيق ودراسة: حسن توفيق



٢٠١٢

المجلس الأعلى للثقافة

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

ناجي، إبراهيم، ١٨٩٨-١٩٥٣
إبراهيم ناجي: الأعمال الشعرية الكاملة (المجلد الأول)/
تحقيق ودراسة: حسن توفيق.
القاهرة: طبعة خاصة بالمجلس الأعلى للثقافة، ٢٠١٢
٥٣٦ ص، ٢٤ سم
١- الشعر العربي - تاريخ - العصر الحديث
٢- ناجي، إبراهيم، ١٨٩٨ - ١٩٥٣ - المؤلفات الكاملة.
(أ) توفيق، حسن (محقق ودارس)
(ب) العنوان ٨١١,٩

رقم الإيداع ٢٩٩٤٠ / ٢٠١١
الترقيم الدولي: 978-977-707-448-6
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت: ٢٧٣٥٢٣٩٦ فاكس: ٢٧٣٥٨٠٨٤
EL Gabalaya st. Opera House, El Gezira, Cairo
Tel.: 27352396 **Fax:** 27358084
www.Scc.gov.eg

هــذه الكعبــة كنــا طائفيهــا والمــصلين صــباحا ومــساء
كم سجدنا وعبدنا الــحُسْنَ فيها كيــف بــالله رجعنــا غربــاء

من "وراء الغمام"

مهما أَقُلْ بقيــت لــدىَّ قــصيدة في القلب لم تنطق بهــا الــشفتان

من "ليالي القاهرة"

إني لطــيرٌ حــائرٌ بــساك قد كانــت الأحــزان فلــسفتي
ذابــت حنانــاً يــومَ لقيــاكِ وجرتْ أغاريــدًا علــى شــفتي

من "الطائر الجريح"

يا أمةً نبعــتْ فيهــا البطــولاتُ لا مصر هانتْ ولا الأبطال قد ماتوا
ما يبرح المجــدُ يــدعونا فنتبعــه كما تطير إلى النــارِ الفراشــاتُ
أين الغزاة الأُلى مروا بنــا زمــرًا وأيــن بــالله تيجــانٌ ودولاتُ
طافوا البقاع فلما حــل رحلــهُم بمصر لم يصبحوا فيها كما بــاتوا

من "قصائد مجهولة"

الناشيء

قبل أن أبدأ..وقبل أن تقرأ..

- دائماً أبدأ بالحب الذى يدفعني دفعاً إلى العمل.. الحب هنا يرتبط بشاعر من أرق وأجمل شعرائنا العرب.. كنت ما أزالُ طالباً بالمرحلة الثانوية عندما سحرني شاعر الحب الرقيق والكبير الدكتور إبراهيم ناجي.. أحببت قصائده العاطفية من كل قلبي، وما تزال ذاكرتي إلى اليوم، وعلى الرغم من عواصف الزمان وشواغل الحياة؛ تحتفظ بكثير من هذه القصائد الساحرة.
- يبدو أننا نعشق "الثنائيات" فى حياتنا الأدبية والفنية، حيث نتذكر حافظ إبراهيم بمجرد أن نتحدث عن أمير الشعراء أحمد شوقي، ونتذكر ميخائيل نعيمة بمجرد أن نذكر جبران خليل جبران، وإذا كنا حين نتحدث عن كوكب الشرق أم كلثوم، فإننا -- فى الغالب -- لا نتذكر مطربة قبلها ولا بعدها، إلا أننا – أحيانا – نستدعى اسمهان حين نتحدث عن أم كلثوم، ومن شعراء جماعة ابولو فإننا حين نتذكر إبراهيم ناجي، نتذكر معه علي محمود طه، وأعترف هنا بأني كنت وما زلت منحازاً لناجي؛ على حساب صديقه ومنافسه فى زمانهما علي محمود طه: كما أن ناجي لم يغادر قلبي، حتى بعد أن أحببت بعده شاعرين كبيرين من رواد حركة الشعر الحر فى أمتنا العربية ، هما بدر شاكر السياب وصلاح عبد الصبور.

- دفعني الحب لشاعر الحب، لأن أكتب عنه – على امتداد ما يقرب من أربعين سنة – عشرات المقالات التي نشرت في العديد من مجلاتنا وجرائدنا العربية ، وأذكر منها على سبيل المثال مجلة الهلال – عدد يونيو ١٩٧٧ وكان عنوان غلاف ذلك العدد «خمس قصائد مجهولة لشاعر الأطلال إبراهيم ناجي»، هذا فضلاً عن العديد مما كتبته في مجلات الكاتب والمجلة والفكر المعاصر وفي جريدة الأخبار المصرية وجريدتي الراية والشرق القطريتين .
- في سنة ١٩٧٨ أصدرت أول كتاب لي عن ناجي، بعنوان (قصائد مجهولة لإبراهيم ناجي) وقد ضم خمسين قصيدة: تصدرتها دراسة متأنية، وقد صدر هذا الكتاب – وقتها – عن مكتبة مدبولي بالقاهرة، وكتب عنه كثيرون من بينهم صالح جودت ورجاء النقاش وكمال النجمي . وفي سنة ١٩٩٥ كلفني الدكتور جابر عصفور – وكان وقتها الأمين العام للمجلس الأعلى للثقافة في مصر – بإعداد (الأعمال الشعرية الكاملة) لناجي والتي صدرت بالفعل في السنة التالية، سنة ١٩٩٦، وتضاعف فيها عدد القصائد المجهولة من خمسين قصيدة إلى مائة قصيدة وقصيدة.
- تحمس كثيرون من النقاد والباحثين والشعراء المرموقين للأعمال الشعرية الكاملة لناجي بعد صدورها، وعلى سبيل المثال، فإن الكاتب

الكبير رجاء النقاش كتب عنها مقالاً رائعاً مطولاً في (الأهرام) بعنوان (قصيدة في القلب)، كما كتب الباحث الكبير الدكتور يوسف حسين بكار دراسة مطولة، أشاد خلالها بالجهد الذي بذلته في تحقيق تلك الأعمال، وفيما بعد أصبحت هذه الدراسة فصلاً من فصول كتاب (العين البصيرة – قراءات نقدية) للدكتور يوسف حسين بكار، وهو الكتاب رقم (٨٦) في سلسة (كتاب الرياض) التي تصدر في المملكة العربية السعودية. أما الباحث المدقق الجاد مصطفى يعقوب، فقد نشر دراسة مستفيضة في مجلة (علامات) السعودية – عدد مارس سنة ٢٠٠٠ بعنوان (الأعمال الشعرية الكاملة لإبراهيم ناجي – ملاحظات ونصوص مجهولة) وقد سعدت وأفدت من هذه الدراسة على الرغم من ملاحظاتي على ملاحظات مصطفى يعقوب!.. أما القاهرة والدوحة، فقد شهدتا ندوتين، خصصتا لمناقشة — الأعمال الشعرية الكاملة لناجي، أولاهما نظمها المجلس الأعلى للثقافة في مصر، والثانية نظمها نادي الجسرة الثقافي في قطر.

- أتصور أن الدكتور جابر عصفور قد سعد حقاً بما حظيت به الأعمال الشعرية لناجي من اهتمام وتقدير، فضلاً عن نفاد جميع نسخ طبعتها الأولى بسرعة: وبصورة فاقت التوقعات، ولهذا فإنه عاد وكلفني بمهمة جديدة: تتمثل في جمع وتحقيق (الأعمال النثرية الكاملة) لناجي، وهذا

ما قمت به بالفعل، لكن هذه الأعمال النثرية تأخرت عن الصدور طيلة أربع سنوات، لأسباب متعددة، دون أن ترى النور . وكان لابد أن أغامر وأبادر إلى طبعها على نفقتي الشخصية في الدوحة، حيث صدرت سنة ٢٠٠١ في مجلدين، تجاوز عدد صفحاتهما ألف صفحة، وإذا كنت قد تكبدت –ماديا– ما تكبدت، فإني قد سعدت – معنويا – بإصدار هذين المجلدين، ويبدو لي أن باحثين جامعيين عديدين كانوا كأنما يترقبون صدور هذه الأعمال النثرية لناجي، لكي يشرعوا في إعداد دراسات أكاديمية لنيل درجة الماجستير، فهذا ما جرى في الجامعة الأمريكية ببيروت وما جرى في إحدى جامعات المملكة العربية السعودية: وجامعة فاس في المغرب.

- في يناير ٢٠٠٢ أصدرت الأعمال الشعرية المختارة لناجي ، والتي صدرت عن المجلس الوطني للثقافة والفنون بدولة قطر ، واشتملت هذه الأعمال الشعرية المختارة ضمن ما اشتملت عليه على ثلاث قصائد مجهولة جديدة هي : بايعت حسنك – صخور وأشواك – إلى أم كلثوم ، كما قمت بكتابة مقدمة بعنوان قبل أن أبدأ وقبل أن تقرأ، وقد رأيت أن أثبت هنا معظم فقرات تلك المقدمة المؤرخة بتاريخ ١١ نوفمبر ٢٠٠٢ لأنها بمثابة رد موضوعي دقيق على الذين يحاولون أن

يسرقوا جهدي المتواصل في جمع تراث ناجي على امتداد سنوات متواصلة.

- من بين روائع ناجي المبثوثة ضمن هذه الأعمال الشعرية الكاملة قصيدة (الوداع) وهى إحدى قصائد ديوان (وراء الغمام) وقصيدة (الأطلال) وهى إحدى قصائد ديوان (ليالى القاهرة) وليس المهم أن هاتين القصيدتين تنتميان – موسيقيا إلى بحر الرمل (فاعلاتن – فاعلاتن – فاعلاتن) فقد كتب ناجى كثيراً من روائعه العاطفية وفقاً لموسيقى هذا البحر الذى كان يحبه أكثر من سواه من بحور الشعر التى حددها الخليل بن أحمد، فالواقع أن هاتين القصيدتين قد كشفتا لى أمراً لا يتعلق بناجى وحده، إنما يتعلق كذلك بكوكب الشرق أم كلثوم!.
- كان ناجى يتمنى من كل قلبه أن تغنى له أم كلثوم إحدى قصائده، حتى تتحقق له شهرة جماهيرية عريضة، لا مجرد شهرة في الساحة الأدبية العربية وحدها، ولكن أم كلثوم لم تحقق لناجى ما تمناه من كل قلبه خلال حياته، فانطلق إلى محمد عبد الوهاب الذى اختار عدة مقطوعات من قصيدة مطولة من روائع ناجى، والتى يجدها القارئ في هذا الكتاب ، وهى قصيدة بعنوان (الخريف) أما ما غناه محمد عبد الوهاب منها فهو معروف بعنوان (القيثارة) وكان من المقرر أن تذاع هذه القصيدة بألحان وصوت عبد الوهاب خلال سنة ١٩٥٣ لكن

ناجى رحل عن عالمنا يوم ٢٤ مارس من تلك السنة دون أن يسمعها، ولم تذع هذه القصيدة إلا سنة ١٩٥٤، وأذكر منها هنا:

أى سـر فيـك إنى لسـتُ أدرى

كل ما فيك من الأسـرار يغـرى

خطرٌ ينسـاب مـن مفتـر ثغـرِ

فتنـةٌ تعصف مـن لفتـة نحـرِ

قدر ينسج مـن خـصلةِ شـعرِ

زورق يسـبح فى موجـةِ عطـرِ

فى عباب غـامض التيـار يجـرى

واصلاً ما بين عينيـك وعمـرى

تحققت أمنية ناجى – دون أن يدرى – بعد انقضاء ثلاث عشرة سنة على رحيله عن عالمنا حين غنت أم كلثوم له مقاطع من (الأطلال) وأضافت إليها مقطعين من قصيدة (الوداع) وابتداء من سنة ١٩٦٦، أصبح اسم ناجى على كل لسان بفضل صوت أم كلثوم، دون أن أنسى بالطبع العبقرى رياض السنباطى.

يشتمل النص الأصلى الكامل للأطلال، كما كتبه ناجى، على (١٣٤) بيتاً، بينما يشتمل النص الأصلى الكامل لقصيدة الوداع على (٢٨) بيتاً،

أما (الأطلال) التي غنتها أم كلثوم فهي تشتمل على (٣٢) بيتا، منها سبعة أبيات من النص الأصلي لقصيدة الوداع، وأثبت هنا هذه الأبيات السبعة مع بيت آخر هو الثالث منها والذي لم تغنه أم كلثوم.

هل رأى الحب سكارى مثلنا
كم بنينا من خيال حولنا

ومشينا في طريق مقمر
تثب الفرحة فيه قبلنا

وتطلعنا إلى أنجمه
فتهاوين وأصبحن لنا

وضحكنا ضحك طفلين معاً
وعدونا فسبقنا ظلنا

* * *

وانتبهنا بعد ما زال الرحيق
وأفقنا ليت أنا لا نفيق

يقظة طاحت بأحلام الكرى
وتولى الليل، والليل صديق

وإذا النـــــور نـــــذير طــــالع

وإذا الفجـــــر مطــــل كـــالحريق

وإذا الـــــدنيا كمــــا نعرفهـــــا

وإذا الأحبـــاب كـــل فى طريـــق

قلت – من قبل – إن ناجى كان يتمنى من كل قلبه أن تغنى له أم كلثوم إحدى قصائده، لكن الأمنية لم تتحقق إلا بعد رحيله عن عالمنا، وهنا أطرح سؤالا طرحته على نفسى عدة مرات منذ سنوات : هل هناك من غنى قصائد لناجى خلال حياته ؟

كنت قد حصلت على مجلد نادر يضم أعداد السنة الأولى من مجلة أسبوعية، هى مجلة (الراديو المصرى) التى صدر عددها الأول يوم ٢١ مارس سنة ١٩٣٥ أى بعد تأسيس الإذاعة المصرية بنحو سنة واحدة، والحق أنى قد تصفحت أعداد تلك المجلة بصورة سريعة فى البداية، ثم خطر لى أثناء إعدادى للأعمال الشعرية المختارة لناجى أن أعود لقراءة (الراديو المصرى) بصورة متأنية، ونتيجة لهذا التأنى فإنى توصلت إلى الإجابة على السؤال الذى كان يشغلنى، وكنت أطرحه على نفسى: هل هناك من غنى قصائد لناجى خلال حياته؟

أستطيع الآن الإجابة، وهى بالإيجاب.. نعم، هناك من غنى لناجى خلال حياته.. ومتى؟.. فى سنة ١٩٣٥.. ففى حفلة يوم ٣ مايو سنة

١٩٣٥ غنى الأستاذ محمد صادق (قصيدة من تأليف الدكتور إبراهيم ناجي، ومن تلحين محمد صادق).. ولكن ما هي هذه القصيدة؟.. هنا المفاجأة المدهشة.. فقد غنى محمد صادق سنة ١٩٣٥ أبياتاً مما غنتها أم كلثوم سنة ١٩٦٦.. وهذه الأبيات من قصيدة (الوداع) لناجي، وإذا كانت أم كلثوم قد غنت منها - كما ذكرت - سبعة أبيات، فإن محمد صادق قد غنى ثمانية أبيات، أي أنه غنى البيت الذي لم تغنه أم كلثوم، والذي أشرت إليه من قبل، وأثبتُ هنا الأبيات الثمانية التي غناها محمد صادق سنة ١٩٣٥:

هل رأى الحـــب ســـكارى مثلنـــا

كم بنينـــا مـــن خيـــال حولنـــا

ومـــــشينا في طريـــــق مقمـــــر

تثـــب الفرحـــة فيـــه قبلنـــــا

وضحكنا ضـــحك طفلـــين معـــاً

وعـــــدونا فـــــسبقنا ظلنـــــا

وتطلعـــــنـــــا إلى أنجمـــــه

فتـــــهاوينَ وأصـــــبحنَ لنـــــا

لم يـــا هـــاجر أصـــبحت رحيمـــاً

واحنـــان الجـــم والرقـــة فيمـــا

لم تـــسبقيني مـــن شـــهد الرضـــا

وتلاقـــيني عطوفـــاً وكريمـــا

كل شيء صـــار مـــرا في فمـــي

بعدما أصـــبحت بالـــدنيا عليمـــا

آه مـــن يأخـــذ عمـــري كلـــه

ويعيد الطفـــل والجهـــل القـــديما

وإذا كان لابد أن نلاحظ شيئاً في ترتيب الأبيات، فإني أذكر هنا أن البيت الذي لم تغنه أم كلثوم هو الثالث في النص الأصلي للمقطوعة، ولكن محمد صادق جعله البيت الرابع: وفضلاً عن هذا، وخارج سياق الحديث، فإن مجلة (الراديو المصري) أخطأت خطأ طباعيا في هذا البيت، فجاء على هذا النحو:

وتطلعنـــــــــــا إلى أنجمـــــــــــــه

فتـــــهاوينا وأصـــــــبحنا لنـــــا

والصحيح، كما ورد في نص القصيدة ضمن ديوان (وراء الغمام) الذي صدر سنة ١٩٣٤ هو:

وتطلعنـــــــا إلى النجمـــــــــه

فتـــهاوين وأصـــبحن لنـــا

وهنا أود أن أقول إن أم كلثوم ربما تكون قد استمعت إلى أبيات ناجي هذه سنة ١٩٣٥ من خلال حفلة محمد صادق، وإذا لم تكن قد استمعت، فإنها - بالتأكيد - قد قرأت هذه الأبيات، لأنها منشورة في (الراديو المصري) إلى جوار نصوص الأغاني التي كانت تغنيها في نفس تلك السنة، وقد عاد محمد صادق إلى غناء أبيات ناجي مرة ثانية في ٣ أغسطس ١٩٣٥، ثم غنى لناجي قصيدة (الغد) في حفلة ١٧ أغسطس من نفس تلك السنة: وهي القصيدة التي غنتها فيما بعد المطربة الكبيرة سعاد محمد، ولحنها رياض السنباطي، وغنى محمد صادق قصيدة ثالثة لناجي في حفلة ٣١ أغسطس ١٩٣٥، وهي بعنوان (توأم الروح) التي ضممتها - فيما بعد - ضمن القصائد المجهولة في (الأعمال الشعرية الكاملة) لناجي، ومطلعها:

مهلاً فإن المنادي شطرك الظامي

يا توأمَ الروح أدرك روحيَ الدامي

• بحكم عملي في الصحافة، فإني أعذر الذين يقعون في أخطاء، تبدو مضحكة أحياناً، نتيجة عدم التزامهم بالدقة التي تتطلب التأني، وهو ما لا يتحقق للصحافة اليومية بصورة أساسية، لكني أتصور أن التأني مطلوب حين يكون ما هو مكتوب فيها مكتوبا في مجلة أسبوعية، ويصبح التأني مطلوباً أكثر حين يكون المقال مقالاً لرئيس تحرير المجلة الأسبوعية. على غلاف عدد ١٣ فبراير سنة ٢٠٠٠ من مجلة (نصف الدنيا) الأسبوعية والتي كانت الكاتبة الصحفية سناء البيسي ترأس تحريرها – وقتها –، نطالع عنواناً مثيراً هو (سناء البيسي تنفرد بنشر أشعار مجهولة لإبراهيم ناجي بخط يده)، أما المقال ذاته فإن خاتمته تقول: (.. يا ناجي الأشعار.. بإزاحة الستار عن قصائدك الجديدة نعدو نسابق جميع الصحف والمجلات والمحافل والأقطار..)!!

يستند مقال سناء البيسي على مجموعة من القصائد بخط ناجي، وهي من القصائد التي تحتفظ بها السيدة أميرة إبراهيم ناجي، وقد سعدت سناء البيسي بهذه القصائد، وقامت بتصويرها، لتنشر ضمن مقالها الأسبوعي، ولو كانت هذه القصائد (جديدة) حقا لكنت قد سعدت بها، باعتباري واحدا ممن يعشقون قصائد الشاعر الرقيق والكبير، لكني أدركت بمجرد أن تصفحت القصائد المنشورة في (نصف الدنيا) أنها – في معظمها – ليست

(جديدة) وبالتالي فإن سناء البيسي ما كان يحق لها أن تقول (يا ناجي الأشعار.. بإزاحة الستار عن قصائدك الجديدة نعدو نسابق جميع الصحف والمجلات والمحافل والأقطار..)!!

كنت أتمنى أن تقرأ سناء البيسي دواوين ناجي، وبالذات ديوان (ليالي القاهرة) قبل أن تكتب عن ناجي ما كتبته، متصورة أنها قد أتت بشيء جديد، دون أن يكون هناك أي جديد بالفعل، وذلك لأن معظم القصائد المصورة بخط ناجي، تمثل مقطوعات من قصيدة (الخريف) وهي إحدى قصائد ديوان (ليالي القاهرة) الصادر سنة ١٩٥٠، وقد ضممت هذه القصيدة إلى (الأعمال الشعرية الكاملة) لناجي، كما أنها موجودة كذلك ضمن (الأعمال الشعرية المختارة) لناجي.

* أعرف أن الكاتبة سناء البيسي تعشق محمد عبد الوهاب، فكيف لم تستطع أن تتبين أن القصيدة الوحيدة التي غناها عبد الوهاب لناجي، والتي أشرت إليها هنا من قبل، هي من ضمن القصائد التي تقول هي عنها إنها (جديدة)؟!.. هل (أي سر فيك إني لست أدري..)جديدة؟! وإلى جانب هذا فإن عملية نقل بعض القصائد المكتوبة بخط ناجي، لكي يتسنى نشرها بحروف الطباعة قد شابتها أخطاء، أذكر هنا منها على سبيل المثال:

عندما (أرفع) ركب العمر

(شاهدت) الدنيا وجوهاً ورؤى

فالصحيح، كما ورد بخط ناجي الواضح، وكما ورد في ديوان (ليالي القاهرة) و (الأعمال الشعرية الكاملة) و (الأعمال الشعرية المختارة) هو:

عنـــدما أزمــع ركـــب العمـــر

شـــاهت الـــدنيا وجوهـــاً ورؤى

أتمنى أن تعود سناء البيسي إلى مقالها وإلى دواوين ناجي، لكي تتبين أشياء عديدة، لا مجال هنا لأن أطيل في الحديث عنها وشرحها.

- من خلال متابعاتي المتأنية لشعر ناجي، وقراءاتي الفاحصة للدراسات التي صدرت عنه، أدركت أن كثيرين من الدارسين والباحثين الأكاديميين قد وقعوا في أخطاء فادحة،بل فاضحة، وقد أشرت إلى بعض هذه الأخطاء، لا كلها، في الدراسة التي أسميتها (ناجي.. الحياة – الحب – الموت)، وإذا كنا نعذر الورثة لأنهم ليسوا متخصصين، فهل بمقدورنا أن نعذر الدارسين والباحثين الأكاديميين؟!
- أود أخيراً أن أشير إلى قضية حساسة، لأنها تتعلق بورثة الشعراء الذين أحببتهم بصورة عامة، فقد أدركت أن كثيرين منهم لا يحسنون التصرف فيما تحت أيديهم من كنوز أزواجهم أو آبائهم الشعراء الذين رحلوا عن عالمنا، ولأن هؤلاء الورثة ليسوا متخصصين في الأدب ولا في تحقيق النصوص، فإنهم يقعون بين الحين والآخر في أخطاء فادحة، وقد يوقعون معهم في مصيدة تلك الأخطاء من

يتعاملون معهم من المحققين، وهذا ماجرى بالفعل فيما يتعلق بالشاعر الرقيق الكبير الدكتور إبراهيم ناجي؛ لكني أكتفي بما قلت، دون أن أورد أمثلة عديدة أعرفها حق المعرفة، وذلك حرصاً مني على عدم إحراج أحد.

- إذا كنت وما زلت أبذل جهوداً مضنية وبدافع الحب تجاه شاعر الحب الرقيق والكبير الدكتور إبراهيم ناجي ، فإن هناك من يجيرون استثمار هذه الجهود بوسائل متنوعة مختلفة : وعلى سبيل المثال فإن أحد الناشرين العراقيين قام بإعادة طبع كتابي الأول عن ناجي سنة ١٩٨٥ في بيروت دون أي استئذان ، وقد عرفت الأمر بالمصادفة حين دخلت إحدى المكتبات في بغداد واكتشفت هذا الذي حدث ، وقد حاول صاحب المكتبة وقتها أن يداعبني ، قائلا إن إعادة طبع كتابك حتى لو لم تكن تعلم معناها أن كتابك قيم ومهم ، وفي سنة ٢٠٠٠ كنت في زيارة لدمشق ووجدت في إحدى مكتباتها كتابا عن الشعراء العرب الظرفاء ، وبعد أن تصفحت الكتاب وجدت أن مؤلفه — أو سارقه — قد سرق مقالا كاملا لي كنت قد نشرته في مجلة الهلال الشهرية المصرية ، ويبدو أن هذا السارق واسمه هاني الخير كان متعجلا فلم يحاول أن يغير ولو جملة واحدة مما كتبته !

- صدر عن مركز الراية للنشر والإعلام بالقاهرة سنة ١٩٩٩ كتاب إبراهيم ناجي شاعر الحب والعشق، وقد نقل مؤلفه كثيراً مما كنت قد كتبته عن ناجي وبالذات في مقدمة الأعمال الشعرية لناجي ، التي صدرت – كما ذكرت – سنة ١٩٩٦؛ كما أصدرت دار الكتاب العربي ومقرها في كل من دمشق والقاهرة كتاباً لنفس هذا المؤلف بعنوان إبراهيم ناجي شاعر الأطلال وقصائده العاطفية – سنة ٢٠٠٤ وارتكب هذا المؤلف في كتابه الثاني نفس ما ارتكبه في كتابه الأول. وحين قابلني المؤلف الذي لن أذكر اسمه ظل يعتذر لي قائلاً إن الهوامش التي كان قد كتبها في الكتابين اللذين أصدرهما، وفيها إشارات إلى ما أخذه مني قد سقطت أثناء طبع كل كتاب منهما ، وقد تظاهرت بتصديقه لكي ينفض اللقاء الذي جمعني معه بالمصادفة.

- أصدرت الهيئة المصرية العامة للكتاب ضمن سلسلة أدباء القرن العشرين طبعات جديدة من دواوين ناجي : وراء الغمام سنة ٢٠٠٨– وليالي القاهرة سنة٢٠٠٨ – والطائر الجريح سنة ٢٠١٠ ؛ وقد علمت فيما بعد أن الذي تصدى لتقديم هذه الدواوين كان قد أكد أنني لست موجوداً في مصر وليس لي عنوان يمكن من خلاله التواصل معي ، لكي تُعهد إليه هو مهمة تقديم دواوين ناجي في تلك الطبعات الجديدة ، وهكذا نقل هذا المتصدي من جهودي ما نقل ،

وقد أشار – شكر الله سعيه – إلى ذلك أحياناً ، ولكنه تغافل – سامحه الله – عن الإشارة في معظم الأحيان ، كما حاول أن يثبت أنه قد تفوق في الكشف عن أمور جديدة لم أتنبه أنا لها ، ولكنه – للأسف – لم ينجح ، وهذه السطور تؤكد عدم نجاحه ، ولهذا فإني أدعو له بالنجاح في تقديم أعمال أخرى لشعراء آخرين !

- هذا قليل من كثير ، أحببت أن أشير إليه قبل أن أبدأ تقديم هذه الأعمال الشعرية الكاملة لناجي في هذه الطبعة الجديدة التي تحمس لصدورها الدكتور عماد أبو غازي الأمين العام للمجلس الأعلى للثقافة، ويبقى الحب الذي يدفعني دفعاً إلى العمل المضني، وفاءً لمن أحببتهم من شعرائنا العرب، وفي صدارتهم شاعر الحب الرقيق والكبير إبراهيم ناجي.

(حسن توفيق)

قصيدة في القلب

بقلم : رجاء النقاش

إبراهيم ناجي اسم جميل في تاريخنا الفني المعاصر، وهو اسم لم تعرفه الجماهير الواسعة إلا عندما غنت له «أم كلثوم» قصيدته الشهيرة «الأطلال» من تلحين السنباطي، ولكن ناجي كان قبل ذلك أغنية رائعة، يعرفها الذين يـــحبون الشعر ويقرأونه بقلوبهم قبل أن يقرأوه بعيونهم أو بألسنتهم، وقصائده تصدر من عصارة قلبه، وقلبه صادق وأمين، وهو بسيط مثل العصافير والزهور وقطرات الندى. ليس فيه تعقيد من أي نوع، وليس فيه غموض أو ضباب، مشاعره صريحة، وأحزانه وأفراحه فصيحة، وقد أقام في قصائده معبداً للجمال والحب، لاتستطيع أن تدخل إليه إلا حافي القدمين، صافي الوجدان، هامس الصوت، ملقياً وراءك بكل الغبار الناتج عن الصراعات المختلفة في الحياة اليومية. هو الشاعر الصادق، الذي يدرك أنه يجري وراء أسرار الحب والحياة، فيشعر أن كل ما قاله، وكل ما وصل إليه لم يكن كافياً، ولم يكن هو الكلمة الأخيرة، فكتب هذا البيت الجميل: [مهما أقل بقيت لديَّ قصيدة في القلب لم تنطق بها الشفتان] فهو يحس دائماً أنه لم يقل كل شيء، ولم يعرف كل الأسرار، وأن الوصول إلى الحقيقة الكامنة في هذه الدنيا أصعب من الإمساك بالماء في قبضة اليد. هناك شيء لم يقله ، لأنه

لا يعرفه، ولكنه يحس به في أعماق قلبه دون أن يستطيع تحديده بصورة كاملة ونهائية. ولكن هذا الشاعر المتصوف الذي يحس بالاغتراب الدائم في الحياة يثق في أشياء أخرى ثقة كاملة. فهو عندما يحب يقول لحبيبته: كل الورى يدعون حبك أنا الوحيد الذي أحبك. ويقول: نمشي وقد طال الطريق بنا فنود لونمشي إلى الأبد ،ونود لو خنت الحياة لنا كطريقنا: وغدت بلا أحد. أمنيات بسيطة، ورغبات سهلة، ليس فيها كما قد يتصور البعض أي عدوان على الآخرين، فعندما يتمنى الشاعر العاشق أن تخلو الحياة له مع حبيبته، فهو لا يعني بذلك إنكار وجود الآخرين، أوالرغبة في القضاء عليهم، وإنما يعني أن يبتعد عنه فضول الناس، وأن تكون مشاعره كلها في حالة تركيز على هواه، بحيث لايشعر بضجة الحياة من حوله، لأن ضجة الحياة تؤذي مشاعر المحبين وتقضي على سلام العاشقين، وتطرد كل العصافير من عشها الهادئ الذي ليس فيه شيء من نعيم الدنيا غير الدفء والحنان. وهو نفسه الشاعر الذي لا يجد علاجاً للأحزان، إلا في الحب كما يفهمه، أي في المشاركة الإنسانية الصادقة التي تمنح الرضا والثقة للإنسان وتفجر في قلبه أجمل الأغاني والألحان «إني لطير حائر باك قد كانت الأحزان فلسفتي. ذابت حناناً يوم لقياك وجرت أغاريداً على شفتي» ومثل هذا الشاعر الجميل الصادق والعذب.. مثل هذا الصوفي الذي يتعبد في الحب. والجمال لم يكن من السهل أن يفهمه عصره. وكيف يفهم الناس إنساناً يهمس ولا يصرخ، وكيف يفهمون من

يعزف على أوتار هادئة، ولا يدق على طبول صاخبة؟. كيف يفهم الناس إنساناً لا يحب أن يلفت الأنظار إليه، ولا يطلب من الناس شيئاً إلا أن يتركوه في حاله، وألا يدوسوا بأقدامهم فوق أزهار حديقته الصغيرة؟ كان إبراهيم ناجي، غير مفهوم بالدرجة الصحيحة والكافية طيلة حياته التي امتدت بين ٣١ ديسمبر ١٨٩٨، يوم ميلاده و٢٤ مارس ١٩٥٣!، يوم رحيله المفاجئ عن الدنيا، أثناء عمله بعيادته في شبرا، وكان يومها في الخامسة والخمسين من عمره. كيف وقع هذا الشاعر الإنساني المبدع في خصومة مع عصره؟! قال عنه أحد النقاد البارزين وهو الأستاذ عباس خضر، إنه يتغزل في كل امرأة يلتقي بها، وسماه من باب السخرية باسم "الدكتور عمر بن أبي ربيعة" وليس "الدكتور إبراهيم ناجي" تشبيهاً له بالشاعر العربي القديم الذي اشتهر عنه أنه مولع بالنساء، وأنه كان لا يكتب قصيدة إلا ليروي قصة مغامرة من مغامراته العاطفية. وتشبيه الدكتور ناجي بعمر بن أبي ربيعة تشبيه طريف وخفيف الظل، ولكنه بعيد عن الحقيقة الأدبية والحقيقة الانسانية معاً. ذلك لأن ناجي كان شاعراً من شعراء العواطف النقية الصافية، أي أنه كان في شعره يعبر عن معان روحية عميقة راقية، بينما كان عمر بن أبي ربيعة شاعراً مغامراً مفتوناً بجسد المرأة، أكثر مما هو مهتم بمشاعرها وتجاربها الروحية المختلفة، ولذلك فهو يتنقل بيسر وسهولة من امرأة إلى أخرى، ولا يلتفت إلى أي معنى من معاني الصدق في العاطفة، أو الوفاء في المشاعر، إنه شاعر حسي يطربه جسد

المرأة، أما ناجي فهو شاعر متصوف لا يطربه إلا كل ما له علاقة بالنفس والعواطف الإنسانية العميقة. ونجد نموذجاً آخر لهذا الظلم في تقدير عواطف ناجي فيما كتبه عنه الفنان المسرحي الكبير نعمان عاشور حيث يقول: «.. كان ناجي كلما رأى امرأة وقع في حبها، فالحب عنده كما يقول كامل الشناوي مثل «قزقزة اللب»، وكامل الشناوي نفسه كان كذلك، ويبدو أن جميع كتاب القصائد الرومانسية من الشعراء مثلهما تماماً، والشرط الوحيد هو أن تكون المرأة جميلة وأن يكون جمالها موحياً بالشعر»، والحق أن ما يقوله نعمان عاشور عن ناجي ليس صحيحاً، فقد كان ناجي من كبار الشعراء الذين ينظرون إلى الحب نظرة احترام وتقديس، ولم يكن من الذين يعبثون بهذه العاطفة الراقية، ولا من الذين يعتبرون المرأة موضوع لهو وترفيه، ولم يكن من الذين ينتقلون بعواطفهم من امرأة إلى أخرى كلما لاح أمامهم وجه جميل. ومن حسن حظ ناجي أنه وجد تلميذاً من تلاميذه الأوفياء، الذين عاشوا مع شعره فأحبوه وفهموه فهما صحيحاً بالغ العمق، وهذا التلميذ النابغ لم يعرف ناجي معرفة شخصية ولم يلتق به في حياته، فقد مات ناجي سنة ١٩٥٣، وكان تلميذه العاشق لشعره لا يزال صبيا صغيراً، وكان لا يزال طالباً في المدرسة الإعدادية أو الثانوية. ولكن هذا التلميذ كان موهوباً، وكان شاعراً ومفتوناً بالشعر والشعراء . وقد تعرف على قصائد ناجي في بداية حياته فتعلق بها، وأحبها، وأخلص لناجي إخلاصاً أدبيا نادر المثال. هذا التلميذ

هو الشاعر النابغ الموهوب حسن توفيق. وقد ظل حسن توفيق يبحث عن شعر ناجي، في الصحف والمجلات، وعند أصدقائه الذين عرفوه واحتفظوا ببعض أشعاره، أو كانوا يعرفون مصادرها المختلفة؛ وعلى رأسهم أديب كبير يعيش في الظل حتى الآن، ولا يسعى إلى الأضواء هو الأستاذ وديع فلسطين.

استطاع حسن توفيق أن يجمع معظم أشعار ناجي المبعثرة، ولا نقول كل أشعاره خوفاً من أن يكتشف حسن توفيق – نفسه – في الغد أشعاراً جديدة، لأنه لا يكف عن البحث والتنقيب في الصحف والمجلات التي كانت تصدر في عصر ناجي ،وحسن توفيق في جهده المتواصل لجمع كل آثار ناجي يمثل نموذجاً نادر المثال من الوفاء الأدبي العجيب، فأي شاعر في هذا العصر يرضى أن يقوم بهذا الجهد الكبير لخدمة شاعر آخر، لاتربطه به صلة شخصية، وليس بينهما معرفة ولا صداقة، وليس هناك من دافع وراء هذا الجهد الأدبي إلا الصلة الفنية بين شاعر موهوب من شعراء الجيل الماضي هو ناجي، وشاعر موهوب آخر من شعراء الجيل الحالي هو :حسن توفيق.

ولقد كان ناجي بأشد الحاجة إلى مثل هذا الصديق الأدبي المخلص الأمين الذي يمثله حسن توفيق، ذلك لأن ناجي لم يجمع في حياته سوى ديوانين له هما وراء الغمام (١٩٣٤) وليالي القاهرة (١٩٥٠)، وقد استطاع حسن توفيق أن يجمع لناجي مائة قصيدة وقصيدة، كانت مبعثرة في الصحف والمجلات، وبعضها صحف ومجلات ثانوية وغير مشهورة والعثور عليها أمر

بالغ الصعوبة، وقد قام حسن توفيق بعد ذلك بجمع قصائد ناجي كلها في مجلد كبير أصدره المجلس الأعلى للثقافة تحت إشراف أمينه العام الدكتور جابر عصفور وبتشجيع كامل منه. وكتب حسن توفيق مقدمة رائعة لهذه الأعمال الكاملة وهي مقدمة تزيد على مائة صفحة، وتمثل في مجموعها كتاباً كاملاً عن إبراهيم ناجي، ولا شك أن هذه المقدمة هي أحسن ما ظهر في المكتبة العربية حتى الآن عن حياة ناجي وشعره، فهي مقدمة شاملة، شديدة الدقة في بحثها عن كل التفاصيل الصحيحة التي تتصل بحياة ناجي وفنه.

ولو أن حسن توفيق قد ركز جهده على جمع أشعار ناجي فقط؛ لكان هذا الجهد محدود القيمة، ولكن حسن توفيق بذل جهداً عالياً في فهم كل ما يتصل بناجي وفنه، واستعان في ذلك بذوقه الرفيع وثقافته الأدبية العالية، واجتهاده غير المحدود في البحث عن المصادر الصحيحة للمعلومات، حتى لقد استعان ببعض المخطوطات، ولم يتردد في البحث عن المعلومات الشفوية عند من يملكونها من الأحياء. وكان من الطبيعي بعد ذلك أن تكون المقدمة التي كتبها لأعمال ناجي، مقدمة رقيقة، يكاد ناجي يظهر فيها حيا أمامنا بكل ما في الحياة من دفء وقوة. واستطاع حسن توفيق أن يصحح بعض الأفكار الخاطئة، ويثبت لنا بالأدلة الدقيقة الثابتة، أن ناجي لم يكن فناناً متقلب العاطفة؛ يتنقل بقصائده من امرأة إلى أخرى كما اتهمه بعض معاصريه، ولكنه كان يحب امرأة واحدة، تحولت في وجدانه إلى مثل أعلى للمرأة، بكل ما فيها

من فضائل وقدرة على الإلهام وتفجير العواطف في قلب شاعر حساس مثـل ناجي: وظل حسن توفيق يبحث ويسأل ويقارن ويستنتج حتى توصل إلى أن المرأة الوحيدة التي أحبها ناجي كانت امرأة حقيقية،وكان لها وجود في حياته، بل وبلغ به الإصرار على الوصول إلى الحقيقة الكاملة إلى اكتشاف اسم هذه المرأة، والتي يقول لنا حسن توفيق إن هذا الاسم هو عنايات محمود الطـوير. أما كيف اكتشف حسن توفيق اسم ملهمة ناجي في شعره العاطفي فإنه يروي لنا ذلك في مقدمته البديعة لأعمال ناجي (ص ٣٥) فيقول:

في السنوات الأخيرة من حياة الشاعر صالح جودت، كانت علاقتي به وثيقة حقا، على الرغم من اختلاف الأهواء والثقافة والنشأة والأجيـال، وفي جلسة حميمة مع صالح جودت سألته عن ملهمة قصيدة الأطلال لناجي، فأكد لي، وكان صديقاً مقرباً من ناجي، أن ناجي لم يكتب رائعته من وحي أيـة ممثلة من اللواتي ادعين ذلك الادعاء، وقال لي إنها من وحي حبه الأول ع. م، فاستفسرت منه عنها فأخبرني باسمها، ورجاني أن أحتفظ بالأمر سرا، لأنها ما زالت على قيد الحياة، ولأن ناجي كان يحبها من جانبه هو فحسب، وبعـد رحيل صالح جودت عن عالمنا،حاولت أن أتأكد مما قاله عـن ع. م حيـث سألت الأخ الأصغر لناجي وهو المهندس الراحل حسن ناجي عما أعرفه من صالح جودت، فأكد لي أن الاسم صـحيح، لكـني لم أشـأ أن أشـير إلى اسم ع. م إلا بعد أن رحلت هي أيضاً عن عالمنا، حيث ذكرت الاسـم في

مقال لي كتبته سنة ١٩٨٤ قلت في خاتمته: ... الآن وقد رحلت عنا الملهمة الحقيقية لناجي أجد أن من حقي أن أذكر اسمها لأول مرة.. إنها السيدة عنايات محمود الطوير، وهي ع. م التي أهدى إليها ناجي ديوانه الأول وراء الغمام، والمثال الذي عاش ناجي يناجيه طيلة حياته في قصائد عديدة.

ثم يقول حسن توفيق مفسراً بعض أسرار هذا الحب في حياة ناجي: أذكر أن المهندس حسن ناجي كان قد أعارني كتاباً مخطوطاً كتبه الشاعر الراحل محمد مصطفى الماحي عن إبراهيم ناجي، وحين قرأت هذا الكتاب المخطوط قراءة متأنية وجدت الماحي،وكان من أصدقاء ناجي المقربين – يتحدث عن ع. م دون أن يشير صراحة إلى اسمها فيقول في صفحة ٦٥ من كتابه المخطوط: فأما حبه الأول فقد كان لفتاة جميلة من قريباته وهي تقطن بجواره، وتمكن الحب من قلبه، ولم يجد هذا الحب اعتراضاً من جانبها: بل وجد تجاوباً منها، فضمهما الحب روحياً، وتعاهدا على أن يكون أحدهما للآخر في حياة سعيدة فلما وصل ناجي إلى مرحلة الدراسة في مدرسة الطب: أبت الانتظار حتى يتمم دراسته وتزوجت غيره، وظل هو على حبه العفيف الذي لازمه طيلة حياته، وكلما مرت به لحظة حب أو إعجاب بامرأة كان يتمثل فيها فتاة حبه الأول...

وهكذا يحسم الشاعر الباحث حسن توفيق أمر القصائد العاطفية لإبراهيم ناجي؛ ويردها إلى مصدرها الواقعي الصحيح، ويثبت أن من سوء

الفهم لشعر ناجي أن يقال عنه إنها صادرة عن عاطفة متقلبة، لا تكاد تـرى امرأة جميلة حتى تسقط في هواها، ثم تنصرف عنها إلى غيرها بسهولة ويسر، شأن العواطف السطحية السريعة التي ليس لها في القلب جذور ثابتة، على أن هذا الدليل الواقعي وحده لا يكفي لنفي التقلب، وما يصاحبه من سطحية عن عواطف ناجي، فهذا الدليل الذي توصل إليه حسن توفيق ليس إلا نوعاً مـن الدليل المساعد: أما الدليل الأصلي فهو شعر ناجي نفسه، فهو شعر يفـيض بالصدق، ولا يهتم كثيراً بأوصاف الجسد أو التغني بهذه الأوصاف، وإنما يتغنى أولاً وقبل كل شيء بما يدور في الوجدان والروح من حركة وصراع، ويخرج من الحب بمذهب كامل في النظر إلى الحياة والناس، فهو الذي يقول: ذلـك الحب الذي علمني أن أحب الناس والدنيا جميعاً فالحب عند ناجي معنى إنساني فياض شامل، وتجربة روحية كبيرة وكاملة، وهو مدرسة يتعلم فيها الإنسـان كيف تصفو نفسه، وكيف يصبح قلبه نقيا طاهرا، وكيف يتحمـل الألم في صبر وكبرياء، وكيف يكون قادراً على العطاء دون أن ينتظر ما يقدمه إليـه الآخرون. إنها صورة مثالية للحب، لا يكاد أحد يتصور أن بإمكانها أن تتحقق في واقع الحياة. ومع ذلك فنحن بحاجة إلى هذه الصورة المثالية حتى في عصرنا الواقعي الخشن الذي نعيش فيه، ولا نكاد نحس أن للمثالية أي أثر عليه.

وهذا الشعر الذي يقدمه شاعر كبير مثل ناجي يظل بأصالته وصفائه وبساطته وقربه من القلب: أشبه بالموسيقى الخالصة التي يبحث عنها أصحاب

النفوس الحساسة، يستمعون إليها في هدوء وصمت، ويحاولون أن ينفصلوا مع أنغامها الصافية عن الام الحياة وتفاصيلها اليومية المرهقة، وكثيراً ما تكون هذه الموسيقى نوعاً من الدواء والشفاء، رغم أنها لا تصور واقع الحياة؛ بقدر ما تحملنا على جناحها بعيداً عن الواقع، ولو لفترة قصيرة تجدد قدرتنا على مواجهة الحياة في صبر وارتفاع على الصغائر.

وشعر ناجي في الحب من هذا النوع. إنه موسيقى مبعثرة في كلمات وأبيات وقصائد، تفصلنا عن الحياة، لتعيدنا إليها بعد ذلك ونحن أصفى وأقوى.

ولا شك أن الأعمال الكاملة لناجي والتي سهر على جمعها وترتيبها وتفسيرها وتقديمها شاعرنا الموهوب حسن توفيق هي نوع من إعادة اكتشاف ناجي، ورسم صورة دقيقة وصادقة له، وهي بالنسبة لنا ثروة روحية كبيرة، تعود إلينا بعد أن كانت مبعثرة ومعرضة للضياع الكامل، وسوف نجد في هذه الثروة الفنية ما يجدد أرواحنا، ويكشف أمامنا نبعاً رقيقاً صافياً للعواطف الإنسانية في أصدق صورة لها، ونستطيع أن نقترب من هذا النبع كلما ضاقت بنا الحياة فنجد فيه ما يعيد إلينا طمأنينة النفس، وهدوء القلب، والثقة في أن الحياة -- مهما كانت متاعبها — لا تخلو من عناصر الجمال والصفاء.

**** هذا المقال كتبه الكاتب الكبير رجاء النقاش ونشر في جريدة الأهرام يوم ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٩٦ .**

إبراهيم ناجي ...

الحيـــاة – الحـــب – المـــوت

بقلم: حسن توفيق

نحن لم نولد بإرادتنا، ولا نموت بإرادتنا. لكننا نستطيع أن نسعى لتحقيق ما نود أن نحققه بإرادتنا عبر سنوات حياتنا.

ما بين يوم ٣١ ديسمبر عام ١٨٩٨ ويوم ٢٤ مارس عـــام ١٩٥٣، عاش شاعر مرهف الحس، محب للحياة إذا جادت عليه بالحب، وناقم عليها، بل كاره لها إذا حرمته من الحب. هذا الشاعر المرهف الحس هـــو الـــدكتور إبراهيم ناجي الذي كانت حياته قصيدة حب ذات مقاطع متنوعة: أغلبـــها شجي وحزين، وأقلها مسكون بالفرح.

امتزج شعر ناجي بحياته امتزاجاً عميقاً، يصعب معه أن نفصل بينهما، فقد كانت قصائده انعكاساً لحياته، وكانت حياته – بمنغصاتها وآلامها الكثيرة وبأفراحها القليلة – مرسومة في قصائده .. لكن ناجي – في خضم حياته – لم يهتم بجمع قصائده أولا بأول في دواوين تضمها مجتمعة، على عكس شعراء جيله وشعراء الأجيال التالية، وعلى سبيل المثال: فإن ناجي الذي عاش أربعاً وخمسين سنة لم يصدر غير ديوانين في حياته، بينما نجد أن علي محمود طـــه الذي عاش سبعاً وأربعين سنة (من ١٩٠٢ إلى ١٩٤٩) قد أصـــدر خـــلال حياته دواوينه «الملاح التائه» و «ليالي الملاح التائـــه» و «أرواح وأشـــباح»

و«زهر وخمر» و «الشوق العائد» و «شرق وغرب». اهتمام علي محمود طه بجمع قصائده في دواوين خلال حياته، جعل مهمة الذين تصدوا لجمعهـــا في «أعمال شعرية كاملة» مهمة سهلة ويسيرة، بينما تكفل عدم اهتمام نـــاجي بجمع قصائده في دواوين - باستثناء ديوانين - خلال حياته،بأن يجعل مهمـــة الذين تصدوا لجمع تلك القصائد في «أعمال شعرية كاملة» مهمـــة صـــعبة وعسيرة..

حقا، إنها مهمة صعبة وعسيرة، مهمة التصدي لجمع قصائد ناجي في مجلد واحد ضخم، يضمها - مجتمعة - بين دفتيه، لكني أؤمن أن أي عمـــل ممزوج بالحب، يمكنه أن يتغلب على الصعاب وأن يجعل العسر يسراً ... العمل الممزوج بالحب هو الذي صوره جبران خليل جبران في «النبي»، ويطيـــب لي هنا أن أقتطفه نقلا عن الترجمة الرائعة التي قام بها الكاتب الفنسان الكـــبير د. ثروت عكاشة. يقول جبران: «.. وما يكون العمل الممزوج بالحب؟.. هو أن تنسج الثوب بخيوط مسلولة من قلبك، كما لو كان هذا الثوب سيرتديه من تحب .. هو أن تبني داراً والوجد رائدك، كما لو كانت هذه الدار ستضم من تحب .. هو أن تنثر البذور في حنان، وتجمع حصادك في فرح، كما لو كانت الثمار سيأكلها من تحب .. هو أن تنفح كل ما تصنعه يداك بنـــسمة مـــن روحك، وأن تدرك أن كل أعزائك الراحلين، قد التفوا حولك يراقبون ..» .

أحسست بفرح عميق، رغم أن الفرح شحيح في زماننا، منذ أن كلفني الأستاذ الدكتور جابر عصفور - الأمين العام للمجلس الأعلى للثقافة، بمهمة إصدار «الأعمال الشعرية الكاملة» للدكتور إبراهيم ناجي، في طبعتها الأولى التي صدرت بالفعل سنة ١٩٩٦ وذلك لأني كنت أتهيأ بالفعل لإصدارها بعد استكمال القصائد استكمالاً وافياً ودقيقاً، بل إني كنت أحلم بإصدارها على نفقتي الخاصة، لكن الحلم كان يتحطم على صخرة الأعباء المادية التي لا قبل لي بها ولا بمواجهتها. وهكذا شرعت في مهمتي بحماسة لم أعهدها في نفسي منذ سنوات، حماسة غذاها الحب لشاعر الحب الرقيق الدكتور إبراهيم ناجي ، الذى أحببته منذ صباى الباكر ؛ وقد نفدت نسخ الطبعة الأولى فور صدورها ، وها هي الطبعة الثانية الجديدة لهذه الأعمال الشعرية الكاملة تصدر عن المجلس الأعلى للثقافة ؛ ولكن كيف نشأ حبي لشاعر الحب وكيف تغلغل في أعماقي ولماذا ؟ ... هذا ما سأجيب عليه ..

ناجي .. والصبيّ الذي أحبه

مازلت أذكر هيئتي وأنا صبيٌ في الخامسة عشرة من عمره ... كان يحلو لهذا الصبي أن يقضي معظم أمسياته على شاطىء النيـــل في ســـاحل روض الفرج، مترنماً بأبيات عذبة رقيقة يختلس النظر اليها بين الحين والحين من ديوان شعر صغير الحجم يحمله معه في تلك الأمـــسيات بـــاعتزاز وحـــب، كمـــا لو كان يحمل شيئاً نفيساً يود أن يراه الناس جميعاً لكي يتسنى له أن يتبـــاهى به عليهم ..

والحق أن المارة على شاطئ النيل لم يكونوا يأبهون كثيراً لهيئـــة هـــذا الصبيُ، بقدر ما كانوا يندهشون عندما يهطل المطر في تلك الأمسيات البعيدة، فيهرولون جميعاً، تاركين هذا الصبي بجسده النحيل وخطواته الهادئة المتـــسقة التي لم يفلح المطر في أن يخرجها عن هدوئها واتساقها .. كان هذا الصبي -- وقتها -- يسعد بهذا وينتشي إذ يرى شاطئ النيل وقد خلا من النـــاس فيمـــا عـــداه ..

أليست هذه فرصته الذهبية التي يغتنمها لكي يترنم بالأبيات العذبـــة الرقيقة بصوت عالٍ يؤنسه ويزيح عن نفسه إحـــساسها بالوحـــشة الغريبـــة المبهمة؟!.

كان هذا الديوان الذي يحمله الصبي هو ديوان «وراء الغمام» للدكتور إبراهيم ناجي، ومازال هذا الصبي – حتى بعد أن كبر وخط الشيب شعره –

يعتز بهذا الديوان، لأنه – من جهة -- كان أول ديوان يقتنيه لمكتبته الوليدة، ولأنه – من جهة أخرى – كان يحمل الإهداء بخطه ناجي لأحد مفتشي اللغة العربية بوزارة المعارف .. يقول الإهداء: «لحضرة صاحب العزة عبدالحميد بك خضر مفتش وزارة المعارف .. مع تحياتي .. ناجي – ٢٨/٥/١٩٣٤» .. ولقد كان من حسن حظ الصبي أنه كان زميلا لحفيد ذلك المفتش الراحل في مرحلة الدراسة الثانوية، فلولا هذا لما كان قد قُدر له أن يقتني هذا الديوان!!..

مرت الأيام .. وتلتها أيام .. وكبر الصبي .. وكبر معه حبه لشاعره الأثير الدكتور إبراهيم ناجي، لدرجة أنه كان يتعلق بالأشياء التي عرف أن شاعره قد تعلق بها في حياته، كما أنه ظل – لفترة غير بعيدة – يؤمن بالقيم والمثل التي كان شاعره يؤمن بها أو كان يتوهم أن شاعره يؤمن بها .. تملكه الزهو حين عرف أن شبرا التي ولد فيها قد شهدت ميلاد شاعره في يوم الحادي والثلاثين من شهر ديسمبر عام ١٨٩٨، حيث قضى ناجي طفولته المنعمة فيها بفضل ثراء والده ومركزه المرموق في المجتمع وقتها، وكان يطيب لناجي التنزه في حقول شبرا ومزارعها التي كانت ترتوي من مياه الترعة البولاقية، قبل أن يتضافر الناس على وأدها واجتثاث الخضرة من حقولها ومزارعها لكي يتسنى لهم أن يبنوا المنازل والمدارس والمستشفيات بعد أن تكاثف السكان .. وكما شهدت شبرا ميلاد ناجي فإنها قد شهدت أيضاً أخريات أيامه، وشهدت رحيله عنا إلى تلك الديار المجهولة التي لم يعد من

للذاهبين إليها أحد .. فقد كانت عيادته الطبية - التي كان يتوجه إليها كـل مساء لاستقبال المرضى - قائمة في شارع ابن الفرات بشبرا، وفي تلك العيادة ذاتها فاضت روح ناجي من أثر السكتة القلبية وكان ذلك في يـوم الرابـع والعشرين من مارس ١٩٥٣.

وكما تعلق الصبي بشبرا التي تعلق بها شاعره، فإنه تعلق أيضاً بالمنصورة التي تعلق بها شاعره منذ أن عمل طبيباً بها عام ١٩٢٧ أي بعد تخرجـه مـن مدرسة الطب السلطانية بخمس سنوات .. ومدرسة الطب السلطانية هـي بالطبع كلية الطب الآن .. وقد تخرج منها ناجي عام ١٩٢٢، ولم يطل بـه المقام في القاهرة بعد تخرجه، «إذ عين في وظيفة بالقسم الطبي لمصلحة السكك الحديدية ونقل إلى سوهاج، فأغلق عيادته بالقاهرة، وافتتح عيادة بـسوهاج، وبنفس الخصائص والوسائل والخلال، لقي من النجاح أكثـر ممـا لقـي في القاهرة، ثم نقل من سوهاج إلى المنيا، ثم إلى المنصورة» التي التقى فيها ناجي برفاق الشعر والحب والشباب ممن سيكونون فيما بعد من أعضاء جماعة أبولو .. التقى ناجي بعلي محمود طه، والتقى بهما في نفس الوقت شاعران من ناشئة الشعراء وقتها هما محمد عبدالمعطي الهمشري وصالح جودت .. وكانت هذه الجوقة تتآلف فكراً وشعراً في أمسيات عديدة من أمسيات عام ١٩٢٧ عنـد «صخرة الملتقى» وهي صخرة كانت قائمة عند موقع بين النيـل والجزيـرة الرملية التي ينحسر عنها الماء بعد موسم الفيضان فتبدو كالصحراء .. كـان

أفراد الجوقة يلتقون لكي يتناشدوا أشعارهم الجديدة، ولكي ينهلوا في نفس الوقت من ينابيع أصدقائهم الروحيين من الشعراء الرومانسيين في الأدب الإنجليزي .. شللي وكيتس وبيرون ووردزوورث .. ومن أوائل قصائد علي محمود طه التي كتبها في المنصورة قصيدته «صخرة الملتقى» وقد أرسلها إلى جريدة «السياسة الأسبوعية» التي كان يرأس تحريرها الدكتور طه حسين .. وقد نشرت تلك الجريدة قصيدة علي محمود طه في عددها الصادر بتاريخ ١٦ يوليو ١٩٢٧، ثم كتب إبراهيم ناجي هو الآخر قصيدته «صخرة الملتقى» وأرسلها إلى نفس الجريدة حيث نشرت في عددها الصادر بتاريخ ٦ أغسطس ١٩٢٧، والحق أن ذكر التواريخ هنا أمر مهم جدا، لأنه ليس صحيحاً ما ذكره صالح جودت في مقدمة ديوان ناجي من أن ناجي كان أسبقهم إلى النشر كما سأوضح تفصيلا فيما بعد: كما أنه يصبح من الثابت الآن بالدليل المادي أن ناجي لم ينظم قصيدته حوالي عام ١٩٢٨ كما توهم صالح جودت، ولم ينظمها عام ١٩٣٠ كما قطع بهذا أحمد عبدالمعطي حجازي في مقدمة مختاراته من «قصائد إبراهيم ناجي» وهذا ما سيتضح أكثر عندما نتحدث عن قصيدة «صخرة الملتقى» بالتفصيل.

إذا كانت الأيام قد أبعدت جوقة شعراء صخرة الملتقى عنها وعن المنصورة ذاتها، فإن ناجي لم يفتر تعلقه بهذه المدينة التي قضى فيها فترة من أجمل فترات حياته .. فبعد انقضاء إحدى عشرة سنة على ابتعاده عنها عاد

إليها سنة ١٩٤٢ ليبحث عن الهدوء ويتطلع إلى السكينة وراحــة البــال في جوانبها بعد أن طال تغرب روحه المثقلة بهمّ السنوات وأعباء الحياة، والواقع أن ناجي قد وجد – محقا – أن تغربه يسكن داخل ذاته نفسها لا خارجها، وبالتالي فإنه من العبث البحث عن الهدوء ونشدان السكينة وراحة البال بشد الرحال من مدينة إلى أخرى، ومن هنا فإن ناجي قد صرخ ملتاعــاً حين أدرك استحالة ما يبتغيه:

واقيتــها وفلــول النــور دامية ... تطفو وترسب أو تعلـو فتعتلـقُ
لم أدرِ حين تبــدت لى إذا شــفقى ... أبصرته أم على المنصورة الــشفق
يامن منحت الأماني البيض معــذرة ... إنى بــهذى الأماني البيض أختنــقُ
أين الهــدوء المرجــىُّ فى جوانبــها ... إنى رجعــتُ وليلــي كلــه أرقُ
أقبلت أنشد أمنًــا فى هــواك بهــا ... فلم أنــلْ وتــولىَّ قلــبيَ الفَــرَقُ
لا بالقلوب ولا الأرواح يا أملــى ... إنَّا بــشيء وراء الــروح نعتنــق

وقد كان من قدر الصبى المفتون بناجي أن يكون له – هو الآخــر – غرام في المنصورة، تحدث عنه حينما كبر في قصيدة «أغنية حب للمنصورة» التي ضمها ديوانه الثاني «أحب أن أقول .. لا» .. وإلى الآن فإن أصدقاء هذا الصبى الذى كبر مازالوا يعرفون فيه حنينه الدافق إلى المنصورة في حد ذاتهــا،

حتى بعد أن تحجرت القلوب وصدئت الأرواح وتفتتت الأحلام على صخور الأهواء إلى أن بعثرتها العواصف الهوجاء .. والحق أن هذا ليس بمستغرب من صبيٍّ ظل تصوره لنحب منبثقاً - لفترة طويلة - من تصور شاعره الأثير له، ولعل هذا أن يكون سر الفرحة والحسرة اللتين أحس بهما - في وقت واحد - عندما وجد الدكتور محمد مندور يعلل سر نفاذ قصائد ناجي إلى قلوب محبيها بقوله: «لقد تحكم طبع ناجي في إنتاجه الشعري، وجارى هذا الطبع على سجيته، بل غذاه بمطالعاته في الآداب الغربية، فتميز بالطابع الوجداني وبالحب المثالي وأشواق الروح .. وهذا شعر يلقى أكبر الاستجابة في نفوس الشبان المحرومين رغم تفتحهم للحياة ...» لقد فرح الصبي بحديث الدكتور مندور لأنه فسر له سر تعلقه بناجي تفسيراً موضوعياً، وأصيب الصبي بالحسرة لأن حديث الدكتور مندور نبهه إلى أنه شاب محروم رغم تفتحه للحياة!!..

يبقى أن أقول إن الصبي المفتون بناجي كان كثيراً ما يعذب نفسه بقوله إن حبه لشاعره الأثير حب غير مكتمل .. وإلا فما معنى أنه لا يستطيع - في أحيان كثيرة - أن يتذكر عناوين قصائد شاعره؟! صحيح أنه يحفظ القصائد نفسها عن ظهر قلب إلى الآن .. أما عناوينها فإنها هي التي كانت تجعله يتصور أن حبه لناجي حب غير مكتمل .. فكثيراً ما كان يحس بالحرج عندما يطلب منه أصدقاؤه أن ينشدهم قصيدة «الحنين» على سبيل المثال، فيسمعهم بدلا منها أبيات قصيدة «مناجاة الهاجر»!! لم يكن لدى الصبيّ

وقتها تفسير ولا كان لديه تبرير، لكنه ذات مرة التفت إلى مقدمة أحمد الصاوى محمد التي تصدرت ديوان «وراء الغمام» فوجده يقول «يكاد يكون ديوان ناجى قصيدة واحدة وقصيدة حب» .. وبعدها تنبه إلى أن الدكتور محمد مندور قد أطلق على الفصل الذي تحدث فيه عن ناجى في كتابه «محاضرات في الشعر المصرى بعد شوقي» اسم «ناجى .. قصيدة غرام»..

أجل ... إن ناجى قصيدة غرام متسقة، مهما تتنوع الموسيقى في مقاطعها الممتدة، أو تتغير القوافي في أبياتها .. ومن هنا فإن العناوين ليست في مجال الغرام بذات بال .. فالمهم في الوردة الجميلة المتفتحة شكلها ورائحتها لا اسمها أو عنوانها!!!.

ناجي ... الفراشة الحائرة

عاش ناجي حياته فراشة حائرة: تتنقل من غصن إلى غصن، عساها أن تجد بديلا عن الزهرة التي كان ينشدها، لكنه حرم منها طيلة حياتـــه، علــى الرغم من أنها لم تكن بعيدة عنه، وهذا ماسأوضحه فيما بعد عند الحديث عن «زهرة المستحيل والأخريات».

وكلما توهم ناجي أنه قد وجد الزهرة الـــتي تعوضـــه عـــن زهـــرة المستحيل: كانت الهوة العميقة ما بين المثال وبين الواقع تبرز له، وكانت تلك الهوة العميقة تفصل ما بين المثال الذي خلقته تصورات شاعر مثالي للمرأة التي ينشدها بكل ما يخلع عليها من صفات ملائكية تجعلها دوماً مرفرفة في محرابها العلوي بعيدا عن البشر الفانين، وبين الواقع الذي تتمخض عنه الحياة ذاتهـــا بكل ما فيها من نقائص بشرية وبكل ما تجلبه معها من منغصات أرضية. هذه الهوة العميقة ما بين المثال والواقع هي نفسها التي جعلت ناجي يحترق طيلـــة حياته .. وأغلب ظني أنه كان يعي هذا ويدركه تماماً، ولكن أكان بمقدوره أن يشكل حياته تشكيلا جديداً مغايراً لما تشكلت عليه تلك الحياة بالفعل؟ وهل كان باستطاعته أن يخرج عن القضبان التي حددتها له عوامل نفسية واجتماعية عديدة، تضافرت – مجتمعة – لكي تجعل الشاعر يسير عليها سواء أشاء هذا أم كرهه .. هذه العوامل هي التي يصطلح معظمنا على تسميتها بالقدر..؟!..

حقا إن ناجي كان - في بعض الأحيان – يتمرد على تصوراته للمرأة التي ينشدها، ويحاول أن يقنع نفسه بأن تلك المرأة لا وجود لها في الواقع لأنها من صنع خياله هو فحسب، لكن الحق أيضاً أن هذا التمرد لم يكن يزيد على كونه فقاعة صغيرة ما تلبث أن تتلاشى وسط تقلبات العواصف ودوامات البحار .. لنستمع إليه وهو يصرخ صرخة تمرد حادة وعابرة في نفس الوقت حيث يقول في قصيدة «بين الشاعر والريح» التي أصبحت - فيما بعد - أبياتاً من قصيدته الشهيرة «الأطلال»:

هاك فانظر عدد الرمل قلوباً ونساء

فتخيَّر ما تشاء .. ذهبَ العمر هباء

ضلَّ في الأرض الذي ينشد أبناء السماء

أي روحانية تُعْصَرُ من طين وماء

وبالطبع .. ما تلبث هذه الفقاعة أن تتلاشى، وما يلبث الشاعر أن يعود إلى القضبان التي حاول أن يخرج عنها .. ومن هنا فإننا نجده يتساءل عن معنى الحياة بدون الحب، ويظل هذا التساؤل يلح على وجدانه وفكره معاً كلما تمعن في شتى مظاهر الحياة .. إنه يتساءل عن الدافع الذي دفع الله تعالى إلى أن يزين السماء وينسق الكون ويجعله بهيا حافلا بشتى ألوان الجمال، كما يتساءل عن علة انبثاق الفجر من خلال الظلمة وكأنه الميلاد الجديد لنكون الناثم .. إنه يتساءل ويتساءل .. ثم لا يدع أحداً غيره يجيب، فهو يرى أن كل هذا الجمال ليس إلا من أجل «روحين في أفق حلّقا» فكل هذا الجمال

ليس له من معنى في نظر الطائر المفرد الروح الذى يضرب في متاهـة الأفـق وحده بغير أليف، ولو أن هذا الطائر وجد أليفه لأدرك وقتئذ معنى الحياة وتمثل مفاتنها وسحرها وتمتع بجمالها وروعتها .. هذا ما يقوله ناجي في النص الكامل المجهول لقصيدة «صخرة الملتقى» .. يقول الشاعر متسائلاً:

لمن زيَّنَ الله هذى السماء	أو جمَّلَ الكون أو نسقا ؟
لمن يطلع الفجر فى أفقها	فيبدو بها ضاحيا مونقا ؟
لمن مسَّ هذا النسيم الغمام	فرقرق منه الذى رقرقا ؟
إذا ذكرته الحمائم أنَّ	وإن ضاحكته الربى صفقا
أللطائر المفرد الروح يمضى	يرود الموارد عن مستقى ؟!
وربمك ليس لهذا ولكنْ	لروحين فى أفق خلِّقا

وإذا كان الشاعر يتساءل هنا عن معنى الحياة بغير الحب، ثم يجيب بنفسه عن تساؤله الذى صاغه في إطار رؤية شاملة، فإنه -- في البيتين التاليين-- يقرر بصورة لا لبس فيها أن حبيبته هي وحدها التي علمته معنى الحياة، وأنه بدونها لا يجد لها معنى ... في هذين البيتين لا يتساءل الشاعر وإنما نجده يقرر .. وهو -- في هذه المرة -- يقرر ما قرره من خلال منظور ذاتي بحت لا في إطار رؤية شاملة .. وهذا بالطبع ما يغلب عليه:

أنتِ التي علمتني معنى الحيـــاة حبيبــة وتحيــة وصـــديقا
أنكرتُ معناها بغيرك واستوتْ وتشابهت سعة عليَّ وضيقا

والواقع أن الحياة – في نظر ناجي – كانت مسـرحاً كـبيراً يظـل الممثلون يعتلون خشبته، ويلعبون أدوارهم التي حددها لهم المخرج مقـدماً: وأسعدُ الممثلين هم أولئك الذين يعهد إليهم المخرج بتمثيل أدوار الحب، لأن هؤلاء – وحدهم هم الذين يقدر لهم عندئذ أن يدركوا معنى المسرحية التي يمثلونها، والحق أن المتتبع لصورة الحياة – على هذا النحو – عند ناجي، يجـد أن الشاعر قد أغرم بها منذ صباه الباكر، ويبدو لي أن هـذه الصـورة قـد ارتسمت في مخيلته الشابة نتيجة إدمانه قراءة شكسبير الذي كان يعكف على قراءته منذ كان شاباً، ثم ترجم له – فيما بعد – عدداً من «سونتاته» .. ولقد تمثل ناجي هذه الصورة تمثلا عميقاً، بعد أن استوعب دقائقها في «ماكبث» شكسبير على وجه التحديد، وها هو يرسمها في إحدى قصائده المبكرة الـتي نشرها عام ١٩٢٢ أي وهو في الثانية والعشرين من عمره:

نزل الستار على الرواية وانقضت تلك الفصول وقُضَّ ذاك المسرحُ

وكان من ولع ناجي بهذه الصورة للحياة أنه كان يعود إلى رسمها في قـصائد عديدة في مختلف فترات حياته .. ومن هذه القصائد قصيدة «روايـة» الـتي تضمنتها ديوانه الثاني «ليالي القاهرة» ففيها يفصل القول ويـبرز الجزئيـات،

ويحدد الملامح والقسمات، وها هو يعلن ملتاعاً أن «المسرح» قد انفض ملعبه .. لماذا؟ لأن صحب الشاعر قد مضوا كما أن أحبته قد هجروه، تاركين إياه وحيداً لوجه أمام الزمان يُسمعه ضحكه الساخر، ويريه كيف يقهقه القدر:

نـزل السـتار ففيم تنتظـرُ	خلَت الحيـاة وأقفـر العمـرُ
لم يبـق الا مقفـر تعـس	تعـوى الـذئاب بـه وتـأتمرُ
هـو مـسرح وانفـض ملعبـه	لم يبـق لا عـين ولا أثـرُ
وروايـة رُويـت ومزجزهـا	صحب مضوا وأحبة هجـروا
عبروا بها صـورا فمـذ عـبروا	ضحكَ الزمـان وقهقه القـدرُ

وإذا كانت الحياة باعتبارها مسرحاً، تكتسب معناها من وجود الحب في مشاهدها، وتفقد كل معنى مشرق عندما ينتفي منها الحب، فإن الموت هو الصخرة الصماء المخيفة التي تسقط - من عل - على خشبة المسرح فتحطمها في غير هوادة ولا لين، والشاعر - بطبيعة الحال - لا يخشى على خشبة المسرح في حد ذاتها، وإنما هو يخشى عليها لأنها تمثل الإطار الذي يعيش الحب داخله، ومن هنا فإننا نجد أن ناجي - في قصائد عديدة له - يؤكد أنه لا ضير مـن تحطيم المسرح إذا انتفى منه الحب، ولعل تساؤله الذي وجهه لنفسه في مستهل

قصيدته «رواية» أن يكون شاهداً على ذلك: «نزل الستار .. ففيم تنتظر؟!».. وهكذا فإنه حين يقف أمام البحر عند الغروب متأملا أسرار الحياة، فإننا نجد أن ضآلة الناس تروعه، وهذا ما يجعله يبكي على تلك الضآلة المزرية ببني الإنسان أمام الأبد المجهول الذي يزداد عتمة وخفاء .. والشاعر لا يكف عن البكاء إلا عندما يلوح له من خلف الدموع وجه حبيبته، وذلك أنه يجد فيه أحر عزاء عن الضآلة المزرية لبني الإنسان أمام قوى الطبيعة العاتية ومنها البحر بجلاله وجبروته، يقول ناجي في النص المجهول لقصيدة «خواطر الغروب»:

يا لهذا الجلال والأبد المجهول	يزداد حيرةً وخفاءَ
روعتني ضآلةُ الناس فيه	فبكيتُ الحياةَ والأحياءَ
فليدعني القضاء أبكي لأشفى	لم تدعْ ذلةُ الهوى كبرياءَ
لاح خلف الدموع وجهُ حبيب	لا أرى غيره لنفسي عزاءَ
قلت للقلب جاء ربك فاهل	كم ظمئنا فما وجدنا الماءَ
لم تثبنا الحياة إلا هذا	حسبنا وجهه الجميل جزاءَ

وإذا كان الإنسان – في أوقات تبرمه بالحياة – يرى أن المستقبل ليس سوى خدعة كبيرة، يخدع بها نفسه لكي يتسنى له أن يواصل السير في ركب

الحياة، محفوفاً بالمنى البراقة التي تتوافد عليه في مقتبل العمر، فإنـــه - والأمـــر كذلك - لابد أن يرى أن المستقبل الحقيقي له هو القبر الذى تفـــتح فوهتـــه الضيقة تلك الصخرة الصماء المخيفة: حينما تسقط - من علٍ - على خشبة المسرح لتحطمها في غير هوادة ولالين:

أرى فى العبـــاب كفـــاح الحيـــاة   وتيارَهَـــا الجـــارفَ الأحمقـــا
وألمـــح فيهـــا عـــراك الرجـــال   إذا لاحـــقَ الـــزورقُ الزورقَـــا
وكيف على رُحْبِ هـــذا المجـــال   نــــــزلها منــــــزلاً ضـــيقًا ؟!

ماذا يعنى هذا المجال الرحب إذن؟! إن وجوده سيان وعدمـــه مـــادام الإنسان سينـــزل في النهاية منـــزلا ضيقاً وينتهي السعى المحمـــوم إلى هـــذه النهاية الأسيفة .. لماذا إذن تكذب الدنيا علينا أو نكذب نحن علـــى أنفـــسنا ونعللها بمنى براقة ندرك أنها لن تتحقق .. يقول شاعرنا في إحدى قـــصائده المجهولة:

أوَ هكـــذا الـــدنيا وذاك حنانهـــا   أوَ ذاك وعـــد خيالهـــا الكـــذابِ
أمل على أمـــل وآخـــرة المـــنى   نوم على نوم مَـــدى الأحقـــابِ

ونحن لو عدنا من جديد إلى المرأة موضوع الحب، فإننا نجد أنها تمثل الهدف الأسمى في الأدب الرومانسي بصورة أساسية، بل إن النظر إلى الحياة – كما يقول رجاء النقاش في مقدمته لديوان «مدينة بلا قلب» لأحمد عبدالمعطي حجازي – «إنما يكون من خلال أفراح الفنان وأحزانه في تجربة المرأة، فروح الجمال تشيع في الدنيا وفي الطبيعة إذا ما كان هناك أمل في نجاح التجربة مع المرأة أو بجرد وهم في هذا الأمل ، وتحل محل هذه الروح الفرحة روح أخرى مشبعة بالحزن إذا ما تعرضت تجربة الحب لعائق من العوائق».

وإذا كنت قد ذكرت أن ناجي عاش حياته فراشة حائرة تتنقل من غصن إلى غصن، إلا أنه من سذاجة التصور البعيد عن التعمق ما تذهب إليه الدكتورة نعمات فؤاد في كتابها «ناجي الشاعر» – ص٩٥ – حيث تقول: «... من شعر ناجي نتبين أنه ليس من الموحدين في الحب .. فله محاب كثيرة .. وقد ذاق ألواناً من الحب: فتارة يفتنه السحر والذكاء وآناً يغريه الجمال .. ومن محابه البيضاء الزاهرة والسمراء الفاتنة .. وكما راعه الإشراق في الأولى .. سبته السمرة والجاذبية في الأخرى حتى كاد أن يعبدها ..» .. أقول إنه لمن سذاجة التصور ما تذهب اليه الدكتورة نعمات، لأن كلامها يوحي، بل يقطع بأن ناجي كان متقلباً في عواطفه .. يحب هذه يوماً، ثم يهجرها إلى أخرى يحبها هي أيضاً يوماً آخر .. وهكذا .. وحقيقة الأمر أن ناجي قد عشق المثال

الذي خلقته تصوراته للمرأة التي ينشدها: وقد كان هذا المثـال مستحيل التحقق في واقع الحياة، وكان الشاعر يلهث سعياً وراءه هنا وهناك، وكان إذا عرف امرأة وتوهم أنه وجد فيها مثاله المنشود، عشق فيها هذا المثـال إلى أن يدرك أنه غير موجود داخلها، فيتركها إلى غيرها سعياً وراء هذا المثال، كما سيتبين لنا فيما بعد. ومن أغرب القصص التي يرويها ناجي عن نفـسه – في هذا المجال – قصة تعلمه اللغة الفرنسية، وسندعه هو يرويها بنفسه: «ملخص الموضوع أني كنت أعرف الإنجليزية فقط لأن القـسم العلمـي في التعلـيم الثانوي لا يعلم الفرنسية؛ ولكن ما حيلتي وأنا «مضطر» للتفاهم بالفرنسية مع أعز مخلوقة في الوجود! وهي لا تعرف غير الفرنسية، وهـي لا تحـب غـير بورجيه، وتعتقد أن قصة «التلميذ» قصة خالدة وتتمنى لـو قرأناهـا معـاً بالفرنسية! أمنية عزيزة ولكن ما السبيل إلى ذلك؟ عليَّ أن أتعلـم بـسرعة وأقرأها معها بسرعة ، وإلا فات الوقت ! قلت أعرف في تاريخ «الضرورات» أغرب من هذه الحكاية .. قلت لنفسي أتعلم كما يتعلم الطفـل .. أحفـظ الكلمات، ثم أتعلم ربطها ثم أتكلم، كلمات أولاً، ثم جملاً .. وهذا ما حدث .. فبعد ثلاثة شهور عدت إلى صديقتي فقرأت معها قصة «التلميذ» لبورجيه، وهي لا تكاد تصدق»..

هذه هي القصة كما رواها ناجي بنفسه – في خاتمة مقال نـشره في جريدة «الجمهور المصرى» عدد ١٢ فبراير ١٩٥٣ – وكان أصدقاؤه أيـضاً

برون عنه قصصاً عديدة لا تقل في غرابتها عن القصة التي رواها .. ولكن ماذا تعني هذه القصة على علاتها نظراً لأن بطلها لم يبين لنا كيف عرف أن صديقته - التي لا تعرف غير الفرنسية - لا تحب غير بورجيه وتتمنى أن تقرأ قصته بالفرنسية مع الشاعر على الرغم من أنه لم يكن يعرف الفرنسية؟! على أي حال فإن هذا ليس قضيتنا، فالمهم حقا هو ماذا تعني هذه القصة؟ قد نستغرب من الشاعر أن يكرم صديقته هذه بأن يعطيها لقب «أعز مخلوقة في الوجود» خاصة وأن صلته بها لم تكن قد توثقت بعد لأنه لم يكن يعرف اللغة التي تمكنه من توثيق تلك الصلة ، لكننا لن نستغرب هذا منه إذا أدركنا أن "أعز مخلوقة في الوجود " كانت تعرف العربية: وإذ أنكر ناجي هذا، ربما لكي يجعلنا نتشوق لأحداث قصته؛ وهذه المخلوقة هي المثال المنشود للشاعر، لكنه لم يتحقق في الواقع كما كان هو يحلم ويتمنى. كما أن هذه القصة تبين لنا أن ناجي كان من الرجال الذين لا يتحمسون لأمر من الأمور ولا ينجزونه بسرعة إلا إذا كان وراء كل منهم امرأة ترعاه وتربت على كتفه وتنظر إليه نظرة تشع بالحنان، ولذا فإن شاعرنا قد استطاع - في مدى ثلاثة شهور لا أكثر -- أن يتعلم اللغة التي جعلته يتفاهم مع صديقته ويحقق لها أمنيتها العزيزة في قراءة قصة «التلميذ» لبورجيه معه!..

ومادمنا قد تحدثنا عن ناجي باعتباره أحد الرجال الذين يتلمسون حنان المرأة، فإننا نود أن نتحدث عن عالمه الشعري لكي يتبين لنا إلى جانب

ما نريد تبيانه كيف أن تمس حنان المرأة كان نغمة يستعذبها ولا يمل تكرارها من صباه إلى شيخوخته، ومن بداياته قصائده إلى آخر ما كتب في حياتـــه، وإذا كان لكل شاعر أصيل عالمه الفني المميز الذى نستطيع القول إنه عالمه هو فحسب، فإن الصور الشعرية التي تستهوى مثل هذا الـــشاعر، فيعمـــد إلى تكرارها بصورة ملحة على امتداد قصائده، تشكل لبنة من اللبنات التي يشيد بها الشاعر عالمه هذا، وشاعر الحب الأصيل لابد إذن من أن يرســـم صـــوره الشعرية من تجربة الحب بكل ما فيها من إشراق وكدر، ولو أننا تتبعنا هـــذا عند ناجي لوجدنا أن هناك ثلاث صور شعرية كان يعمـــد إلى تكرارهـــا في قصائده بصورة ملحة، أولى هذه الصور هي صورة بناء الشاعر الذى يبدو لنا بناءً متهاوياً متداعياً إلى أن تجيء الحبيبة، فترفع هذا البناء شـــامخاً ثم تهجـــره الحبيبة فيتهيأ للسقوط، أما الصورة الثانية فهى صورة يد الحبيبة التي تمسح عن الشاعر همومه وتمسح – في نفس الوقت – خطايا عصره، وتبث في قلبه العزم والثقة بالنفس، وثالثة هذه الصور صورة الفراشة التي ترمز حينـــاً إلى قلـــب الشاعر الذي يحب النور ولو كان فيه احتراقه، كما ترمز حيناً آخر إلى حياة الشاعر ذاتها، وهذه الصورة سيرد الحديث عنها عندما نتحدث عن قـــصيدة «بين الشباب والشيب»..

وسنكتفى هنا بتتبع الصورة الأولى تتبعاً سريعاً عبر نتاج الشاعر كما سنشير إلى الصورة الثانية على عجل، لقد كان ناجي – في أشهر قصائده –

وفي قصيدة «العودة» - يرى أن حبيبته هي ركنه الحاني الذي يلجأ إليه: محتمياً بظلاله الناعمة، لكي ينشد الراحة من بعد طول المسير في صحراء الحياة الموحشة، وفي هذا – بطبيعة الحال – نشدان للحنان الذى يبتغيه الشاعر وقد كان هذا الإحساس يبرز ويتضخم في قصائد متعددة له، فهو يقول في قصيدة «العودة» من ديوانه الأول «وراء الغمام».

ركنيَ الحـــانى ومغنـــاى الـــشفيق   وظلال الخلـــد للعـــانى الطلـــيح
علـــم الله لقـــد طـــال الطريـــق   وأنـــا جئتـــك كيمـــا أســـتريح

ثم يعاود نشدان الحنان في قصيدة «خمر الرضا» من ديوانه الثانى «ليالى القاهرة»، لكنه – هذه المرة – يلجأ للتصريح بأنه يريد أن يتوسد صدر الحبيبة البر لكي يرتاح على خفقاته من بعد أن تعبت روحه كما تعب جسده أيضا، بينما كان – في المرة السابقة – يلجأ إلى التلميح بذكر الركن الحاني وظلال الخلد فحسب:

كم تمنيت صدرك الــبر يرتـــاح   على خفقـــه الطريـــدُ المعـــذب
هات وَسّـدْنِي الحنـــان عليـــه   جسدى متعب وروحـــيَ متعـــب

ومن هذا المنطلق بدأت صورة «البناء» تتشكل في وجدان الشاعر، فهو يعاتب حبيبته على تركها إياه وحيداً لأنه يرى أن وجودها جنبه يخفف عنه جهد العيش، فهي التي ترفع «البناء» إذا مال وتقيمه إذا انهار؛ ولذا فإن الشاعر كان يحس أن الأيام لا تقوى على هد «بنائه» هذا طالما أن هذه الحبيبة إلى جواره:

بحبك أستشفي فكيف تركتني ... ولم يبق غير العظم والروح والجلد
وكنت إذا شاكيت خففت محملي ... فهان الذي ألقاه في العيش من جهد
وكنت إذا انهار البناء رفعته ... فلم تكن الأيام تقوى على هدّي

وإذا كانت هذه الصورة منتزعة من إحدى قصائد ديوانه الثاني فإن ناجي قد عمد إلى تكرارها في إحدى قصائد ديوانه الثالث «الطائر الجريح» وهي نفس القصيدة التي يحمل الديوان اسمها، وفيها يبين أنه لولا وجود الحبيبة جنبه لما كان قد قال لشيء في الوجود مرحباً، ولولاها أيضاً لما وجد الحنان .. أليست هي التي أقامت «بناء» الشاعر من لاشيء:

لولاك ما قلت لشيء في الوجود مرحبا
ولم أجد ركناً غنياً بالحنان .. طيبا
أنت التي أقمت مرفوع البناء من هَبَا

هذه هي الحبيبة التي أقامت «بناء الشاعر» فلا عجب إذا رأينا أن روح الشاعر تتحول إلى ظل شاحب يمتد في هيكل متخاذل الأسوار بعد أن رحلت الحبيبة وارتحل النور الذي كان يضيء جنبات «البناء» بارتحالها، على نحو ما نرى في البيتين التاليين المنتزعين من قصيدة «الفراق» التي يضمها ديوان «الطائر الجريح»:

يامن رفعت بناء نفسي شاهقاً ... متهلل الجنبات بالأنوار
اليوم لي روح كظل شاحب ... في هيكل متخاذل الأسوار

هذه هي صورة «البناء» أما صورة يد الحبيبة فإن الشاعر يرسمها لنا — بصورة ناضجة — في قصيدة "بقايا حلم" التي يتضمنها ديوانه الثالث «الطائر الجريح» فهو يطلب من الحبيبة أن تُبقي يدها في يده، لكي ينفض بها عن نفسه الخوف من الغد المجهول الذي يبين الشاعر أنه يخشاه دوماً لأنه يفرق بينه وبين الحبيبة، ويظل الشاعر يصور إحساسه بوقع يد الحبيبة على روحه الرقيقة، فمنها يستمد الثقة بالنفس ويشد الأزر، ومن عناقها ليده يؤمن أن حبه باقٍ معه وأنه لم يكن حلماً .. وانتهى:

كلما خلّى حبيبي يده ... لحظة قلت وحبي أبقها
أبقها أنفضْ بها خوفَ غد ... وأحس الأمن منها وبها
أبقها أشددْ بها أزري إذا ... ضعف الأزرُ أو العزمُ وهى

أبقهـــا أومـــنْ إذا لامـــستها أن حبي لـــيس حلمـــاً وانتـــهى

والواقع أن تصوير يد الحبيبة هنا لم يكن لأول مرة، فقد سبق للشاعر أن صور تلك اليد في قصيدة «توأم الروح» المجهولة والتي نظمها عام ١٩٣٥، وهو يطلب - هنا أيضاً - من حبيبته أن تُبقي يديها، لأنهما - من جهة - يدا ملك من الملائكة، ولأنهما شفاؤه - من جهة أخرى - فقد جرحتـــه أيامـــه وجنى عليه زمنه، وهو لهذا ينادي الحبيبة طالبا منها أن تُقبِل إليه لكي تشفيه مما أصابه، ولكي تغفر يداها جرح الأيام:

يداك يا كلَّ أحلامي يـــدا ملـــك هما شفائي هما .. ياكلَّ أحلامـــي
إليَّ بالله أنسى مـــا جـــنى زمـــني وامددهما لي تغفر جـــرح أيـــامي

ويستطيع المتتبع لقصائد ناجي مجتمعة أن يرى كيف كـــان الـــشاعر يعمد إلى تكرار صورة: «يد الحبيبة» التي تفعل الأعاجيب، ومهما يكن مـــن أمر فإن الشاعر لم يكن يرتوي أبداً: فقد كان سريع التعطش إلى سكينة الروح التي يرى أن منبعها يكمن في أن تحنو عليه الحبيبة، لكي تقيم «بناء نفسه» أو أن تلمسه يدها لكي تشد أزره ... ألم أقل إنه عاش حياته فراشة حائرة؟..

بين زهرة المستحيل .. والأخريات

ما الذي يمكن أن نراه حين نقف على أحد الشواطئ، وننظر إلى البحر الممتد أمامنا؟.. إننا نرى الأمواج وهي تتلاحق وتتتابع موجة في إثر أخرى، ونراها في عنفوانها وهي مقبلة من بعيد؛ كما نراها وهي تتكسر وتنبسط على الرمال فوق أقدام الشاطئ، ونرى الزبد الذي سرعان ما يذهب جفاء دون أن يمكث في الأرض، لكن هل ما نراه ممتدا أمامنا هو البحر حقا؟ لا، ليس هو البحر حقا، إنما هو المظهر الخارجي له، فالبحر حقا يكمن في الأعماق، بكل ما فيها من أسرار ومن حياة ومن جزئيات وتفاصيل، لكن الأعماق لا يراها من يكتفون بالوقوف على الشاطئ..الأعماق تتطلب الجسارة التي تميزنا لأن نغوص فيها لنتعرف ولنستكشف ما هو مخبأ وكامن في ثناياها ..

الذين يحكمون على الشاعر - أي شاعر - من خلال ما يبدو لهم من مظهره الخارجي، لا يختلفون كثيراً عمَّنْ يكتفون بالوقوف على الشواطئ، متصورين أنهم قد عرفوا البحر. للشاعر أعماق كأعماق البحر، ونحن لا نستطيع الحكم عليه إلا إذا آثرنا أن نتغلغل في الأعماق، لنستكشف ما قد يتاح لنا استكشافه من الأسرار والجزئيات والتفاصيل، التي تؤلف - مجتمعةً - عالماً بأسره، هو عالم الشاعر المستكن في هذه الأعماق.

الحكم على ناجي من خلال المظهر الخارجي هو الذى جعل الدكتورة نعمات فؤاد ترى « ... أنه ليس من الموحدين في الحب .. فله محاب كثيرة .. وقد ذاق ألواناً من الحب، فتارة يفتنه السحر والذكاء وآنا يغويه الجمال ...». والحكم على ناجي من خلال المظهر الخارجي هو الذى دفع عباس خضر لأن يشن حملة استهزاء على بعض قصائد ناجي العاطفية، وقد امتدت هذه الحملة أسابيع عديدة على صفحات أعداد من مجلة «الرسالة» خلال السنوات ١٩٤٧ -١٩٤٨ - ١٩٤٩؛ وعلى سبيل السخرية المرة لَقَّبَ عباس خضر ناجي بـ «الدكتور عمر بن أبي ربيعة» الذى يتغزل في هذه وتلك وبأخريات غير هذه وتلك، والحكم على ناجي من خلال المظهر الخارجي هو الذى حدا بنعمان عاشور لأن يقول في مجلة «الدوحة» - عدد مايو ١٩٨٠ «... كان ناجي كلما رأى امرأة وقع في حبها .. فالحب عنده كما كان يقول المرحوم كامل الشناوى مثل «قرقرة اللب» .. وكامل الشناوى نفسه كان كذلك .. ويبدو أن جميع كتاب القصائد الرومانتيكية من الشعراء جميعاً .. مثلهما تماماً .. والشرط الوحيد عندهم أن تكون المرأة جميلة وأن يكون جمالها موحياً بالشعر..»..

لو أننا انسقنا وراء الحكم على ناجي من خلال المظهر الخارجي، وهو الحكم الذى أصدره كل من د. نعمات فؤاد وعباس خضر ونعمان عاشور، ومعهم آخرون عديدون؛ فإننا نستطيع القول إن ناجي كانت له صولات

وجولات، تجلت في قصائد عديدة، مع كثيرات من الفنانات الممثلات والمطربات والكاتبات والشاعرات؛ فقد كتب ناجي - على سبيل المثال - قصيدة في ديوانه الأول عن أمينة رزق، ولكنه وضع نقاطاً مكان اسم تلك الفنانة، ولكن من يراجع مجلة «أبولو» يجد أن اسم «أمينة» قد ورد في نص نفس القصيدة والذي حذفه ووضع نقاطاً مكانه في النص المنشور في «وراء الغمام» وكتب ناجي عن «زوزوات عرفهن» والزوزوات اللواتي عرفهن هن «زوزو حمدي الحكيم وزوزو ماضي وزوزو نبيل»، وكتب ناجي عن المطربة شهر زاد وعن الراقصة سامية جمال، كما كتب عن الشاعرات منيرة توفيق وجليلة رضا وأماني فريد .. وكل هذه الأسماء ليست على سبيل الحصر، بل على سبيل المثال!!..

ماذا لو لم نقنع بالوقوف على الشاطئ قائلين: هذا هو البحر يمتد أمامنا؟... ماذا لو أننا تغلغلنا وغصنا في أعماق البحر؟!!..

على المستوى الخيالي، كانت هناك حبيبة واحدة، هي التي أسميها «زهرة المستحيل» وهي التي حرم منها ناجي طيلة حياته رغم أنها إحدى قريباته، وعلى المستوى الإبداعي، فإن هذه الحبيبة وحدها هي التي ألهمت ناجي روائع عديدة؛ من بينها رائعة «الأطلال» التي زعمت إحدى الممثلات أنها ملهمتها منذ أن غنت الراحلة العظيمة أم كلثوم مقاطع منها؛ مزجتها مع مقاطع من قصيدة أخرى ...

من هذه الحبيبة؟ .. من هي «زهرة المستحيل»؟

«زهرة المستحيل» التي أحبها ناجي، لها وجودان: وجود خيالي، ووجود حقيقي، أما الوجود الخيالي فيتمثل في «دورا» بطلة «دافيد كوبر فيلد» لتشارلز ديكنز: وأما الوجود الحقيقي فيتمثل في قريبة ناجي الجميلة التي حرمته منها، وبوجدان الشاعر مزج ناجي بين الوجود الخيالي والوجود الحقيقي مزجاً عميقاً، يصعب معه أن نفصل بينهما!!..

والآن .. فلأشرح الأمر ..

في مقال مطول، كتبه ناجي في جريدة «الجمهور المصري» قبل رحيله عن عالمنا بنحو شهر واحد: تحدث الشاعر الرقيق عن الكتب التي أثرت في حياته، وما يهمنا منها هنا هو حديثه عن رواية «دافيد كوبرفيلد»..

يقول: «كان هذا في مستهل الصبا .. سمعت كثيراً من القصص التي كان يقصها والدي على أمي .. سمعت «أوليفر تويست» وسمعت كل قصص رايدارهاجارد، وسمعت وسمعت .. ولكن الذي انطبع في ذهني هو دافيد كوبرفيلد. لا أعرف ما السر في ذلك، ولكني أعتقد الآن أن قوة هذه القصة في أنها سيرة صادقة لديكنز بالذات: عبر فيها أصدق التعبير عن انفعالاته، وشرح فيها الحب العفيف الراقي أوفى شرح، وكنت أنا إذ ذاك في بدء محاولاتي للشعر، فلم يكن عجيباً أن ينتعش ديكنز في خيالي بسمو روحه ونقاء قلبه، مع أنه لم يكن شاعراً، ولكن الذي كتبه نثراً هو في الحق أرفع

وأعلى من شعر ألوف من الشعراء .. وماذا في قصة دافيد كوبرفيلد؟! إنها تذكرني – أو على الأقل تجري في خيالي – مع عودة الروح لتوفيق الحكيم، لا شيء غير الصدق والواقع. قصة غرام قد تنتهي للاشيء، ولكنها في الحياة كل شيء .. قصة غرام ديكنز بالفتاة «دورا» .. «دورا» التي كان لا يقول إنها حبيبته، بل كان يسميها وجوده العزيز.. أبدع وصف في لغة الهوى الرفيع .. لم تكن حبيبته فحسب بل كانت (وجوده) جميعاً .. كونه الملهم، وحبه الصادق..»..

هذه هي «دورا» التي عرف تشارلز ديكنز .. وجوده العزيز في شخصها، والتي تمثل – في نفس الوقت – الوجود الخيالي لـ «زهرة المستحيل» في وجدان ناجي ..

أما «دورا» التي تمثل «وجود ناجي العزيز» على أرض الحقيقة والواقع: فهي فتاته القريبة – البعيدة التي كان يرمز لها بحرفي «ع. م.»..

يتصدر ديوان «ليالي القاهرة» لناجي إهداء، هذا هو نصه: «إلى صديقي ع. م. الذي نمَّى الزهر الذابل من خمائل الماضي وأنبت في روض الخاطر زهوراً ندية مخضلة بالأمل والحياة ... إليه أقدم ما أوحى به إلى ..إبراهيم ناجي».

وفي مقدمة ديوان ناجي الذي صدر عن وزارة الثقافة عام ١٩٦١ يقول صالح جودت – ص ٦: «... وقد حاول الكثيرون من أحباب ناجي أن

يعرفوا من يكون صديقه «ع.م.» هذا الذى آثره الشاعر بشرف الإهداء. ورجم بعضهم بالغيب: فقال لابد أنه صديق صباه: الشاعر على محمود طه، الذى عاش معه أحلى أيام العمر في المنصورة: وترددت أسماء أخرى .. أما الحقيقة التي كتمها ناجي حتى عن أقرب المقربين إليه، فهى أن «ع. م.» ليس صديقاً .. بل صديقة .. بل حبيبة العمر!»..

وقبل أن أتحدث عن «ع.م.» ومن تكون؟.. فإنى أذكر هنا أن ناجى كان أهدى أحد كتبه النثرية وهو كتاب «رسالة الحياة» والذى صدر قبل صدور ديوان «ليالى القاهرة» إلى «ع.م» وهذا هو نص الإهداء: «إلى الصديق الحبيب ع.م... أيها الصديق الكريم، كيف أؤدى لك بعض فضلك على؟ أتذكر كيف كتبت هذه الرسائل؟ كتبت بوحيك وتمت في ظلال صحبتك، فمنك وإليك مرجع هذه الكلمات: أيها الصديق: لقد رضيت أن يتوج حرفان من اسمك كتابى هذا، وحسبى شرفاً، وحسبى مدى العمر سعادة وهناء»..

«ع.م» كانت ملهمة ناجى في شعره كما يتبين من إهداء ديوان «ليالى القاهرة» وكانت ملهمته في نثره كما يتبين من إهداء كتاب «رسالة الحياة» .. فمن هى؟ ومن تكون؟.

في السنوات الأخيرة من حياة صالح جودت، كانت علاقتى به علاقة وثيقة حقاً، على الرغم من اختلاف الأهواء والثقافة والنشأة والأجيال، وفى

جلسة حميمة مع صالح جودت سألته - وقتها - عن ملهمة «الأطلال» لناجي، فأكد لي أن ناجي لم يكتب رائعته من وحي أية ممثلة من اللواتي ادعين ذلك الادعاء، وقال لي إنها من وحي حبه الأول «ع.م.» ... فاستفسرت منه عنها فأخبرني باسمها، ورجاني أن أحتفظ بالأمر سراً، لأنها مازالت على قيد الحياة، ولأن ناجي كان يحبها من جانبه هو فحسب ..

وبعد رحيل صالح جودت عن عالمنا، حاولت أن أتأكد مما قاله عن «ع.م.» فتأكدت .. حيث سألت الأخ الأصغر لناجي وهو المهندس الراحل حسن ناجي عما أعرفه من صالح جودت: فأكد لي أن الاسم صحيح، لكني لم أشأ أن أشير إلى اسم «ع.م.» إلا بعد أن رحلت هي أيضاً عن عالمنا، حيث ذكرت الاسم صراحة في مقال لي بعنوان «إبراهيم ناجي .. العاشق الذي مات حبا» وقد نشر هذا المقال في جريدة «الراية» القطرية - عدد ١٨ يوليو سنة ١٩٨٤، وقلت في خاتمته: «... والآن وقد رحلت عنا الملهمة الحقيقية أجد أن من حقي أن أذكر اسمها لأول مرة .. إنها السيدة «عنايات محمود الطوير» .. «ع .م.» .. المثال الذي عاش ناجي يناجيه طيلة حياته في قصائد عديدة» ..

والحق أنني قد اكتشفت فيما بعد أن ناجي قد صرح باسم «وجوده العزيز» الواقعي لبعض المقربين من أقربائه ومن أصدقائه، على نقيض ما كان صالح جودت قد ذكره في مقدمة «ديوان ناجي» من أن الشاعر الرقيق قد «كتم الحقيقة حتى عن أقرب المقربين إليه». وهنا أذكر أن المهندس الراحل

حسن ناجي كان قد أعارني كتاباً مخطوطاً كتبه الشاعر الراحل محمد مصطفى الماحي عن الشاعر الرقيق إبراهيم ناجي، وحين قرأت هذا الكتاب المخطوط قراءة متأنية وجدت الماحي – وكان من أصدقاء ناجي المقربين – يتحدث عن «ع.م» دون أن يشير صراحة إلى اسمها، حيث يقول – ص ٦٢ – «... وحدث أن هيأ القدر لناجي طفلة من قريباته تماثله في السن وتقيم في أحد قصور مدينة الأحلام فنشأت بينهما صلة ود إلى جانب القرابة، وبدأت عاطفته تتحرك بشيء لا يدرك كنهه، وبدأت ملكة الشعر تظهر في وجدانه، فنطق بالشعر وهو في سن العاشرة، وقد أطمعته هي في استمرار هذا الحب، وفي أن ينتهي بالرباط الوثيق بينهما، حتى تأصل في قلبه، وأصبح يتمثل فيها الوجود كله كما تمثل دافيد كوبرفيلد حبيبته دورا في قصة تشارلز ديكنز...»..

يعود محمد مصطفى الماحي – ص ٦٥ من كتابه المخطوط – فيفسر لنا كيف حُرم ناجي من «وجوده العزيز» فيقول: «.. فأما حبه الأول فقد كان – كما قدمنا – لفتاة جميلة من قريباته وهي تقطن بجواره وتمكن الحب من قلبه ولم يجد هذا الحب اعتراضاً من جانبها، بل وجد تجاوباً منها فضمهما الحب روحياً، وتعاهدا على أن يكون أحدهما للآخر في حياة سعيدة، فلما وصل إلى مرحلة الدراسة في مدرسة الطب أبت الانتظار حتى يتمم دراسته وحقرت عهده وتزوجت غيره وظل هو على حبه العفيف الذي لازمه طول حياته وكلما مرت به سانحة حب أو إعجاب بامرأة كان يتمثل فيها فتاة حبه الأول ..؟»..

الآن أستطيع القول إن ناجي كان يحب فتاة واحدة، هي «زهرة المستحيل» كما أسميها، وهي «دورا» تشارلز ديكنز التي امتزجت في خياله، وهي «عنايات محمود الطوبجي» التي عاشت في واقعه.

لنستمع إليه وهو يناجي «زهرة المستحيل» في قصيدة «من ن إلى ع» وهي إحدى قصائد «ليالي القاهرة»:

باشطر نفسي وغرامي الوحيد
ما شئت ياليلاى لا ما أريد
يامن رأت حزني العميق البعيد
داويت لي جرحي بجرح جديد

ثم يشير ناجي - في نفس القصيدة - إلى لقاء تم بالمصادفة وحدها دون أن يكون هناك اتفاق مسبق:

ويوم لقياك على سلمِ
في جانب مكتب مظلمِ
يا عذبة العينين والمبسمِ
وغضة الحسن الشهيّ الفريد
في لحظة يقفز فيها دمي

وتعقد الدهشة فيها فمـــــى

من أى كون جئت لم أعنم

يا نفحة من نفحات الخلـــود

... وفى تقديرى، وعلى ضوء ما أزعم أنه غوص فى أعماق نـاجى، فإننى أرى أن هناك قصيدة مترجمة لم يلتفت إليها أحد من دارسى ناجى على الإطلاق، رغم أن هذه القصيدة تلخص حكايته مـــع «زهـــرة المـــستحيل» تلخيصاً دقيقاً؛ ترجم ناجى هذه القصيدة، ونشرها فى عدد يناير عام ١٩٥٠ من مجلة «الحديث» الحلبية والقصيدة بعنوان «سنارا» وهى للـــشاعر داويـــد سون، وقد كتب لها ناجى مقدمة موجزة، هذا نصها: «عندما هجرته حبيبته «سنارا» كان يبحث عن أخرى تشابهها فلم يعثر عليها فكتب الشاعر داويد سون هذه المقطوعة يعبر فيها عن أحاسيس أصدق تعبير..»..

أما نص القصيدة فيقول:

حين قبّلتُ ذلك ياسنارا

وقعتْ أنفاسك بين شفتى

وقعتْ أنفاسك بين الخمر والقبلات

معذرة ياسنارا لقد كنتُ يائساً منك

وقد كنت متعباً ولكنى أخلصتُ لك على طريقتى:

ظللت أشرب وأرقص .. وأرقص وأشرب

حتى انتهى الخمر وانتهى الرقص ..

فإذا الليل كله لكِ يا سنارا!

أعتقد أن قصيدة «سنارا» تلخص حكاية ناجي مع «زهرة المستحيل»، وتؤكد ما سبق أن ذكرته من أن ناجي عاش حياته فراشة حائرة، تتنقل من غصن إلى غصن: عساها أن تجد بديلاً عن الزهرة التي كان ينشدها، لكنه حُرِمَ منها طيلة حياته، على الرغم من أنها لم تكن بعيدة عنه. وهنا يمكنني القول أيضاً إن ناجي كانت له حبيبة واحدة، وهي «دورا» وهي «ع.م» وهي «سنارا» وهي «زهرة المستحيل» وبالتالي فإنه كان موحداً في الحب على نقيض ما قالته د. نعمات فؤاد من أنه «ليس من الموحدين في الحب»، ولم يكن «الدكتور عمر بن أبي ربيعة» كما قال عنه – على سبيل التهكم – عباس خضر: ولم يكن الحب عنده مثل «قزقزة اللب» كما روى نعمان عاشور، نقلاً عن كامل الشناوي..

بعيداً عن حديقة الحب

قليلة هي القصائد التي خرج بها ناجي من حديقة الحب، حيث لا نراه -- عبر أبياتها - فراشة حائرة، تتنقل من غصن إلى غصن، لكني أزعم - في نفس الوقت - أن معظم هذه القصائد القليلة ينطلق أيضاً من الحب. لقد كتب ناجي عدة قصائد من شعر التفكه والمداعبات، وفي هذه القصائد حب متبادل بينه وبين الذين داعبهم، وكتب ناجي عدة قصائد يرثي فيها بعض الذين فقدهم، وكلهم كانوا من أحبائه ومن أصدقائه، وكتب ناجي قصائد وطنية موجهة لمصر العربية - وطنه الغالي، وفي ثنايا هذه القصائد يفيض الحب، وكتب ناجي قصائد في وصف الطبيعة، استأثر «القمر» حتى في خسوفه بنصيب كبير منها، وكان في الوصف من الحب ما فيه، بل إن ناجي كتب قصائد المدح، لكنها - في الحقيقة - كانت موجهة لأحباء له، حتى قصائده التي كتبها في مدح آخر الملوك الذين حكموا مصر قبل انطلاق ثورة يوليو المجيدة سنة ١٩٥٢فإنه كتبها أثناء انبهار الناس أجمعين بالملك الشاب فاروق الأول، في بداية توليه الملك بعد وفاة الملك فؤاد الأول. أما القصائد الأخرى التي أخرج فيها ناجي نفسه من حديقة الحب، فإنني أعدها استثناء وخروجا عن القاعدة العامة، وتتمثل هذه القصائد في شعر الهجاء، لأن الشاعر حين يهجو فإنه يكره ويبغض، والبغضاء نقيض الحب، وهكذا يمكن لمن يتأملون قصائد ناجي التي كتبها في التفكه والدعابة وفي الرثاء والحماسة

الوطنية والوصف والمدح، يمكن لهؤلاء ان يتبينوا ما هو كامن فيها من الحب، باستثناء شعر الهجاء وحده. ويبدو أن ناجى قد شاء أن يؤكد ما أزعمه، فهو القائل:

ذلك الحبُّ الذى علمَّنى

أن أحب الناس والدنيا جميعا

وسأحاول الآن إلقاء نظرة سريعة على تلك القصائد التى خرج بها ناجى من حديقة الحب.

- من القصائد التى نظمها الشاعر بقصد التفكه والدعابة قصيدته التى نشرت في العدد العاشر من مجلة «الأسبوع»، وهو العدد الصادر بتاريخ الأربعاء ٣١ يناير ١٩٣٤، وقد نشرت هذه القصيدة تحت عنوان «الأدباء فى مباذلهم..!» وتتصدرها مقدمة نثرية تشرح أو توضح مناسبة كتابتها، ذلك أن طائفة من أدباء الشباب - ذلك الوقت - كانت قد «اعتادت الاجتماع فى «مندرة» الكاتب القصصى الأستاذ محمود طاهر لاشين، ولهذه المندرة نوادر وقصص فكهة لا تحصى. وكانت هذه المندرة تارة ندوة للجدال الأدبي وأخرى مسرحاً للهو والعبث البرىء، وكثيراً ما كانت تثور ضجة المجتمعين، ويعلو جدلهم وصخبهم إلى حد أن أصحاب الدار كانوا يضجون فى بعض الأحيان من فرط دوشة المجتمعين إذ كانت تمتد سهراتهم فى معظم الليالى إلى الهزيع الأخير من الليل. وقد خطر للشاعر الرقيق

الدكتور ناجى، وهو أحد رواد هذه الندرة أن يجى دار «لاشـــين» بقصيدة فكهة طريفة». هذه هى المقدمة التى تشرح مناســـبة كتابـــة القصيدة أو تفضحها، وأما القصيدة ذاتها فقد أسماها ناجى «يـــا دار لاشين» وهى تتألف من ستة أبيات، هذا نصها:

يا دار لاشين حيتك السلاماتُ

والناس عندك ياكلوا الأكل ويباتـــوا

تموج بالرائح الغادى مواكبها

خلقٌ صنوفٌ وأشكالٌ عجيبـــــات

حتى إذا كثروا فى الدار وانقلبتْ

كمولد البدوى رغى وصيحـــــات

لون صيحة «تيزتى» فى سلامها

ما تختشوا والا إيه دا اللى اختشوا ماتوا

ماذا ترى العين؟ إن اليوم في حُلُمٍ

وسكى وصودا وأقداح ومـــــزّاتُ

كانوا إذا ما اتيح العرقسوس لهم

يقول قائلهم زارنى النـــبى ذاتـــه!

هذه هي القصيدة الطريفة الفكهة، التي نستطيع أن ندرجها ضمن قصائد «الشعر الحلمنيشي» الذي برع فيه - في ذلك الوقت - شعراء وزجالون عديدون، وقد كان هذا النمط الشعري من الذيوع والانتشار لدرجة أن بعض كتابه اكتسبوا شهرتهم الأدبية من خلال كتابتهم له وحده، كما أن مجلات عديدة منها «الكشكول» و«المطرقة» كانت متخصصة في نشره هو بالذات، والواقع أن «الشعر الحلمنتيشي» كانت له وظيفة مهمة انحرف بها ناجي لكي تخدم الغرض الذي كتبت من أجله قصيدته، فقد كان هذا الشعر يقوم بوظيفة الانتقاد الاجتماعي اللاذع بصورة مغايرة تماماً لصورة الوعظ والإرشاد التي كانت تلجأ إليها القصائد الرسمية «الجليلة» وكثيراً ما كانوا يتعرضون لأفراد فاحت رائحة فضائحهم الخلقية والاجتماعية، فيصبون عليهم شواظ قصائدهم الموجعة، والحق أنهم لم يكونوا يستثنون في هذا أميراً أو خفيراً، كما أنهم كانوا يتحدثون عن أوضاع البلاد السياسية في جرأة قلّ أن نجد مثلها عند غيرهم. ومن أجل هذا تعرضت المجلات والجرائد التي كانت مخصصة لنشر هذا اللون من الشعر إلى صنوف متعددة من المصادرة والاضطهاد، لكنهم كانوا يعودون سيرتهم الأولى بنفس الحماسة وكأن الحكومة - وقتها - كانت تكرمهم وتخلع عليهم الأوسمة والنياشين، وواقع الأمر أن «الشعر الحلمنتيشي» كان يستمد تأثيره البالغ على قرائه من خلال صورته المغايرة لصورة القصائد الرسمية «الجليلة»، إذ أن كتابه كانوا يلجأون

إلى انتقاد ما يريدون انتقاده عن طريق إبرازه في قالب هزلي ساخر يجعل قراءهم يضحكون ساخرين، كما يجعلهم مهيأين نفسيا لأن يغيروا هذا الوضع المنتقد أو يتمنون تغييره؛ وهذا هو المهم، وكثيراً ما كان كتاب هذا اللون يتقضُّون على القصائد الفخمة من تراثنا العربي القديم، بغية تحويرها وإكسابها مضموناً هزلياً، فهم يهلهلون الجزالة اللغوية بطريقة عابثة، كما كانوا يعبثون بحرمة الموضوعات الخطيرة بخفة روح مصرية أصيلة، وهم -- إلى جانب هذا كله كانوا من الناحية الفنية يستخدمون نفس الأوزان والقوافي التي يستخدمها شعراء التراث الأقدمون أمثال المتنبي وأبي تمام وأبي فراس وغيرهم؛ وكان هذا في حد ذاته سبباً من أسباب إضحاك قرائهم الذين كانت تتداعى في أذهانهم المفارقات المضحكة بين القصائد التراثية الفخمة وبين قصائد «الشعر الحلمنتيشي». ويمكننا أن نأخذ مثالا لهذا، والمثال الذي سنأخذه من قصيدة لعبد السلام شهاب وكان رحمه الله وهو من أبرع كتاب هذا اللون؛ وقد رأى أن يهلهل قصيدة فخمة من قصائد المتنبي ، وأما المناسبة التي دعته إلى هلهلة قصيدة المتنبي وتحويرها إلى ما يحقق هدفه هو، فهي مناسبة تولي الطاغية إسماعيل صدقي رئاسة الوزارة المصرية في أعقاب مذبحة كوبري عباس التي وقعت يوم التاسع من فبراير ١٩٤٦ ففي يوم ٢١ فبراير من تلك السنة وهو اليوم الذي أصبح فيما بعد يوماً عالميا لطلاب العالم أجمع؛ سارت مظاهرة – يقول شهدي عطية الشافعي في كتابه تطور الحركة الوطنية في

مصر (ص ٩٩) إنها كانت« .. تضم ما يزيد عن أربعين ألفاً وقيل مائة ألف، وأخذت تطوف بأهم شوارع القاهرة حتى بلغت ميدان التحرير (الإسماعيلية سابقاً) وهنا تصدت لها أربع سيارات بريطانية مصفحة، واقتحمت الجموع لاتعبأ، وكان مستحيلا إفساح الطريق لها، فسقط قتلى وجرحى» ومع هذا فإن الطاغية صدقي ألقى في مساء ذلك اليوم خطاباً قال فيه. إن المظاهرات السلمية التي قامت صباح اليوم، قد تحولت بفعل الأيدي التي لم تعد خافية، واندس عناصر من الدهماء في صفوف الطلبة الأبرياء .. كل هذا حولها إلى مظاهرات ظهر عليها طابع الشر، وإن المظاهرات السلمية البريئة التي كان عمادها الطلبة الأبرياء انقلبت مع الأسف الشديد إلى مظاهرات اختفى منها عنصر الطلبة والمتعلمين» .. ولم يشر ذلك الطاغية بطبيعة الحال إلى السيارات البريطانية المصفحة التي اقتحمت الجموع، كما لم يشر إلى قوات البوليس التي استخدمت براعتها في إصابة الطلبة العزل .. وهنا نجد عبد السلام شهاب يقصُّ على قصيدة المتنبي الدالية التي قالها وهو خارج من مصر لكي يبتعد عن وجه كافور وهي قصيدة «عيد بأية حال عدت يا عيد»، وقد سار عبد السلام شهاب على نهج المتنبي في الوزن والقافية، لكنه بالطبع لم يسر على نهجه في الجدية، فقد أخذ يسخر من إسماعيل صدقي ومن وزارته كما نرى من خلال هذه الأبيات:

عيد بأية حال عـــدت يـــا عيـــدُ   بما مضى أم بـــأمرٍ فيـــك تجديـــدُ
أمـــا الـــوزارة فـــالترقيع يهـــدها   وكـــل أيامهـــا غُلْـــب وتنكيـــد
رئيسـها صدقي باشا في إدارتـــــها   طهقان تعبسان لا رجـــل ولا إيـــد
هلا اختشيتم وداريتم كسوفكمو   أم الحشا عنـــدكم بـــالله مفقـــود
يا أخيب الناس إن الناس تعرفكم   مهما فشرتم وحكمُ الشعب موجود

والحق أنني قد قصدت أن أطيل في تبيان وظيفة «الشعر الحلمنتيشي» لكي يستطيع القارئ أن يقارن بين نماذجه التي قدمها كتابه، وبـــين نموذجـــه الذي قدمه ناجي، فإذا كان كتاب «الشعر الحلمنتيشي» يقتحمـــون ميـــدان السياسة اقتحاماً جريئاً ويسخرون من بعض المواقف الاجتماعية العامة التي تهم المجتمع كله او تهم قطاعاً كبيراً من قطاعاته فإن قـــصيدة نـــاجي عـــن «دار لاشين» لا تهم - حقيقة - أحداً غير رواد «مندرة» محمود طاهر لاشـــين، وليس هذا مقصوراً على تلك القصيدة وحدها؛ فقصائد ناجي الأخرى، والتي كتبها بقصد التفكه والدعابة لا تهم غير عدد قليل من الناس أغلبهم ممن تعنيهم المناسبات التي قيلت تلك القصائد من أجلها، فناجي له قصيدة «تحية إلى ذقن الدكتور محمود ثابت» فضلاً عن مقطوعات في «وصف أصلع» و«حـــسناء بجانب أمها الدميمة».

* وإذا انتقلنا إلى المراثي التي تفجع فيها ناجي على الذين فقدهم، فإنها تتمثل في خمس عشرة مرثية، منها مرثيتان تنشران لأول مرة في هذه «الأعمال

الشعرية الكاملة». هناك خمس قصائد يضمها ديوان «وراء الغمام» خصص ناجي أربع قصائد منها في رثاء «أمير الشعراء» أحمد شوقي وحده، أما القصيدة الخامسة فهي مرثية للشاعر طانيوس عبده، ويتضمن ديوان «ليالي القاهرة» ثلاث قصائد، خصص الشاعر اثنتين منها لرثاء شاعرين هما محمد الهراوي ومحمد عبد المعطي الهمشري، أما الثالثة فهي لرثاء أحد وزراء الصحة السابقين - الدكتور عبدالواحد الوكيل، ويضم ديوان «الطائر الجريح» قصيدة رثاء واحدة، وهي - في الواقع - ليست مرثية لشخصية من الشخصيات، إذ أنه خصصها لـ «رثاء كلب صغير» وهناك مرثية للشاعر خليل مطران أضافها محقق «ديوان ناجي» إلى ما سبق من مرثيات،، وهناك مرثيتان لم تنشرا في أي ديوان من تلك الدواوين الثلاثة، حيث أتيح لي أن أنشرهما ضمن ديوان «قصائد مجهولة» في طبعته الأولى، أولاهما مرثية «لشاعر النيل» حافظ إبراهيم، وثانيتهما «رثاء صديق» والصديق هو الدكتور محمد نصر الدين؛ وفضلا عن هذا، فإنني اكتشفت - أثناء عكوفي على جمع «الأعمال الشعرية الكاملة» - مرثيتين أخريين؛ وقد ضممتها إلى «قصائد مجهولة» في هذه الطبعة التي تضم «الأعمال الشعرية الكاملة» وقد كتب ناجي إحدى هاتين المرثيتين عندما رحل عن عالمنا شيخ الأزهر الأسبق محمد مصطفى المراغي ، أما المرثية الأخرى فقد كتبها عندما رحل إبراهيم الدسوقي أباظة «باشا» عن عالمنا.

ويلاحظ على هذه المراثى أنها متفاوتة في مستواها، فقد كان ناجى يلجأ في بعض منها إلى طريقة شوقى في الرثاء، حيث يخاطب الشاعر الميت، مستنهضاً إياه من رقدته لكى يجعله يتأمل معه أسرار الحياة ومعناها أو لكى يسأله عما يحدث للإنسان بعد موته وبهذا يتعظ الأحياء ويتذكرون «الدار الآخرة.. دار البقاء»..!! وقد استخدم ناجى طريقة شوقى هذه في رثائه له هو بالذات؛ وكأنه كان يريد أن يثبت لجمهور حفلات التأبين التى أقيمت لشوقى أنه يفهم طريقته في الرثاء، وهذا ما يجعل الجمهور يحس بالتعاطف مع قائل المرثية لأنه يحس بالتقارب بينه وبين من يرثيه؛ هذا إلى جانب أن ناجى لم يكن شاعر رثاء بحيث تكون له طريقته الخاصة فيه، كما هو الشأن عنده في مجال الحب، وفي بعض الأحيان كانت قصيدة الرثاء عند ناجى تثير سخرية من يستمع إليها: ومثال ذلك قصيدته التى ألقاها في حفلة الذكرى للشاعر المرحوم طانيوس عبده بمعهد الموسيقى الشرقية يوم الثلاثاء ٢٠ فبراير ١٩٣٤: ففى هذه القصيدة يعلن الشاعر – من البداية – أن وفاة المرحوم فرصة عليه أن يغتنمها في قول الشعر، خاصة وأنه سينتقى ألفاظاً رقيقة يرثى بها المرحوم؛ يقول ناجى مخاطباً نفسه أمام الحاضرين:

موقف حسان فاغتنم ولتخير من الكلم
كل لفظ أرق من ضحكة الزهر للنسيم

ويبدو أن استقبال الحاضرين لهذه القصيدة كان سيئاً، وأن هذا حز في نفس ناجي لأنه عاد إلى الحديث عن إخفاقه في رثاء أحد أصدقائه الشعراء، بصورة أضحكت الناس منه، وقد تحدث ناجي عن هذا في إحدى قصصه الذاتية التي نشرها في عدد أول نوفمبر عام ١٩٣٨ من مجلة «مجلتي» وكان عنوان هذه القصة «يوميات عشاق» وقد ذكر الشاعر أنه لجأ إلى حبيبته، يلتمس عندها العزاء عن إخفاقه في الرثاء ..

ويلاحظ أيضاً أن الشاعر كان قصير النفس في بعض هذه القصائد، وكأنه كان يحس بأنه لن يستطيع القول فيكف عنه بسرعة وهذا ما يبدو مثلا في رثائه لخليل مطران: فقد رثاه بثلاثة أبيات، أعلن فيها رغبته في الرحيل عن الدنيا ما دام الخليل قد رحل، وأعلن أيضاً أن موت الخليل هو مصرع للعبقرية .. وعند هذا الحد سكت ناجي عن الكلام:

يانفس إن راح الخليل وعنده ... رد الخليل فعجلي برحيلي

حملوا على الأعواد فنا خالدا ... وارحمتاه لكوكب محمول

هو مصرع للعبقرية روعت ... في عرشها والتاج والإكليل

كما يلاحظ أن الشاعر كان يقتطف أحياناً أبياتاً من قصائده العاطفية لكي يحشو بها قصائده في الرثاء؛ إما استسهالا منه ورغبة في عدم إجهاد النفس في أمر يعرف هو أنه لا يحسنه، وإما رغبة في زيادة عدد أبيات قصيدة

الرثاء لكي لا يحس القارئ بأن الشاعر في هذا المجال قصير النفس، وإما للأمرين معاً، ففي إحدى القصائد التي خصصها ناجي لرثاء شوقي وهي قصيدة «ساعة التذكار» نجده يقتطف أحد أبيات قصيدته العاطفية «اللقاء»، وهو لا يحور في هذا البيت المقتطف إلا خضوعاً للقافية وحدها، فقد قال ناجي في قصيدته العاطفية:

مد الخريف على الرياض رواقه ومضى الربيع الطلق ما يغشاها

ولما كانت قصيدة ناجي في رثاء شوقي قصيدة رائية فإن هذا البيت قد تشكل شطره الثاني تشكيلاً جديداً لكي يتلاءم مع ما قبله من أبيات في القافية وهذا هو البيت بصورته الجديدة:

مد الخريف على الرياض رواقه ومضى الربيع الضاحك النوار

وقد فعل ناجي هذا الصنيع مرة أخرى في قصيدة «رثاء صديق» إذ أنه عمد إلى بيتين من أبيات قصيدته العاطفية «الشك»، ودسهما ضمن أبيات قصيدة الرثاء، ومع أن هاتين القصيدتين منشورتان ضمن قصائد مجهولة، إلا أننا سنبين – مع هذا– أن البيت الخامس عشر من قصيدة «الشك» هو الذي اقتطفه ناجي ودسه في قصيدة «رثاء صديق» وقد أصبح ترتيبه فيها العاشر، وهذا البيت هو:

تغلو الحياة بها إلى أن تنتهي عند التراب رخيصة كتراب

أما البيت الآخر الذي أخذه ناجي من قصيدته «الشك» ودسه في قصيدته «رثاء صديق» فهو آخر أبيات قصيدة «الشك»:

وأذيت جوهرها فداء نواظر علوية قدسية المحراب

وقد غيَّر الشاعر – في مجال الرثاء – الشطر الأول من هذا البيت لكي يتسنى له أن يتساءل متعجباً أي حساب لصاحبه الميت وحياته علوية قدسية المحراب؛ مع أن نواظر حبيبته هي التي كان يقول إنها علوية قدسية المحراب .. على أي حال: فهذا هو البيت بعد تحويره:

أي الحساب لذاهب وحياته علوية قدسية المحراب

على أنه من الإنصاف لناجي – في مجال الرثاء – أن نستثني ثلاث قصائد، أولاها رثاء صديقه الشاعر محمد الهمشري؛ فهي قصيدة رقيقة شجية ولعل هذا يرجع إلى تقارب روح كل منهما من روح الآخر، كما يرجع إلى أن الصور الشعرية المستخدمة فيها هي صور سبق للشاعر أن استخدمها في مجال الحب الذي أجاد فيه ناجي وأبدع؛ فهو يصور الهمشري – كما صور نفسه هو من قبل – في هيئة فراشة حائرة:

لا تجزعوا للشاعر الملهم ما مات لكن صار في الأنجم
ما كان إلا زائراً عابرا لأي سر جاء لم نعلم
كان فراشاً حائراً في الدنى في نورها أو نارها يرتمي
فإن نجا من نارها مرة فمن لهيب النفس لم يسلم

أما ثانية القصائد الثلاث التي أستثنيها فهي مرثية شيخ الأزهر الأسبق محمد مصطفى المراغي الذي رحل عن عالمنا يوم ٢٢ أغسطس عام ١٩٤٥، ويبدو أن ناجي كان يحبه حبا عميقاً، وهذا ما يتضح لمن يقرأ هـذه المرثية الصادقة.

وفيما يتعلق بالمرثية الثالثة فإنها آخر ما قاله ناجي في شعر الرثاء، ومن أواخر القصائد التي كتبها قبل رحيله عن عالمنا بشهرين.

هذه المرثية هي مرثية الوزير الأديب إبراهيم الدسوقي أباظة «باشـا» الذي رحل عن عالمنا يوم ٢٢ يناير عام ١٩٥٣، وبعد رحيله بشهرين لحق به ناجي حيث رحل عن عالمنا – كما سبق أن ذكرت – يوم ٢٤ مارس عـام ١٩٥٣، والواقع أن ناجي – في هذه المرثية – كان كأنما يرثي نفسه، خاصة بعد شعوره العميق بالظلم نتيجة ما حل به في حملة «التطهير» بعد ثورة يوليو ١٩٥٢، وهذا ما أكده محمد مصطفى الماحي في كتابه المخطوط عن الشاعر، حيث يقول: « ... فلا عجب أن يذيب ناجي قلبه في رثاء الأديب الكـبير إبراهيم الدسوقي أباظة والذي لم يستطع لفرط تأثره أن يلقيه بنفسه – وهـو الخطيب الحاضر – فعهد إلى غيره في إلقاء المرثية، ووقف وهو يستمع إليهـا وهو يذرف الدموع، فقلت لرفاقي إن «ناجي» يرثي نفسه ولن يطول عمره،

ولم تمض على موقفه هذا إلا بضعة أسابيع حتى رحل عن هذه الدار ليلقى صديقه وتصبره».

يقول ناجي في هذه المرثية الأخيرة:

ودعت أحلامي وعفّت حياتي ودفنتُ بعدك في التراب شباتي
هيهات ليس الدمع فيك بمسعف جفّتْ على حوض الردى عبراتي
يتمثال الماضي إلى بأنسه متألق الآمال والبسمات
فإذا التفتُّ لحاضري ألفيته جهما، وفزّعني خيال الآتي

... إذا تركنا قصائد الرثاء لننتقل إلى قصائد الحماسة الوطنية وحب الوطن، فإننا نجدها لا تتعدى تسع قصائد، ثلاث منها نشرها ناجي ضمن قصائد ديوان «وراء الغمام»، وهناك قصيدتان يضمهما ديوان «ليالي القاهرة»، وقصيدة أضافها محققو ديوان ناجي وقد جمعوها من المصدر الذي نشرت به وهو مجلة «العمارة» - عام ١٩٤٠ وتبقى ثلاث قصائد أخرى، استطعت العثور عليها، ويجدها القارئ منشورة - لأول مرة - في هذه الأعمال الشعرية الكاملة، بعد أن ظلت مجهولة على امتداد سنوات مضت.

ولو تأملنا قصائد الحماسة الوطنية التي نشرها ناجي ضمن ديوانه الأول، فإننا سنلاحظ عليها غلبة الخطابة وعلو النبرة، وأولى هذه القصائد

تكاد تصلح برمتها نموذجاً للشعر الزاعق الذى يتسم بالطابع المدرسي، وهو مما تحفل به كتب النصوص فى المدارس الإعدادية والثانوية عندنا.

يقول الشاعر في مطلع هذه القصيدة:

وطن دعا زفتى أجاب   بوركتَ يا عزم الشباب

أما القصيدة الثانية فقد نشرت أول ما نشرت في العدد الأول من مجلة الأسبوع وهو العدد الصادر بتاريخ الأربعاء ٢٩ نوفمبر ١٩٣٣ وقد تصدرتها هذه السطور: «ألقى الشاعر النابغ الدكتور إبراهيم ناجى هذه الأبيات الخماسية الرائعة يوم الثلاثاء ١٤ نوفمبر الجارى في دار الأوبرا الملكية في حفلة أسبوع الإسعاف فأحدثت ضجة هائلة ودويا عظيماً، وقد اختص بنشرها مجلة الأسبوع دون غيرها» على أن شاعرنا لم ينس نفسه في هذا الموقف الجماعي باعتباره فردا متفردا فخص نفسه ببيتين - فيما أرى - يقول فيهما:

قل للذى يبغى الصلاح لقومه   بنبيل صنع أو شريف جهاد

بالطب أو بالشعر أو بكليهما   كل الجهود فداء هذا الوادى

أما ثالثة قصائد الحماسة الوطنية في ديوان «وراء الغمام» فهى قصيدة «الأجنحة المحترقة» وقد كتبها الشاعر بمناسبة سقوط إحدى الطائرات المصرية والتى استشهد بسقوطها شهيدان هما أول شهداء مصر فى الطيران وكان ذلك عام ١٩٣٤، ويفتتحها ناجى قائلا:

يا أمتي كم دموع في مآقينا   نبكي شهيديك أم نبكي أمانينا؟

إلى أن يعلن أن الشهيدين قد ذهبا فداء للوطن .. فداء لمصر ..

فداك يا مصر هذا النجم منطفئاً   والنسر محترقاً والليث مطعونا

أما القصيدتان المنشورتان ضمن ديوان «ليالي القاهرة» فأولاهما «مصر» وقد غنتها أم كلثوم لكنها لم تظفر بنجاح يماثل نجاح غناء قصيدة «الأطلال»، ومطلع هذه القصيدة يقول:

أجل إن ذا يوم لمن يفتدي مصرا

فمصر هي المحراب والجنة الكبرى

وثانية القصيدتين هي قصيدة «بطل الأبطال». ولهذه القصيدة مناسبة مهمة إذ أنها كتبت بمناسبة استشهاد عبدالحكم الجراحي، وسندع شهيد المعتقلات المصرية عام ١٩٥٨ شهدي عطية الشافعي يروي ظروف استشهاد هذا الشهيد الراحل: «لم يكن الاستعمار يكتفي باللعب وراء الستار، وإنما كثيراً ما كان يتدخل تدخلا سافراً في شئون الحياة النيابية، فقد أصر الشعب إصرارا على إرجاع دستور ١٩٢٣، والتطويح بدستور صدقي المزيف، فصرح صمويل هور وزير خارجية بريطانيا في ٩ نوفمبر ١٩٣٥ بأنه «عندما استشيرت الحكومة البريطانية في شأن الدستور، نصحت بألا يعاد دستور ١٩٢٣: ولادستور ١٩٣١، إذ ظهر أن الأول غير صالح للعمل، والثاني لا ينطبق على رغبات الأمة»! ليس أوقح من هذا التدخل السافر، في شئون بلد

معترف باستقلالها ولو اسميا، وليس أحقر من وزارة مصرية؛ وزارة السراي، وزارة نسيم التي لا تتحرك في شيء من شئون البلاد إلا باستشارة الإنجليز، واحتج الشعب، وزاد سخطه على وزارة السراي، وقامت المظاهرات في أنحاء القرى وبعض المدن؛ احتجاجاً على تصريح هور، وتعرض لها البوليس بالرصاص، فكان أول من استشهد هو اسماعيل محمد الخالع أحد العمال، ثم قامت مظاهرة في الجامعة استشهد فيها محمد عبدالمجيد مرسي ومحمد عبد الحكم الجراحي وعلي طه عفيفي من طلبة جامعة القاهرة، ثم عبدالحليم عبد المقصود بالمعهد الديني بطنطا، وأعلن الحداد العام على الشهداء يوم ٢٨ نوفمبر فأغلقت المتاجر واحتجبت الصحف وعطلت المصانع وأقام الطلبة نصباً تذكاريا لشهداء الجامعة أقيم له احتفال ضخم يوم ٧ ديسمبر ١٩٣٥ تخللته مظاهرات كبيرة» وقد أفاضت الجرائد والمجلات في الحديث عن المظاهرات العارمة والإشادة بالشهداء؛ فنشرت «المجلة الجديدة الأسبوعية» في عددها الصادر بتاريخ الأربعاء ٢٧ نوفمبر ١٩٣٥ صورتين للشهيدين عبدالمجيد مرسي وعبدالحكم الجراحي على صفحة الغلاف، ثم علقت قائلة: «كان من نتيجة المظاهرات التي قام بها طلبة الجامعة في الأسبوع الماضي أن ذهب ضحيتها شابان من خيرة شباب الجامعة أخلاقاً وتهذيباً هما المرحومان محمد عبدالمجيد مرسي أفندي الطالب بكلية الزراعة ومحمد عبدالحكم الجراحي أفندي الطالب بكلية الآداب: وقد احتفلت الجامعة رسميا بتشييع جنازة

المرحوم الجراحي في مشهد رهيب سار فيه كبار رجال الأمة ورجال الجامعة وطالباتها وطلبتها، أما المرحوم عبدالحميد مرسي فقد دفـــن في الأســـكندرية بإشراف رجال البوليس الذين نقلوا جثته من مستشفى القصر العيني، وذهبوا بها إلى الأسكندرية حيث دفنت .. وقرر طلبة الجامعة أن يلبسوا شارة الحداد العام على أرواح الذين استشهدوا من أبنائها في الأسبوع الماضي» ..

والحق أني قد تعمدت إطالة الحديث بعض الشيء فيما يتعلق بالمناسبة التي هيأت لناجي كتابة قصيدته «بطل الأبطال» التي تشتمل عليها «قـصائد مجهولة»، ولكن بعنوان آخر هو «أعاصير مصرية» وبعد أن عدل فيها الشاعر تعديلا عجيباً سيرد الحديث عنه في معرض الحديث لكي يتضح للقارئ بعـد قراءته للقصيدة ذاتها أنها دون مستوى الأحداث التي قام بها خيرة شباب مصر في ذلك الوقت، بل إن الأحداث نفسها لم تظفر من الشاعر بأي اهتمام على الرغم من أهميتها وقدسيتها: أما ماظفر باهتمام الشاعر حقا فهو الصبح الذي يطلع على ربى مصر: فإذا الورد ضحوك في الأكم، حتى إذا حل المساء انقلبت هذه الربى فوهة حمراء تغلي بالحمم، ويسيل الدم، وهنا يطرح الشاعر تساؤله الغريب: هل هذا الدم هو لون الورد أم لون الموت أم لون الجحيم:

يطلع الصبح على هــذى الـــربى فإذا الورد ضـــحوك في الأكـــم

فـــإذا أمــسى المــساء انقلبــت فوهـــة حمــراء تغلـــي بـــالحمم

لست تدرى إذ تراهـــا غلمـــت فروى الأحـــرار واديهـــا بـــدم:

ذاك لون الورد أم لـــون الـــردى الجاثم أم لون الجحيم المضطرم ؟!

أما القصائد الثلاث التي اكتشفتها وضممتها إلى الأعمال الشعرية الكاملة، فإن أولاها بعنوان «تحية لمجد مصر» وقد ألقاها ناجي في مؤتمر طبي عقد بمدينة «الأقصر» في يناير عام ١٩٢٤، ومطلعها:

بلاد النيل يا مهد المعالي ويا وطن العظائم والجلالِ

أما القصيدة الثانية، فقد كتبها ناجي عام ١٩٤٧ ومطلعها:

اليوم يومك في الرجال فنادِ

في ساحة مجموعة الأشهادِ

وإذا كان ناجي قد اقتطف أبياتاً من شعره العاطفي ودسها في قصائد الرثاء التي كتبها - كما سبق أن أوضحت - فإننا نستطيع القول إن نفس الظاهرة قد تكررت، حيث اقتطف ناجي أبياتاً أو عدَّل وحوَّر في أبيات من قصيدة «في يوم الشباب» التي يضمها ديوان «وراء الغمام»، وعاد ليدسها في هذه القصيدة الثانية، وقد سهل عليه هذه المهمة أنه اختار «الدال» حرفاً للروي في القصيدة الثانية، وهو نفس حرف الروي في قصيدة «يوم الشباب» التي يستهلها قائلا:

اليوم يومك في الشباب فنادِ

لا نوم بعد، ولا شهيٌّ رقادِ

وهكذا استبدل ناجي «الشباب» بـ «الرجال» في قصيدته الثانية.أما الشطر الثاني من البيت الذي استهل به ناجي قصيدته الثانية، فإنه هو نفس

الشطر الثاني من البيت الخامس عشر من أبيات قصيدته «في يوم الشباب»، على أنه من باب الإنصاف للقصيدة الثانية القول إنها تضم أبياتاً رائعة، منها هذه الأبيات :

يا مصر! يا مصر الحبيبة إن يرمْ

منى الفداء، دمى لحبك فادى

تالله لو في الخلد كنتُ بموضع

أو في المجرة مصبحي ومهادى،

لرنتْ لشطيك النواظرُ من علٍ

وهفا إليك من الجنان فؤادى

وعلى الرغم من إعجابي بهذه الأبيات، إلا أنني أتصور أن ناجي حين كتبها كان يتمثل بيت أحمد شوقي الأخاذ:

وطني لو شُغلت بالخلد عنه

نازعتني إليه في الخلد نفسي

ولست أدرى إن كان ناجي قد قرأ ناظم حكمت في تلك الفترة أم لا؟ .. فالشاعر التركي الكبير كان قد قال:

وضعوا الشاعر في الجنة

فصرخ قائلاً:

آه .. يا وطني

ونأتي إلى القصيدة الثالثة من القصائد التي اكتشفتها، وهي قصيدة «المجد الحي» فأقول إنها من روائع ناجي التي ألقاها في مدينة «الزقازيق» عام ١٩٤٧، وفيها إشارة واضحة إلى الزعيم أحمد عرابي وإلى موقعة «التل الكبير». وقد أرهقني البحث عن هذه القصيدة الرائعة، ففي البداية قرأت أبياتاً قليلة منها في ثنايا مقال كتبه وديع فلسطين عن ناجي في مجلة "الأديب" البيروتية ، وقد أشار وديع فسطين إلى كتاب للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي هو كتاب «دراسات في الأدب والنقد» وقال إن د. خفاجي هو الذي نوه بنفسه إلى تلك الأبيات، ثم وجدت نفس هذه الأبيات القليلة منشورة في ثنايا مقال، كتبه علي متولي صلاح، ونشر في مجلة «الرسالة» – عدد ٨ سبتمبر عام ١٩٤٧، وفي المقال إشارة إلى كتاب صدر في نفس ذلك العام، فأرسلت إلى الصديق فتحي عبد الحافظ رسالة من الدوحة – حيث أعمل – طالباً منه أن يصور لي قصيدة ناجي الموجودة ضمن العديد من القصائد لشعراء آخرين في ذلك الكتاب الذي أشار إليه علي متولي صلاح، وبالفعل لم يطل بي الانتظار، وإذا برسالة من فتحي عبدالحافظ تضم هذه القصيدة مصورة كما طلبت منه، وكانت فرحتي بها كبيرة بعد أن قرأتها، وهذه هي الأبيات الأولى منها:

يا أمة نبتتْ فيها البطولاتُ
لا مصر هانتْ ولا الأبطالُ قد ماتوا
ما يبرح المجد يدعونا فنتبعه
كما تطير إلى النار الفراشاتُ

....

أين الغزاة الأُلى مروا بنا زمراً

وأيـــن بالله تـــيجـــان ودولاتُ

طافوا البقاع فلما حلّ رحلهم

بمصرَ لم يصبحوا فيها كما باتوا!

وفيما يتعلق بقصائد الوصف عند ناجي، فإن له قصائد عديدة عـــن «الربيع»، وكلها تحمل عنوان «الربيع» فاضطررتُ لكي يسهل التمييز بينـــها إلى أن أشير إلى العام الذي كتبت فيه كل قصيدة منها: وعلى سبيل المثال فإن قصيدة «الربيع» التي كتبها ناجي عام ١٩٤٦ جعلت عنوانها «الربيع - عام ١٩٤٦».. وهكذا. ولم يكن «الربيع» وحده هو الذي استأثر باهتمام ناجي في قصائده الوصفية، فقد احتل «القمر» مكانته هو الآخـــر، وإلى جانـــب «الربيع» و«القمر» نجد «الورد» كما نجد «الطبيعة» ذاتها، وهـــذا مطلـــع قصيدة «الطبيعة» التي تنشر لأول مرة في هذه الأعمال الشعرية الكاملة:

وافني نغتنم جمال الطبيعه

ويرى المرءُ في الربيع ربيعه

خلِّ ضيق الديار وانزلْ برحبٍ

من رياض ومن غياض وسيعه

* من القصائد التي خرج بها ناجي من حديقة الحب، تبقى أمامنـــا قصائد المدح والتي أطلق عليها هو «قصائد التكريم»، والحق أن هذه القصائد -- كما سبق أن أشرت - موجهة إلى أصدقاء وإلى أقـــارب، ممـــن احتلـــوا

مناصب رفيعة، لكن علاقة ناجي بهم كانت علاقة محبة، وممن توجه إليهم الشاعر بقصائد المدح أو «التكريم» إبراهيم عبدالهادي «باشا» - «علي باشا» إبراهيم - أنطون «باشا» الجميل - عبدالحميد «باشا» عبدالحق - عزيز أباظة «باشا» - إبراهيم الدسوقي أباظة «باشا» الذي يقول عنه ناجي في «ليالي القاهرة» إنه «أبو النهضة الأدبية الحاضرة ما في ذلك من منازع، هذا فوق فضله على ناظم هذا الديوان»، ولعلنا نتذكر أيضا أن ناجي قد رثى إبراهيم الدسوقي أباظة «باشا» مرثية صادقة ورائعة، سبق أن أشرت إليها.

ويضم «ليالي القاهرة» قصيدتين عن الملك السابق فاروق الأول، أولاهما في عيد ميلاده، والثانية في عيد تتويجه؛ لكن هناك قصيدة ثالثة لم أستطع الحصول على نصها الكامل، وإن كنت قد قرأت أبياتاً منها في جريدة «السياسة الأسبوعية» ففي عدد السبت ٢٠ فبراير عام ١٩٣٧ من هذه الجريدة إشارة إلى المهرجان العظيم بمناسبة عيد ميلاد صاحب الجلالة الملك»، وسأثبت هنا نص هذه الإشارة حتى نتعرف على أجواء «المهرجان العظيم».

تقول «السياسة الأسبوعية»: «نظمت رابطة الشباب العربي لإحياء القومية العربية في يوم الخميس الماضي (أي يوم ١٨ فبراير عام ١٩٣٧) مهرجاناً عظيماً بمناسبة عيد ميلاد صاحب الجلالة الملك، وألقى كلمة الافتتاح صاحب العزة الدكتور محمد حسين هيكل بك الرئيس العام للرابطة ثم وقعت فرقة معهد الاتحاد الموسيقي برياسة إبراهيم شفيق نشيد جلالة الملك. ثم ألقى الأستاذ حافظ محمود كلمة طيبة عن الملك في روح الشباب ثم تحدثت الآنسة المهذبة ابنة الشاطئ عن ملك العهد الجديد، ثم أنشد الدكتور إبراهيم ناجي

قصيدة عصماء وتكلم الأستاذ أحمد حسن الباقورى عن الملك الصالح ثم ألقى الشاعر محمود حسن إسماعيل النخيلى قصيدة، ثم اختتمت الحفلة بالسلام الملكى ...»، وأما الأبيات المنشورة في «السياسة الأسبوعية» من قصيدة ناجى عن الملك، فإنني أثبتها هنا من باب الأمانة تجاه شعر ناجى، فضلا عن أنها أبيات جميلة، وهذا نصها:

قل للمليك إذا وافيت سدته
إخلاصنا لك أضحى عندنا دينا
يا عارفاً بأماني الشعب في زمن
مصر وأنتَ به أغلى أمانينا
ويا ندى طائفا أيان ما لمستْ
كفاه تربتها اخضرت رياحينا
يا من بذلتَ لنا أيام محنتنا
كفًا تؤازر أو عيناً تراعينا
ويا هوى الناس في حل ومرتحل
سمعتَ آهاتنا فاسمعْ أغانينا

... هل خرج ناجى من حديقة الحب بقصائده التى كتبها فى التفكه والمداعبات، والرثاء، والحماسة الوطنية، والوصف والمدح؟ .. أكاد أجيب قائلا: لا .. لم يخرج .. لكنه خرج من حديقة الحب حقا حين كتب قصائد قليلة جدا من شعر الهجاء ..

إطلالة على العطاء الشعرى

لم يكن العطاء الذى خلفه لنا ناجي محصوراً في الشعر وحده، فقـــد كان له عطاء نثرى غزير ومتنوع؛ ليس هذا مجال الحديث عنه، فالحديث هنا يتركز حول عطائه الشعري الذى أكسبه ما أكسبه من شهرة وذيوع صيت، وكان ناجي قد بدأ نشر قصائده فى مجلة نصف شهرية، هى مجلة «الـــسيدات والرجال» ابتداء من عام ١٩٢٢، ثم نشر قصائد أخرى في جريدة «السياسة الأسبوعية وبجلة «الهلال» ثم مجلة «أبولو» التى نشر فيها الجديد من قصائده، كما أعاد نشر بعض قصائده التى كان قد نشرها من قبل علـــى صـــفحاتها. وخلال حياته لم يصدر ناجي غير ديوانين فحسب، ثم صدر له بعد رحيله عن عالمنا ديوان ثالث، وجمعت هذه الدواوين الثلاثة وأضيفت إلى قصائدها بضعة قصائد وصدرت في ديوان ضخم يشملها جميعا هـــو «ديـــوان نـــاجى»، ثم صدرت مختارات من قصائد ناجي، ونستعرض هنا هذا العطاء الشعرى.

«وراء الغمام» – الديوان الأول

كان عام ١٩٣٤ عام خصوبة شعرية، ففيـــه صـــدر ديـــوان «وراء الغمام» أول دواوين ناجي، إلى جانب أنه شهد صدور دواوين «الكائن الثاني و «الينبوع» للدكتور أحمد زكي أبو شادى، و«الألحان الضائعة» لحسن كامل الصيرفي، و «ديوان صالح جودت» و «الزورق الحـــائر» لمختـــار الوكيـــل، و«ظلال القمر» لأحمد مخيمر، و «الملاح التائه» لعلي محمود طه و «ديـــوان

الملاحي» لمحمد مصطفى الماحي، أما أول دواوين محمود حسن إسماعيل وهو ديوان «أغاني الكوخ» فقد صدر في يناير عام ١٩٣٥.

وقد اشتعلت في أعقاب صدور «وراء الغمام» معركة نقدية عنيفة كان هذا الديوان سببها الظاهر، وقد نشبت تلك المعركة في ذلك الوقت بين شعراء جماعة أبولو وعباس العقاد مع تلاميذه من جهة، وبين شعراء جماعة أبولو والأستاذ الدكتور طه حسين من جهة أخرى، والحق أن النفوس كانت مهيأة لتلك المعركة من قبل أن يصدر ديوان ناجي الأول، ولذا فإن صدوره كان فرصة لإشعالها بسرعة. نقد طه حسين ديوان «وراء الغمام» نقداً قاسياً، ونشره في جريدة الوادي في يونيو ١٩٣٤، ورأى فيما رأى «... أن صاحب «وراء الغمام» من هؤلاء الشعراء الذين يحسن أن نستمتع بما في شعرهم من الجمال الفني، كما نستمتع بجمال الوردة الرقيقة النضرة، دون أن نشطّ عليها بالتقليب والتعذيب، هو شاعر هين، لين، رقيق، حلو الصوت، عذب النفس، خفيف الروح، قوي الجناح، ولكن إلى حد، لا يستطيع أن يتجاوز الرياض المألوفة، ولا أن يرتفع في الجو ارتفاعاً بعيد المدى، وإنما قصاراه أن يتنقل في هذه الرياض التي تنبت في المدينة أو من حولها، والتي لاتكاد تبعد عنها كثيراً، وهو إذا ألم بحديقة من الحدائق أو جنة من الجنات لا يجب أن يقع على أشجارها الضخمة الشامخة في السماء، وإنما يجب أن يقع على أشجارها المعتدلة الهينة، ويتخير من هذه الأشجار أغصانها الرطبة اللدنة التي تثير في النفس حناناً إليها، لا إكباراً لها ولا إشفاقاً منها. هو شاعر حب رقيق، ولكنه ليس مسرفاً في العمق ولا مسرفاً في السعة ولا مسرفاً في الحب الذي يحرق

القلوب تحريقاً ويحزن النفوس تمزيقاً، شعره أشبه بما يسميه الفرنجة موسيقى الغرفة منه بهذه الموسيقى الكبرى التي تذهب بك كل مذهب، وتهيم بك في ما تعرف وما لا تعرف من الأجواء».. ونقد عباس العقاد ديوان ناجي في عدد ١٢ يونيو ١٩٣٤ من جريدة الجهاد، وجاء نقده أكثر قسوة من نقد طه حسين وأشد منه عنفاً فقد اتهم ناجي بأنه سرق أبياتاً من شعره هو وضمنها قصائده بعد أن حوّرها، وقال إن «أظهر ما يظهر من سمات هذه المجموعة الضعف المريض والتصنع، فإن صاحبها كما يدل عليه كلامه من أولئك النوع الذين يفهمون أن الرقة ترادف البكاء، وأن الشاعر ينظم ليبكي ويشكو فإذا هجره الحبيب بكى وإذا تناجى مع حبيبته قال لها «هاتي حديث السقم والوصب» إلى نحو ذلك من أغراض الرخاوة المريضة التي لا تزال تجاربها منذ عشرين سنة في الشعر والنثر والغناء»..

وكان من الطبيعي أن يرد ناجي على ما وجه إليه وإلى شعره من نقد، وكان من الطبيعي أيضاً أن يرد على طه حسين فهو الأقرب إلى نفسه وألا يرد على العقاد لأنه بطبيعته الوديعة كان ينفر في قرارة نفسه من طبيعة العقاد الخشنة ومن أسلوبه الناري وعباراته التجريحية التي يصبها على رؤوس ناقديه ومنقوديه على حد سواء، لكن ناجي تورط في رده إذ أنه لم يستطع أن يخفي غيرته من علي محمود طه الذي كان طه حسين قد نقده نقداً كاملاً قبل أن يكتب ما كتب عن ناجي، وقد كان هذا من دواعي الجفوة التي وقعت بين الشاعرين الصديقين علي محمود طه وإبراهيم ناجي.. رد شاعرنا على طه حسين في عدد ٢٠ يونيو ١٩٣٤ من مجلة الأسبوع فقال مما قال: «.. أنت

تراني قوي الجناح إلى حد، تراني رقيقاً وترى لي موسيقى تسميها موسيقى الغرفة، ويلوح لي من تفضيلك على طه أنك لست ترضى عن تلك الرقة ولا تعجب بهذه الموسيقى، بل أنت من أنصار الشاعر الذى تراه «مهيأ» ليكون جباراً، أنت من أنصار الأدب العنيف.. الأدب النتشوى اختارى.. من أنصار النسر الذى يحط على الشجر الباسق ويبسط جناحيه بسطة عقادية، الواقع أن هذا العصر في حاجة إلى مثل ما تحب: أما نحن فأدبنا مائع رخو، أدب دموع وضعف، وقد كنت أحب أن أعرف رأيك يا مولاى في لي...الى ألفريد دى موسيه وروائع لا مرتين كالبحيرة والوادى، ما رأيك في هذا الضعف الشائن من شاعرين لم يخلد لهما إلا الدموع الذائبة؟! ومع ذلك قل لى منصفاً وليقل العقاد أى أنواع الأدب أحب إلى النفوس؟ سيقوم الموتى من قبورهم وستنبض كل صحيفة في كتبهم بالحياة، صارخة «مآسينا خلدت ودموعنا هي التي عاشت!» وأنت لو سألت نفسك عن أحب الكتب إليك قالت «الأيام» ولو سألت قراءك نفس السؤال قالوا: «الأيام».. لماذا؟ لأنها قصيدتك الكبرى، فيها دموعك وفيها ضعفك كذلك، وهي أقوى ما كتبت! ولو سألت العقاد أي الشعراء تحب؟ لقال لك «هردى» وما شعر هاردى إلا دموع، وضعف من الصنف الذى يعيرنا به..».

لكن هذا الرد المهذب لم يرضي - بطبيعة الحال - من هم على شاكلة العقاد: ممن تقترب طباعهم من طبيعته الخشنة، ومن هؤلاء الـشاعر سيد قطب الذى كان وقتها من أخص تلاميذ العقاد، رأى سيد قطب أن المعركة بين طه حسين وإبراهيم ناجي ليست معركة بالمعنى الحقيقي: وإنما هي

أقرب إلى سذاجة الأطفال منها إلى أى شيء آخر، وانتقد اهتمام طه حسين بإبراز الجزئيات في ديوان ناجي، كما انتقد رد ناجي ورأى فيه ردا لا يليق بالرجال أن يردوا بمثله، وقد كان هذا في العدد التالى مباشرة للعدد الذى نشر فيه ناجي رده من نفس المجلة .. مجلة الأسبوع .. قال سيد قطب تحت عنوان: «معركة النقد الأدبي - ودوافعها الأصيلة».. «الحق أقول إن المعركة بين طه حسين وناجي معركة رخية هادئة أشبه بعتاب الحبيبين، منها بخصام المتلاحين وإن كنت أرى أن الدكتور طه قد اتجه إلى الجزئيات في الديوان أكثر مما اتجه إلى الكليات، وأنه اشتد فى بعض المواضع شدة لا تتناسب مع الصورة الرقيقة التى رسمها لناجى فى أول مقالة (وهى الصورة التى رسمتها له فى «الأهرام» قبل مقال الدكتور طه بأسبوع) وإن كنت أرى كذلك أن ناجى تلقى هذه الشدة باضطراب وجزع - يتفقان مع طبيعته - ولكنهما لا يليقان بأديب، وأن كلمته التى كتبها ردا على طه فيها دموع وفيها شهيق وزفير لا يليق بالرجال، ولكن يعزينا عن ذلك كله أن المعركة هنا أقرب شيء لسذاجة الأطفال وبراءة الأطفال»...

ورأى على أحمد ماهر في مقاله الذى عقّب به على نقد طه حسين لناجى أن هذا النقد إنما هو حلقة من سلسلة الظلم الذى تحالف المشيوخ الذائعون على أن يذكوا به أعناق الشبان دكا عنيفاً، ثم أشاد المعقب بموسيقى ناجى وامتدح شعره، وخلص إلى أن طه حسين يريد تحطيمه لكى يبرز صاحبه أقدم عبيه من خلع إمارة الشعر على العقاد بعد أن رحل أمير الشعراء أحمد شوقى.

أما السيد عطية شريف فقد رأى أن حملة سيد قطب على ناجي قـد قصد بها تمجيد العقاد على حساب جميع من يعدهم منافسيه، وأنه إن ذهـب إلى شيء خفيف من النقد السطحي للعقاد، فإنما يقصد إلى التمويـه علـى القارئ بأنه مستقل فكريا عن العقاد، وذكر السيد عطية شريف، أنه لم يكن يعرف سيد قطب باعتباره شاعراً إلا من خلال تنويه مجلة أبولو به، ومع هذا فقد سولت له نفسه أن يشن عليها حملة بذيئة غير خافية المقاصد، والحـق أن المعركة النقدية التي نشبت في ذلك الوقت ما لبثت أن تحولت إلى المهـاترات والمماحكات اللفظية وافتعال المواقف، ولعل الكلمة الوحيدة الـتي كتبـها صاحبها لوجه الفن وحده كانت كلمة الشاعر حسن كامل الصيرفي الـذي قال: «إننا لا نحب المفاضلات والمنافسـات السخيفة كما لا نؤمن بالتوحيد في الأدب، والمتحدث إلى أعضاء جمعية أبولو لا يجد بينهم إلا اتفاقاً في المبـادئ الفنية العامة التي تساير حيوية الفن كما تماشي روح العصر، ولكنه لن يجـد تلك التحزبات الشخصية الممقوتة التي اشتهرت عـن بعـض الجماعـات والفئات» وقد دخل محمود حسن إسماعيل المعركة باتهامه للعقاد بأنه سـرق أبياتاً من شعره من محمود سامي البارودي، وبدلا من أن يقر بهذا أو يعترف به، نجده يلفق لناجي تهمة سرقة أشعاره هو، وقد اشترك في تلـك المعركـة النقدية إلى جانب من ذكرناهم الدكتور زكي أبو شادي ومحمود الشرقاوي ومختار الوكيل وصالح جودت ومصطفى عبداللطيف السحرتي.

على أنه بعيداً عن مهاترات تلك المعركة، فإن هناك عدداً من المقالات النقدية الجادة قد حللت قصائد ديوان «وراء الغمام»، ومن تلك المقـالات

مقال نظمي خليل في عدد نوفمبر ١٩٣٤ من مجلة أبولو ومقال حسين عفيف في عدد ٦ يوليو ١٩٣٤ من مجلة «الأسبوع»، فضلا عن الفصل النقدي الجاد والمنصف الذي كتبه إبراهيم المصري في كتابه «صوت الجيل» وهو الكتاب الذي صدر عام ١٩٣٤ أيضاً..

والواقع أن بعض شواغل الحياة أسهمت في إبعاد ناجي عن جو تلك المعركة: ففي شهر يونيو ١٩٣٤ - كما يقول صالح جودت - «شد الشاعر رحاله إلى أوروبا ليعاون أخاه الأصغر في الالتحاق بكلية «تولوز» الفرنسية للنسيج، ثم ليواصل طريقه إلى لندن، ليشهد مؤتمراً طبيا منعقداً هناك» ...

وكان لوقع المعركة التي كانت تصل إليه أنباؤها هناك أسوأ الأثر على نفسيته الرقيقة، إلى درجة أنه كان يسير في شوارع لندن المزدحمة بالناس والسيارات شارد اللب، حائر الروح، مشتت النفس، وكان من جراء هذا أن صدمته إحدى السيارات: فعاد إلى مصر وساقه في الجبس، ولم يقدر له الشفاء من حادث التصادم هذا إلا في نوفمبر ١٩٣٤: وهذا ما علقت به «المجلة الجديدة الأسبوعية» في عددها الصادر بتاريخ ١٦ نوفمبر ١٩٣٤ تحت عنوان «تعليقات على حوادث الأسبوع»: «سر كثيرون بشفاء الدكتور ناجي من سقطته في لندن، فقد كان أصيب بكسر في ساقه وهو يعبر شارعاً، وبدلا من أن يقضي إجازته في التنزه بين الريف والخضر الإنجليزيين، قضاها في المستشفى على السرير، وساقه في الجبس، وللدكتور ناجي مجلة يجدر بكل ربة من ربات البيوت أن تقتنيها هي «حكيم البيت» وله قصائد تتسم برقة الألفاظ الموسيقية، ومعانيه أقرب إلى الحلاوة منها إلى الجلال. وهو معنيٌّ باللغة

قلما يخطئ، وهذه صفة نادرة فى الطبقة التى ينتمى إليها» وقد كان من نتائج المعركة النقدية أن زادت الجفوة بين شاعرنا ناجى وصديقه القديم على محمود طه، كما أنها – وهذا هو الأسوأ – قد زعزعت ثقة ناجى فى قدراته الفنيـــة: وأعلن أنه سينصرف عن الشعر وأنه سيهجر الأدب، وقد أعلن هذا فى حديث أدلى به لمراسل «المجلة الجديدة الأسبوعية» وقد نشر هذا الحـــديث فى عــــدد الأربعاء ٦ مارس عام ١٩٣٥ تحت عنوان «لماذا هجرت الأدب؟ .. حديث هام مع الأستاذ الدكتور إبراهيم ناجى»، والحق أنه ليست لهذا الحديث قيمة تذكر، بغض النظر عن قيمته التاريخية فيما يختص بدراسة شاعرنا، أمـــا مـــا يعكس نفسية ناجى فى تلك المرحلة، ويستمد من هذا قيمته، فهـــو ختــام مقدمته لكتابه «مدينة الأحلام» الذى صدر عام ١٩٣٥، يقول ناجى بحسرة ما بعدها حسرة: «بالأمس أخرج الشاعر ديوانه، واليوم قد أخرج القاص ما لديه من قصص، وأفضى المفكر بما أنتج فكره، وغداً ينطوى الشاعر وينسى القاص ويتلاشى المفكر .. غداً ينقلب القدر وينهزم الخيال وتحطم الروح أعز أمانيها وأغلى ميراثها، غداً تحرقها وتنظر إلى لهيبها كمـــا تنظـــر إلى الـــشفق والشمس ذاهبة .. غداً فراغ، غداً يمشى الطبيب إلى قبر الأديب الذى كـــان ذات يوم هو نفسه وقد حمل فى يده زهوراً فيضعها عليه دامع العين ثم يعود فإذا الطريق خاوية مقفرة: إذا به فى زحام الناس كواحد من النـــاس يجـــوع فيأكل وتضحك له الدنيا فيهلل، وتعبس له فينقبض، فعل منعكس واستجابة لدافع .. ويمر به الجمال فلا يرى فيه غير مظهره، وأما المعنى والمسروح فقـــد مضى بمضى الشاعر رحمه الله. ويستمع الموسيقى فيـــصيح مـــع الـــصائحين،

ويصطخب مع الصاخبين، أما الألوهية الدفينة التي تقف بالمستمع على حافة الأبدية، أما السلاف السماوية التي تنسكب في أعمق أعماق النفس، كل هذا ينطوي مع الفنان الذاوي وأسفاه .. وغداً يمر بالناس فيراهم صوراً متشابهة، آلات فحمها الرزق ومحركها الجنس والجوع .. أما الفيلسوف فذهب في أثر الشاعر والفنان.

وداعاً أيها الشعر ..

وداعاً أيها الفن ...

وداعاً أيها الفكر ..

وداعاً ودمعة مرة وابتسامة أمر! ..

وإذا كنت قد تعمدت الإطالة في سرد وقائع المعركة النقدية التي كان صدور ديوان «وراء الغمام» سببها الظاهر، فذلك مرجعه إلى أنني حاولت أن أقدم صورة متكاملة لتلك المعركة، نظراً لأن جميع الذين تناولوها بالتحليل من الدارسين، قد اهتموا بإبراز الصورة التي تجعل القارئ يتعاطف مع ناجي فحسب، وذلك بتركيزهم على المقالات النقدية التي هاجمت ديوانه، وإغفالهم لتلك التي امتدحته، أو تلك التي وقفت منه موقفاً جاداً موضوعياً، هذا إلى جانب أن تلك المعركة كان لها أسوأ الأثر على نفسية شاعرنا - كما سبق أن ذكرت - وهذا ما سأشير إليه عند الحديث عن «مصادر القصائد المجهولة» لناجي .. وأما قيمة ما كتبه شاعرنا في ختام مقدمته لكتابه «مدينة الأحلام» فيتمثل في أنه يقدم لقارئه تصوره النظري لدور الشاعر في الحياة، ورأيه في أن الشاعر الحق هو من يتأمل الأعماق الخبيئة من جوانب الحياة، لا من يتعلق

بالقشور السطحية التي يستطيع معرفتها الناس العاديون دون ما حاجة إلى الفن، وهذا التصور النظرى يتسق - بطبيعة الحال مع النماذج الشعرية التي أبدعها ناجي من جهة، كما أنه يتعارض - من جهة أخرى - مع التصور النظرى لدور الشاعر في الحياة عند علي محمود طه.

ونظراً لأن الشاعر في ناجي كان أصيلاً ولم يكن مجرد واجهة خارجية، فإنه عاد إلى الشعر مرة أخرى، على الرغم من حديثه الذي أعلن فيه أنه هجر الأدب، وعلى الرغم من كلماته الجريحة في ختام مقدمته لكتاب «مدينة الأحلام» والحق أن ناجي لم يستطع أن يهجر فنون الأدب جميعها في تلك الفترة التي هجر فيها الشعر موقتاً، فقد نشرت له المجلات الأدبية في ذلك الوقت العديد من القصص القصيرة التي يغلب عليها الاتكاء على العنصر الشخصي، فضلاً عن أنه نشر عدداً من المقالات النقدية وطائفة من البحوث التي تتناول علاقة علم النفس بالأدب إلى جانب اشتغاله بترجمة العديد من القصص القصيرة العالمية ..

بعد عودة ناجي إلى فنه الأصيل أخذ ينشر قصائده في أهم المجلات الأدبية في ذلك الوقت .. «الرسالة» و «الثقافة» و «السياسة الأسبوعية» و «المجلة الجديدة» و «مجلتي»، وكان نتاج الشاعر من الغزارة بحيث أن مجلة «الرسالة» وهي مجلة أسبوعية -كما هو معروف- كانت تنشر له قصيدة في كل عدد من أعدادها بصورة شبه منتظمة، وكان هذا في أواسط الأربعينيات على وجه التحديد، وقد جمع شاعرنا طائفة من تلك القصائد، وأصدرها في ديوانه الثاني «ليالي القاهرة»، بينما لم يهتم بجمع طائفة أخرى منه، ولعله رأى

أن يؤجل جمعها إلى حين، أو لأنه لم يكن راضيا تماماً عنها. وهناك أمـــران لم يلتفت إليهما أحد على الإطلاق من دارسي شعر ناجي، أحب أن أشير إليهما هنا مجرد إشارة، الأمر الأول أن المترجم الشهير الراحل دريني خشبة قد كتب سلسلة مقالات بعنوان «شعر ناجي» في أواسط الأربعينيات، وقد نشرها في مجلة «الرسالة» ابتداء من عدد ٢٤ أبريل عام ١٩٤٤، وهي مقالات مهمـــة وإن كانت متحمسة بصورة واضحة لناجي وقد كتب دريني خـــشبة هـــذه المقالات، معتمداً على الديوان الأول لناجي «وراء الغمام» والأمر الثـــاني أن ناجي لم يكن يفكر في إصدار ديوانه الثاني «ليالي القاهرة»، وإنما كان يفكر في إعادة طبع ديوانه الأول «وراء الغمام» بعد أن يضيف إليه قصائده الجديدة التي كان ينشرها في تلك الفترة، وقد تأكدت من هذا الذي أقوله من خلال خبر صغير، نشر في مجلة «الرسالة» ضمن ما كانت المجلة تسميه «كـــشكول الأسبوع».

«ليالي القاهرة» — متى صدر؟!

وفيما يتعلق بديوان «ليالي القاهرة»، فإنني أعترف بأن تاريخ صدوره ظل لغزاً محيراً إلى أن تكشفت لي حقيقة الأمر، وهذا مرجعـــه إلى تـــضارب النقاد والكتاب الذين كتبوا عنه في تحديد العام الذي صدر فيه. فقـــد ذكـــر عبدالعزيز الدسوقي في ثبت المراجع الذي ذيل به كتابـــه «جماعـــة أبولـــو» (ص ٥٨٦) أن هذا الديوان قد صدر عام ١٩٤٣: بينما ذكر الدكتور محمد مندور في الحلقة الثانية من كتابه «محاضرات في الشعر المصري بعد شـــوقي» (ص ٥٨) أنه صدر عام ١٩٤٤، وذكر الدكتور شوقي ضيف نفس التاريخ

فى كتابه «الأدب العربى فى مصر» (ص١٥٥) كما أن التعريف بحياة ناجى وبنتاجه والذى ذيل به كتاب «أزهار الشر» الذى صدر بعد وفاته، قد ذكر هو أيضاً نفس ذلك التاريخ (١٩٤٤) - راجع ص (١٤٩) أما صالح جودت فقد ذكر أن «ليالى القاهرة» قد صدر عام ١٩٥١، وذلك فى مقدمته لديوان ناجى (ص٢٢). وهذا التضارب هو ما جعل الأمر لغزاً محيراً فى البداية، لكن الحقيقة تكشفت لى عندما قمت بمراجعة أعداد مجلة «الرسالة» فى تلك الفترة الزمنية التى تضارب فيها القول وهى الفترة الممتدة من عام ١٩٤٣ إلى عام ١٩٥١، وقد وجدت - من خلال المراجعة - أن عباس خضر يعاتب ناجى فى عددين متواليين من أعداد مجلة الرسالة عام ١٩٥٠ لأنه أهدى نسخة من ديوانه الجديد لرئيس التحرير، ولم يهده نسخة منه، وقد ثبت لى باليقين أن ديوان «ليالى القاهرة» قد صدر عام ١٩٥٠ من خلال مراجعتى المتأنية للجزء التاسع من «فهرس الكتب العربية التى اقتنتها دار الكتب المصرية من سنة ١٩٣٥ إلى سنة ١٩٥٥»، ففى صفحة ٥٤٦ من ذلك الفهرس إشارة ببليوجرافية إلى ذلك الديوان: هذا نصها: «ليالى القاهرة - نظم إبراهيم ناجى - مطبعة الفكرة سنة ١٩٥٠م، ٢٢٤ ص القاهرة «رقم ز ١٨٦٧٤، ١٨٦٧٥..».

ولكيلا يكون هناك أى تضارب مرة أخرى بشأن تاريخ صدور «ليالى القاهرة» فإننى أحيل الدارسين المهتمين إلى عدد يناير عام ١٩٥٠ من مجلة «الحديث» الحلبية، وعدد مارس عام ١٩٥١ من مجلة «الكتاب» التى كان يرأس تحريرها الشاعر والكاتب عادل الغضبان: ففى عدد مجلة «الحديث» نبذة

عن الديوان (ص ٥٤٥ - ٥٤٦)، وتنتهي هذه النبذة بالقول «.. والديوان في ٢٧٥ صفحة فشكر للشاعر هديته» أما عدد مارس عام ١٩٥١ من مجلة «الكتاب» فيشير إلى صدور «ليالي القاهرة» ضمن الدواوين التي صدرت عام ١٩٥٠، وهذا هو نص الإشارة (ص ٣٣٩) .. «كان إنتاج العام الماضي (أي عام ١٩٥٠) غنيا بالشعر، فقد ظهر فيه بضعة عشر ديوانا، تختلف بين الشعر القديم والشعر الحديث، ويختلف الحديث بين المذاهب المختلفة للفن الذي توحي به الآلهة أو الشياطين!! .. ودواوين الشعر الحديث هي: «ديوان الخليل» ج ٤، وبه تم ديوان المرحوم خليل بك مطران الذي تولت إخراجه لجنة تكريمه، و «أغاني» لإبراهيم هاشم الفلالي من أدباء الحجاز و«ليالي القاهرة» للدكتور إبراهيم ناجي، و«فكر وروح» للآنسة أماني فريد، و«بعد الأعاصير» لعباس محمود العقاد و«الظلال» لعبد الغني سلامة و«حتى الأيام» لعبد المجيد مصطفى حنبل»..

صدر ديوان «ليالي القاهرة» عام ١٩٥٠ إذن، وليس عام ١٩٤٣ أو عام ١٩٤٤ أو عام ١٩٥١، وقد بدأ الشاعر ديوانه بإهداء رقيق يقول فيه «إلى صديقي ع. م . الذي فدى الزهر الذابل من خمائل الماضي وأنبت في روض الحاضر زهوراً ندية مخضلة بالأمل والحياة .. إليه أقدم ما أوحى به إلى..» وقد تصدرت الديوان مقدمة ضافية قيمة ومتحمسة للشاعر، كتبها «معالي إبراهيم الدسوقي أباظة باشا» الذي يرى صالح جودت أنه كان «راعياً للشعراء وكان يجمعهم في رابطة أدباء العروبة، وكان ناجي شاعره الأثير».. ويتسم ديوان «ليالي القاهرة» بأنه يتضمن عدداً من القصائد المطولة،

وهي تلك القصائد التي يتجاوز الشاعر حين يطلق عليها «ملاحم»، فالملاحم – كما هو معروف – فن شعري عرفه الأقدمون من الإغريق والرومان والفرس والهنود، وكانوا يقصدون به إلى تسجيل تاريخهم والإشادة بأمجادهم ومآثرهم في مجال الحروب التي خاضها أبناؤهم، ولهذا الفن بطبيعة الحال خصائصه الفنية وسماته المميزة التي يعرف بها ومن خلالها، وليست الملاحم إذن أن يضم الشاعر عدداً من قصائده الذاتية إلى بعضها ويطلق عليها عنواناً موحداً على نحو ما فعل ناجي فيما نستطيع تسميته بالقصائد المطولة مثل «ليالي القاهرة» و«السراب» و«الأطلال» و «الخريف»، ويشتمل هذا الديوان – ضمن ما يشتمل عليه – على قصيدتين من قصائد المديح قالهما الشاعر في مناسبتين، أولاهما عيد تتويج الملك فاروق ملك مصر في ذلك الوقت، وثانيتهما عيد الميلاد الملكي «السعيد». وقد سبق أن أشرت إليهما ويتضمن الديوان أيضاً عدداً من قصائد «الإخوانيات» معظمها وجهه الشاعر إلى معالي «إبراهيم الدسوقي أباظة باشا»، كما أن بعضها موجه إلى «عزيز باشا أباظة» بمناسبة زيارته لبيت الشاعر.

والحق أنه على الرغم من أن «ليالي القاهرة» قد تضمن عدداً وفيراً من روائع ناجي إلا أن طريقة إخراجه نفسها كانت بالغة السوء، فضلا عن أنه يحفل بالأخطاء المطبعية التي يقل بل يندر وجودها في ديوانه الأول.

«الطائر الجريح» – الديوان الثالث

في عام ١٩٥٧، وليس في عام ١٩٥٣ – كما توهم أحد الباحثين – صدر الديوان الثالث لناجي بعد أربعة أعوام من رحيله عن عالمنا، وقد جمع

قصائد هذا الديوان الذى حمل عنوان إحدى قصائده «الطائر الجريح» صديق من أخلص أصدقاء ناجى هو الشاعر الراحل أحمد رامي، وتصدرت ديوان «الطائر الجريح» مقدمة مقتضبة كتبها الشاعر والمحقق محمد عبدالغني حسن، وقصائد «الطائر الجريح» هي - في الواقع - عدد من القصائد التي لم ينشرها ناجي في حياته ضمن ديوانه الثاني «ليالي القاهرة»: كما أن عددا آخر منها كان ناجي قد كتبه بعد صدور «ليالي القاهرة»، وأعتقد أن أحمد رامي قد تدخل في بعض قصائد «الطائر الجريح» حيث تأكد لي أنه قد حذف عدة مقطوعات من بعض تلك القصائد، على نحو ما سأبين فيما بعد في «الإشارات».

«ديوان ناجي» - الديوان الرابع الشامل

صدر «ديوان ناجي» عام ١٩٦١، حيث كانت «وزارة الثقافة والإرشاد القومي قد شكلت لجنة، كلفت - كما يقول صالح جودت في كتابه عن ناجي - ص ٥٧ - بجمع تراث ناجي الشعرى المطبوع والمخطوط وشرحه وتنسيقه بغية نشره في ديوان واحد» .. وكان أعضاء تلك اللجنة شاعرين من أصدقاء ناجي هما أحمد رامي وصالح جودت وأستاذاً جامعيا هو الدكتور أحمد هيكل فضلا عن الشقيق الأكبر للشاعر وهو محمد ناجي، وقد أنجزت اللجنة مهمتها التي كلفت بها في شهر فبراير عام ١٩٦٠، وصدر ديوان ناجي بعد ذلك بعام، وقد أثار صدوره في ذلك الوقت ضجة صحفية اعتمدت على الإثارة أكثر مما اعتمدت على الدراسة المتأنية، وكان مثار تلك الضجة هو أن الديوان قد تضمن عن طريق الخطأ قصائد من شعر الدكتور

كمال نشأت، نظراً لأن أعضاء اللجنة قد توهموا أنها لناجي، والواقع أن ديوان ناجي - منذ صدوره عام ١٩٦١ حتى الآن - لم يظفر بدراسة واحدة من الدراسات الموضوعية المتأنية بعد أن هدأت الضجة الصحفية، بل تلاشت أصداؤها تماماً في حينها، ولست أزعم أن العناية الإلهية قد أرسلتني لأقوم بهذه الدراسة الموضوعية المتأنية، فالحق أن قصارى ما سأفعله الآن هو أن أبرز عدداً من النقاط المتعلقة بتحقيق ديوان ناجي، وهي نقاط لم يشر إليها أحد من قبلي ولو عَرَضاً على الرغم من اشتراك الكثيرين من النقاد والصحفيين في أحداث الضجة التي أعقبت صدور الديوان، وقبل أن أبرز تلك النقاط أحب أن أبين تصوري الخاص لما سار عليه أعضاء اللجنة في عملهم، ومن خلاله سيتضح للقارئ أن السبب الجوهري فيما وقع فيه هؤلاء الذين حققوا الديوان أنهم لم يوزعوا العمل عليهم توزيعاً يحقق له الأسلوب العلمي، فأحمد رامي - فيما أتصور - اكتفى بما أسهم به من قبل في جمع قصائد «الطائر الجريح» وكان بهذا عضواً شرفيا لا عضواً عاملا، وصالح جودت تحمل معظم أعباء العمل لكنه اعتمد كلية على ذاكرته، ويبدو أن صداقته الطويلة لناجي قد ملأته بالثقة فيما كان يذكره أو يجمعه، أما شقيق ناجي فقد كان عضواً صوريا يستمد عضويته من كونه شقيقاً للشاعر فحسب دون أن يكون مؤهلا للقيام بتحقيق الأعمال الأدبية، ويكفي أنه هو الذي قدم لبقية الأعضاء قصائد كمال نشأت ظاناً ضمها، إلى ديوان ناجي على أساس أنها له وأنه صاحبها، ويبقى من الأعضاء الدكتور أحمد هيكل الذي امتلأت نفسه بالثقة - فيما أتصور لأن اللجنة تضم معه شاعرين صديقين لناجي إلى جانب شقيقه - ولهذا فإنه

لم يحاول أن يتثبت تثبتاً علمياً مما كان يذكره صالح جودت من أمور اعتمد فيها على ذاكرته وحدها.

وهكذا يمكن القول إن صالح جودت على وجه التحديد قد وقع في الأخطاء التالية:

١ - ذكر في هامش قصيدة «صخرة الملتقى» أن ناجي «نظم هذه القصيدة في المنصورة حوالى عام ١٩٢٨» (ص ٢١٠ من الديوان) والثابت بالدليل القاطع أن ناجي قد نشر هذه القصيدة في جريدة السياسة الأسبوعية بتاريخ ٦ أغسطس ١٩٢٧، فكيف إذن نظمها حوالى عام ١٩٢٨؟!.

٢ - ذكر في هامش قصيدة «قلب راقصة» أن ناجي «نظم هذه القصيدة سنة ١٩٣٥، وكانت ملهمته فيها هي الراقصة كريمة أحمد» (ص ٢٦٧ من الديوان) والثابت بالدليل القاطع أن ناجي قد نشر هذه القصيدة ضمن قصائد ديوانه الأول «وراء الغمام» وقد صدر الديوان في مايو ١٩٣٤، فكيف إذن نظمت القصيدة عام ١٩٣٥؟!.

٣ - ذكر في هامش قصيدة «مرثية الشاعر الهمشري» أن ناجي نظم هذه القصيدة في رثاء «محمد عبدالمعطى الهمشرى» الشاعر الذى رحل عن الدنيا وهو في الثلاثين من عمره سنة ١٩٣٩» (ص ٢٧٢ من الديوان) والثابت من جميع المراجع التي تحدثت عن الهمشري بما فيها كتاب صالح جودت نفسه «م . ع . الهمشري - حياته وشعره» أن هذا الشاعر الرقيق قد غادر دنيانا عام ١٩٣٨.

ووقعت اللجنة - مجتمعة - في الأخطاء التالية:

١ - قال ناجي في البيت التاسع من أبيات قصيدته الشهيرة «العودة»:

أيها الوكر إذا طار الأليف

لا يرى الآخر معنى للسماء

وقد نشرت قصيدة العودة ثلاث مرات، وفيها هذا البيت بصورته التي قدمتها، نشرت في العدد التاسع من مجلة «الأسبوع» الصادر في ٢٤ يناير ١٩٣٤، وكانت قد نشرت قبل هذا بعامين في مجلة أبولـو، وعلـى وجـه التحديد في عدد سبتمبر ١٩٣٢ منها (ص٤٨) وقد نشرت ضـمن قـصائد «وراء الغمام»، ومع هذا فإن البيت الذي ذكرته قد تغيرت صـورته بتغـيير «للسماء» إلى «للهباء» على الرغم من أن السماء أشمل وأعمـق إذا صـرفنا النظر عن الأمانة العلمية، وقد نشر البيت (ص ٣٩ من الديوان).

٢ - قال ناجي في أحد أبيات قصيدة «السراب في السجن» وهـي «الجزء الثالث» مما يسميه شاعرنا «ملحمة السراب»:

يا عزيز الجنى عليك سلام

كيف جادت بقربك الأقدار؟

وقد نشر هذا البيت بصورته هذه ضمن القصيدة كلها مرتين: أولاهما في العدد ٦٣٩ من مجلة الرسالة الصادر بتاريخ أول أكتوبر ١٩٤٥، وثانيتهما ضمن «ليالي القاهرة» الذي صدر كما بينت عام ١٩٥٠، ومع هذا فإن هذا البيت قد تغيرت صورته بتغيير لفظة «جادت» بلفظة «جاءت» على الـرغم

من أن اللفظة الأولى أكثر إيحاء وبالتالي أعمق شاعرية، وقد نشر البيت في (ص ٦٠ من الديوان) وأصبح الشطر الثاني (كيف جاءت بقربك الأقدار؟).

٣ - نشر محققو الديوان هامشاً ذيلوا به قصيدة «لقاء في الليل» (ص ١٤٥) وهذا نصه: «في هذا المقطع بيت ناقص، وقد وجدناه ساقطاً من أصل القصيدة في ديوان: «ليالي القاهرة» وهذا بطبيعة الحال غير صحيح، ففي صفحة ٢٢٦ من ديوان «ليالي القاهرة» كتب ناجي يقول ما نصه: «استدراك - في صحيفة ٣٥ قبل البيت الأخير سقط من الطبع البيت التالي:

قلت اهدئي لِمَ ثورة الندم

كفاك ترتجفان يا أمني

وسنرى بعد قليل أن أحمد حجازي قد ولد خطأ خاصا من هذا الخطأ الذي وقعت فيه اللجنة!

٤ - قال ناجي في قصيدة «انتظار» (ص ١١٤ من «وراء الغمام..»)

فتصطخب العواطف ساخرات

وتطعنني بأطراف الحراب

ولم يصحح الشاعر البيت بإبدال «العواطف» بلفظة «العواصف» لأنه كان قد ذكر هذا البيت مصححاً في نفس القصيدة، وبالتالي فإنه ترك أمر تصحيحه للقارئ الذكي، لكن أعضاء اللجنة لم يهتموا بتصحيح البيت وهذا ما يجده القارئ في (صفحة ٣١٠ من الديوان)..

٥ – ذكر محققو الديوان هامشا ذيلوا به قصيدة «إهداء ديوان» هذا نصه: «هذه القصيدة هي إهداء ديوانه الأول «وراء الغمام» وقد أشرنا إليها في التمهيد لهذا الديوان الشامل (ص ٢٥٧ من الديوان) ، وهذا غير صحيح، فبالرجوع إلى جريدة «السياسة الأسبوعية» وجدت أن ناجي قد نشر هذه القصيدة في عدد السبت ٦ سبتمبر ١٩٣٠، وكان عنوانها «إهداء أشعار» وقد صدرها بقوله «طلب من الشاعر مجموعة من شعره فقدمها بالأبيات التالية»، ومن المعروف بالطبع أن ديوان «وراء الغمام» قد صدر في مايو ١٩٣٤ أى بعد نشر تلك القصيدة في السياسة الأسبوعية بخمس سنوات ..

٦ – ذكر محققو الديوان في الكلمة الموقعة باسم «اللجنة» (ص ٧ من الديوان): «أننا قد وضعنا في نهاية هذا الديوان فهرساً يسجل مصدر كل قصيدة برقم صفحتها في المصدر»، والباحث في نهاية هذا الديوان لا يستطيع العثور على هذا الفهرس مهما يطل به البحث، وبذلك تكون اللجنة قد ذكرت في مفتتح الديوان أنها ستنفذ أمراً، ووقع بعدئذ نوع من السهو أو النسيان، فأنساها أن تنفذ في نهاية الديوان ما ذكرته في المفتتح.

٧ – قدم شقيق ناجي إلى اللجنة قصائد من شعر الدكتور كمال نشأت، وطلب ضمها إلى ديوان ناجي على أساس أنها له وأنه صاحبها، ولم تحاول اللجنة التثبت من هذا تثبتاً علمياً، فكانت النتيجة أن اندست ست عشرة قصيدة لكمال نشأت في «ديوان ناجي»: خمس عشرة قصيدة منها

نشرها الشاعر ضمن قصائد ديوانه «رياح وشموع» الصادر عام ١٩٥١، أما القصيدة السادسة عشرة فقد نشرها كمال نشأت في إحدى الجرائد اليومية كما يقول هو نفسه وهي قصيدة «يا مصر» كما أنني وجدتها منشورة في مجلة «الثقافة» .. وقصائد كمال نشأت حسب ترتيبها في ديوان ناجي هي: «انتظار القافلة» ص ٤٥، «بحيرة البجع» ص ٥٢،«رحلة في الظلام» ص ٧٨، «وداع - صورة جندي من هنود كشمير» ص ٩٨ «حديث فراشة» ص ١١١ «إلى البحر» ص ١١٤، «ربيعي» ص ١٦٢، «نسمة الفجر» وص ١٧٤، «حديث فراشة - القسم الثاني» ص ١٨٣، «رياح وشموع» ص ٢٠١، «لقاء» ص ٢٠٢، «يقظة الرماد» ص ٢١٥: «مارسيان» ص ٣٢٥ «شيتان من العراق» ص ٣٢٦، «نبع وقطرات» ص ٣٥٦ ومن المهم ذكر الصفحة التي نشرت فيها القصيدة الأخيرة في ديوان كمال نشأت فقد نشرت في ص ٥٣، وقد ذكرت «النجنة» (ص ٧ من الديوان) «إننا حرصنا على إثبات تواريخ القصائد التي استطعنا أن نظفر بتواريخها ومكان نظمها أيضاً» والواقع أن القصائد المؤرخة والمذيلة بأماكن نظمها هي قصائد كمال نشأت الذي كان يحرص على إثبات تواريخ قصائده، وأماكن نظمها، أما شاعرنا ناجي فإنه لم يحرص على هذا في أية قصيدة من قصائد دواوينه، ولكن ما سر وجود قصائد كمال نشأت لدى ناجي؟ الأمر بسيط، فقد قدم كمال نشأت- وكان معجباً بشاعرنا - مخطوطة ديوانه «رياح وشموع» لكي يكتب

له مقدمة، وعندما طال انتظار كمال نشأت لها آثر آسفاً أن ينشر ديوانه بدونها، وترك المخطوطة عند ناجي دون أن يطلبها منه وظلت بين أوراقه إلى أن رحل عن عالمنا وهنا قدمها شقيقه إلى اللجنة على أساس أنها له، وهذه القصة تذكرنا بقصة القصيدة المطولة التي كتبها بدر شاكر السياب بعنوان: «بين الروح والجسد» والتي قيل إنها تناهز الألف بيت، فقد أرسلها السياب إلى علي محمود طه ليكتب لها هو الآخر مقدمة، وإلى الآن لم يعثر عليها بين أوراق علي محمود طه، والحق أنه كان ينبغي على اللجنة لاعتبارات فنية واضحة أن تميز بين قصائد ناجي وقصائد كمال نشأت، صحيح أن كمال نشأت كان متأثراً بناجي في بعض قصائده، ولكن هذا التأثر لم يصل إلى حد عدم التمييز بين قصائد الشاعرين، وهناك قصائد أخرى تأثر فيها كمال نشأت أوضح التأثر بشعراء المهجر مثل قصيدة «ربيعي» و «نبع وقطرات» ولم يكن ناجي ممن تأثروا بشعراء المهجر فيما كتب، وهناك قصائد أخرى تتسم بغلبة الصور الحسية وتصوير التجارب الجنسية مثل قصيدة «في معبد الليل» وهي ما لايمكن لناجي أن يكتبه لأنها تخالف طبيعته ومن أبياتها:

فنام الضوء خجلاناً على مصباح نشوانِ
قريراً لا تنبهه سوى أنات تحنانِ
وكان الليل مرتمياً على النافذة الوسنى

تنـــــصّتَ خلـــــسةً يرنــــو إلى معبــــــــدنا الأســــــنى
فــشاع الــسرُّ بــين الليـــــــــــــل والأنجـــم والزهـــر
وإذ بــــــالفجر بــــــساما إلى إلفــــــين في خــــــدر

وهناك قصائد أخرى تتسم بتنويعات عروضية شكلية، لم يكن ناجى قد استخدمها في قصائده ومنها «انتظار القافلة» و «مارسيان».

٨ – نسب محققو الديوان إلى ناجى أربعين بيتاً ليست من شعره، وإنما هى من شعر على محمود طه، وهى قصيدة بعنوان «المرأة» (ص ١٧١ مـــن الديوان) والحقيقة أن على محمود طه قد نشر قصيدته هذه عدة مرات في عدة مجلات قبل أن ينشرها في «أرواح وأشباح» الذى صدر عام ١٩٤٢.

ومن العجيب، بل من الغريب أن صالح جودت ظل مصرا على الخطأ وأن الخطأ ليس خطأ بل بـ عين الصواب!، فبعد أن كتبت جريدة «أخبـــار اليوم» – عدد ١٢ سبتمبر عام ١٩٦٦ عن هذا الخطأ واعتبرته فضيحة أدبية، فإن صالح جودت كتب مقالا في مجلة «المصور» – عدد ٧ أكتوبر عـــام ١٩٦٦، وكان عنوان مقاله «قصيدة المرأة لشاعر الأطلال لا شاعر الجندول» وقال في مقاله بالنص: « .. فالأبيات إذن لناجى، لا لعلـــى محمـــود طـــه والفضيحة إذن ليست فضيحة لأحمد رامى وصالح جودت وأحمد هيكل الذين نشروا ديوان ناجى .. وإنما هى مردودة على من اخترعوها في تجـــرد مـــن النبل..» ولو كان صالح جودت قد كلف نفسه أن يقلب صفحات «أرواح

وأشباح» لعلي محمود طه، لما كان قد كتب مقاله هذا، ولكسان قـــد آثــر الصمت تماماً!! ..

٩ – كانت عملية جمع قصائد ناجي التي لم ينشرها في ديوانه خلال حياته، تتم بطريقة مرتجلة، تعتمد على المصادفة وحدها، ولهذا نسي أعـــضاء اللجنة أن يجمعوا قصائد كثيرة من صفحات المجلات والجرائد، وقد قدر لي أن أقوم بجمع قصائد عديدة لم يدر ببالي ولا ببال غيري أنها راقدة في ثنايا تلـــك المجلات والجرائد، هذا بينما اعتمد أعضاء اللجنة على الذهاب إلى ملـــهمات ناجي لكي يسألوهن عما إذا كان شاعرنا قد نظم فـــيهن شـــعراً، ومـــن الملهمات اللائي ذهب إليهن أعضاء اللجنة كما يذكرون هـــم (ص ٥ مـــن الديوان) الملهمة «سونيا التي قدمت لنا بعض مناديلها وأمشاطها وأتوجرافاتها فجمعنا منها أربع قصائد نظمها ناجي لها في جلسة واحدة، وتجدونها في هذا الديوان، وهي «كيف أنساك؟» و «خشوع» و«عيد سونيا» و«دنيا» ..» ..

ولكي أبين خطورة الاعتماد على «الملهمات» وغيرهـــن في مجـــال التحقيق العلمي للنصوص الأدبية فإنني أحب أن أشير إلى أن محققي الديوان قد نشروا بيتين لناجي وذيلوهما بالهامش التالي «عن مخطوطة قدمتها إلينا الآنسة ضوحية كريمة الشاعر» (ص ٢٢١)؛ والواقع أن هذين البيتين هما آخر بيـــتين من قصيدة نشرها ناجي في العدد الخامس من المجلد الثالث عشر مـــن مجلـــة «مجلتي» وهو العدد الـــصادر بتـــاريخ ٢٧نـــوفمبر ١٩٣٨ – (ص ٢١٩)

والقصيدة بعنوان «بعد الشباب» وسيطالعها القارئ كاملة نقلا عن: «مجلتي» ضمن «القصائد المجهولة» والواقع أن ناجي قد نشر هذه القصيدة مرتين أخريين بعد نشرها في مجلة «مجلتي» إذ أنه نشرها في مجلة «الحديث» الحلبية ومجلة «الهلال»..

«مختارات من قصائد ناجي»

في عام ١٩٧١ صدرت عن دار الآداب - البيروتية مختارات من قصائد ناجي، اختارها وقدم لها أحمد عبدالمعطي حجازي الذي تردى فيما ترددت فيه لجنة تحقيق «ديوان ناجي» على الرغم من أنه هاجم أعضاء تلك اللجنة -- في مقدمته - ونسب إليهم الإهمال .. وقع أحمد عبدالمعطي حجازي في أخطاء عديدة، لن أذكر هنا إلا أهمها:

١ - ذكر أحمد عبد المعطي حجازي أن «ناجي كان يعمل طبيباً في المنصورة حوالي عام ١٩٢٩» (ص ١٧ من إبراهيم ناجي - قصائد)، والواقع أن هذا غير صحيح فقد عمل ناجي طبيباً في المنصورة عام ١٩٢٧.

٢ - قال أحمد حجازي «وناجي يعطي نفسه الحرية في أن يجعل التاء المنونة في كلمة مثل «هادئة» قافية ..» (ص ٢٥ من إبراهيم ناجي - قصائد) والواقع أن التاء المنونة لا تسمى في العروض قافية، وإنما يطلق عليها حرف الروي، ويمكن لحجازي الرجوع إلى أي كتاب في العروض لكي يتثبت من هذا، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإن هذا المثال الذي استشهد به

حجازى لم يتكرر مطلقاً في شعر ناجي وهو بهذا الشكل ظاهرة من ظـــواهر التجديد عند ناجي، كما بيّن حجازى، فضلا عن قبح حرف الروى بالصورة التي أورده بها ناجي، والتي جعلته لا يكرر هذا في شعره مطلقاً، وهذان همـــا البيتان اللذان جرى فيهما هذا:

وتيـــق يـــا هـــذي الـــبحيرة في حاليـــك ثـــائرة وهادئـــةٌ
في باســـق المســـاء منعطـــف في رائعـــات الـــصخر ناتئـــةٌ

هذان البيتان من قصيدة «الـــبحيرة» المعربـــة (ص ١٣٩ مـــن وراء الغمام).

٣ - قال أحمد حجازى إن ناجي «في إحدى قصائده المكونة مـــن مقاطع ثنائية يورد مقطعاً مكوناً من بيت واحد غير حريص على إكماله ببيت آخر لتظهير القافية» (ص ٢٥ من إبراهيم ناجي - قصائد)، وقـــد ســـبق أن ذكرت أن حجازى قد ولد خطأً خاصا من الخطأ الذي وقعت فيه لجنة تحقيق ديوان ناجي، فقد أشرت من قبل إلى الهامش الذي نشره محققو الديوان وذيلوا به قصيدة «لقاء في الليل» وهذا نصه مرة أخرى: « في هذا المقطـــع بيـــت ناقص، وقد وجدناه ساقطاً من أصل القصيدة في ديوان «ليالي القاهرة» وهذا بطبيعة الحال غير صحيح، فالبيت الناقص أورده ناجي في ص ٢٢٦ من ديوان «ليالي القاهرة» وذكر مستدركاً أنه سقط من الطبع، ولكن المحققين لم يرجعوا

إلى هذه الصفحة، وجاء أحمد حجازى فاعتمد عليهم ولم يرجع إلى ديوان «ليالى القاهرة»؛ ثم استنتج حجازى من هذا أن «هذا كله ما جر على ناجى سخط النقاد المتعصبين للقواعد كالدكتور طه حسين وجعلهم يحسبون أنهم أمام شاعر غير مكتمل الأدوات» (ص ٢٦ من إبراهيم ناجى - قصائد.) والواقع أن الدكتور طه حسين -- كما هو معروف وكما بينت من قبل - لم ينقد ديوان «ليالى القاهرة» وإنما نقد ديوان «وراء الغمام» فحسب، بينما يرد البيت الذى توهمت اللجنة أنه ناقص فى ديوان «ليالى القاهرة»، ثم إننا لا نستطيع أن نقول عن شاعر إنه جدد فى قوافيه لمجرد أنه أورد بيتاً واحداً فى مقطع ثنائى الأبيات على فرض صحة هذا، وهو غير صحيح، فلكى نتحدث عن تجديد شاعر ما فإنه لابد أن يكون لهذا التجديد خصائصه وسماته التى يكون بمقدوره من خلالها أن يشكل ظاهرة واضحة فى شعر هذا الشاعر: على أى حال فهذان هما البيتان اللذان يشكلان المقطع الثنائى لكى يتبين لحجازى أن المقطع ليس مؤلفاً من «بيت واحد» كما ذكر:

قلت اهدئى لِمَ ثورة الندمِ ... كفاك ترتجفان يا أملى
وأخذت أدفئ بردها بفمى ... لو تستعنَّ حرارة القبل

٤ - ذكر حجازى أن ناجى «نشر فى عــام ١٩٣٠ أولى قــصائده «صخرة الملتقى» فى جريدة «السياسة الإسبوعية»، والحق أنى لست أدرى من أين أتى حجازى بهذا التاريخ؟ ... فقصيدة «صخرة الملتقى» منشورة فى عدد «السياسة الاسبوعية» الصادر بتاريخ ٦ أغسطس ١٩٢٧ - صفحة (٢٠) - كما ذكرت من قبل.

٥ - ذكر حجازى أن ناجى «توفى يوم ٢٥ مارس سنة ١٩٥٣» (ص ٢٩ من إبراهيم ناجى - قصائد) وهذا غير صحيح، ولكن من الأمانة أن أقول إن كل المراجع التى ذكرت تاريخ وفاة ناجى قد وقعت فيما وقع هو فيه من خطأ باستثناء صالح جودت الذى قال «وتنتهى قصة الشاعر الخالد فى يوم ٢٤مارس سنة ١٩٥٣» (ص٢٣ من مقدمة ديوان ناجى) والواقع أننى راجعت أعداد شهر مارس من جريدة «الأهرام» لكى أتثبت من التاريخ الحقيقى لوفاة الشاعر إلى أن عثرت فى «الأهرام» عدد ٢٥ مارس ١٩٥٣ - ص ١١ على هذا النعى: «أفزع المحافل الطبية والأدبية بعد ظهر أمس نبأ مفاجئ تعى إليها الطبيب الشاعر المغفور له .. الدكتور إبراهيم ناجى .. فكان للمصاب فيه وقع أليم فى نفوس مقدريه من أصدقائه وعارفيه، لقد وهب الفقيد حياته للطب والأدب فبرع فى كليهما وسخر كفايته فيهما لخدمة الإنسانية والمثل العليا، فكان طبه ملاذاً لمرضى من الفقراء والمحتاجين، وكان شعره إشراقاً من وحى الروح الأمين، يهدى إلى الحق المبين وينير

الطريق للحائرين، وكان الدكتور ناجى طبيباً موظفاً فى مصلحة السكك الحديدية وفى وزارة الصحة وفى وزارة الأوقاف، ثم اعتزل الخدمة الحكومية منذ شهرين: بعد أن ترك فى كل دائرة من دوائر عمله أثراً مذكوراً بالتقدير والعرفان على كل لسان، ولن ينسى أحد ممن عرفوه ما كان عليه من دماثة الخلق وفضيلة التواضع ورقة الحاشية والسمو بالواجب إلى أعلى المراتب، طيب الله ثراه، وجعل الجنة مثواه وألهم ذويه وأصدقاءه الصبر الجميل».

٦ - ذكر حجازى أن وزارة الثقافة «أصدرت عام ١٩٦٠ ديوان ناجى الكامل الذى ظهرت به بضع عشرة قصيدة من الأشعار الأولى للشاعر المصرى كمال نشأت نتيجة لإهمال المكلفين بجمعه وتحقيقه وهم أحمد رامى وصالح جودت والدكتور أحمد هيكل ومحمد ناجى شقيق الشاعر وكان ذلك سبباً فى ضجة كبيرة».

والواقع أن الديوان صدر عام ١٩٦١ لا عام ١٩٦٠ كما أنه «لم تظهر به بضع عشرة قصيدة من الأشعار الأولى للشاعر المصرى كمال نشأت» فحسب، وإنما تضمن قصيدة «المرآة» وهى لعلى محمود طه وقد سبق أن بينت هذا.

٧ - على الرغم من أن أحمد حجازى نسب الإهمال إلى لجنة تحقيق ديوان ناجى إلا أنه هو نفسه قد تردى فيما تردت فيه اللجنة، إذ أنه ضمَّن المختارات التى اختارها من قصائد ناجى قصيدة ليست له، وإنما هى لكمال نشأت، (راجع ص ٧٩ من إبراهيم ناجى - قصائد) والقصيدة بعنوان «نبع

وقطرات» ويمكن للقارئ الرجوع إليها في ص ٥٣ من ديوان «رياح وشموع» للشاعر كمال نشأت، وكان حريا بحجازي بدلا من أن يشغل نفسه بالهجوم على غيره أن يشغل نفسه بقراءة القصيدة بتمعن، لكي يكتشف من خلال موضوعها ومن خلال صورها وتراكيبها اللغوية أنها لشاعر متأثر بشعراء المهجر تأثراً واضحاً، ففي القصيدة أنفاس من ميخائيل نعيمة وجبران خليل جبران بشكل خاص، وهذه بضعة أبيات منها:

كنت في عمري الغرير صغيرا ... يرهب البحر ذا العباب العتي

ويخاف الأعماق فيه ويخشى ... من فنساء في لجسه الأزلي

فإذا بي الفناء والخلد والليـ ... ـل وإشراقة الصباح الرضي

والذي يلمس الإله بجنبيه ... يشيم الإله في كل شي

في ارتعاش الغصون في بسمة ... الطفل وفي آهة بقلب شجي

في صلاة النساك في حانة اللهـ ... ـو وفي دمعة البئيس الرضي

والسعيد السعيد من وجد ... الكون على قلبه الكبير النقي

إن القارئ لهذه القصيدة يلمس أن صاحبها يترسم خطى ميخائيل نعيمة في قصيدة «كحل اللهم جفني» على وجه التحديد، وهي إحدى قصائد ديوانه «همس الجفون»، ولا ننسى هنا إن نقول إن كمال نشأت صاحب هذه القصيدة كان يعد رسالة الماجستير في ذلك الوقت عن «شعر المهجر»، كما أن ناجي - في شعره كله - لم يكن يلجأ إلى التصغير كان يقول «نمر» بدلا

من «قمر» أو «شجيرة» بدلا من «شجرة»، كما أن البيت الأخير من الأبيات التى أوردتها يشير إلى أن كمال نشأت كان معجباً بقصيدة «صلوات فى هيكل الحب» للشاعر التونسى أبو القاسم الشابى، وهذا كله يجعل قصيدة كمال نشأت بعيدة الصلة عن روح شعر ناجى إذا ما أردنا أن نلتمس العذر لأحمد حجازى. ولكن ما الذى جعل حجازى يتردى فى كل هذه الأخطاء؟ السبب - فى اعتقادى الثابت - أنه تعجل كتابة مقدمته واختيار قصائد ناجى، فما كان منه إلا أن يلجأ إلى ديوان ناجى الذى حققته اللجنة، وكان ينبغى عليه فعلا أن يلجأ إلى دواوين ناجى نفسها، ويقارن بينها وبين ديوان ناجى، وهناك دلائل كثيرة تشير إلى أن حجازى لم يرجع إلى دواوين ناجى نفسها، منها على سبيل المثال ورود الشطر الثانى من أحد أبيات قصيدة «العودة» على النحو التالى (لا يرى الآخر معنى للهناء)، وهذا مالا يجده القارئ فى ديوان «وراء الغمام» كما بينت من قبل فى معرض حديثى عن أخطاء اللجنة بل إن حجازى لم يهتم حتى بتصحيح الشكل فى هذا الشعر، فكلمة «الآخر» - وهى فاعل - تجىء مفتوحة لا مضمومة فى نص القصيدة من ديوان ناجى وحده، وهى تجىء على نفس الصورة الخاطئة فى مختارات حجازى؛ ومن دلائل اعتماد حجازى على ديوان ناجى وحده، أن عبارات عديدة من عبارات صالح جودت فى مقدمته لهذا الديوان تندس فى ثنايا مقدمة حجازى، فضلا عن قصيدة كمال نشأت التى نقلها حجازى - بطبيعة الحال - من ديوان ناجى..

«في معبد الليل» – الديوان الملفق

في أواخر عام ١٩٧٣ صدرت عن دار العودة البيروتية طبعات جديدة من دواوين ناجي «وراء الغمام» و «ليالي القاهرة» و «الطائر الجريح»، وقد وقعت الطبعات الجديدة في أخطاء عديدة؛ لكن ما يهمني الآن هو الإشارة إلى ديوان رابع بعنوان «في معبد الليل» صدر عن نفس الدار البيروتية والحق أن هذا الديوان ديوان ملفق بكل معنى الكلمة.

ماذا عن الديوان الملفق؟! .. يضم هذا الديوان خمساً وثلاثين قصيدة، أربع قصائد لم تنشر من قبل لناجي في المجلات أو الجرائد الأدبية وقد صدر الناشر بهذه القصائد ديوان «في معبد الليل» الملفق، وهي على النحو التالي: قصيدة «إلى أميرتنا» وهي ثلاثة أبيات كتبها ناجي في عيد ميلاد ابنته «أميرة» (الرابع عشر يوم ١٩٤٦/٤/١٠)، وقصيدة «إلى ابنتي» وهي تتضمن خمسة أبيات كتبها ناجي لابنته أميرة مثل سابقتها وقصيدة «أبا الخلود» وقد كُتب تحتها هامش هذا نصه: «عندما زارت الشاعرة نازك الملائكة الدكتور ناجي في مصر أهدى إليها ديوانه ليالي القاهرة وقد كتب «الإهداء» هذه القصيدة التي أرسلتها إلينا الشاعرة من جامعة الكويت»، ويتضمن هذا «الإهداء» الشعري أربعة أبيات هي:

ماكان أقصر هذه من زورة ما أشبعتنا من بشاشة نازك
كلا ولا رؤى النهى من زهرة بالطهر تفصح عن سمات ملائك

إنّــــا حمــــدنا لليــــالي أنهـــــا   قد قربتنا مـــن ســـنى سمائـــك
إن كان أسعدنا الزمـــان بساعة   فكأنها أبـــد الخلـــود حيالـــك

أما القصيدة الرابعة فهي قصيدة «تكريم» (ص ٧٣٢) وهي – كما يذكر الهامش المكتوب تحتها (قصيدة الدكتور ناجي في الحفلة التي أقامها فريق من أنصار التجديد وأعلام المدرسة الحديثة تكريماً لصاحب مجلة الحديث الحلبية الأديب الراحل سامي الكيالي سنة ١٩٣٢» ومطلعها:

نفـــدي النـــزيل ونكرمن   إن لـــم نكرمـــــــه فمن؟

يبقى إذن من القصائد الخمس والثلاثين التي يضمها الديوان الملفق إحدى وثلاثون قصيدة جميعها – بلا استثناء – منقولة بنصوصها وهوامشها التي تعلق عليها من صفحات ديوان ناجي الذي حققه صالح جودت وشركاؤه، وهذه القصائد مرتبة حسب أولويتها في ديوان ناجي فأولى القصائد "إلى أمنية" يجدها القارئ في ديوان ناجي– تحقيق صالح جودت (ص ٥٤) والثانية «تحت الباب» يجدها القارئ في ديوان ناجي – تحقيق صالح جودت (ص ٩٠) والرابعة «عجباً» يجدها القارئ في الديوان المذكور (ص ١٠١) .. وهكذا تتوالى القصائد دون إشارة ولو سريعة إلى المصدر الذي نقلت عنه نصوصها وهوامشها!! ..

وفيما يتعلق بقصيدة «في معبد الليل» التي يحمل الديوان الملفق اسمها فإنها ليست من شعر ناجي، وإنما هي من شعر كمال نشأت كما سبق أن ذكرت وكررت!!..

قصائد مجهولة

في سنة ١٩٧٨ صدر عن مكتبة مدبولي بالقاهرة كتاب «إبراهيم ناجي – قصائد مجهولة – جمعها وقدم لها حسن توفيق»، يضم هذا الكتاب خمسين قصيدة مجهولة لناجي، منها اثنتان وثلاثون قصيدة نشرت في هذا الكتاب لأول مرة بعد أن قمت بجمعها من الجرائد والمجلات القديمة التي نشرت فيها، وأما بقية القصائد الثماني عشرة، فإن ناجي قد غير في نصوصها المعروفة تغييراً كبيراً، بشكل يجهله تماماً كل الذين لم تتح لهم فرصة الاطلاع على تلك النصوص عندما نشرها ناجي لأول مرة في الجرائد والمجلات المختلفة، وقد تصدرت هذه القصائد مقدمة مطولة مستفيضة، بينت فيها – ضمن ما بينته – مصدر كل قصيدة من تلك القصائد، ولست أريد الحديث عن هذا الكتاب، حتى لا أتهم بمجاملة النفس، لكني أكتفي هنا ببعض إشارات الآخرين إلى «قصائد مجهولة»: فقد تلقيت رسالة عطية من المهندس حسن ناجي، رأى عبر سطورها أن هذا الكتاب أعمق دراسة عن أخيه الدكتور إبراهيم ناجي، أما الشاعر والكاتب القدير كمال النجمي فإنه أسعدني حين كتب عن الكتاب مقالا مطولا على امتداد صفحتين في مجلة «المصور» عدد

٨ سبتمبر عام ١٩٧٨، وفيه يقول: «هكذا كان شاعرنا إبراهيم ناجي .. ذكرته رحمه الله حين تلقيت ديوانه «الجديد» الذي جمع فيه الشاعر الكاتب حسن توفيق قصائد مجهولة من ناجي .. وكتب لها مقدمة طويلة ممتازة، بيّن فيها ما وقع من الخلط في جمع شعر ناجي حين قامت بجمعه إحدى اللجان منذ سنوات، وقد أسدى الشاعر حسن توفيق إلى الشعر المصري الحديث يداً بيضاء بما بذله من جهد كبير في جمع هذه القصائد المجهولة التي استخرجها من الظلام كما تستخرج الجواهر من المناجم السحيقة» ..

وإذا كنت فرحت فرحاً عميقاً بعد صدور «قصائد مجهولة» إلا أن هذه الفرحة ما لبث أن تعكرت، بل كادت أن تتبدد، منذ أن علمت أن أحد أصدقاء ناجي الحميمين وأحد المثقفين المصريين القلائل الذين يعملون في صمت، وهو الكاتب وديع فلسطين، كان قد نشر عدة مقالات مطولة عن ناجي وعن شعره الضائع والمجهول في مجلة «الأديب» البيروتية، وحين قرأت هذه المقالات بعد صدور كتاب «قصائد مجهولة» أدركت مدى الخسارة التي لحقت بي ومدى الكسب المعنوي الذي كان يمكن أن يتحقق لو أتيح لي أن أتابع هذه المقالات قبل صدور كتابي هذا، وفي إحدى هذه المقالات يقول وديع فلسطين .. عدد أبريل ١٩٧٩ من مجلة «الأديب» .. «.. لا أريد أن أنتقص من قدر الجهد الذي بذله حسن توفيق، فالواقع أنه في بحثه عن ناجي وفي جريه وراء شعره الضائع قد صادفه التوفيق، ولكن من الخطأ القول إن

الخمسين قصيدة الواردة في كتابه هي كل شعر ناجي الضائع، فلا بد لأي دارس من أن يضيف إليها ما سبق لي جمعه، ولابد كذلك من التنقيب عن جديد من شعر ناجي الضائع استكمالا لديوانه الذي أصابه النحس منذ صدوره ..».

والواقع أني لم أقل إطلاقاً إن قصائد ناجي المجهولة تتمثل في خمسين قصيدة، بدليل أني سعيت - فيما بعد - إلى الأستاذ وديع فلسطين، واستفدت من مقالاته أكبر فائدة، وظللت أعاود البحث بكل ما أوتيت من جهد ومن طاقة، إلى أن أصبحت القصائد المجهولة التي تضمها هذه «الأعمال الشعرية الكاملة» مائة قصيدة وقصيدة، أي أنها تضاعفت من خمسين قصيدة إلى مائة قصيدة وقصيدة، ومع كل هذا فإني أعتقد بضرورة وجود قصائد أخرى مجهولة وإن تكن قليلة، لكني لم أستطع الوصول إليها ..

* هذه الأعمال الشعرية الكاملة

مع أني أدرك أن الكمال لله وحده، على اعتبار أن أيّ جهد بشري لا بد أن تشوبه نقائص وسلبيات، إلا أنني أستطيع القول، وأنا مطمئن إلى ما أقول، إن ما يشتمل عليه هذا المجلد هو الذي نستطيع أن نسميه - بحق - «الأعمال الشعرية الكاملة» للشاعر الرفيق الكبير الدكتور إبراهيم ناجي ..

تضم هذه «الأعمال الشعرية الكاملة» دواوين وقصائد ناجي على النحو التالي:

١ - «وراء الغمام» - وهو الديوان الأول للشاعر، والذى أصدره في مايو عام ١٩٣٤، وقد اعتمدت فى هذه «الأعمال الشعرية الكاملة» على نسخة الطبعة الأولى التى تضمها مكتبتى الخاصة، والتى كتب عليها ناجى إهداء بخط يده لأحد مفتشي وزارة المعارف، كما سبق أن أشرت، وقد حرصت على إثبات مقدمة أحمد الصاوى محمد للديوان وقصيدة «إلى ناجى الشاعر» التى تتصدر الديوان والتى كتبها الدكتور أحمد زكى أبو شادى تحية لناجى ..

٢ - «ليالى القاهرة» - وهو الديوان الثانى للشاعر، والذى أصدره عام ١٩٥٠ وليس عام ١٩٤٣ أو عام ١٩٤٤ أو عام ١٩٥١، كما سبق أن بينت بالدليل القاطع، وقد اعتمدت فى هذه «الأعمال الشعرية الكاملة» على نسختى من الطبعة الأولى التى تضمها مكتبتى الخاصة، والتى كنت قد حصلتُ عليها - هدية - من مكتبة مدرسة روض الفرج الثانوية أيام أن كنت طالباً بها، وقد حرصت على إثبات مقدمة إبراهيم الدسوقى أباظة «باشا» التى تتصدر الديوان، كما أننى لم أسقط القصيدتين اللتين كتبهما ناجى عن الملك فاروق الأول فى عيد ميلاده، وعيد تتويجه، حيث حرصت على إثباتهما كما وردتا فى الطبعة الأولى.

٣ - «الطائر الجريح» - وهو الديوان الثالث للشاعر، والذى صدرت طبعته الأولى عام ١٩٥٧ عن دار المعارف بمصر ضمن سلسلة «فى ظلال

الوحي» وقد اعتمدت في هذه «الأعمال الشعرية الكاملة» على النسخة التي تضمها مكتبتي الخاصة من هذه الطبعة الأولى، وحرصت على إثبات المقدمة التي كتبها محمد عبد الغني حسن لهذا الديوان كما أنني أضفت الأبيات التي كان أحمد رامي قد حذفها من بعض تلك القصائد، أثناء جمعه لقصائد هذا الديوان.

٤ - «قصائد من ديوان ناجي» - وقد رأيت أن أسميه الديوان الرابع للشاعر، أما القصائد التي يشتمل عليها فهي القصائد المتبقية من «ديوان ناجي» الذي حققته اللجنة المكونة من صالح جودت وأحمد رامي والدكتور أحمد هيكل ومحمد ناجي، وهذه القصائد المتبقية هي التي لم تضمها دواوين «وراء الغمام» و «ليالي القاهرة» و «الطائر الجريح» وعدد هذه القصائد التي جمعها أعضاء تلك اللجنة ثمان وعشرون قصيدة، أضفت إليها أربع قصائد هي «إلى أميرتنا» و «إلى ابنتي» و «أبد الخلود» و«تكريم» وهي القصائد التي كان الناشر - دار العودة البيروتية - قد أضافها إلى القصائد الثماني والعشرين التي جمعها أعضاء اللجنة، وأصدرها بمجمعه تحت عنوان «في معبد الليل» والذي سبق أن ذكرت أنه ديوان «ملفق»، وبهذا يكون مجموع «قصائد من ديوان ناجي» الذي تضمه «الأعمال الشعرية الكاملة» اثنين وثلاثين قصيدة، وقد اعتمدت هنا على الطبعة الأولى من «ديوان ناجي» والتي استعرت نسخة منها

من الأستاذ وديع فلسطين بعد ضياع نسختي الخاصة، كما اعتمدت على نسختي مما سماه ناشره «في معبد الليل».

٥ - «قصائد مجهولة» - وقد رأيت أن أسميه الديوان الخامس والأخير للشاعر، وقد صدر «قصائد مجهولة» في طبعته الأولى عام ١٩٧٨ بعد أن جمعت قصائده وقمت بتحقيقها وكتبت لها مقدمة علمية مطولة، وصدرت طبعة أخرى من «قصائد مجهولة» في بيروت عن «المركز العربي للثقافة والعلوم»، دون استئذان أو موافقة مني على صدورها، أي أنها صدرت في إطار القرصنة الأدبية! وهذه الطبعة ليست مؤرخة، وقد اشتريت نسخاً منها من عدة مكتبات في بغداد عندما كنت أزورها عام ١٩٨٣.

كان ديوان «قصائد مجهولة» في طبعتيه الأولى والثانية المزورة يضم خمسين قصيدة مجهولة، أما «قصائد مجهولة» الذي تضمه هذه الأعمال الشعرية الكاملة، فإنه يضم مائة قصيدة وقصيدة..

وقد قمت بترتيب «قصائد مجهولة» ترتيباً تاريخياً أي أن القارئ سيجد قصائد لناجي كتبها من عام ١٩٢١ وهو العام الذي سبق تخرجه من «مدرسة الطب السلطانية» وحتى شهر فبراير عام ١٩٥٣ أي قبل رحيله عن عالمنا بشهر واحد، حيث إنه قد رحل عن عالمنا -- كما نعرف - يوم ٢٤ مارس عام ١٩٥٣.

وتشتمل هذه الأعمال الشعرية الكاملة» على ثلاثمائة وسبع عشرة قصيدة على النحو التالي:

١ - ديوان «وراء الغمام» - يضم أربعاً وخمسين قصيدة.

٢ - ديوان «ليالي القاهرة» يضم أربعاً وسبعين قصيدة.

٣ - ديوان «الطائر الجريح» يضم ستا وخمسين قصيدة.

٤ - «قصائد من ديوان ناجي» - يضم اثنتين وثلاثين قصيدة ..

٥ - «قصائد مجهولة» - يضم مائة قصيدة وقصيدة.

وإذا كنت قد جمعت مائة قصيدة وقصيدة، وكانت قصائد ناجي كلها (٣١٧) قصيدة، فهذا يعني أنني قد جمعت ما يقرب من ثلث قصائد ناجي التي تشتمل عليها هذه «الأعمال الشعرية الكاملة». وقد راعيت أن أثبت تاريخ نشر أو كتابة كل قصيدة من القصائد المجهولة في الهامش الخاص بكل منها، أما تفاصيل المصادر المتعلقة بتلك القصائد، فإنها موجودة بصورة مفصلة ومستقلة لكي يتابعها الباحثون والدارسون إذا شاءوا أن يتابعوا.

وإذا كانت هذه الطبعة التي تصدر عن «المجلس الأعلى للثقافة» هي الطبعة التي نستطيع أن نسميها بكل تأكيد «الأعمال الشعرية الكاملة» لإبراهيم ناجي فإن الجهد الذي قمت به هو - بطبيعة الحال - جهد فردي ، وليس جهد «لجنة» ومن هنا فإنني أتحمل وحدي مسئولية عبء جمع وتحقيق ودراسة هذه «الأعمال الشعرية الكاملة»..

لكن الجهد الفردي الذي قمت به لم يكن ليتحقق على النحو الذي تحقق به، لولا مساعدات وتشجيع كثيرين من الذين يعشقون ناجي، ولابد لي هنا من الاعتراف بفضل الإنسان الرائع الكاتب وديع فلسطين الذي فتح لي آفاقاً كبيرة، وأعارني الكثير من الكتب التي طلبت منه أن يعيرني إياها، كما أن مقالاته التي كتبها في مجلة «الأديب» اللبنانية عن ناجي قد أفادتني كثيراً، والحق أن وديع فلسطين لم يبخل بوقته وجهده تجاه هذه «الأعمال الشعرية الكاملة» حيث كان يفتح لي قلبه وبيته لأنقب في مكتبته الخاصة العامرة، ولأستوضحه فيما كان غامضاً من أمور تتعلق بناجي، ولا بد أن أذكر هنا شقيق ناجي الراحل - المهندس حسن ناجي الذي استقبلني في بيته وأعارني دراسة مخطوطة عن ناجي، كان قد كتبها الشاعر الراحل محمد مصطفى الماحي، وهي دراسة أفادتني وجمعت منها عدة قصائد مجهولة، ولابد أن أشكر السيدة الأستاذة عفت عبدالعزيز ناجي التي أهدتني مقالا نقديا مخطوطاً بخط ناجي، وهو مقال مكتوب على أوراق عيادته الطبية ويتعلق بالنقد الأدبي في تراثنا القديم، كما أتوجه بالشكر لوالدتها الجليلة السيدة جمالات مظهر التي أهدتني صورة لناجي كان قد كتب عليها قصيدة بخطه، ويرجع تاريخ هذه القصيدة المجهولة إلى شهر سبتمبر عام ١٩٢٤.

والآن .. وبعد هذا السيل الذي تدفق من النثر .. فنطلق إلى آفاق الشعر الساحرة والمسحورة من خلال قصائد «الأعمال الشعرية الكاملة» للشاعر الرقيق الدكتور إبراهيم ناجي ..

١٩٩٥/١٢/٣١

«حسن توفيق»

وراء الغمام

الديوان الأول للشاعر

* صدرت الطبعة الأولى من «وراء الغمام» – مايو عام ١٩٣٤.

إلى ناجي الشاعر

تَغَنَّى بهذا الشعرِ قبلَ وجُودنا
وفي بَدْءِ خَلْقِ الكونِ شاعره الأسمَى
فصرنا نرى فيه نشيدَ أُلوهة
ونَلْمحُ فيه رُوحَ آياتِه العُظْمَى
مفاتنُ: سِحْرُ العَبقرِيةِ بعضها
فماذا وَرَاءَ العَبقرِيةِ لا يُسمَّى؟!
حبيبةُ قلبي: كلّما ذاقَ ظامئاً
مُلاقتها يَستصغِرُ الروحَ والجسْما
يَرى أنّه مَغْنَى سِوى ما أحَسَّهُ
ولكنّه مَغْنَى شَأَى الحَدْسَ والفَهْما
كأني يتيمٌ إنْ حُرِمْتُكَ شاعراً
وفي صُحْبتي إيّاكَ لا أعرفُ اليُتْما
كأنّي غريبٌ في وجودٍ مُعَذَّبٍ
وعندكَ ألْقَى عالَمَ الحُبِّ والنُّعْمَى
عواطفُ تُزْرِي بالزّمانِ، وَعُمْرُهَا
هو الكونُ: لا تَدْرِي لغايتِه عِلْما
لَئِنْ عُدَّ حُبِّي مِنْ جُنونٍ ونَشْوةٍ
فللفن حُمَّى لَنْ تُقاسَ بها الحُمَّى!

أحمد زكي أبو شادي

تصدير

من غريب الصدف ومحاسنها أنني أول ما تعرفت بصديقي الدكتور إبراهيم ناجي في مجلة (الهلال)، في قصيدته «المآب» التي جاءت أولى قصائد هذا الديوان. فلما أتاح لي حظ الكتابة عن ديوانه البكر، قلت لنفسي: مَن كان يزعم أنني سأكتب يوماً عن القصيدة التي أحببتها، ورأيت صاحبها، وارتبطنا قبلاً بالألم والحنين والرجاء؟

فهو يخاطب رفيق الصبا العليل المحمول:

يا هـمَّ قلبي في صبا أيامه

وسهاد عيني في الليالي الأولى

عيناكَ كذّبتا، وقلبي لم تدع

دقاته شكاً ولا تأويلا

يا أيها الملك العليل أفق تجدْ

مضناك بين العائدين عليلا!

ولكنه يخاطب كل من حمل قلبه الهم في صباه، وكل من تقرحت جفونه من هواه ويصور رغبة النفس في التشكك في الشر والجزع من الحزن مع وثوقها من صدق شعورها ويقين إحساسها، فترتجف وتنادي الحبيب المضني المسجى لينهض ويشهد على الوفاء والشقاء ...

يكاد يكون ديوان ناجي قصيدة واحدة، وقصيدة حب ... فقد وجد الحب منذ وجد الشعر، أو وجد الشعر منذ وجد الحب!

وكأني بإلهة الحب «الزهرة» وإله الشعر «أبولو» قد سارا جنباً إلى جنب يقطعان الأفلاك والأجيال، باحثين عن رجل يعيش بالحب والشعر، ويعيش لهما، ومن أجلهما، فهو دائماً المحب الشاعر، حتى تجلى لهما من «وراء الغمام» ... وعندئذ تنازعا عليه فإلهة الحب تدّعيه لنفسها خالصاً وإله الشعر ينسبه إلى ملكوته خالصاً.

وكيف لي أن أنسب ناجي إلى هذه دون هذا؟... إني أخشى أن أغضب فينوس أو أظلم أبولو!..

وليست لي حكمة سليمان الذي تنازعت لديه امرأتان على ولد، فأخذ سكيناً وهدد بذبحه، فصاحت الأم الصادقة إشفاقاً على فلذة كبدها وتركته للأخرى، فحكم لها به ..

وناجي شعورٌ مرهفٌ وحساسية دقيقة تنطبع فيها الخيالات والأشباح وينطبع فيها الحزن والفرح وينطبع فيها الحنين والأنين كالصورة المجلوّة المرئية رأيَ العين.

ولكن إذا درسنا ناجي وجدنا أن الحب والشعر في نفسه قد امتزجا فصارا شيئاً واحداً: كالذرات التي كانت تبحث عن بعضها لتكون الوحدة الكاملة. فاجتمعت دون أن تدري كيف، وكونت روح الشاعر.

فهو دائماً يشعر بـ . «الحنين» إلى «الجمال الضنين». ينشد «الميعاد» ويقضي في «الانتظار» الدهور على «صخرة الملتقى» أملاً في «ساعة لقاء» و«مصافحة اللقاء». وهو في هذه الخلال يشعر أنه «المنسي» فيضرب في «ليالي الأرق» على «الناي المحترق» دور «مناجاة الهاجر» أو يروح يلقي «أغنية في هيكل الحب».. أو يصلي عند «العودة»: «صلاة الحب» ... وقد «يظفر بقرب حبيبه ولكنه يشك في هذا النعيم الذي لقيه فيبكي في النعمة كما يبكي في الشقاء».

ليت شعري!.. هذا هو ناجي بقلمه، ومصوّر بريشته، إذ كيف يجرؤ الناثر على وصف الشاعر؟ وكيف توصف الموسيقى بالكلام؟ وكيف يعبر بالحروف عن الأحلام؟ وهل يعرف – ومن أين له – كالشاعر القائل:

أصيـــــــر الدمع لحنـــــاً وأجعل الشعـــــر ثابـــــا

إنه يشعر بالحنين، وقد كبر حنينه وزاد فتجسم له إنساناً فشكا منه:

أمســــــى يعذّبني ويضنيني شـــوق طغى طغيان مجنون!

ووارحمتا للطبيب ينشد الشفاء ولا يعرف له دواء:

أين الشفاء ولم يعد بيـــــدي إلا أضاليل تداويـــــــــني؟!

قد غمره ضجيج الحياة وأمواج الظلمات:

أبغي الهدوء، ولا هدوءَ وفي صدري عباب غير مأمـــــون

والذنب ذنبه، قد تعهد الحنين صغيراً:

ربيتــه طفـــــلاً بذلــت له　　ما شاءَ من خفض ومن ليـــن

ولكنه كبر ونما ولما اشتدَّ ساعده:

لم يرض غير شبيبتي ودمي　　زاداً يعيـــــــش بـــه ويفنيني!

على أن «الجمال الضنين» كذلك كالحنين يتمثل له:

كم بت منتبهاً أصغي لخطوته　　أراه في الوهم أحياناً وأسمعه:

ولكنه في هذه المرة لا يبيع شبابه للفناء ولا حياته للعفاء لأن أمله قد تجدَّد وروحه قد انتعش فاعتزَّ بشعره ونعى على الجمال ضنه:

أغرَّ حـــسنك أنَّ الخلـــد جدولــه

وأنه من غريب الــسحر منبعـــه؟

هيهات يخلـــد حـــسنٌ لا يؤطــره

شعرٌ من النسق الأعلـــى ويرفعـــه

تعــالَ وادن بيـــومٍ لا تحــسّ بــه

أجسادنا، في صــفاء لا تــضيعه!

لكن أحسُّك تجرى في صميم دمي!

أنت الحياة، وأنت الكون أجمعــه!

في انتظار هذا اليوم الموعود يقف تحت العاصفة والبرد (ص ١١٤) وقفة هي من أروع ما سجله الشعر في حياة الحب تسجيلاً للانتظار المرير:

تعالَ فقد رأيــت الكـون يحنـو

علـــيَّ ويـــدرك الكـــربَ الملمَّـــا

ويجلـــو لي النجـــوم فأزدريهـــا

وأغمض لا أريـــد ســـواك نجمـــا!

وهو يغري الحبيب بستر الظلام:

تعالَ! فلم يعـد في الحـي سـارٍ

وهوَّمت المنـازل بعـد وهـن

وران علـــى نوافـــذها ظـــلامٌ

وقد كانت تطلُّ كـألف عـين

ومع ذلك يشكو من انتحار الظلام به، ويشكو سخرية العواصف منه، ثم يعود فيراها كالظلام أيضاً مسيرة في خدمته:

أرى الآبـــاد تغمـــرني كبحـــر

ســحيق الغـورِ مجهـول القـــرارِ

ويـــأتمر الظـــلام علـــيَّ حـــتى

كـــأني هـــابطٌ أعمـــاقَ غـــارِ

وتصطخب العواصفُ ســاخرات

وتطعـــنني بـــأطراف الحـــراب

وتشفق بعد ما تقسو فتمضي

لتقرع كلَّ نافذةٍ وبابٍ!

ومثل هذه اللوحات الناطقة شيء جديد فعلاً في وقت أصبح كل وزان للقافية شاعراً وأصبح مدار الشعر يقوم على القافية دون الشعور!

فناجي ليس شاعراً مستهاماً فقط ولكنه مصور ومفكر. وهو حتى الآن مازال يعيش على «الغناء» ويعيش على ألوف القراء الذين يستروحون الرجاء في شعره، ويتعلمون الاصطبار من صبره:

أنا في بُعدك مفقود الهدى

ضائعٌ أعشو إلى نورٍ كريمِ

أشترى الأحلام في سوق المنى

وأبيع العمر في سوق الهمومِ!

ألم أقل لك إنه مصور لايبارى:

أيها الآمر في مُلك الهوى

اعفُ عن لهفةِ روحي وأواري

أشتهي ضمك حتى أشتفي

فكأني ظامئٌ أخمدُ ناري!

غــــير أني كلمـــــا امتـــدَّتْ يــدى

لعناقٍ خفتُ أن تؤذيـــكَ نــاري!

مصورٌ بارعٌ ولا ريب! انظر كيف جمع بين الجرح والشفق، وكلاهما ينضح بالدم:

أفــــديكِ باكيـــةً وجازعـــةً

قـــد لفّهـــا في ثوبـــه الغســقُ

ودَّعتـــــها شمــــساً مودِّعـــة

ذهبت وعندي الجـــرحُ والـــشفقُ

فالشاعرية فيه أصيلة لاشك فيها، وهو يشكو الحبيب أحياناً إلى نفسه في «الميعاد» شكوى ما أصدقها وأبلغها:

يا ظالمي! عينـــاكَ كـــم وعـدتْ

قلـــبي إذا شـــفتاكَ لم تعـــدِ!

وهو يعبر عن ذلك في «مناجاة الخاجر» ص (٨٨):

أيجرم حتى وهم حبك مــن رمـــى

بمهجته في نـــاره دون إحجـــامِ!؟

وأنفـــق فيـــه قلبـــه وشـــبابه

فلم يبق إلا الجرح والشفقُ الدامي؟!

ومِن عجبٍ أحنو على السهم غائراً

ويسألني قلبي متى يرجع الرامي!

فإذا عاد الشاعر إلى دار أحباب له فوجدها قد تغيرت حالها نظر للحب بقداسة ليست فوقها قداسة (ص ١٧):

هـــذه الكعبـــة كنـــا طائفيهـــا والمـــصلين صـــباحا ومـــساءَ

كم سجدنا وعبدنا الحسن فيها كيـــف بـــالله رجعنـــا غربـــاءَ؟

ويروح يصوِّر الهجر في صورة الويل والفناء ويصرخ جزعاً من تدنيس هيكل الحب:

والبلـــى! أبـــصرتُه رأيَ العيـــانْ

ويـــداهُ تنـــسجانِ العنكبـــوتْ

صحتُ: ياويحَكَ! تبدو في مكـــانْ

كلُّ شيءٍ فيـــه حيٌّ لا يمـــوتْ!

فإذا وقف بعد ذلك للوداع (ص ٥٢) رأيت الدنيا واقفة وراء ناجي مهيضة الجناح قد تجردت من نورها وحبورها لأن الشاعر يودع غرامه فيودع الطهر والنقاء ويودع الهناء والصفاء:

حان حرماني وناداني النذيرْ

ما الذي أعددتَ لي قبل المسيرْ؟

زمني ضاع وما أنصفتني

زاديَ الأول كالزادِ الأخيرْ

ريُّ عمري من أكاذيب المنى

وطعامي من عفافٍ وضميرْ

وعلى كفك قلبٌ ودمٌ

وعلى بابك قيدٌ وأسيرْ!

ويصحو من سكرة الأماني فيشكو وينوح كمن يستيقظ من مخدر بعد عملية جراحية! وهل من جرح مثل جرح القلب الذي لا يلتئم؟ وهل ثمّ أمرّ من يوم الفراق؟

وانتبهنا بعد ما زال الرحيقْ

وأفقنا ليت أنا لا نفيقْ!

يقظةً طاحت بأحلام الكرى

وتولى الليل، والليل صديق

وإذا النور نذيرٌ طالعٌ

وإذا الفجر مطلٌّ كالحريقْ

وإذا الدنيا كما نعرفها

وإذا الأحباب كلٌّ في طريقْ!

فظهور هذا الديوان الصغير هو في تاريخ الأدب يوم مشهود وحركة وثابة جديدة لأنه الشعر الخالص للشعر، والحبُّ الخالصُ للحب، والرحمة للإنسانية.

والآن إذ أودِّع على أسف من ليلة قضيتها حتى مطلع الفجر مع هذا الديوان، أشعر بأن الصداقة قد حالت بيني وبين إنصاف ناجي.

ولو أني لم أكن صديقه لعقدت على مفرقه إكليل الغار، ولكن يكفيه مني، وهو يعلم حبي، أن أؤكد له زهدي في طلعة الشمس إذا كان البقاء فيما «وراء الغمام» يشجي الحسَّ ويسعد النفس كلَّ هذا الشجو وهذا الإسعاد.

أحمد الصاوي محمد

إهداء الديوان

أنـــتِ وحــــي العبقريــــة وجـــلالُ الأبديّـــةْ
أنــــتِ لحــنُ الخلـــد والرحمـــة في أرضٍ شـــقيّةْ
أنــــتِ ســـرٌ تعجـــزُ فيــــه العقـــول البــشريّةْ
إنْ تكـــنْ أشـــجتك أشـــعاري وأنّـــاتي الـــشجيّه
فتقبـــلْ طاقـــةً بالــــدمِ والـــدمع نديّـــةْ
وارضَ عنـــها! وإذا لم تــــرضَ فـــاغفرْ لي الهديّـــةْ

* * *

يـــا حبـيبي .. نــضبَ العمـــر وقُربنـــا الـــضحيّةْ
إنْ يكـــنْ قـــد شـــقيَ الماضـــي فمـــا أهنـــا البقيّـــةْ
في خيــــالاتٍ غـــوالٍ وأمـــانٍ ذهبيّـــةْ
يطلـــع الـــصبح عليهـــا مثلمـــا تمـــضي العـــشيةْ
أنــــت صـــهباء الـــسماوات! وروحٌ قدســـية
بـــت تـــسقيني فتنـــسيني أوجـــاعي العـــصية
فـــسلاماً كـــلّ حـــينٍ وغرامـــاً وتحيـــةْ!

شعر الديـــوان

المآب

(رفيق من رفاق الصبا رآه الناظم عليلاً محمولاً بعد غربة طويلة)

لِمنِ العيونُ الفاتراتُ ذبولا
وَمَنِ الخيالُ موسَّداً محمولا
ياهمُّ قلبي في صبا أيامه
وسهادِ عيني في الليالي الأُولى
عيناي كذَّبتا وقلبي لم تَدَعْ
دقاته شكّاً ولا تأويلا
يا أيها الملكُ العليلُ أفقْ تجدْ
مضناكَ بين العائدين عليلا

* * *

يوم المآب كم انتظرتُك باكياً
وبعثتُ أحلامي إليك رسولا
خاطبتُ عنك فما تركت مخاطباً
وسألتُ حتى لم أدَعْ مسئولا

أغرقت في الأمل الجميل فلم أدع

متخيلاً عذباً ولا مأمولا

وبكيت من يأسي عليك فلم أذر

عند المحاجر مدمعاً مبذولا

وأسائل الزمن الخفيّ لعله

يشفي أواماً أو يبلّ غليلا

«يا أيها الزمن الذي أسراره

لا تستطيع لها العقول وصولا»

«بالله قل أوما وراءك لحظة

جمعت خليلاً هاجراً وخليلا؟»

هي لحظةٌ وهي الحياة ومَنْ يعشْ

من بعدها يجد الحياةَ فضولا

مرَّ الظلام وأنت ملء خواطري

ودنا الصباحُ ولم أزل مشغولا

وأتى النهار على فتى أمسى بما

حمّل النهار من الشئون ملولا

وكذا الحياة تُملُّ إن هي أقفرت

ممن يهوِّن عِبأهما المحمولا

كدٌّ علـى كـدٌ ولـست ببالغ

إلا ضَـنًى متتابعـاً ونحولا

صدأُ الحوادث بدَّل الإشراق في

فكري وكدَّر خاطري المصقولا

وتتابع الأنواء في أفق الصِّبا

لم يُبق لي صحواً أراه جميلا

ذهب الصبا الغالي وزالت دوحةٌ

مدّت لنا ظِلَّ الوفاء ظليلا

أيام يخذلني أمامَكِ منطقـي

فإذا سكتُّ فكل شيءٍ قيلا!

ويثور بي حبي فإنْ لفظٌ جرى

بفمي تعثـر بالشفاه خجولا

يا مَن نزلت بنبعه أردُ الهوى

فإذا فَنِيته محطماً ووبيلا

ما راعَني ماذقتُه وخشيتُ أن

ألقاك بالداء الدفين جهولا

فأشدُّ ما عانى الفؤادُ صبابة

شَبَّتْ وظلَّ دفينُها مجهولا!

ســـــاعـــــة لقـــــاء

يا حبيبَ الروح يـا روحَ الأمـاني
لستَ تدرى عطشَ الروح إليكـما
وحـنـيني في أنـينِ عُمـرٍ فـاني
للمـوْدى أشـربُه مـن مقلتيكـما

* * *

آهِ مـن سـاعة بـث وشـجونْ
ولقاء لم يكن لـى في حسـابْ
وحـديثٍ لم يَـدُرْ لى في الظنـونْ
يا طويل الهجـر يـا مُرَّ الغيـابْ

* * *

حلَّ يـا سـاحرُ صـفوٌ وسـلامْ
بعد فتك البين بالقلـب الغريـبْ
ودنـا روْضٌ وظـلٌّ وغمـامْ
بعد فتك النارِ بـالعمر الجـديبْ!

* * *

مرّت الساعةُ كالحلم السعيدْ

ومشت نشوتها مشي الرحيقْ

ذهبَ العمر: وذا عمرٌ جديدْ

عشتُه من فمك الحلو الرقيقْ

* * *

مرّت الساعةُ والليلُ دنا

والهوى الصامتُ يغدو ويروحْ

وتلاشتْ واختفتْ أجسادنا

واعتنقنا في الدُّجى روحاً بروحْ

* * *

تسمع الشعر وشعري منك لكْ

وبإلهامك أبدعتُ الرويّ

أنت يا معجزةَ الحسن مَلَكْ

كل لفظ منك شعر قدسيّ

* * *

كيف يفنى ما كتبناه بنارْ

وخططناه بسهد ودموعْ

يشهد الليل عليه والنهارْ

والشهيد المتوازي في الضلوعْ

* * *

التقتْ أرواحنا في ساحةٍ

كغريبيْنِ استراحا من سفَرْ

وحططنا رحلنا في واحةٍ

زادُنا فيها الأماني والذكرْ

* * *

وتساءلت عن الماضي وهلْ

حسنت دنياي في غير ظلالكْ

يا حبيبي! أين أمضي من خجلْ

وفؤادي أين يمضي من سؤالكْ

* * *

شدَّ ما يخجلني جهد المُقِلّ

مِن شبابٍ ضاع أو من نور عينِ

يتمشى السقمُ في قلب الأجَلْ

وأراني لك ما وفَّيتُ دَيْني

* * *

أنا شاديكَ وَلحني لك وحدَكْ

فاقض ما ترضاه في يومي وأمسي

درج الدهر وما أذكر بعدَكْ

غير أيامك يا توأم نفسي!

* * *

وأنا الطائر! قلبي ما صَبَا

لسوى غصنك والوكر القديمْ

ما تبدلنا! ولا حال الصِّبَا

والهوى الطاهر والود الكريمْ!

* * *

لم تزُلْ ذكراه مــن بــالي وبالــكْ

كيف ينسى القلبُ أحلامَ صــباهْ؟

قد صَحَتْ عيني على فجرِ جمالــكْ

كيف يُنسى الفجرُ يا فجرَ الحياةْ؟!

العــــــــودة

(عاد الشاعر إلى دار أحباب له فوجدها قد تغيرت حالها)

هــذه الكعبــة كنــا طائفيهــا
والمصلين صبــاحاً ومســاءَ
كم سجدنا وعبدنا الحسنَ فيهــا
كيــف بالله رجعنــا غربــاءَ

* * *

دارُ أحلامــي وحبــي لقيتنــا
في جمود مثلمــا تلقــى الجديــدْ
أنكرتنا وهــي كانــتْ إن رأتنــا
يضحك النورُ إلينــا مــن بعيــدْ

* * *

رفرف القلــب بجنبي كالــذبيحْ
وأنــا أهتــفُ: يــا قلــبُ اتئــدْ
فيجيب الدمعُ والماضــي الجريحْ
لِمَ عُدنا؟ لَيــت أنــا لــم نعُــدْ

* * *

لِمَ عُدنا؟ أوَ لَمْ نَطْوِ الغَرَامْ

وفَرَغْنَا مِن حنينٍ وألَمْ

ورَضِينا بسكونٍ وسلامْ

وانتهينا لفراغٍ كالعَدَمْ؟!

*   *   *

أيها الوكر إذا طارَ الأليفْ

لا يَرَى الآخرُ معنى للسماءْ

ويَرَى الأيام صفراً كالخَريفْ

نائحات كرياح الصَّحراءْ

*   *   *

آه مما صنع الدهر بنا

أو هذا الطلل العابس أنتَ!

والخيال المطرق الرأس أنا

شدَّ مابيننا على الضنك وبِتَّ

*   *   *

أيــن ناديــك وأيــن الـسمرْ
أيـن أهلـوك بـساطاً ونـدامى
كلمــا أرسـلتُ عـيني تنظـرُ
وثَبَ الـدمع إلى عـيني وغامَـا
* * *
موطن الحسن ثـوى فيـه الـسأمْ
وسَـرَتْ أنفاسُــه في جَـوِّه
وأنــاخ الليـلُ فيـه وجـثمْ
وجـرَتْ أشـباحُه في بهـوِهِ
* * *
والبِلى! أبـصرته رأى العيـانْ
ويـداهُ تنـسجان العنكبـوتْ
صحت! ياويحك تبـدو في مكـانْ
كل شيءٍ فيـه حـيٌّ لا يموت!
* * *
كل شيء مـن سـرور وحَـزَنْ
والليـالي مـن بهـيجٍ وشـجِي

وأنـــا أسمـــع أقـــدامَ الـــزمنْ

وخطى الوحـــدةِ فـــوق الـــدرجِ

* * *

ركنِيَ الحـــانِيَ ومغنـــايَ الـــشفيقْ

وظلال الخلـــد للعـــانِي الطلـــيحْ

علم الله لقـــد طـــال الطريـــقْ

وأنـــا جئتـــك كيمـــا أســـتريح

* * *

وعلـــى بابـــك ألقـــى جَعـــبتي

كغريـــبٍ آبَ مـــن وادي المحـــن

فيـــك كـــفَّ الله عـــنى غـــربتي

ورسا رحلي على أرض الـــوطنْ!

* * *

وطـــني أنـــتَ ولكـــني طريـــد

أبديُّ النفـــي في عـــالَم بؤســـي!

فإذا عـــدت فللنجـــوى أعـــودْ

ثم أمضي بعد ما أُفـــرغ كأســـي!

الحنين

(الحنين إذا كبر وزاد قد يتجسم شخصاً)

أقسى يعذبني ويمضنيني
شوقٌ طغى طغيان مجنونِ
أين الشفاء ولم يعد بيدي
إلاّ أضاليلٌ تداويني
أبغي الهدوء ولا هدوء وفي
صدري عبابٌ غير مأمونِ
يهتاج إن لَجَّ الحنين به
ويئن فيه أنين مطعونِ
ويظل يضربُ في أضالعه
وكأنها قضبانُ مسجونِ
ويحَ الحنين وما يجرعني
من مُره ويبيت يسقيني
ربيته طفلاً بذلت له
ما شاء من خفضٍ ومن لينِ

فاليومَ لمّا اشتدّ ساعده

وربّما كنوار البساتينِ

لَمْ يرضَ غير شبيبتي ودمي

زاداً يعيش به ويفنيني

كم ليلةٍ ليلاء لازمني

لا يرتضي خلاًّ له دوني

أُلقي له همساً يخاطبني

وأرى له ظلاًّ يماشيني

متنفساً لهباً يهبُّ على

وجهي كأنفاس البراكينِ

ويضمنا الليل العظيم وما

كالليل مأوى للمساكينِ

الناي المحترق

كم مرّةٍ يا حبيبي والليل يغشى البرايا
أهيم وحدي وما في الظلام شاكٍ سوايا
أصيّر الدمع لحناً وأجعل الشعر نايا
وهل يلبّي حطام أشعلته بجوايا
النار توغل فيه والريح تذرو البقايا
ما أتعس الناي بين المنى وبين المنايا
يشدو ويشدو حزيناً مرجّعاً شكوايا
مستعطفاً من طوينا على هواه الطوايا
حتى يلوح خيال عرفته في صبايا
يدنو إليّ وتدنو ممن تغمره شفتايا
إذا بحلمي تلاشى واستيقظت عينايا
ورحت أصغي . وأصغي لم ألفِ إلاّ صدايا!

المنسي

متى يرق الحظ يـا قاسـي

ويلتقي المنسيُّ والناسـي!

متى! وهل من حيلة في متى

وفي خيـالاتٍ وأحـداسِ؟

هذا قراري جريها في دمـي

وهمسُهَا في كرِّ أنفاسـي!

وأنت مثل النجمِ في المتأي

وفي السنا الخاطفِ كالماسِ

يرنو له النـاس ويبغونـه

وما يبالي النجم بالناس!

وأنت كأسُ الحسن لكننـا

مثل حباب حامَ بالكـأسِ

طفا وقـد قبّـل أنوارَهَـا

ورفَّ مثل الطائر الحاسي!

وجفَّ أو ذابَ على نورها

كما يذوبُ الطلُّ بـالآس!

تــحليــل قبلـــة

ولما التقينا بعـد نـأى وغربـةٍ
شجيَّين فاضًا من أسى وحـنينِ
تسائلني عيناك عن سالف الهوى
بقلبي وتستقضي قديم ديـونِ
فقلت وقد ضجَّ الهوى في جوانحي
وأنَّ من الكتمـان أي أنـينِ
يبث فمي سـرَّ الهـوى لمقبّـل
أجود له بالروح غيـر ضنـينِ
إذا كنت في شك سلي القبلةَ التي
أذاعتْ من الأسرار كلَّ دفـينِ
مناجاة أشواق وتجديد موثـق
وتبديد أوهامٍ وفـض ظنـونِ
وشكوى جوى قاسٍ وسقم مبرحٍ
وتسهيد أجفانٍ وصبر سـنينا

الحـــــــــــــــــــــياة

(استعراض للحياة في شارع)

جلست يوماً حين حلَّ المساءْ
وقد مضى يومي بلا مـؤنـسي
أريح أقداماً وهتْ مـن عيـاءْ
وأرقب العالَم من مـجلسـي!

*　　*　　*

أرقبه: يأكـلْ هـذا الرقيـبْ
في طيِّب الكون وفي باطـلهْ
وما يبالي ذا الخضم العجيـبْ
بناظرٍ يرقـب في ساحـلهْ
سيان مـا أجهـلُ أو أعلـمُ
من غامض الليل ولغز النهارْ
سيستمر المسرحُ الأعظـمْ
روايةٌ طالـت وأيـن الستارْ

*　　*　　*

عبثتُ بالدنيا وأسرارِها

وما احتيالي في صموت الرمالْ!

أنشدُ في رائع أنوارِها

رشداً فما أغنم إلاّ الضلالْ!

* * *

أغمضت عيني دونها خائفاً

مبتغياً لي رحمةً في الظلامْ

فصاح بي صائحها هاتفاً

كأنما يوقظني من منامْ:

أنت امرؤٌ تورح تحتَ الضنى

لم يُبْقِ منك الدهر إلا عنادْ!

وكل ما تبصره من سَنَا

يهزأ بالجذوة خلف الرمادْ!

* * *

وكل ما تبصره من قوَى

تذوى دويَّ الريح عند الهبوبْ

يسخر من مبتئسٍ قد ثوى

يرنو إلى الدنيا بعين الغروبْ!

* * *

أنظرْ إلى شتى معاني الجمالْ

منبثة في الأرض أو في السماءْ

ألا ترى في كل هذا الجلالْ

غير نذيرٍ طالعٍ بالفناءْ!

كم غادة بين الصبا والشبابْ

تأنق الصانعُ في صنعِهَا

تخطر والأنظار تحدو الركابْ

ولفظة الإعجاب في سمعهَا!

* * *

وربما سار إلى جنبها

مدلَّه ليس يبالي الرقيب

يمشي شديد العُجْبِ في قربها

إذ راح يوليها ذراع الحبيبْ!

* * *

وانظر إلي سيارة كالأجمال

تخطف خطفاً لاتبالي الزحام

هذا الردى الجارى اختراع الرجل

هل بعد صنع الموت شيء يرام!

وانظر إلى هذا القوى الجسد

الباتر العزم الشديد الكفاح!

قد أقبل الليل فحيّ الجلد

في رجل يدأب منذ الصباح

* * *

أجبتُ: يا دنياى من تخدعين؟

إني امرؤ ضاق بهذا الخداع

مزّقت عن عيشى هنئ السنين

لأننى مزقتُ عنك القناع!

* * *

إن الجمـــالَ الســاحرَ الفاتنـــا

ياويحه حين تغـــير الغضونْ

ويعبث الـــدهر بحلـــو الجـــنى

وتستر الصبغةُ إثمَ الســنينْ:

* * *

وهـــذه الســيارة العاتيــــه

وربمّا الجبـــار كـــالبرق ســارْ

مـــاهي إلا شــــعلةٌ فانيــــهْ

تصيبها مثل شــعاع النـــهارْ!

* * *

وارحمتــاه للقـــويِّ الصـــبورْ

يقضي الليالي في كفاح سخيفْ

وكيف لا أبكي لكدح الفقــيرْ

أقصى مناه أن ينال الرغيفْ!

كم صحتُ اذْ أبصرتُ هذا الجهادْ

وميسم الذلــة فــوق الجبــاهْ

يا حسرتا ممــا يُلاقــي العبــادْ

أكُلُّ هذا في ســبيل الخيــاء؟!

وفي ســـبيل الـــزاد والمأكـــلِ

غـــلاً صــدرَ الأرض إعـــوالا

كم يسخر النجمُ بنا مِـن عـلِ

وكـــم يرانــا الله أطفـــالا!

*　　*　　*

يارب غفرانــك إنــا صِـغارْ

ندبٌّ في الدنيا دبيــب الغــرورْ

نسحب في الأرض ذيول الصغارْ

والشيب تأديبٌ لنــا والقبــورْ!

قلب راقصة

أمسيتُ أشكو الضيقَ والأينا
مستغرقاً في الفكر والسأمِ
فمضيتُ لا أدري أينا
ومشيتُ حيث تجرُّني قدمي

* * *

فرأيت فيما أبصَرَتْ عيني
مَلهى أعدَّ ليبهجَ الناسا
يجلسون فيه فرائدَ الحُسْنِ
ويباع فيه اللهوُ أجناسا

* * *

بغرائب الألوان مزدهرُ
وتراه بالأضواء مغمورا
فقصدته عجلاً ولي بصرُ
شبه الفراشة يعشق النورا

ودخلتـــه أجتـــاز مزدحمـــاً

بســالخلق أفواجـــاً وأفواجـــاً

وأخوض بحـــراً بـــات ملتطمـــاً

بالنـــاس أمواجـــاً وأمواجـــاً

*　　*　　*

فقدوا حجاهم حينمـــا طربـــوا

ودّوا دويّ البحـــــر صـــخّابا

فإذا استقروا لحظـــة صـــخبوا

لا يملكـــون الـــنفس إعجابـــا

*　　*　　*

متـــوثبين يميـــــل صـــفهم

متطلـــع الأعنـــــاق ينقـــدُ

ومـــصفقين علـــت أكفهـــم

فـــوّراة فكأنهـــا الزبـــدُ!

*　　*　　*

لِمَ لا أثـــور اليـــوم ثـــورتهم؟

لِمَ لا أجرّبُ مـــا يـــحبونا ؟!

لِمَ لا أصيح اليوم صيحتَهم

لِمَ لا أضجُّ كما يضجّونا؟!

*   *   *

لِمَ لا تذوّق كؤوسهم شفتي؟

إنَّ الحجا سمّي وتدميري

في ذمة الشيطان فلسفتي

ورزانتي ووقار تفكيري!

*   *   *

يا قلبُ! ضقتَ وها هنا سعةٌ

ومجالُ مصفودٍ بأغلالِ

أتقول أعمارٌ مضيعة؟!

ماذا صنعت بعمرك الغالي؟!

*   *   *

أنظُرْ ترَ السيقان عاريةً

وترَ الخصورَ ضوامراً تغري

وتجدْ عيون اللهو جاريةً

فهنا الحياة! وأنت لا تدري

*   *   *

مَن هاته الحسناءُ يا عيني؟

السحر كلُّها وظلُّها

كالطير من غصنٍ إلى غصنِ

وثابة، ولُبّ الفؤاد لها!

*　*　*

وتراه حُسْناً غيرَ كذابِ

لا ما يزيفه لمعُ الضوءْ

ويزيد فتنتها بإغرابِ

حزنٌ وراء الحُسن مخبوءُ!

*　*　*

ثم اختفتْ والجمع يرقبها

ويلحُّ: عودي! ليس يرحمها

هي متعةٌ للحسِّ يطلبها

وأنا بروحي بتُّ أفهمها!

*　*　*

ورأيتها في آخر الليلِ

في فتيةٍ نصبوا لها شَرَكا

يعلو سـناها الحـزنُ كالظـلّ
مـسكينة تتكلـفُ الـضُحكَا

* * *

فمضيت توًّا، قلـت: سـيدتي!
زنـتِ المـراقص أيما زيـنِ!
هـل تـأذنين الآن سـاحرتي
تأكيـد إعجـابي بكأسـين؟

* * *

فتمنّعـتْ وأنـا أخٌ سـدًى
بـالقول أغريهـا وأبتـدرُ
فاستدركتْ قالت: أراكَ غـداً
إن شـئتَ إني اليـوم أعتـذرُ

* * *

وتحوّلـتْ عـني لرفقتـها
مـا بـين منتظـرٍ ومرتقـبِ
فتّانـةً تغـري ببسـمتها
وتحـدّ المعـادَ في أدبِ

* * *

حـان اللقـاءُ بغـادتي وأنـا

أخشى سـراباً خادعـاً منـها

متلفتـاً أسـتبطئ الزمنـا

وأظل أسـأل سـاعتي عنـها

* * *

وأجيل عـين الريـب ملتفتـاً

متطلعـاً للبـاب حيرانـا

وأقول: مـا يـدريك أي فـتى

هي في ذراعـيْ حبـه الآنـا!

* * *

من ذا يـصدق وعـدَ فاتنـةٍ

لا تـرحم الأرواح إتلافـا

أتنسى تلاقـى كـل آونـةٍ

رجلاً وترمـى الوعـد آلافـا

* * *

وهممتُ بعد اليأس أن أمـضي

فـإذا بهـا تختـال عـن بُعـدِ

مَيَّزْتُهــــا بـــــشباها الغـــضْ

وبقـــدِّها، أفديــــه مـــن قَـــدٍّ!

* * *

يـــا للقلـــوب الملتقـــى اثـــنينِ

لا يعلمـــان لأيِّمـــا ســـببِ

جمعتْهمُـــا الـــدنيا غـــريبينِ

فتآلفـــا في خلـــوةٍ عجـــبِ

* * *

عجباً لقلـــب كـــانَ مطمعـــه

طرباً فجـــاء الأمـــرُ بـــالعكس

وأشدُّ مـــا في الكـــون أجمعـــه

بين القلـــوب أواصـــر البـــؤس

* * *

مَن أنت يا مَن روحها اقتربـــتْ

مني وخاطبَ دمعهـــا روحـــي

صبَّته في كأسي! ومـــا ســـكبتْ

فيـــه ســـوى أنّـــاتِ مـــذبوحِ

* * *

عجباً لنـــا! في لحظـــة صـــرنا

متفـــاهمين بغـــير مـــا أمـــدِ!

يا مَن لقيتك أمسِ! هـــل كنّـــا

روحـــين ممتـــزجين في الأبـــدِ؟!

* * *

هاتِ حديثَ السقم والوصـــبِ

وصِفي حقـــارةَ هـــذه الـــدنيا

إني رأيت أسساكِ عـــن كثـــبِ

ولمست كرْبَكِ نابـــضاً حيّـــا

* * *

لا تكتمي في الـــصدر أســـرارا

وتحدثي كيـــف الأســـى شـــاءَ

أنـــا لا أرى إثمـــاً ولا عـــارا

لكـــنْ أرى امـــرأةً وبأســـاءَ

* * *

تجـــدين فكـــرك جـــدّ مبتعـــد

والنـــاس نحـــو ســـناك دانونـــا

وترين حالك حال منفرد

والقوم كثرٌ لا يُعدُّونا!

* * *

وتسرين أنسك حيثما كنتِ

ترضين عوانين أنذالا!

يبغونه جسداً فإن بعتِ

بذلوا النضار وأجزلوا المالا!

* * *

يا حرّها من عبرةٍ سالتْ

من فاتك العينين مكحولِ

وعذابها من وحشة طالتْ

وحنين مجهولٍ لمجهولِ

* * *

أفنيت عمرك في تطلبه

ويكاد يأكل روحك المللُ

فإذا بدا من تعجبين به

وتقول روحك: ها هو الأملُ!

* * *

أدميتِ قلبكِ في تقرّبه

والقلب إن يخلصْ يَهُنْ دمُه

فإذا حسبتِ بأن ظفرتِ به

فازتْ به من ليس تفهمُه

* * *

سكتتْ وقد عجبتْ لخلوتنا

طالت كأنّا جدّ عشاقِ

وأقول: يا طوبا لنشوتنا

صرعى المدامة والجوى الساقي!

* * *

أفديكِ باكيةً وجازعةً

قد لفّها في ثوبه الغسقُ

ودعتُها شمساً مودّعة

ذهبتْ وعندي الجرح والشفقُ

* * *

تمضي، وتجهل كيف أكبرُها

إذ تختفي في حالك الظلمِ

روحاً إذا أثمتْ يطهرها

ناران: نارُ الصبرِ والألمِ!

الميعـــــــــاد

إن عُدتَ أو أخلفتَ لم تعـدِ
أنا إلفُ روحك آخر الأبـدِ

ظمأٌ على ظمـأ على ظمـأ
ومـوارِدٌ كثـرٌ ولم أردِ

مرَّ الظلامُ وأنت لي شجنٌ
وأتى النهارُ وأنت في خلدي

لا يسمع البحرُ الغضوب إلى
شاكٍ ولا يصغي إلى أحدا

كم لاح لي حربُ الحياة على
أمواجه المجنونة الزبدِ

ورأيت طيفَ الضنك مرتسماً
في عاصفِ الأنواء مطّردِ

في الليل مدَّ رواقه وثوى
كجوانحٍ طُويتْ على حسدِ

قبرٌ مَباهجه بلا عددٍ
لفتى متاعبه بلا عددِ

مَـن يومـه يـومٌ بـلا أمـلِ
وغدٌ بلا سلوى وبعـد غـدِ!

لولاكِ والعهد الـذي عقـدت
بيني وبينـك مهجتي ويـدي

أضجعتُ جنبي جوف غيهبـه
وأرحتُ فيـه بـاليَ الجسـدِ

يا مخلفَ الميعـاد عـدْ لتـرى
جزعَ الغريب وضيعة الرشـدِ

وليالـيـاً موصـولةً سـهراً
أبديـة حجريـة الكبـدِ

وطلـيـحَ أسـفارٍ وعلّتـه
قتالـة لـم تـشف في بلـدِ!

يـا شـعرَ أيـامي وأغنـيتي
وغليلَ ظمآن الشفاه صَـدِي!

يا ظالمي! عيناكَ كـم وعـدتْ
قلبـي إذا شـفتاكَ لـم تعـدِ

الميت الحي

(كان الشاعر مريضاً وشعر أنه ينتهي فكتب القصيدة التالية)

داوِ ناري والتياعي وتمهّلْ في وداعي
يا حبيب العمرِ هَبْ لي بِضْعَ لحْظاتٍ سِراعِ
قِفْ تأمل مغربَ العمر وإخفاقَ الشعاعِ
وابكِ جبّار الليالي هدّه طولُ الصراعِ
واضياع الحزن والدمع على العمرِ المضاعِ!
وهتاف القلب بالشكوى على غير انتفاعِ
ما يهمُّ الناس من نجمٍ على وشك الزماعِ
غاب من بعد طلوعٍ وخبا بعدَ التماعِ
طالَ بي سهدي وإعيائي وقد حان اضطجاعي
وإذا الراحة حانت بعد لأيٍ ونزاعِ
فصدور الغيد سيّان وأنياب السباعِ!

*   *   *

آه لو تقضي الليالي لمشتيت باجتماعِ
كم تمنيتُ وكم من أملٍ مرّ الخداعِ!
وقفة أقرأ لك أشعار الوداعِ

ساعةً أغفرُ فيها لكَ أجيالَ امتناعِ

يا مناجاتي وسمرْي وخيالي وابتداعي

ومتاعاً لعيوني وشميمي وسماعي

تبعثُ السلوى وتنسى الموتَ مهتوكَ القناعِ:

دمعةُ الحزنِ النقي تمسكُها فوقَ ذراعي!

الوداع

حانَ حرماني وناداني النذيرْ

ما الذي أعددتَ لي قبل المسيرْ

زمني ضاع وما أنصفتَني

زاديَ الأولُ كالزادِ الأخيرْ

ريُّ عمري من أكاذيبِ المنى

وطعامي من عفافٍ وضميرْ

وعلى كفك قلبٌ ودمٌ

وعلى بابك قيدٌ وأسيرْ!

* * *

حانَ حرماني فدعني يا حبيبي

هذه الجنةُ ليست من نصيبي

آه من دارِ نعيمٍ كلما

جئتها أجتاز جسراً من لهيبِ

وأنا إلفك في ظل الصبا

والشباب الغض والعمر القشيبِ

أنـــزلُ الربـــوةَ ضـــيفاً عـــابراً

ثم أمضي عنكَ كالطيرِ الغريـــبِ

* * *

لِمَ يا هاجرُ أصـــبحتَ رحيمـــا

والحنانُ الجمّ والرقـــة فيمـــا؟!

لِمَ تسقيني من شـــهدِ الرضـــا

وتلاقـــيني عطوفـــاً وكريمـــا؟

كلُّ شيء صار مـــرا في فمـــي

بعد ما أصبحتُ بالدنيا عليمـــا

آه مَن يأخـــذُ عمـــري كلَّـــه

ويعيد الطفلَ والجهلَ القـــديما!

* * *

هل رأى الحبُّ سكارى مثلنا؟!

كم بنينا مـــن خيـــالٍ حولنـــا!

ومـــشينا في طريـــقٍ مقمـــرٍ

تثـــب الفرحـــةُ فيـــه قبلنـــا!

وتطلعنـــــا إلى النجـــــمـــــ

فتهـــاوينَ وأصـــبحن لنـــا!

وضحكنا ضِحْكَ طفلَين معاً

وعدونا فسبقنا ظلنا

* * *

وانتبهنا بعد ما زال الرّحيق

وأفقنا. ليتَ أنّا لا نفيقْ!

يقظةٌ طاحت بأحلام الكَرى

وتولّى الليلُ، والليل صديقْ

وإذا النُّور نذيرٌ طالعٌ

وإذا الفجر مُطِلٌّ كالحَرِيقْ

وإذا الدُّنيا كما نعرفها

وإذا الأحْبابُ كلٌّ في طَريقْ

* * *

هاتِ أسعدني وَدَعْني أسْعدُكْ

قَدْ دنا بعدَ التّنائي موردُكْ

فأذقنيه فإني ذاهبٌ

لا غَدِي يُرجَى ولا يُرجَى غَدُكْ

والليالي من ليالي التي

قرّبت حيني وراحت تبعدك!

لا تدعني لليالي فغداً

تجرح الفرقة ما تأسو يدك!

* * *

أزف البينُ وقد حان الذهابْ

هذه اللحظة قُدَّت من عذابْ

أزف البينُ، وهل كان النوى

[illegible] غير أن أغلق باب؟!

مضت الشمسُ فأمسيتُ وقد

أغلقت دوني أبواب السحابْ

وتلفّتُّ على آثارها

أسأل الليل! ومَنْ لي بالجواب؟!

الزائر

يا للحبيب المفدى غداة زار وسلّمْ
مستحيياً والهوى في ركابه يتضرّمْ
وصامتاً وهو أبلغ بألف شدوٍ ترنّمْ
ناداه قلبي! وناجاه خاطري وهو يعلمْ!
يا مطلعَ السحر والنور والجمال! تكلّمْ!
أبِنْ! وإلا أعِنْ قلبي الممزّق وارحمْ!

* * *

يا غازياً يضربُ القلبَ وهْوَ حصنٌ مُحَطّمْ
لمّا طلعتَ عليه وهْنَي وأنَّ وسلّمْ
يا فتنة تتهادى ورحمة تتبسّمْ
إن لم يكنْ لي رجاءٌ ولا لحظيَ مغنمْ
أو لَمْ يَعدْ لي نصيبٌ دعني بحسنك أحلمْ!

الليالي

(١)

مكانيَ الهادئ البعيدْ
كُن لي مجيراً من الأنامْ
قد أقبل الهارب الطريدْ
فآوهِ أنتَ والظلامْ

*   *   *

يا حسنها ساعة انفصالْ
لا ضحك فيها ولا نكدْ
يا حقبةَ الوهم والخيالْ
هلاّ تمهلتِ للأبدْ!

*   *   *

يا أيها العالم الأخيرْ
ماذا ترى فيك من نصيبْ؟
أراحةٌ فيك للضمير
أم موعدٌ فيك من حبيبْ؟

*   *   *

كم يَعذُب الموت لو نراهُ
أو كان فيك اللقاءُ يُرجَى
ينفضُ عن عينه كراهُ
ويقبل الراقدُ المسجَّى!

* * *

لكنّ شكاً بما نَجُنُّ
خيَّم فوق العقول جَمْعَا
عجبتُ للمرء كم يضنُّ
ويستطيب الحياةَ مَرعَى

* * *

قد صار حبُّ الحياة منا
يقنع بالجيفة السباعْ
وعلّم السمحَ أن يضنّا
وثبّت الجبن في الطباعْ!

* * *

(٢)

طال بنا الصمت والجمودْ
لا البدر يوحي ولا الغديرْ
يا عالَم الضيم والقيودْ
بؤحت بالطائر الأسيرْ!

* * *

هربتُ من عالمٍ أضرّا
وجئتُ يا كعبتي أزورْ
هاتِ خيالاً إذن وشعرًا
أسكبه في فم الدهورْ!

* * *

هربتُ من عالم الشقاءْ
وجئت علّي لديكِ أحيا!
أشرب من روعة السماءْ
شعراً وأسقي الفؤادَ وحيا!

* * *

مللتُ في هاتِه العوالمْ
مهزلةَ الموت والحياةْ

وصــــورة القيــد في المَعَاصـــمْ

ووصــــمةَ الـــذلّ في الجبــاهْ

هياكـــــلٌ تعـــبر الــــسنين

واحـــدة الحقـــد والخـــصامْ!

وواحـــــد ذلـــك الطـــلاء

يـــستُر خزيـــاً مـــن الطبـــاعْ

أفـــنى البلـــى أوجـــه الريـــاءْ

ولم يـــذُبْ ذلـــك القنـــاعْ!

* * *

بعينــــها كذبـــة الـــدموعْ

بعينــــها ضـــحكة الخـــداعْ

ومُنحنـــى هاتـــه الـــضلوعْ

علـــى ضـــوادٍ هـــا جيـــاعْ!

(٣)

كـــأن صـــدر الظـــلامِ ضـــاقْ

من كثرة البـــث كـــلّ حـــينْ!

يا ويحه كيف قد أطاقْ

شكوى البرايا على السنينَ؟!

* * *

كأنما ينفث الشهُبْ

تخفيف كربٍ يئنّ منهُ

كالقلب إن ضاقَ واكتابْ

تخفف الذكريات عنهُ

* * *

كم زفرة في الضلوع قرّتْ

يحوطها هيكلٌ مريضْ

مبيدة حيثما استقرتْ

فإن تبُحْ سُميتْ قريضْ!

* * *

كم في الدجى آهةٌ تطول

تسري إلى أُذْنه وشعرْ!

لو يفهم النجم ما تقول!

أو يفهم الليل ما تُسرْ!

* * *

ما بالها أعينُ الفَلَكْ
منتثرات على الفضاءْ
تطلُّ من قاتم الحَلَكْ
بغير فهمٍ ولا ذكاءْ

* * *

ألاَ رقيٌّ ألاَ معين
في مدلهمٍّ بلا صباحْ؟!
وكلما جدَّ لي أنينْ
تسخر بي آلِهَةُ الرياحْ

* * *

هنا شكونا بلا انقطاعْ
من حظ شاكٍ بلا سميعْ
وحظ شعرٍ إذا أطاعْ
يا ليته عاش لا يطيعْ

* * *

يضيع في لجّة الزمنْ
مبدداً في الورى صداهْ

ولن تـري في الوجـود مَـنْ

يدري عـذابَ الـذي تسلاهْ!

*　　*　　*

(٤)

يـا أيهـا النـهر بي حـسدْ

لكـل جـارٍ عليـك رفقْ

أكُـلُّ راجٍ كمـا يـودْ

يـروي ظمـاه ويرتـشفْ

*　　*　　*

ومـن حبيـبٍ إلى حبيـبْ

ترنـو حنانـاً وتبتـسمْ

وكـل غـادٍ لـه نـصيبْ

مـن مائـك البـارد الـشبمْ

*　　*　　*

يا نهـرُ روّيـت كـل ظـامي

فـراح ريّـانَ إن يـذُقْ

فكـن رحيمـاً علـى أوامـي

قلـي فـمٌ بـاتَ يحتـرقْ

*　　*　　*

يا من أرى الآن نُصْبَ عيني

خيالَه عطْر النسمْ

بالله ما تبتغيه مني

ولَمْ تدعْ لي سوى الألمْ

* * *

في ذمة اللّه ما أضعتمْ

من مهجٍ أصبحت هباءْ!

لم نجزكم بالذي صنعتمْ

إنّا غفرنا لمن أساءْ

* * *

لا تحسبوا البرء قد ألمّ

فلم يزل جرحنا جديدا

يخدعنا أنه التئامْ

ولم يزل يخبأ الصديدا!

* * *

يا أيها الليل جئتُ أبكي

وجئتُ أسلو وجئت أنسى

طال عذابي! وطال شكّي

ومات قلبي، ومن تأسّى!

الجمال الضنين

قلْ للبخيل إذا ما عزَّ مشرعهُ:
يا مانع الماءِ عني كيف تمنعهُ
أغرَّ حسنك أن الخلد جدولهُ
وأنه من غريب السحر منبعهُ؟
يا أيها الكوكب المحبوس في فلكٍ
مهدُّ مجده فيه مضيعُهُ!
هيهات يخلد حسنٌ لا يؤلهه
شعرٌ من النسق الأعلى ويرفعُها!
أنا شهيدك، والقلب الضحوك إذا
أدميته، والمغنّي إذ تقطّعُهُ
هل منك يوم رضًى ضنَّ الزمان به
أعيا خيالي وأضناني توقّعُهُ؟!
كم بتُّ منتبهاً أصغي لخطوته
أراه في الوهم أحياناً وأسمعهُ!

وأنت في أفق الأوهام طيفٌ صِبَا

سما ردقٌ على الأفهام موضــعُه

كأنك النسم النشوان منطلقــا

أظل كالنفس الحـيران اتبعــهُ

تعالَ وادنُ بيومٍ لا نحــسّ بــه

أجسادنا في صفاءٍ لا نــضيعُه!

لكن أحسك تجرى في صميم دمي

أنت الحياة، وأنت الكون أجمعُه!

ليالي الأرق

(زيارة من حبيب يسأل لماذا نلتقي هذه اللحظات الهاربة

ما دمنا نفترق بعد ذلك..)

هل في العصيب المدلهمْ	صبغ لشاكٍ لم ينمْ
سهدٌ على سهدٍ وذكرى	فوق ذكرى تزدحمْ
وحنين قلب لا يثوب	إلى خيالٍ لا يلمْ
يا من أحب وأفتدي	ويلذُّ لي فيه الألمْ
لو كنتَ تسمع لاسترحت	من الشكايةِ للظلمْ
إن الكواكبَ ضقنَ بي	ذرعاً وآسيها سئمْ
ومن العجائبِ في الليالي	والحوادث تنسجمْ
شكوى الحيارى في الحياة	إلى حيارى في العدمْ!
لمنْ انتظاري في الظلام	كأنَّ بي شبه اللممْ؟
وتساؤلي في حالك	لا صوت فيه ولا قدمْ؟
وعلام إصغائي لعلّ	خطاكِ هذي عن أممْ؟
ليلي العشية مثل ليلي	في غرامك من قدمْ
يا طالما أدنتك أوهامٌ	كواذبُ كالحُلُمْ
فلمحت صبحكِ في السوادِ	وخلتُ روحكِ في النسمْ

وشفيتُ وهمي من رضاكِ ورُبَّ ذي يأسٍ وَهَمْ

ورويتُ أذني من حديثكِ وهو معبود النغمْ

وحرقتَ قلبي من سناكِ على جمالٍ يضطرمْ

كفراشةٍ حامت عليكِ وأيّ قلبٍ لَمْ يَحُمْ!

لكِ حسنُ نوّار الخميلةِ طُلَّ صبحاً فابتسمْ

لكِ نضرةُ الفجر الجميل على الذوائبِ والقممْ

لكِ طلعةُ البرءِ المرجّى بعد مستعصى السقمْ

لكِ كلّ ما أوفى على قدر النهاية واستتمْ

فبأي قلبٍ ألتقي وبأي حصنٍ أعتصمْ؟

يا زائراً عجلانَ لَمْ يطلِ اللقاءُ ولَمْ يقمْ

ودّعتَ ما أشبعتَ لي روحي ولا نظري النهِمْ

ومضيتَ عن دنيا خلَتْ وجرت بنعمى لَم تتمْ

لم يبقَ من أثرِ اللقاء بها سوى عبقٍ ينمْ

وسؤالِ دمعك حين يسألني وقد سُدّ لي باب الكلِمْ

لِمَ يا أليفَ خواطري غفت العيون ونحن لَمْ؟!

وإلامَ تدفعنا الحوادث في عُبابٍ يلتطمْ

دَفَعتْ بمركبنا المقاديرُ الخفيةُ والقِسمْ

خرَجَتْ وما تدري الغداة بأي صخرٍ ترتطمْ

بدأتْ عَلى ريح الرضا والله يدري المختتمْ!

صخرة الملتقى

(صخرة بين البحر والصحراء كنا نتلاقى عندها
ونستلهم البحر والصحراء أشعارنا)

سألتك يــا صــخرة الملتقـــى

متى يجمع الـــدهر مـــا فرقـــا!

فيا صــخرة جمعـــت مهجـــتين

أفـــاءا إلى حـــسنها المنتقـــى!

إذا الـــــدهر لج بأقـــــداره

أجـــد علـــى ظهرهـــا الموثقـــا

قرأنا عليـــك كتـــاب الحيـــاة

وفض الهـــوى ســـرها المغلقـــا

نرى الشمس ذائبة في العبـــاب

وننتظـــر البـــدر في المرتقـــى

إذا نــــشر الغـــــرب أثوابـــــه

وأطلق في الـــنفس مــا أطلقـــا

نقول هـــل الـــشمس خـــضبته

وخلـــت بـــه دمهـــا المهرقـــا

أم الغرب كالقلب دامي الجراح

لـــه طلبـــة عـــز أن تلحقـــا

فيا صورة في نواحي الـــسحاب

رأينـــا بهـــا همنـــا المفرقـــا

لنا الله من صــــورة في الـــضمير

يراها الفـــتى كلمـــا أطرقـــا !

يرى صورة الجرح طـــي الفـــؤا

د مـــا زال ملتـــهبا محرقـــا

ويأبى الوفـــاء عليـــه انـــدمالا

ويـــأبى التـــذكر أن يـــشفقا

ويا صخرة العهد أبـــت إليـــك

وقد مزق الـــشمل منـــا مزقـــا

أريك مشيب الفؤاد الـــشهيـــ

ـــد والشيب ما كـــان المفرقـــا

شكا أســـره في حبـــال الهـــوى

وود علـــــى الله أن يعتقـــــــا

فلما قضى الحظ فك الأسيـــــ

ـــر حـــن إلى أســـره مطلقـــا

الشــــــك

(قد يظفر المرء بقرب حبيبه ، ولكنه يشك في هذا النعيم
الذي لقيه ، فيبكي في النعمة كما يبكي في الشقاء)

بي ما تحسّ وفي فؤادكِ ما بـــي   فتعالَ نبكِ أيسا نجيَّ شبابي
أنكرتَ بي ناري عشيةَ لامَسَتْ   شفتاي منْكَ أنامِلَ العنابِ
وسألتَ ما صمتي وما إطراقتي   وعَلامَ ظلَّت حيرة المرتابِ
أقبِلْ لأقسمَ في حياتي مرةً   أن الذي أسقاه ليس بصابِ
مَنْ أنتَ؟! من أيِّ العوالِمِ ساحرٌ   مستأثرٌ بأعنةِ الألبابِ؟
ما يصنع الملكُ الطهورُ بعالَمٍ   فانٍ وأيامٍ كلمع سرابِ؟
دوّارةٌ أبدَ السنين كعهدِها   من ليل آثامٍ لصبح متابِ
يا هيكل الحسنِ المبارَكَ ركنه   الساحر النور الطهور رحابِ
قدمتُ قرباني إليك بقيةً   من مهجةٍ ضاعت على الأحبابِ
حدَّثتُ نفسي إذ رأيتُكَ باديـاً   وأطلتَ تسآلي بغير جوابِ
ما يصنع الملكُ الطهورُ بعالَمٍ   فانٍ وأيامٍ كلمع سرابِ؟
ما يصنع الأبرارُ بالأرض التي   ساوت من الأبرار والأوشابِ؟
دوّارةٌ أبدَ السنين كعهدِها   من ليل آثامٍ لصبح متابِ

تغلو الحياة بها إلى أن تنتهي   عند التراب رخيصةً كتراب!

يا هيكل الحسنِ المبارَك ركنه   الساحر النور الطهور رحاب

لا صدقَ إلاّ في هيبك وحده   وجلالُه الباقي على الأحقاب

قدمتُ قرباني إليك بقية   من مهجةٍ ضاعت على الأحباب

وَأَذبْتُ جوهرَها فداءَ نواظرٍ   قُدْسيَّةٍ، عُلويّةِ المحراب!

خواطر الغروب

قلتُ للبحر إذْ وقفتُ مساءً
كم أطلتَ الوقوفَ والإصغاءَ
وجعلتَ النسيم زاداً لروحي
وشربتَ الظلالَ والأضواءَ
لكأنَّ الأضواءَ مختلفاتٍ
جعلَتْ منك روْضةً غنّاءَ
من عطرها فأسكر نفسي
وسرى في جوانحي كيف شاءَ
نشوة لم تطل ! صحا القلب منها
مثل ما كان أو أشد عناءَ
إنما يفهم الشبيهُ شبيهاً
أيها البحر نحن لسنا سواءَ

أنت باقٍ ونحن حرب الليالي

مزقتنا وسيرتنا هباءَ

أنت عاتٍ ونحن كالزبد الذا

هب يعلو حيناً ويمضي جُفاءَ!

وعجيبٌ إليك يممتُ وجهي

إذ مللتُ الحياةَ والأحياءَ

أبتغي عندك التأسّي وما تملك

رَدًّا ولا تجيب نداءَ!

كل يومٍ تساؤلٌ .. ليت شعري

من ينبّي فيحسن الإنباءَ؟!

ما تقول الأمواجُ؟ ما ألم الشمسَ

فولّت حزينةً صفراءَ

تركتنا وخلفتْ ليلَ شكٍّ

أبديٍّ والظلمةَ الخرساءَ

وكـــانَ القـــضاءَ يـــسخرُ مـــنِّي

حين أبكي وما عرفـــتُ البكـــاءَ

ربح دَمعي وربـــح ذلـــة نفـــسي

لَمْ تـــدع لي أحداثـــهُ كبريـــاءَ!

مناجاة الهاجر

دعِ النفسَ تمرحُ في خيالٍ وأوهـــام
وخلِّ لأجفاني كواذبَ أحلامـــي!
وقل يا حبيب القلب إنك عائـد
على جهل حساد وغفلـــة لـــوّامِ
وإنـــك دانٍ كـــالربيع وزائـــر
يضاحك نـــوار ومخـــضل أكمـــام
تعال أسقني خمر المواعيد والرضـــا
وخلّ الأماني البيض تغمر أسقامي
أيحرم حتى وهم حبك مـــن رمسى
بمهجتـــه فى نـــاره دون إحجـــام
وأنفـــق فيـــه قلبـــه وشـــبابه
فلم يَبْقَ إلاَّ الجرح والشفق الدامي!
ومن عجب أحنو على السهم غائرا
ويسألني قلبي متى يرجع الرامـــى ا
فيا لهفة لو كنـــت أدرى بموعـــد
وراء الليـــالى أو رجـــاءً بإلمـــام!

ولو كان عندي غير زفرة آسف

وحسرة أشعار ودمعة أقلام

ولو كنت أدري كيف يصفو مغاضبٌ

كأن رضاه في ذرى الكوكب السامي

كأن ائتلاقَ النجم والنجمُ مُشرقٌ

ثناياه تبدو في عبوسة أيامي

كأنَّ نسيمَ الليلِ يحمل طيبه

كأنَّ اصطدام الموج معبرُ أقدام!

فيا أملي النائي إذا كنتُ مذنباً

فقد تبتُ عن ذنبي إليك بآلامي!

حببتك، لا أدري الهوى ما وراءه

وما بعد سقمي فيك عاماً على عامِ

جمالُك نبراسي وروحُك كعبتي

وعيناك وحيي في الحياة وإلهامي!

الصورة

يا رسمَ من أعطى الهوى مفتاحَ قلبي المقفلِ

في جسد فنيّ الصبا وشباب أيامي بالي

يا ويح ما ضيعت فيه من قليل مخجلِ

ماضيٌ ضاع ولو قدرت لجدت بالمستقبلِ

يا رسم! كم من ليلة أبكيني وأستبكيك لي

حتى رجعت مخادعاً ومضيت جِدّ مضلّلِ

أرأيت لدمعي بادياً في وجهك المتبذّلِ

فاختال عينك هَزّها شكوى الغريب المهمَلِ

فبكَتْ وللك دموعها هذي تَسيل وذي تلي!

رجوع الغريب

عادتْ لطائرها الـــذي غنّاهَـــا
وشدًا فهاج حَنينَهـــا وشَـــجاهَا

أيُّ الحظـــوظ أعادهـــا لوَفيِّهـــا
ولجيِّ وحدتها وإلـــفِ صِـــباهَا

مشبوبة التحنان تكـــتم نارَهـــا
عبثاً وتـــأبَى أن يـــبين لظاهَـــا

يا إلفيَ المعبود! سِـــرّك ذائـــع
نـــار الحـــنين دفينـــها أفشاهَا

* * *

ماذا لقينا مـــن لقـــاءٍ خـــاطفٍ
وعشية كالبرق حان ضحاهَا؟!

يا ويح هاتيك الثواني لَم تقـــف
حتى تـــسيغ هنـــاءةً ذقناهَـــا!

حتى يمتـــع بساليقين مكـــذب
عينيه في رؤيـــا يـــضلُّ سَـــناهَا

تمضي لها الأبصارُ مُشعلةَ الهوى

وتحول عنها ما تطيق لقاهـا!

* * *

تخبو العواطفُ في الصدور وتنتهي

ويجف في زهرِ القلوبِ نـداها!

وأنا أحسُّ اليومَ بـدءَ علاقـةٍ

وعتيقُ نورِها وحسنَ مداها!

* * *

لم تُروِ منكِ نواظري وخواطري

ورجعتُ أزكى مهجةً وشفاها!

مدَّ الخريفُ على الرياضِ رواقَهُ

ومضى الربيعُ الطلقُ ما يغشاها

ما بالرياض؟! كآبةٌ في أرضِهـا

وسحابةٌ تغشي أديمَ سماهـا!

جمدت حمائمُ أيكِها وأنا الذي

شاكيتُها فاغرورقت عيناهـا!

* * *

كيفَ السبيلُ إلى شفاءِ صبابةٍ

الدهرُ أجمعُ ما يبلُّ صداها!!

وإلى نسائمِ جنةٍ سحريةٍ

قرّحتُ أجفاني على مغناها!

قضيتُ أيامي أضمُّ خيالَها؟

وأضعتُ أيامي أقولُ عساها!

قميص النوم

يا ليلةً سنحت في العمر وانصرمَتْ
هلاّ رجعتِ؟ وهلاّ عادَ أحبـــابي؟
ياليت شهدك إذ لم يبق لي أبـــداً
لم يبق في القلب تذكاراً من الصاب
لم أنسَ مُهديتي جلبابَهـــا وعلـــى
جسمي من السقم منها أيُّ جلبابِ
قميص يوسف رد العين مبـــصرة
ففاز بالنور ذاك المطرق الكـــابي
وأنتَ لو أنّ روحاً أزمعت ســـفراً
أعدتَها وخيـــالُ المـــوت بالبـــابِ
فَذُدْ خيالَ المنايا اليومَ عن رجُـــلٍ
أنشبنَ في روحـــه أشـــباهَ أنيـــابِ
وإنْ عجزتَ فكنْ في الموت لي كفَناً
أمتّ وألقى إلهي غـــيرَ هيّـــابِ

الغـــد

يا حنانا كَيَدِ الأسى المأزوم

وشعاعاً يُشتهى بعد الغيوم

أنا في بُعدِكَ مفقودُ الهُدى

ضائعٌ أعشو إلى نورٍ كريمِ

أشتري الأحلام في سوق المنى

وأبيع العمر في سوق الهموم

لا تقُلْ لي في غدٍ موعدُنا

فالغدُ الموعودُ ناءٍ كالنجومِ!

* * *

أغداً قلت ؟ فعلمني اصطبارا

ليتني أختصر العمر اختصارا

غمرَتْ بي نشوةٌ من فَرَحٍ

فرَقَصْنا أنت والقلبُ سكارى

وعرانا طائفٌ من خجلٍ

فاندفعنا في الأماني نتبارى

ســنذمُّ النــورَ حــتى يتلاشــى

ونــذمُّ الليــلَ حــتى يتــوارَى !

* * *

انفردنــا أنــا والقلــب عــشيا

ننسج الآمال والنجــوى ســويًا

فركبنــا الــوهمَ نبغــي دارَهــا

وطوينــا الــدهرَ والعــالَم طيَّــا

فبلغناهــــا وهللنــــا لهــــا

ونزلنــا الخلــد فيناتنــا تسمديا

ولقينا الحــسنَ غضــا والصِّبا

وتملَّيْنــا الجــلالَ الأبــديًا

* * *

قال لي القلبُ : أحقا مــا بلغنــا؟

كيف نام القدر الساهر عنــا ؟

أتراهــا خدعــةً حاقــت بنــا؟!

أتراهــا ظِنــةً ممــا ظننَّــا؟

قلتُ : لاتجزع فكم مــن منــزلٍ

عزّ حــتى صــار فــوق المــتمنى

إذنَ اللهُ بــــه بعـــد النـــوى

فتوينـــا راســـترحنا وأمِنـــا

* * *

ياجنان الخلد قـــدمت اعتـــذاري

إذ يطوف الخلد سقمي ودمـــاري

أيهـــا الآســـرُ في فُلـــكِ الهـــوى!

اعفُ عن لهفـــةِ روحـــي وأواري

أشـــتهي ضـــمك حـــتى أشـــتفي

فكـــأني ظـــامئ آخـــذ ثـــاري !

غـــير أني كلّمـــا امتـــدت يـــدي

لعناقٍ خفتُ أن تؤذيـــكَ نـــاري!

* * *

أيهـــا النـــور ســـلاماً وخشـــوعا

أيهـــا المعبـــد صـــمتاً وركوعـــا

ملكـــتَ قلـــبي ولُـــبي رهبـــةٌ

عصفت بالقلب واللُّـــبِّ جميعـــا

رُبَّ قول كنـــتُ قـــد أعددتـــه

لكَ إذ ألقـــاك يـــأبى أن يطيعـــا

وحبيبي من عتابٍ في فمي

قد عصاني فتفجّرتُ دموعا!

* * *

لذعتني دمعةٌ تلفح خدّي

نبهتني من ضلالٍ ليس يجدي

واختفتْ تلك الرُّؤى عن ناظري

وطواها الغيبُ في سِحْريِّ بُرْدِ

وتلفّتُّ فلا أنسمت ولا

جنةُ الخلد ولا أطيافُ سَعْدِ

وإذا بي غارقٌ في محنَتي

وبلائي أقطعُ الأيامَ وَحْدي

* * *

هات قيثاري ودعني للخيال

واسقني الوهم ! وعللْ بالمحال !

ودَع الصدق لمن ينشده

الحجى خصميَ فاغمرْ بالضلالِ

وخُمدَ الأنوار عنّي ربما

أجدُ الرحمةَ في جوفِ الليالي

خلّني بالشوقِ أستدني غداً

فغداً عندي كآبادٍ طوالِ!

رثــاء شوقــي

(ألقيت على قبر فقيد الشعر)

قلْ للذين بكَوْا على (شــوقي)
النــادبين مــصارعَ الــشُّهبِ
وا لهفتــاه لمــصر والــشّرْقِ
ولدولــة الأشــعار والأدبِ!
دنيــا تغــورُ اليــومَ في لحــد
وصحيفةٌ طُويــتْ مــن المجــدِ
ومُــسافرٌ مــاضٍ إلى الخلــد
سبقتهُ آلاءٌ بــلا عــدِّ
هذا ثرى مصرَ الكــريمُ، وكــمْ
أكرمتــهُ وأشــدْتَ بالــذكرِ
يلقاكَ في عطفِ الحبيــبِ فنمْ
في النــور لا في ظُلمــةِ القبْــر!
كم من دفــينٍ رحــتَ تحيــه
وبعثتــهُ وكفَفْــتَ غُرْبتــهُ

فاحلل عليه مُكرَّماً فيه
يا طالما قدَّست تربته

يا نازلَ الصحراء موحشةً
ربَّانةً بالصمت والعدمِ

سالت بها العبراتُ مجهشةً
وجرت بها الأحزانُ من قدمِ!

هذا طريق قد ألفناهُ
نمشي وراءَ مُشيّعٍ غالِ

كم من حبيبٍ قد بكيْناهُ
لم يَنْجُ من خالٍ ولا بالِ

وكأنَّ يومَك في فجيعتهِ
هو أولُ الأيامِ في الشجنِ

وكأنما الباكي بدمعتهِ
ما ذاق قبلك لوعةَ الحَزنِ!

فاذهبْ كما ذهب النهارُ مضى
قد شيّعته مدامعُ الشفقِ

مـا كنـتَ إلاّ أمـةً ذهَبـتْ

والعبقريّـةُ أمّـةُ الأُمَـم

أو شُـعلةً أبصارَنا خلبـتْ

ومنارةٌ نُصِبَتْ على عَلَـمِ

يا راقداً قـد بـاتَ في مَثْـوىً

بَعُدَتْ به الـدُّنْيا ومـا بَعُـدَا

أيْنَ النجومِ أصوغُ مـا أهْـوى

شعراً كشعْرِكَ خالـداً أبـدَا؟!

لكنَّ حـزنِي لـو علمْـتَ بـه

لمْ يُبْـقِ لي صـبْراً ولا جُهُـدَا

فاعـذر إلى يـومٍ نفيـكَ بـه

حقَّ النبـوغِ ونـذكرُ المجْـدَا

هبة السماء

(ألقيت فى حفلة تأبين المرحوم أحمد شوقى بك
بمسرح حديقة الأزبكية)

راحــوا بــأرواحٍ ظمــاءْ ... يتــهافتون علــى الفنــاءْ
جفــت حلــوق بعــدهم ... لم تلــق دونهــمُ رَواءْ
واهــا لكــأس كــالخلو ... د ومنــهلٍ فيــه الشفاءْ
نمــضي إليــه فنستقي ... ونَعُــبُّ منــه كمــا نشاءْ
فــاليوم إذ شــطَّ المــزارُ ... بكــم وقــد عــز اللقــاءْ
وبخلــتُمُ بخُــلِ الضَّنينِ ... فحَسْبُنا قطــراتُ مــاءْ!

* * *

أيــن الأمــين علــى الإمــارة ... والحــريصُ علــى اللــواءْ ؟!
قــبسٌ أضــاء العــالمين ... كمــا تُضــيءُ هــم ذكــاءْ
ثم اختفــى خلــف الغيــوب ... مخلفــا ظُلَــم المســاءْ
فكأنمــا هبــة الــسماءِ ... قــد اســتردتها السماءْ !

* * *

جــزعُ الريــاض لطــائرٍ ... غــنى فأبــدع فى الغنــاءْ
حــتى إذا خلــب العقــولِ ... وقيــل : ســحرٌ لامــراءْ !

وَلّى عن الأيكِ الفخو   رِ بهِ إلى عرضِ الفضاء
فكأنَّه والسُّحْبُ تطويه   فيمعن في الخفاءْ
دنيا من الأمل الجميـ   ـلِ قد استبدَّ بها العفاءْ !
ووراءها شفقٌ من الذكرى   كجمرٍ ذي دماءْ !
وتُسائل الدُّنيا التي   ناطت به كل الرجاءْ
عن أي سرٍ طار عن   هذي الربى وعلام جاء ؟!
قم يا فقيد الشعر وانـ   ـظر أيّ حفلٍ للرثاءْ !
أممٌ يعبّر بعضها   بعضاً وهيهات العزاءْ !
هذي الجموعُ الباكياتُ   الساخطاتُ على القضاءْ
قاسمتها أشجانها   ووفيتَ ما شاءَ الوفاءْ
أوَلَمْ تجدكَ لسانها الـ   ـشاكي إذا احتدم البلاءْ؟
أوَلَمْ تكن غرِّيدها   ونديمها عند الصفاءْ؟
لِمَ لا توفّيك الجميلَ   وتستقلُّ لك الفداءْ؟!

* * *

ومُنَعَّمٍ بين القصورِ   قد اسْتتمَّ له الثراءْ
ما بالهُ حملَ الهمومَ   وجشَّم القلبَ العناءْ!
وينوءُ بالعبءِ الذي   هو عن أذاه في غناءْ!
ويصحّ الذكاءِ وما يكلّفهُ   من الشَّمَمِ الذكاءْ!

أضنى قواه ولم يدع ... من جسمه إلاّ ذماءْ
والمجد يوغل في حنايا ... روحه والمجدُ داءْ!
صرح من الأدبِ الصميمِ ... له على الدنيا البقاءْ
الدهرُ يحمي ركنه ... والفنُّ في روح البناءْ

* * *

(شوقي)! على رغم التفرّدِ ... والتفوّقِ والعلاءْ
ذاك الوقاذُ بساحةٍ ... لك الرجال بها سواءْ
وبرغم ذهنٍ كالفراشةِ ... حول مصباحٍ أضاءْ
مثواك لا تشكو السكونَ ... ولا تمل من الثواءْ

هجاء أعمى بغيض زوج حسناء

يا جمالَ الصِّبا وأنس النفوسِ
خبِّرينا عن زوجكِ المنحوسِ!
حَدِّثيني أنت عن عماه "الخيسي"
وصفي لي الغرام (بالتحسيسِ)

* * *

حدثينا عن المهيب المفدَّى
وجمالٍ يُصَيِّرُ الحُرَّ عَبْدا!
وجنونِ الأعمى إذا ما استجدى
وهو يعشو لنارهِ كالمجوسِ

* * *

يا جمالاً في التربِ يُلقَى ويُرمَى
يا لَظلمِ الحظوظِ والحظُّ أعمى!
وبلائي أني أسميه ظُلما
وهو لفظٌ ما جاءَ في القاموس

* * *

آه من قسوةِ الطبيعة شقت
ظلمةٌ في مكان نورٍ ورقت
دونَ قصدٍ لعينه فاستبْقَتْ
كسوةً في فضائها المطموسِ!

*　*　*

كسوةٌ تنفذ الخفيظةُ عنها
ويُطلُّ الدهاءَ والخبثُ منها!
طالعتنا في طلعةٍ لم تزغها
"كالفتيل" الحقيرِ في (الفانوس)

*　*　*

كذليل الأبقار إذ ربطوه
وتراهم بخرقةٍ عصَّبوه
فإذا ما عصاهمو ضربوه
وتمشَّى على غناءِ "الأدوس"

*　*　*

وتراه تقولُ يقطر بغضا
حيوانٌ يريد أن ينقَضَّا

حسبك الله! عشت تنظر أرضـــا

فابق فيها! حُرِمْتَ نورَ الشموس!

الانتظار

(وقف الشاعر ينتظر تحت العاصفة والظلام والبرد)

لعينيكَ احتملنــا مــا احتملنـــا
وبالحرمـــانِ والـــذلّ ارتضينا
وهانَ إذا عطفتَ ولـــو خيـــالاً
وأين خيالــك المعبـــود أينـــا؟!
تعالَ! فلم يعد في الحـــي ســـارٍ
وهوّمت المنـــازلُ بعـــد وهـــنٍ
ورانَ علـــى نوافـــدها ظـــلامٌ
وقد كانت تطلُّ كـــألف عـــينٍ
تعالَ! فقد رأيتُ الكـــون يحنـــو
عليّ ويـــدرك الكـــرب الملمّـــا
ويجلـــو لي النجـــومَ فأزدريهـــا
وأغمض لا أريد سواك نجمـــا!
وعنتظـــرٌ بأبـــصاري وسمعـــي
كما انتظرتـــكَ أيـــامي جميعـــا

وهل كان الهوى إلاّ انتظاراً

شتائي فيك ينتظر الربيعا

أرى الآباد تغمرني كبحرٍ

سحيقِ الغور مجهولِ القرار

ويأتمر الظلام عليَّ حتى

كأني هابط أعماق غارِ

وتصطخبُ العواطف ساخرات

وتطعنُني بأطرافِ الحرابِ

وتشفقُ بعدما تقسو فتمضي

لتقرع كل نافذةٍ وبابِ

فصحت بها إلى أن جف حلقي

فحين سكتُّ كلمني إبائي

وأشعرني العذابُ بعمق جرحي

وأعمق منه جرح الكبرياء

ولمّا لَمْ تفزْ بلقاك عيني

لمحتكَ آتياً بضمير قلبي

فأسمعُ وقعَ أقدامٍ دوانٍ
وأنصتُ مصغياً لحفيفِ ثوبِ
وأخلقُ مثلما أهوى خيالاً
لناءٍ صار من قلبي قريبا
أمدُّ يديَّ في لهفٍ إليه
أشاكيه بمحتسبِ الدموعِ
فيسبقني إلى لقياه قلبي
وثوباً يبردُ في ضلوعي
فتصطخب العواطفُ ساخراتٍ
وتطعنني بأطرافِ الحرابِ
وتشفق بعدما تقسو فتمضي
لتقرعَ كلَّ نافذةٍ وبابِ

صلاة الحب

أحقاً كنتَ في قربي ... لعلي واهمٌ وهما
تكلّمْ سيدَ القلبِ ... وقل لي: لمْ يكن حلما

* * *

دنوتَ إليَّ مستمعاً ... فبحتُ، وفرطَ ما بحتُ
بعادك والذي صنعا ... وهجرُك والذي ذقتُ
وحبّي! ويحه حبّي ... تبعتك حيثما كنتَ
تكلّمْ سيدَ القلبِ ... وقل بالله ما أنتَ ؟!

* * *

أرى في عمق خاطرك ... جلالاً يشبه البحرا
وألمح في نواظرك ... صفاء الرحمة الكبرى

* * *

وأنت رضيً وتقبيلُ ... وأنت ضنىً وحرمانُ
وفي عينيك تقتيلُ ... وفي البسمات غفرانُ

* * *

وأنت تهلّلُ الفجرِ ... وبسمتُه على الأفقِ
وحيناً أنّةُ النهرِ ... وحزنُ الشمس في الغسقِ

* * *

وأنت حرارةُ الشمسِ وأنت هناءةُ الظلّ
وأنت تجاربُ الأمسِ وأنت براءةُ الطفلِ

* * *

وأنت الحسنُ ممتنعاً تحدّى حسنه النجما
وأنت الخيرُ مجتمعاً وعندك عرشهُ الأسمى

* * *

وعندك كلّ ما أظما وردّ القلبُ لهفانا
وعندك كلّ ما أدمى وزاد الجرح إثخانا

* * *

وعندك كلّ ما أحيا وشدّد عزمه الساهي
حنانُكَ نضرةُ الدنيا وقربُكَ نعمةُ الله!

* * *

وفيم هواجس القلب وفيم أطيلُ تسآلي
أحبك أقدسَ الحبِّ وحبك كنزيَ الغالي

* * *

سناكَ صلاةُ أحلامي وهذا الركنُ محرابي
بهِ ألقيتُ آلامي وفيه طرحتُ أوصابي

* * *

هوىً كالسحر صيّرني — أرى بقريحة الشهبِ

وطهّرني وبصّرني — ومزّق مغلقَ الحجبِ!

* * *

سموت كأنما أمضي — إلى ربٍّ يناديني

فلا قلبي من الأرض — ولا جسدي من الطينِ!

* * *

سموت ودقّ إحساسي — وجُزتُ عوالم البشر

نسيت صغائر الناسِ — غفرت إساءَة القدرِ!

مصافحة اللقاء

أهاب بنا قلبّينا   منادٍ ضمَّ روحينا

كأنا إذ تصافحنا   تعانقنا بكفّينا

كأن الحبَّ تيار   سرى ما بين جسمينا

يؤجج في نواظرنا   ويشعل في دمائنا

مصافحة الوداع

يـــا أمـــيري! أزف الـــبين ... ومـــا زلـــت ضـــنينا

أصغ لي! وانظـــرْ ودع كفـــك ... في كفـــــي حينـــــا

آه مـــن عينـــاك هـــذي ... والـــذي منـــها ســـقينا

عللتنـــــا بالأمـــــاني ... فـــشربنا ظامئينـــــا

ثم دارت بالمنايـــــــــا ... فوردنـــا طائعينـــــا

آه مـــــن قاســـــية ... ريانـــة ضـــعفاً ولينـــا

يـــا بنانـــاً ســـاحراً قـــد ... حكّـــم الأقـــدار فينـــا

نفـــفتي موتـــــورة ... ظمآنـــة جنـــت جنونـــا

وكـــأن الآن كفـــي ... حملـــت ثـــأراً دفينـــا

تتمنـــاك حبيـــباً ... عنـــدها العمـــرَ ســـجينا

طـــائراً ألقـــى علـــى ... راحتـــها وكـــراً أمينـــا

وشـــعاعاً قدســـيا ... هـــاديَ النســـور مبينـــا!

أغنية في هيكل الحب

كم تجرّعنا هوانا ... ولقينا في هوانا
وبلونا نار حب ... لم نذقْ فيها أمانا
وإذا حلَّ الهوى هيهات ... تدري كيف كانا
فإذا ما ملك الأنفس ... أصلاها عوانا
فهو نصلٌ مستقرٌّ ... ولهيب لا يداني !
يا حبيبي هدأ الليل ... ولم يسهر سوانا
لا الدجى ضمَّد جرحينا ... ولا الصبح شفانا
لا الهوى رقَّ على الشاكي ... ولا قاسيه لانا
قد غدونا غرض الرامي ... كما شاء زمانا
وافِنيْ بالله نطرقْ ... هيكل الحب كلانا
ساعة نبكي على الكاس ... ونشكو من سقانا!

دعاء الراعي

عن الألمانية ... من أغاني هيته

(قصيدة رمزية)

يا أيها الحملُ الوديعُ أنا الـــذي
يحنو عليك. أنا الحبيبُ الراعـــي
كم ليلة والرعبُ يمشي في الدجى
والهولُ منتشرٌ علـــى الأصـــقاع
أغفيتَ في كنفي وفي ظلِّ الكرى
كالطفلِ في أمنٍ مِـــنَ الأوجــاعِ
ياربُّ قد وهنت العصا واستأثرتْ
غيرُ الليـــالي بـــالقويِّ البـــاعِ
يا ربِّ إن تلك قد حكمتَ بفرقةٍ
وإذنتَ للراعي بوشـــك زمـــاعِ
فانظر إلى الحملِ الوديع ووقِّـــه
شرَّ النفوسِ وفتنـــةَ الأطمـــاعِ

نضِّرْ له الـــدنيا ومــد ربيعَهـــا

وانشرهُ مؤتلقـــاً بكـــل شـــعاع

واجعلْ له الأيامَ ظـــلاًّ وارِفـــاً

وخريرَ أنهارٍ وخصبَ مراعـــي!

التذكار

معرّبة عن "ألفرد دي موسيه"

بي نزوع إلى الدموع الهوامي
غير أني أخاف من آلامي
أيهذا المكان! يا غالي التـرب!
ومثوى عبادتي واحترامي!
أنت مثوى الذكرى ومدفنُها الغالي
القصيُّ المجهولُ في الأيام

* * *

هذه خلوتي فلا تمنعوني
ما الذي تحذرون يا خلاني
إنها عادتي التي كنت أعتادُ
وأهوى في سالفِ الأزمانِ
أخذتني إلى الرحاب وقادت
قدمي في سبيلِ هذا المكان!

* * *

أنظروا هذه السفوحَ وهذا النبتَ

إذ قـــام مزهـــراً تيّاهـــا

لكأني مـــا زلـــتُ تـسمع أذني

في صموتِ الرمالِ وقع خطاهـــا

وكـــأن النجـــوى بكـــل ممـــرّ

طـــوقتني في ســـترهِ يمناهـــا!

* * *

قد تراءى الـصنوبر النـضر إذ

أينـــع في قـــاتمٍ مـــن الألـــوانِ

وتـــراءى لي المـضيقُ البعيـدُ

الغور يمتـدُّ في رخـيّ الجـنانِ

موحـــشات لكنمـــا كـــن ألا

فِ ومهد الهـنيء مـــن أزمـــاني

* * *

أنا ما جئتَ ها هنا أذكر الأشـــ

ـــجان في موطنٍ عرفت فيه هناتي

ذلك الغاب رائع الحسن

والصمت مثال الجلال والكبرياءِ

وفؤادي عاتٍ كرائعِ هذا الغابِ

مستكبرٌ على البرحاءِ!

* * *

من يشأ أن يفيضَ يوماً بشكواه

فما هذا موضع الأحزان

قل لشاكٍ هلاّ مضيت لتجنو

عند مثوى ميت من الخلان؟

كل شيء حيٌّ هنا ونباتُ القبرِ

ينمو في غيرِ هذا المكان!

* * *

طلع البدرُ يرتقي ذروةَ الأفقِ

ويجتازُ حالكَ الأسدادِ

يا أمير الظلامِ إنكَ تبدو

حائرَ الرأي، واضحَ التردادِ

ثم تمضي مجاوزاً حجبَ الليلِ

وترمي بنورك الوقّادِ

* * *

كلّما شارف الثرى فيض نورٍ

مرسلٍ من جبينك الوضّاحِ

وإذا الأرض قد تضوّعَ منها

عن ثراها النديِّ عطرُ الصباحِ

استشرت عطرَ القديمِ من الحبِّ

دفين العبيرِ في الأرواحِ

* * *

أيهذا الوادي المحبب ما زرتك

حتى سألت عن أوصابي

أين راحت لواعجي أين آلامي

اللواتي أهزمتني في الشباب

عاودتني طفولتي فيك حتى

خلتُ أني ما اجتزتُ يومَ عذابِ!

* * *

يا خفاف السنين! يا صولة الدهرِ
قويـــا مثـــل الجبـــابرِ عـــاتِ
كل ماضي صبابة قـــد أخـــذتن
فمن ســدمعٍ ومـــن حـــسراتِ
ورحمـــتنَّ لي أزاهـــر ذكـــرى
علقـــتْ في ذبولهـــا بالحيـــاةِ

* * *

فـــسلامٌ مـــني علـــى الأيـــامِ
كيف آستْ في النازلاتِ الجسامِ
لم أكـــن أدري أن جرحـــاً بمـــا
كابدتُ منه مـــن فاتـــك الآلامِ
معقبٌ لذةً لنفـــسي وإحـــساس
هنـــاءٍ لـــديَّ بعـــد التئـــامِ

* * *

فليبْن عنيَ السخيفُ من الـــرأيِ
وتنـــأى سفاســـفُ الأقـــوالِ

وهمومٌ كواذبٌ كفنت أثوابُها

حُبُّ عاشقين ضلال

جعلوها مظاهراً لهواهم

والهوى الحقُّ ليس منهم ببالِ

* * *

إيه دانتي! أأنت ذاك الذي قال

قديماً عن ذكريات المساء:

إنها إن مرّت على ذاكريها

زمن الحزن فهي أشقى الشقاء!

اي بؤسى أملت عليك مريرَ

القول حقاً أسأت للبأساءِ

* * *

أو إنْ أقبل الدجى بعد إدبارِ

نهارٍ صافي الضياء لمضيئةْ

تنكرُ النورَ في الوجود فيغدو

محضَ وهمٍ كأنه ما رأيته

ذلك القول وهو جدّ عجيـــب

أيها الخالد الأسى كيــف فلتَــهْ

*   *   *

قسماً بالطهورِ من لهبِ الحــبِ

مضيئاً في القلــب شــبه المنــارِ

ما عهِدْنا في قلبك الوافرِ الإيمــ

ــانِ هذا الظــلالَ في الأفكـــارِ

لا أرى للــهداءِ واللهِ صــــدقاً

مثل صـــدقِ الخنـــاءِ بالتـــذكارِ

*   *   *

أو إنْ أبصرَ الــشقيُّ وميــضاً

في رمـــادِ الجـــوى فقـــام إليـــهِ

باســـطاً نحـــوَهُ يديـــهِ بلـــهفٍ

حارصـــاً أن يمـــرَّ مـــن كفّيـــهِ

وبه من إشـــعاعهِ أثـــرُ الــبرقِ

إذا مـــرَّ خاطفـــاً ناظريـــه

*   *   *

أو إن غاصت روحهُ في عبـــابِ
الذكريات التي طوتها السنين!

وعلـــى مــرآة مجرحــة منــها
جرى دمعه الـسخي الهتــون!

أم هذا السرور من ذِكرِ الماضي
تـــسميه بالعـــذابِ المــبين!

* * *

إن ترى أدمعي فلا تزجـــروني
ودعـــوني إني أحــب الـــدموعا

لا تجفف أيديكمُ أدمعـــاً تنفـــعُ
قلبـــاً لمــا يــزلْ موجوعـــا

أدمعي سترٌ مسبلٌ فوق مـــاضٍ
قد تولى ما يـستطيع رجوعـــا!

البحيرة

معربة عن لامارتين

من شــاطئٍ لــشواطئٍ جُــددِ
يرمي بنــا ليــلٌ مــن الأبــدِ
ما مَرّ منه مــضى فلــم يعــدِ
هيهات مرســي يومــه لغــدا

*   *   *

سنةٌ مــضت! وختامُهــا حانــا
والــدهرُ فــرّق شملَنــا أبــدا!
ناجِ الــبحيرةَ وحــدك الآنــا
واجلسْ بهذا الصخرِ منفــردا!

*   *   *

قل للــبحيرةِ تــذكرين وقــد
سكن المــساءُ ونحــن بــاللججِ
لا صوت يسمع في الدنى لأحدْ
إلا صــدى المجــدافِ والمــوجِ

*   *   *

فـــإذا بــصوتٍ غــيرِ معتــادِ
هزَّ الـــسكونَ هتافــةُ العـــذبُ
أصغى العبابُ ورجّع الـــوادي
أصـــداءَه وتناجـــتِ الـــسحبُ

* * *

يا دهـــر في رفــق ولا تــدرِ :
ســـاعاته في هينـــة وقفـــي
حـــتى تتـــاح هنـــاءة العمـــرِ
وتطـــول لـــذتها لمقتطـــفِ

* * *

هلا التفــتَّ لـــذلك الكـــونِ
وعلمت كم في الناس من باكي
يدعوك خذني والأسى المـــضنيْ
خلِّ الممتِّع وامـــضِ بالـــشاكي

* * *

هـــذا النعـــيم وهاتـــه المحَـــنُ

يتنافـــسان الـــدهر إقلاعـــا

فبـــأي عـــدلٍ أيهـــا الـــزمنُ

تتـــشابهُ الحـــالان إســـراعا

* * *

يا أيها الأبد الـــسحيق أجـــبْ

وتكلمـــي يـــا هـــوة الماضـــي

ما تـــصنعان بأشـــهرٍ وحقـــبْ

ونعـــيم عمـــرٍ غـــير معتـــاض

* * *

تاج البحيرةَ والـــصخورِ تزغـــدْ

فاســـتحلِفِ الأغـــوارَ والغابـــا

قل صُنَّ ذكـــر غرامنـــا فلقـــدْ

صين الشبابُ عليـــك أحقابـــا

* * *

وليبق يـــا هـــذي البـــحيرة في

حاليـــك ثـــائرة وهادئـــةً

في باسقٍ للمساء منعطفِ

في رائعات الصخر نائتةً

* * *

في عابر النسماتِ مرتجفا

في النجم فضض صفحةَ الماءِ

في الريح أنّ أنينه وهفا

في الغصن نفّسَ حر أحشاءِ

* * *

في الجو معتنقاً برِّياكِ

خطرت ملاعبة رقيق صبا

في كل هذا هاتفٌ باكي

سيقول : يا أسفا لقد ذهبا!

وداع المريض

(مهداة إلى س ...)

"مريض عزيز سهر الشاعر عند سريره يعنى به."

"وكان وداعه في الصباح فكتب يودعه بالقصيدة التالية"

فيم الغدو غداً وأيــن رواحـــي
ويح الصباح ! لقد مضى بصباحي

عصفت علينا غير راحمـــة لنـــا
ياصفوة الأحباب ، أي رياحِ!

عبثت بمعبود العيون وصـــيّرت
كالورس لونـــاً تـــوأم التفـــاح

ذهبوا به كالورد جافاه النـــدى
ومضوا به شبحاً من الأشـــباح

يا هاتفاً باسمي فـــديت مناديـــاً
رد النداء عليه حـــر نـــواحي!

يا آسي الآسي لمست جـــراحتي
وأسلت يوم نواك أي جـــراحِ!

طأطأت للبين المشتت هامتي

وخفضت للقدر المغير جناحي

أي الليالي العاتيات سهرتها

في أي آلام وأيّ كفاح!

هدم الضنى العاتيّ قوي شكيمتي

وثني معانديّ ورد جماحي!

وطغى على الملك الموسد بيننا

في لطف زنبقة وضعف أقاح!

كيف المآب إلى مكان موحش

متجهم العرصات قفر الساح!

في كل ناحية خيال هاتف

ومذكر بجبينك الوضاح

وموسد كالطيف صاح ليله

أمسيت أرعاه بجفن صاح

* * *

عاد الشقي إلى قديم شقائه

ومحا من الدنيا السعادة ماحي

وبح الحياة اليوم أين جمالها

وعلام إخفاقي بها ونجاحي

أنت الذي وهب الحياة ليست

في الأرض منفرد بغير طماح

أشرقت في ظلمائها وغمامها

وطلعت مثل البارق اللماح!

فرحـــــة جديــدة

أدركت عندك يوميَ الموعــودا
ولقيت فيك مثــاليَ المنــشودا
وا فرحتي بك فرحة الطفل الذي
يلهو ويخلق كــل يــوم عيــدا
وا فرحتي بك فرحة الطير الذي
ملأ الروابي المــصغيات نــشيدا
طربتْ لصدحته وصفق ظــافراً
جذلانَ في عرض الفضاء سعيدا
في موكبٍ من قلبــه وحبيبــهِ
من راح تحسبه العيون وحيــدا
وا فرحتي بك فرحة الضال الذي
يطوي القفارَ اللافحاتِ شريدا:
لاحت له بعد الهــواجر أيكــةٌ
غنّاء تبــسط ظلــها الممــدودا

ما أعجب الدنيا التي بعث الهوى

وأحالها روضاً أغر جديدا

شتى غرائبها وأعجبها فتى

يغدو لهجته عليك حسودا

يتهالكان على جمالك صبوة

يتنافسان ضراعة وسجودا

يتنازعانك غيرة وتغضبا

كل يراك حبيبه المعبودا

ما أعجب الإيمان يغمر خاطري

كالفجر قد غمر السماء وبيدا

مزقت شكي فاسترحت لأعين

علمتني الإيمان والتوحيدا

استقبـال القمـر

أقبِلْ بموكبك الأغرّْ   ما أظمأَ الأبصارَ لكْ!
العينُ بعدك يا قمرْ   عمياءُ! والدنيا حَلَكْ!
تمضي وراءَ سحابةٍ   تحنو عليك وتلثمُكْ
وأنا رهينُ كآبةٍ   بخواطري أتوهّمُكْ!
كُنْ حيث شئتَ فما أنا   إلاّ معنًّى بالخيالْ
أغدو تقدسك بالمنى   وأزور عرشك بالخيال!
وأقول صبراً كلّما   عزّ الفكاكُ على الأسيرْ
روحي وروحك ربما   طابا عناقاً في الأثيرْ!
مهما تسامى موضعُكْ   وعلا مكانُك في الوجودْ
فأنا خيالُك أتبعُكْ   ظمآنَ أرشفُ ما تجودْ
قمرَ الأماني يا قمرْ   إنّي بهمٍّ مُسقِمِ
أنتَ الشفاءُ المدّخرْ   فاسكب ضياءك في دمي
أفرِغْ خلودَكَ في الشبابْ   واخلعْ على قلبي الصفاءْ
أسفاً لعمرٍ كالحبابْ   والكأسُ فائضةٌ شقاءْ

* * *

خذني إليك ونجّني ... ممّا أعاني في الثرى

قدحي ترنّق فاسقني ... قدح الشعاع مطهّرا!

واهاً لأحلامٍ طوالْ ... وأنا وأنتَ بمعزلِ

نعلو على قمم الجبالْ ... ونرى العوالم من عَلِ

نفرتيتي الجديدة

(إلى ممثلة فنانة)

لمن هاته الفتنة النادرة
وما هاته الأعين الساحرة؟
وما ذلك المرح القدسي
وما هاته الضحكة الطاهرة؟
تطوف مطاف الحنان العميم
وتسقط كالنعمة السوافرة
وتمتد مثل امتداد العباب
وترجع كالموجة الساخرة
وتنقش أصداءها في القلوب
وتبقى مدى العمر في الذاكرة
فيا رقةً سكبت في النفوس
كما تسكب الخمرة القاهرة
تسينا بك العالم الدنيوي
وأسمعتنا نغم الآخرة

ويابسة مـن نـواحي الأطلسِ

أطلت علـى مهـج شـاعرة

حنينا إلى الـرؤوس لجسد الجمـال

ولـذنا بعرشـك يـا آسـرة

(....) مثلـت هـذي الحيـاة

وصـورت أدوارهـا الزاخـرة

وحملـت روحـك أثقالهـا

وروحـك كالريشة الطـائرة

وكلفت قلبك خوض الجحيـم

وقلبـك كالجنـة الناضـرة

دفعت به في اللظـى كالخليـل

وعـدت مباركـة ظـافرة

رجعت مـن النـار يـا قوتـة

مطهـرةً حـرَّةً بـاهرةْ

(....) إن كرمتـك البـلادُ

ودانـت لمجـودة قـادرةْ

فـــو الله مافهمتــــك العقـــولُ

ولاقدرتْ قــدركِ "القــاهرةْ"

فللــشعر عــينٌ يــراكِ بهـــا

بغير عيــون الــورى النــاظرةْ

يرى لك حُسْنَ الشعاع الجميل

أغار علـــى الظلمـــة الغـــامرةْ

فجلل بالـــسحر هـــذي الدُّنى

وصـــيَّرها جنـــة زاهـــرةْ

فنـــوَّر أكواخهـــا الباليـــات

وهلَّـــل فى دورهـــا العـــامرةْ

رسولٌ يجـــوسُ خـــلال الـديار

ويـــنزل كالرحمـــة الزائـــرةْ

بعـــين قـــد اغرورقـــتْ

لهـــا مُقلـــةُ الغيمـــة المـــاطرةْ

يطوف علـــى النـــاس إنـــسانها

ومهجتـــه للـــورى غـــافرةْ

الفــــــراشــــــــة

أجلْ! يعلــم الحــبُّ أني لظــاهُ
وتدري الفراشة أنّــي اللّــهبْ
وأني بــدوتُ لهــا في الظــلام
فرفــتْ بأجنحــةٍ تــضطربْ
وبــين ذراعــيَّ ســرُّ الحيــاةِ
وفي نــاظريَّ بريــقُ الــشُّهُبْ
دانــت خطــوة ثم عــادت إلى
مجاهلها مــن خفــيّ الحجُــبِ!
وشتّان بــين الــسنا والظــلام
لعابــدةٍ للــسنا عــن كثــبْ!
وفي صــدرها لهفــة للعنــاقِ
وفي قلبــها جنــةُ المغتــربْ
يلــوح لهــا شــبحٌ للعــذاب
ويبــدو لهــا الأبــدُ المقتــربْ

كأنَّ اللظى قدحٌ من سلافٍ

لها فوقه وثباتُ الحببْ

فراشة روحي تعالَيْ وثوباً

ستلقين قلباً إليك يثبْ

إذا ما امتزجنا احترقنا معاً

ونلنا الخلود بهذا العطَبْ!!

إلى س ...

جئتُ أشكو لكِ روحي وجواها
وردت ظمأى وعادت بصداها
آه من عينيكِ ماذا صنعتْ
بغريبٍ مستجيرٍ بحماها؟!
تبعته تقتفي أحلامَهُ
كلّما أغفى أطلّت فرآها
يا سقى اللهُ "لليالي" أيكةً
وجزاها الخيرَ عنّا ورعاها
وغذاها من أمانينا ومن
حبنا الشهدَ المصفى وسقاها
قرّبي عينيكِ مني قرّبي!
ظلليني واغمريني بصفاها
وأريني هدأة البحرِ إذا
انبسط البحرُ جلالاً وتناهى

وأريني لجّةَ السحرِ التي

ضلَّ في أعماقها الفكرُ وتاها

ألمحُ اللؤلؤ في أغوارها

وأرى الطيبةَ تطفو في سناها

وأراها تُخبِّئُ الخلدَ لمن

باع دنياه وبالروح اشتراها!

* * *

نحن أرواحٌ حيارى افترقتْ

ثمّ عادت فتلاقت في شجاها

سوف ينسى القلبُ إلاّ ساعةً

منْ رضاً في وكرِك الحاني قضاها

هتف القلب وقد حدثني

أيّ ماضٍ كشفت لي شفتاها

هَمَسَتْ في خاطري فاستيقظتْ

روحيَ الحيرى وأصغت لنداها

فأنا إنْ لمْ أكُنْ توأمَها

فكأنّي كنت في الغيبِ أخاها

نحـــن أرواحٌ حيـــارى ثملـــتْ

وانتشتْ سكرى على لحنٍ أساهَا

وتعـــاليْ حـــدّثيني ! حـــدّثي!

أنت مرآة شـــجوني وَصَـــدَاهَا

فهبيني ســـاعة الـــصفو الـــتي

تقسمُ الأيامُ مـــا فيهـــا ســـواها

ثمّ أمـــــضي لحيـــــاةٍ مـــــرّةٍ

صبْحُها عندي سواءٌ وَمَـــساهَا!

نـداء للشباب

وطنٌ دعا وفتىً أجابْ   بوركت يا عزم الشبابْ!
يا فتية النيل المسا   لم والكريم بلا حسابْ
جناته مرآتكمْ   ولكم خلائقها العِذابْ
ولكمْ جمال الزهرِ رفَّ   على الأماليدِ الرطابْ
ولكم فؤاد النهر رق   على المحاني والشعابْ!
يمضي فيضحك للسهول   ولا يضن على الهضابْ
حتى إذا طغت الكوارث   واستفزكم العذابْ
أصبحتم كالغيل تحميه   الليوثُ بألف نابْ
قل للشباب اليوم يومكم الأغر المستطابْ
اليوم يبدو حبُّ مصر فلا خفاءَ ولا حجابْ!
إن كان إثماً يا شبابُ فلا رجوع ولا متابْ!
الله ينظرُ والليالي عندها لكم الحسابْ
والعهدُ في القلبِ الصابرِ   والأمانةُ في الرقابْ!
هاتوا الفدا الغالي لمصر   وأرخصوه كالترابْ
المال ، والأرواح كل   ضحيةٍ وهما ثوابْ

في يوم الشباب

اليوم يومُك في الشباب قنادِ
لا نوم بعدُ ولا شهيَّ رقادِ
قل للذي يبغي الصلاحَ لقومهِ
بنبيل صنعٍ أو شريفِ جهادِ
بالطبِّ أو بالشعر أو بكليهما
كل الجهودِ فداءً هذا الوادي!
لا خير في قلمٍ إذا هو لَمْ يكنْ
حرا طهوراً كالشعاعِ الهادي
لا خير في طبٍّ إذا هو لم يزُرْ
ظلم الحياة كفرحةِ الأعيادِ
يا أيها الوطن الجريح وجرحهُ
بصميم كل حشاشة وفؤادِ
صبراً فنحن أساتك الرحماء في
البأساءِ قد جئنا بكل ضمادِ

قل للبناةِ المصلحين ألا اخلقــوا
شم الذرى ورواسخَ الأطــوادِ
جيلاً من النشء القوي إذا مشوا
رفعوا الرؤوسَ بعــزةٍ وعنــادِ
لا خير في الأرواحِ تسكنُ منزلاً
متهــدماً رثــا مــن الأجســادِ
لا خير في الأرواحِ تسكنُ موطناً
متخــاذلاً لا يرتجــى لجــلادِ
أبكَتْ عيونُكم الضعيفَ يصير في
ناب القويِّ فريــسةَ اســتعبادِ
فتبينوا إذنِ الحقيقَــةَ واعلمــوا
أن الطبيعةَ هكــذا مــن عــادِ
الجوُّ ملكُ النسر يغــشاه علــى
ما يشتهي والغــابُ للآســادِ
مهلاً بني قومي أتيــتِ مــذكراً
في ســاحةِ مجموعــةِ الأشــهادِ

واخجلتنا مما نقدمه إذا
حان الحسابُ وجاء يومُ معادِ
أي الصحائف في غد وحسابكم
في ذمةِ الأبناءِ والأحفادِ
أيّ البلاد هو السعيد وأهله
يتنابذون تنابذ الأضدادِ
كل يعيش لنفسه في أمةٍ
شقيتْ بطولِ تفرقِ الأفرادِ
فخذوا السبيلَ إلى الحياة تآلفاً
وتكاتفاً في رغبةٍ ووِدادِ
خير الصحائف ما كتبتَ سطورَه
بيد الكفاح الحر لا بمدادِ
صونوا البلادَ وأدركوا فلأحكم
كاد الحمى يغدو بغير عمادِ
حيران من مرضٍ إلى بؤسٍ إلى
كربٍ تمرُ به بلا تعدادِ
هذي ديارُكمُ وهذي شمسُكم
طمعُ الغريب وحرقةُ الحسادِ

ومن المصائب في زمانك أن ترى

بلداً كثير مناهل الرواد

والخيرُ مدرارٌ عليه وربه

جوعان محروم الرعاية صادِ!

والزرع نضر في الحقول وأهله

يتهيأون لمنجل الحصادِ ....!

هذا زمانكم وذا ميدانكم

ماذا بكم من عدة وعتادِ؟..

نبغي شداد القوم قد شحذوا

القوى في ليل أحداث نزلن شدادِ

ونريد شباناً بمصر استعصموا

ومضوا يصدون الغريبَ العادي

ونريد أطفالاً إذا ما أُرضعوا

فرضاعهم وطنية بسهادِ

الطفل منهم مثل أمي أو أبي

شفتاه أول ما تقول بلادي..!

يُغذون في الأرحامِ حب بلادهم

لتكون مصراً صرخة الميلادِ

إلى روح الشاعر

ألقيت فى حفلة الذكرى للشاعر المرحوم طانيوس عبده

بمعهد الموسيقى الشرقى يوم الثلاثاء

٢٠ فبراير سنة ١٩٣٤

موقفٌ حانَ فاغتنمْ ... وتخيّر من الكلمْ

كلُّ لفظٍ أرقُّ من ... ضحكةِ الزهر للائمْ

مُستَمَدٌّ من الرؤى ... مُستعارٍ من النَّسمْ

اجمعِ الآنَ طاقةً ... غضَّةَ النور تبتسمْ

أُهدِها روحَ شاعرٍ ... خالدٍ بالذي نظمْ

* * *

قلمي! ما الذي لديكَ ... من الخيرِ يا قلمْ؟!

قمْ فذكّر وناجِ قومَكَ ... واخطُبْ وقلْ لهمْ:

قل لأهل الغناءِ في كنفِ ... المعهد الأشمّ

ذلك الشاعرُ الذي ... باتَ في خاطر الظُّلَمْ

هزَّ منكم وثبةً ... علمَ الله فيكمْ

* * *

كان لحناً فصار ذكراً   كما يُذكَرُ الحُلُمْ

إنما الشعر مزهرٌ   قد حكى قصةَ الأممْ

وبأوتاره المُنى   تتلاقى وتزدحمْ

هو نايٌ مُرجِّعٌ   لشجيٍّ وما كتمْ

هو قيثارةُ الزمان   ونجواه مِنْ قِدَمْ

هو أنشودة الحياة   وفيضٌ من النغمْ

أيها المعهد الذي   بلغ المجدَ واستتمّ

كنْ لحنٍ مُذكرٍ   أشعل القلب فاضطرمْ

نظمته يدُ الأسى   وقعته يدُ السقمْ

* * *

وأناشيدكم وما   صاغه الفنُّ من عِظَمْ

هي آلاتُ أنفسٍ   بالمقادير ترتطمْ

وصباباتُ أعينٍ   يشهدُ الليلُ لم تنمْ

وأغانيكمْ التي   هي في قمةِ القمَمْ

هي آهاتُ شاعر   عرف الحبَّ والألمْ

* * *

ذلك الشاعرُ الذي   روحهُ الآن بينكمْ

لكأني أراه حَيّاً ... وألقاهُ عن أمَمْ

وهو في ذروة الشباب ... وفي خفّةِ القَدَمْ

غاشياً كلَّ منتدىً ... عاليَ الرأسِ محترمْ

كلما قال شعرَه ... غمر السهلَ والعلمْ

دافقاً ليس ينتهي ... أبداً سيلُه العرِمْ

باذلاً للصديق والأ ... هلِ كلَّ الذي غنمْ

* * *

زوجه والبنون هُمْ ... مجدهُ والرجاءُ هُمْ

درجوا في ذُرَا العلا ... نوّروا في رُبى النعمْ

نشأوا في حمى العفافِ ... وجلُّوا عن التُّهمْ

* * *

حين ظنّوا بأنّ ما ... أمّلوا في الزمان تمّْ

إذ شكا الضعفَ سيد ... البيتِ خارت به الهممْ

نام في حصنه الضنى ... وعلى صدره جَثمْ

وإذا بالطيور قد ... دخل الموتُ وكرهُمْ

شبهَ لصٍّ مخادعٍ ... غشيَ البيتَ فالتهمْ

وإذا الفاقةُ الجريئةُ ... تطغى وتنتقمْ

صنعتْ في رجائهمْ فعلَة الذئبِ بالغنمْ
كأتونٍ مستعرٍ غاضبٍ ينثرُ الحُمَمْ!
مَن رأى البؤسَ إن عدا! مَنْ رأى الضنك إن هَجَمْ؟
مَن رأى العفةَ العريقةَ بالدهر تصطدمْ؟!

* * *

أمّتي! ليس يُهزَمُ الفنُّ في أمّةِ الشَمَمْ
أمّتي! ليس يَخذلُ الجُودُ في أمّة الكَرَمْ
أمّتي! أمّةُ العلا وأبي الهول والهرَمْ

ساعة التذكار

ألقيت في حفلة الذكرى التي أقامتها جماعة الأدب المصري
بالأسكندرية لمرور عام على
وفاة المرحوم أحمد شوقي بك

شَجنٌ على شَجنٍ وحرقـةُ نـارِ
مَنْ مُسعدي في ساعةِ التـذكارِ
قُمْ يا أميرُ! أفِضْ عليَّ خـواطراً
وابعث خيالَك في النسيم الساري
واطلع كعهدك في الحياةِ فراشـةً
غراءَ حائمـةً علـى الأنـوارِ
يا عاشقَ الحرية الثكلـى أفِـقْ
واهتفْ بشعرك في شباب الـدارِ
يا مَنْ دعا للحـق في أوطانـه
ومضى ليهتفَ في ديـار الجـارِ
الشامُ جازعةٌ ومصرُ كعهـدها
نُهبُ الخطوبِ قليلـةُ الأنـصارِ

والحظُّ أطمارٌ كما شـاءَ البلى

والعيشُ رثٌّ والسنونُ عـوارِ

* * *

عامٌ مضى يـا للزمـان وطيِّـه

فينا ويـا لسـواخر الأقـدارِ!

عامٌ مضى وكأنَّ أمـس نعيـه

يا ما أقلَّ العـامَ في الأعمـارِ!

أينَ الإمـارة والأمـيرُ ودولـة

مبسوطةُ السلطانِ في الأمصار

خمسون عاماً وهي وارفة الجنى

تحت الربيـع دؤوبـة الأثمـارِ!

مدَّ الخريفُ على الرياض رواقـهُ

ومضى الربيعُ الضاحكُ النُّـوارِ!

* * *

هيهات أنسى قبلَ بينك ساعةً

جمعتْ صحائفك في غروب نهـار

والشمس في سقم الغروب وأنت في

لونِ الشحوب معصفرٌ بهارِ

منحتْ وقد ذهبت شعاعاً غارباً

كسناكَ طوّافاً على السُّمارِ

تشكو ليَ الضعفَ الملمَّ تعلّلاً في

طي عقيلاً من وشيكِ عثارِ

وكشفتَ عن متهدّمٍ جال الردى

متسهجماً في صَرحه المنهارِ

فرأيتُ ما صنع الضنى في صورةٍ

حالت، وخلي هيكلاً كإطارِ

ووجمتُ ألمحُ في الغيوب نهايةً

وأرى بعينيَ غايةَ المضمارِ

وأرى النبوغَ وقد تهاوى نجمُه

والعبقريةَ وهي في الإدبارِ

أوَلمْ يكن لكَ من زمانِكَ ذائداً

وثباتُ ذهنٍ ماردٍ جبارِ؟

أولَمْ يكن لكَ من حمامك عاصماً

ذاك الجبينُ مكللاً بالغارِ؟

ولّيتَ في إثرِ الذين رثيتهُم

واقمتَ فيهم مأتمَ الأشعار

وسُقيتَ من كأسٍ تطوف بها يدٌ

محتومةُ الاقداحِ والأدوارِ

والدهرُ يقذفُ بالمنايا دفّقاً

فمضيتَ في متدفّقِ التيارِ

* * *

في ذمة الأجيالِ ما غنّت به

قيثارةٌ سحريةُ الأوتارِ

صدحتْ بألحانِ الحياة ووقّعتْ

أنغامَها محجوبةَ الأسرارِ

والفنُّ ما حاكى الطبيعةَ آخذاً

منها ومن إعجازها بغمارِ

مسترسلاً رحباً كعينٍ ثرّةٍ

شتّى السيولِ سحيقةِ الأغوارِ

متعالياً حتى الأشعةِ مشرقاً

متألقاً كالكوكبِ السيَّارِ

* * *

شوقي! نظمتَ فكنت برًّا خيِّراً

في أمةٍ ظمأى إلى الأخيارِ!

أرسلتَ شعرَك في المدائن هاديا

شبهَ المنارِ يطوف بالأقطارِ

تدعو إلى المجد القديمِ وغابرٍ

طيِّ القرون مجلَّلٍ بوقارِ!

تدعو لمجدِ الشرق: تجعل حبَّهُ

نصبَ القلوبِ وقبلةَ الأنظارِ!

تبكي العراقَ إذا استُبيحَ ولا تضنّ

على الشآم بدمعٍ مدرارِ

وترى الرجالَ وقد أُهين ذمارهم

خرجوا لصون كرامةٍ وذمارِ

فلو استطعتَ مددتَ بين صفوفهم

كفًّا مضرجةً مع الأحرارِ

* * *

ما زلتَ تُبعثُ في قريضكَ ثاوياً

أدِ ماضياً حَفِلاً بكلّ فخارِ

حتى اتُّهمتَ فقالَ قومٌ : شاعرٌ

ناجى الطلولَ وطاف بالآثارِ!

فجلوتَ ما لم يشهدوا، ورسمت ما

لم يعهدوا من معجز الأفكارِ!

شيخٌ يدبُّ إلى الأصيل وقلبُهُ

وجنانُهُ في نضرة الأسحارِ

ويحسُّ تبريحَ الصبابةِ واصفاً

مجنونَ ليلى في سحيقِ قفارِ

ويروح يبعث كليوباترا ناشراً

تلك العصور وطيفَها المتواري!

ويرى الحياةَ الحبَّ والحبَّ الحياةَ!

هما شعارُ العيش أيُّ شعارِ

ديـــن الأحيـــــــــاء

ألقيت في حفلة مسرح رمسيس بالقاهرة

لذكرى العام الأول على وفاة المرحوم أحمد شوقي بك

دينٌ ... وهذا اليومُ يومُ وفاءِ
كم منّةٍ للميّتِ في الأحياءِ!
إن لم يكن يُجزَى الجزاءَ جميعه
فلعلّ في التذكار بعضَ جزاءِ
يا ساكنَ الصحراء منفرداً بهـا
مستوحشاً في غربةٍ وتنائي
هل كنتَ قبلاً تستشفّ سكونها
وترى مقامك في العراء النائي
فأتيتَ ... والدنيا سرابٌ كلها ..
تروى حديثَ الحبّ في الصحراءِ
ووصفت قيساً في شديد بلائه
ظمآن يطلب قطرةً من ماءِ
ظمآن حين الماء ليلى وحدها
عزت عليه ولم تُتح لظماءِ!

هيمان يضرب في الهواجر حالماً

بظلال تلك الجنة الفيحاء!

فإذا غفا فلطيفها، وإذا هفا

فلوجهها المستعذب الوضّاء

يا للقلوب لقصة بقيت على

قدم الدهور جديدة الأنباء

هي قصة الطيف الحزين، وصورة

القلب الطعين، مجللاً بدماء

هي قصة الدنيا، وكم من آدم

منّ له دمع على حواء

كل به قيس إذا جنّ الدجى

نزع الإباء وباح بالبرحاء

فإذا تداركه النهار طوى المدا

مع في الفؤاد وظُنّ في السعداء

لا تعلم الدنيا بما في قلبه

من لوعة ومرارة وشقاء

كلٌّ له «ليلى» ومن لَم يَلقهـــا
فحياته عبــثٌ ومحـــضُ هبـــاءِ
كلٌّ له «ليلى» يــرى في حبـــها
سرَّ الـــدُّنى وحقيقـــةَ الأشـــياءِ
ويرى الأماني في سعير غرامهـــا
ويرى الـــسعادةَ في أتمِّ شـــقاءِ
الكونُ في إحسانها، والعمرُ عند
حنانهـــا، والخلـــدُ يـــومُ لقـــاءِ
يـــا للقلـــوب لقـــصةٍ محزونـــةٍ
لم تُـــروَ إلاَّ رُوِّحَـــتْ ببكـــاءِ
خلدتْ على الدنيا وزادت روعةً
ممـــا كـــساها ســـيدُ الـــشعراءِ
خلدتْ على الدنيا وزادت روعـــةً
من جـــودة التمثيـــلِ والإلقـــاءِ
من فنِّ (زينبها) ومن (علاّمهـــا)
زينِ الشبابِ وقـــدوةِ النبغـــاءِ

الأجنحـــة الـمحـترقـــة

يا أمتي كم من دموع في مآقينا
نبكي شهيدَيْكِ أم نبكي أمانينا؟!
يا أمتي إن بكينا اليوم معذرةً
في الضعف بعض المآسي فوق أيدينا
واهاً على السرب مختالاً بموكبه
وللنسور على الأوكارِ غادينا
قالوا الضباب فلم يعبأ جبابرةٌ
لا يدركون العلا إلاّ مضحّينا
والمأتمُ يعجب عنهم حينما طلعوا
على غواربه الحيرى مطلّينا
فاستقبلتهم فرنسا في بشاشتها
تجزي البسالة ورداً أو رياحينا
قالوا النسور فهبَّ القوم واذّكروا
نسراً هم ملأ الدنيا ميادينا

وهلّل السين إذ هلّت طلائعنـــا

طلائعُ المجد من أبنـــاء وادينـــا

حان الأمان ووافي السربُ فافتقدوا

نسرَين ظنوهما قد أبطـــآ حينـــا

لكنه كان إبطاءَ الـــردَى فهمـــا

لمّا دعا المجدُ قد خفّـــا ملبينـــا

فليبك من شاء وليُشبع محـــاجره

وليتحبْ ما يشاءَ الحزن باكيـــا

يبكي الحبيب وتبكي فقد واحدها

من لا ترى بعده دنيا ولا دينـــا

هُنيهة ثم يسلو الـــدمعَ سساكبُه

لا يدفعُ الدمعُ شيئاً من عوادينا

فكلما حلّ رزءٌ صاحَ صـــائحنا:

فداك يا مصر لازلنـــا قرابينـــا

فداك يا مصر هذا النجم منطفئاً

والنسر محترقاً والليث مطعونـــا!

عـــــــــتـــــــاب

هجرتِ فلــم نجـد ظــلاً يقينـــا
أحُلْمـــاً كـــان عطفُـــكِ أم يقينـــا؟
أهجواً في الـصبابة يعـد هجـــرٍ
أري أيامَـــــــــهُ لا ينتـــــــــهينا
لقد أسرفتِ فيه وجُــرتِ حــتى
على الرَّمَــقِ الــذى أبقيـتِ فينـــا
كــأنّ قُلوبَنـــا خُلِقَـــتْ لأمــرٍ
فمــذْ أبـصرنَ مَــنْ تهــوَى نـسينا
شُغلْنَ عن الحيـــاةِ ونِمْـــنَ عنــها
وبِـــتن بمَـــنْ نحـــبُّ موكلينـــا
فإنْ مُلئت عـــروقٌ مِـــنْ دمـــاءٍ
فإنّــــا قـــد مُلأناهــــا حنينَـــا !

أصوات الوحدة

يا وحدتي جئت كي أنسى وها أنذا
مازلت أسمع أصداءً وأصواتا
مهما تصاممتُ عنها فهي هاتفة
يا أيها الهاربُ المسكينُ هيهاتا!
جرَتْ عليَّ الأماني من مجاهلها
وجمّعتْ ذكراً قد كُنَّ أشتاتا
ما أسخفَ الوحدةَ الكبرى وضيعَها
إذا الهواتف قد أرجعن ما فاتا
بعثنَ ما كان مطويًّا بمرقده
ولم يزلْنَ إلى أن هبَّ ما ماتا
تلفتَ القلبُ مطعونًا لوحدته
وأين وحدته؟ باتتْ كما باتا!
حتى إذا لم يجدْ ريًّا ولا شبعا
أفضى إلى الأمل المعطوبِ فاقتاتا!

الختام

(من شعر الصبا)

عجبا لقلبٍ هيضَ منكَ جناحُهُ
وجرى به نصلُ الندامة يذبحُ
مضى الحِمامُ يدبُّ فيه فإن جرتْ
ذكراكِ طارَ إليك وهو مجنَّحُ
لهفي على الناقوس بين جوانحي
وعلى بقيّة هيكلٍ لا تصلحُ
لا فرق بين أنينه ورنينه
وصداه في وادي المنيّة أوضحُ
يا قلبُ! صهباء الهوى وبساطه
وكؤوسه المتجاوبات الصُّدَّحُ
وقفٌ على متنقّلين على الهوى
يبغونَ من لذّاته ما يسنحُ

متبـــدّلين موائـــداً وأحبـــةً

ما خاب مـــن حـــبٌ فـآخرُ يفلـــح

فالحـــبُّ آســـيه وراء عليلـــه

فيهم، وبلـــسمه علـى مـا يجـــرح

يا قلبُ! ويـــح ثباتـــا مـــاذا جـــنى

أتـرى شـــعاعاً في البقيـــة يُلمـــحُ!

* * *

يـــا أيهـــا الحـــبُّ المقـــدَّسُ هـــيكلاً

ذاق الردى مـــن عابـــديك مـــسبِّحُ

كثـــرتْ ضـــحاياه وطـــال قيامـــه

وصـــيامه فمـــتى رضـــاؤك َمـــنحُ

يا دوحـــة الأرواح يُحمـــد عنـــدها

فيءٌ ويُعبـــد زهرهـــا المتفـــتح

أينـــال ظلـــكِ والرعايـــةَ عابـــثٌ

بجلالـــك البـــادي وآخـــر يمـــزحُ

ويبيـــت يحرمـــه قتيـــلُ صـــبابةٍ

قـــضّى الحيـــاةَ إلى ظلالـــك يطمـــحُ

ليلى! حبيبك كالحياة وذقتُ في

ناديك كأساً بالأماني تطفحُ

فتكسرتْ قدحُ المنى ورجعتُ من

سقمِ الهوى وهزاله أترنحُ

نزلَ الستار على الرواية وانقضتْ

تلك الفصولُ وفُضَّ ذاك المسرحُ

الدكتور زكي مبارك

في سنتريس وفي الأزهر وفي باريس

(ألقيت في حفلة تكريمه بمسرح الهمبرا بالقاهرة)

نحن عين الصباح والأنوارِ
ورفيق الأنداء والأسحارِ
في حمى سنتريس شبَّ غلامٌ
شاعريُّ الكلام والأنظارِ
أزرق العين هادئ هدأة البحر
بعيد المرمى! بعيد القرارِ!
ساهمٌ يلمح السحائب في الأفق
بعينٍ عميقة الأغوارِ

* * *

شبَّ في جيرة النسائم والزهر
وفي صحبة الغدير الجاري
ونضيرِ الحقول والعشب المخضلِّ
يكسو شواطئ الأنهارِ

ومــــصيخاً إلى غنــــاء الــــسواقي

شــــاكيات ســــواخرَ الأقـــدارِ

باكيــات علــى الــصبا والأمـــاني

والهـــوى والنـــوى وبُعـــد المـــزارِ

غير أن الذي شكا خطبه الأهـــــ

ـــــلُ وأمسى حديثَ جارٍ وجارِ

إنَّ ذاك الفتى الوديعَ الطهورَ الـــ

ـــقلبِ في رقة النسيم الساري

مغرمٌ بالعـــصا! فلـــو خلـــف ســـورٍ

لتخطـــى شـــواهقَ الأســـوارِ

ولأجل العصا سطا علـــى الأفـــرع

الخضـــــراء زانتْ بواسقَ الأشجارِ

ولأجل العصا ســطا عَلـــى خـــشب

البيـــــتِ، طموحاً حتى لباب الدارِ

ولـــو انَّ العـــصيَّ عـــزَّتْ عليـــه

لـــتمنى حـــتى عـــصا التـــسيارِ

* * *

إن تلك العصا لَرمزٌ على القوة

في قلبٍ ماردٍ جبَّارِ

لا يرى القريةَ الصغيرةَ كفؤاً

لكبار الآمالِ والأوطارِ

ساخراً من هدوئها مستعدًّا

لصراع الخطوبِ والأخطارِ

أيمن يمضي؟! للأزهر الشامخ

الرأس، القويّ الباقي على الأدهارِ

مطلع عبده وسعداً ورهط

المجدِ والبأسِ والعلا والفخارِ

* * *

فرح الأهلُ بالغلام الذي صار

حديثاً في ندوة السُّمارِ

عمَّموه وقفطنوه فأمسى

أملَ القومِ، فارسَ المضمارِ

ومضى يطلب العلوم وحيداً

موحشاً قلبهُ، غريبَ الدارِ

ناظراً في هوامشٍ تأكلُ العقـــــــــ

ــــــــلَ وتُبلي نواظرَ الأبـــصارِ

لا يبالي الطـــوى ولا يحفـــل الأقـــدار

جـــاءت بكـــل أمـــرٍ ضـــاري

لا يبالي غداةَ يصغي إلى الشيـــــــ

ــــــخِ وللشيخِ هالةٌ من وقارِ:

حـــصيرٌ ممـــــزقٌ أم حريـــرٌ

مقعـــــد للمجاهـــــدِ الـــصبّارِ

آهِ من هائهِ الشدائد فهي النـــــ

ــــــار تبلو القلوبَ في الأخيـــارِ

إنَّ قلبَ العظيمِ يا قوتةٌ تـــــــ

ــــــمو سمواً وتزدهي بالنـــارِ!

أي شيء في الـــدهر كـــالألمِ الجبّـــارِ

يجلـــو ضـــمائرَ الأحـــرارِ؟!

* * *

عجبي من «مجـــاورٍ» ضـــاق بـــالأز

هـــرِ واحـــيرةَ النفـــوسِ الكبـــارِ!

ثم أمسى مطربـــثناً واكتـــسى البـــذ

ــــــــــــــــلةَ ما بين ليلةٍ ونهـــارِ

ثم ضـــاقت بهمـــه مـــصر فاشـــتا

قَ لغـــير الأوطـــانِ في الأمـــصارِ

ضـــمَّ أشـــياءه إليــــه، وأضـــحى

في ســـفينٍ تجـــوب عـــرض البحـــار

ثم أمسى مبرنطا يقصد السيــــــــــ

ــــــــــــن ويغزو مدينة الأنوار

* * *

والـــذي يبعـــث الـــسرورَ ويـــدعو

كـــلَّ نفـــسٍ للزهـــوِ والإكبـــارِ

رجلٌ ما ازدهته فتنةُ باريـــــــــــــ

ـــــــــس وما في باريس من أسوارِ

ظـــلَّ في ذلـــك الحمـــى مـــصريا

عـــربيَّ الحيـــاةِ والأفكـــارِ

كلمـــا هبَّـــت الغـــواني عليـــه

ضـــاق ذرعـــاً بالغـــادة المعطـــارِ

يزفــــر الزفـــــرةَ العتيقَـــــة ترمــــى
من لظاهــــا فحــمَ الـــدُّجى بـــشرار
يذكر النيلَ، والأحبةَ بالنيــــــــــــــــــــــ
ـــــــــــلِ ويشدو برائـــعِ الأشـــعارِ!

* * *

كرِّمـــــوا نــــابغيكمو واعرفـــوهم
فـــــضياعُ النبـــوغِ في الإنكـــــارِ
فزكـــي مبــــارك شــــعلةُ فــــي
ـــمصر تمـــدى شـــباها كالمنـــارِ
قسماً يتاح لِيَ الغارُ كَلَّلْــــــــــــــــــــ
ـــــــــــتُ بكفِّي جبينَه بالغــارِ!

على البحر

(من شعر الصِّبا قاله الناظم في الثالثة عشرة من عمره)

هل أنت سامعة أنيني ... يا غاية القلب الحزين
يا قبلة الحب الخفيُّ ... وكعبة الألم الدفين
إني ذكرتك باكيًا ... والأفق مغبرُّ الجبين
والشمس تبدو وهي ... تغرب شبه دامعة العيون
أمسيت أرقبها على صخر ... وموج البحر دوني
والبحر مجنون العباب ... يهيج ثائره جنوني
ورضاك أنت وقايتي ... فإذا غضبت .. فمن يقيني؟!

كـــــــلانـــــا

(من شعر الصبا)

كلانـــــا عليـــــلٌ فـــلا تجزعـــي

وَدمعُـــــكِ تـــــسبقه أدمعـــــي

وإن كـــانَ بـــين ضـــلوعك نـــارٌ

فنـــــار الـــــصبابة في أضـــــلعي

وإن كـــان نجـــمٌ هنالـــك غـــابَ

فـــنجمُ هنـــائيَ لم يطلـــع ..

ليالى القاهـــرة

الديوان الثانى للشاعر

* صدرت الطبعة الأولى من «ليالى القاهرة» عام ١٩٥١ كما سبق أن أوضحت.

الإهـــــداء

«إلى صديقي ع.م.

الذي نَدَّى الزهر الذابل من خمائل

الماضي، وأنبتَ في روض الحاضر زهوراً

ندية مخضلة بالأمل والحياة ..

إليه أقدم ما أوحى به إليَّ» ..

إبراهيم ناجي

كلمـــــــــــــة

الشعر عندى هو النافذة التى أطل منها على الحياة،

وأشرف منها على الأبد

وما وراء الأبد

هو الهواء الذى أتنفسه

وهو البلسم داويت به جراح نفسى عندما

عز الأساة

هذا هو شعرى.

أ. ن

تقـــــديـــم

بقلم حضرة صاحب المعالي

إبراهيم دسوقي أباظه باشا

يَسْمون بالأدب الجديد وتارةً

يبنون للأدب القديم رواقا

هؤلاء هم أصحاب المدرسة الحديثة، تتسم بطابع الجدة والطرافة، وبالأسلوب الأنيق والعبارة السهلة، وهي تحتفل بالفكرة أكثر مما تحتفل باللفظ، وتعنى بالموسيقى والرنين، قبل عنايتها بالصياغة والصنعة.

ولقد طلعت هذه المدرسة بآثارها الفنية القيمة، التي تهز النفوس هزا، وتخاطب العاطفة والعقل في آن، ولقد استطاعت أن تتجه بجمهرة القراء إلى أهدافها في ميادين الخلق والابتداع. وصاحب هذا الديوان من أقطاب هذه المدرسة وكبار أساتذتها. استمع إليه وهويقول:

إن خانني اليوم فيك قلت غـــداً

وأيـــنَ مــــني ومــــن لقـــاك غـــدُ

إن غـــــداً هـــــوة لناظرهـــــا

تكـــــاد فيهـــــا الظنـــــونُ ترتعـــدُ

أطل في عمقها أسائلها

أفيك أخفي خيالَه الأبدُ

يالامسَ الجرحِ ما الذي صنعتْ

به شفاه رحيمة ويدُ

ملء ضلوعي لظىً وأعجبه

أنى لهذا اللهيب أبترِدُ

فالتعبير عن الغد المجهول بالهوة العميقة، وعن اضطراب الشاعر في أوهام الغد بالظنون المرتعدة، مع سهولة القافية واستقرارها: هذا هو نهج المدرسة الحديثة وسنتها المرسومة؛ وإلى القارئ هذه الأبيات أيضاً تنهض دليلاً قاطعاً لا يشوبه شك، يؤكد ما أريد أن يرسخ في الأذهان، من أن المدرسة أكسبت الشعر المعاصر ثروة فكرية جديدة.

ألمي محا ذنبي إليك وكفّرا

هبني أسأت ألم يَحِنْ أن تغفرا

ظمآن لو باع الأحبة قطرة

بالعمر والدنيا جميعاً لاشترى

أخفي جراحك واستعز بفتكها

غريدك الشادي المحلق في الذرى

يرنو إليك على البعــاد ويعتلــي

ويجره الجـــرح المميـــت إلى الثـرى

حتام كتمـــاني وطـــول تجلـــدي

يــا أيهـــا الجـــاني علـــيَّ ومـــا درى

ومتى المآب إلى رحابـــك مسرة

لأريك جرحـــي والـــدِّما والخنجـرا

وللشاعر أيضاً في ملحمة السراب:

لا القوم راحوا بأخبار ولا جاءوا

ولا لقلبـــك عـــن لـــيلاك أنبـــاء

جفا الربيـــع لياليـنا وغادرهـــا

وأقفـــر الـــروض لاظـــل ولا مـــاء

يا شافيَ الداء قد أودى بيَ الـــداء

أمـــا لـــذا الظمـــأ القتـــال إرواء

ولا لطـــائر قلـــب أن يقـــر ولا

لمركـــب فـــزع في الـــشط إرســـاء

عندي سماءُ شتاءٍ غـــير ممطـــرة

سوداء في جنبـــات الـــنفس جـــرداء

خرساء آونـــة، جـرداء آونـــة
وليس تخدع ظـــنى وهـــى خرســـاء

وكيف تخدعني البيـــداء غافيـــة
وللمـــسوافى علـــى البيـــداء إغفـــاء

أأنتِ ناديت أم صـــوت يخيل لى
فلى إليـــك بـــأُذْن الـــوهم إصـــغاء

هذه نماذج لم أعمد إلى اختيارها: وإنما صادفتني وأنا أقلب صفحات الديوان: وسأشفعها بنماذج أخرى أبرز فيها أهداف المدرسة الحديثة في الشعر: وأظهر ما يصور هذه الأهداف: تلك النـــزعة الاستقلالية في التعبير والمعنى، مما أثار حولها اللغط الكثير، لأنها كما قلت خرجت بأجواء من المعاني لا عهد لقارئ الشعر القديم بها، فالتعبير عن معاني القطيعة بالطائر الذى لا يقر، وبالمركب الفزع الذى تتناوشه الأعاصير.. إلخ. خروج على المألوف في أسلوب النظم، ولقد لقيت المدرسة الحديثة على هذه المحاولات الموفقة جزاء سنمار، فكان عجيباً حينما احتدمت المعركة بين القديم والجديد، في مطالع النهضة الادبية الحديثة، أن نجد الداعين إلى هذه النهضة يخطون في غير هوادة أو رفق، على أولئك الذين أخذوا بأسبابها، وساروا في طريقهم قدما: يخثون خطاهم، ويستثيرون من حولهم: بما ينشرونه في الصحف أو يلقونه في

المجتمعات، من نتائج المواهب والملكات .. ظل أبناء المدرسة الحديثة في طريقهم لا يلوون على شيء ناسين أو متناسين الضجة الهائلة التي انبعثت بها أقلام هؤلاء السادة الكاتبين، وأخذت تعربد على آثارهم الفنية في الشعر، في نقد يتجافى عن أسلوب النقد الصحيح.

من هؤلاء الشعراء الذين استهدفوا شعر هؤلاء الكاتبين، شاعرنا الكبير الدكتور إبراهيم ناجي، صاحب الشعر الذي قدمت، وصاحب هذا الديوان الفخم (ليالي القاهرة) الذي أقدمه إلى قرائه المعجبين العديدين في سائر أقطار الضاد.

ويبدو لي أن البواعث التي دفعت إلى الهجوم على أساتذة هذه المدرسة: تتجمع في نطاق الحرية التي انطلقت بمواهبهم إلى الآفاق الرحيبة، التي أطلوا منها على الأجواء البعيدة عن المعاني والأخيلة مع خلق بعض الأوزان التي لم يسبق أن نظم غيرهم منها ... فمن هذا قصيدة «عاصفة روح» التي استهلها الدكتور ناجي:

أيـــن شـــطّ الرجـــاء يـــا عبـــاب الهمـــوم
لـــيلتي أنـــواء وســـاري غيـــوم

* * *

أعـــولي يـــا جـــراح اسمعـــي الـــديان
لا يهـــم الريـــاح زورق غـــضبان

* * *

اســــخري يــــا حيــــاة قهقهــــي يــــا رعــــود
الــــصبا لــــمن أراه والهــــوى لــــن يعــــود

فهذا الوزن لا يوجد له نظير في أوزان البحور المعروفة، وربما كان اعتماد الشاعر فيه على السماع والإيقاع.

والدكتور ناجي: يحق في طليعة أساتذة هذه المدرسة، فحظه من الثقافة الغربية حظ موفور، وإنك لتلمح في قصائده ومقطوعاته أثراً ملحوظاً جاء وليد القراءات الواسعة التي بصرته بمذاهب التجديد والابتكار، فهو حين يكتب، يتطلع إلى الأجواء العالية، التي حلق فيها مع شعراء الغرب محتفظاً بذاتيته ولونه الخاص وطبيعة الشرقي المصري، فقد وصف الحياة كما هي في الشارع والمرقص، ومشاهد الطبيعة وجمالها. وفي هذا خروج بالشعر عن دائرة الكلاسيكية المتحفظة إلى الشعب.

وإن الخصائص والسمات التي يتميز بها هذا الديوان من الإيحاء عن المعنى بالصورة والإيحاء عن الصورة بالرمز، ووحدة القصيدة واعتمادها على الجرس والموسيقى لتبدو فوق المعاني الخلابة العميقة،واضحة جلية في قصائده (ليالي القاهرة) و(الأطلال) و(السراب) ففيها خوالج نفسية صادقة، وانطباعات ذهنية، ولمحات فنية: ومعرفة دقيقة بأسرار النفس، ومكونات الوجدان.

يقول في قصيدته (ليالي القاهرة) التي بدأها بالحديث عن ظلام مصر في سنوات الحرب وما أفاضه على نفس الشاعر من ظلال سجلها في ملحمته هذه المختلفة الضروب والإيقاع:

لقد أقفر المحراب من صلواته
فليس به شاعر ساهر بعدي
وقفنا وقد حان النوى أى موقف
نحاول فيه الصبر والصبر لا يجدى
كأن طيوف الرعب والبين موشك
ومزدحم الآلام والوجد في حشد
ومضطرم الأنفاس والضيق جاثم
ومشتبك النجوى ومعتنق الأيدى
مواكب خرس في جحيم مؤبد
بغير رجاء في سلام ينمرد
فيا أيكةً مدّ الهوى من ظلالها
ربيعا على قلبي وروضا من السعد

تقاصمت إلا طيف حسب محير

على درج خابي الجوانب مسود

تردد واستأنى لوعد وموثق

وأدبر مخنوقاً وقد غص بالوعد

وأسلمني لليل كالقبر بارداً

يهب على وجهي به نَفَس اللحد

كأن على مصر ظلامها معلقا

بآخر من خابي المقادير مربد

قصدت من إيراد هذه الأبيات، والأبيات التي أسلفت، أن أشير إلى ما أجملته آنفاً من خصائص هذا الشعر،فالحركة النفسية،والصورة،والانطباعات الذهنية،ورسم المشاهد التي تتجاوب معها نفس الشاعر تجاوباً صادقاً عميقاً. كل أولئك يتجلى للقارئ في وضوح وبروز. وهو حينما يتداعى من معاني الظلمة إلى معاني النور، يشرق في نفسه الأمل ويضطرب بين جوانحه الرجاء، وقد ودع كآبة الليل ووحشته، واستقبل النور في أحلامه ومباهجه.

جلابيت بك الأيام وافرحتاه

أنت الأماني والغنى والحياة

فليـــذهب الليـــل غفرنـــا لـــه

ما دام هــذا الــصبح عقـــبى دجـــاه

وهناك ظاهرة تسيطر على هذا الشعر من ألفه إلى يائه، تلك هي أنك لا تستطيع أن تلمح فيه ظلاً لشاعر غير الدكتور ناجي، فهو بذاتيته وطابعه وطريقة تفكيره وألوان عاطفته، ونوازع شعوره، لا في شعر الحب فحسب، بل أيضاً في المناسبات والمداعبات، ومن ذلك هذه الأبيات الطريفة التي يهجو فيها شاعراً:

أيها الحي وماضَـــرَّ الـــورى لـــو كنـــت متـــا

أو شـــعر ذاك لا بـــل حجـــر نحـــت نحتـــا

تلقـــم النـــاس وتـــرميهم بـــه فوقـــاً وتحتـــا

صحت من يأسي لما بركيسك الـــشعر صـــحتا

آه يا قاتـــل يـــا ســـفاك حـــتى أنـــت حـــتى

وقد بلغ صاحب الديوان القمة في ملحمته (الأطلال) وهي كما يقول، قصة حب لاثنين صار أحدهما أطلال جسد والثاني أطلال روح.

يـــا غرامـــا كـــان مـــني في دمـــي

قـــدراً كـــالموت أو في طعمـــه

ماقـــضينا ســـاعة في عرســـه

وقـــضينا العمـــر في مأتمـــه

مـــا انتزاعـــي دمعـــة مـــن عينـــه

واغتـــصابي بـــسمة مـــن فمـــه

ليـــت شـــعرى أيـــن منـــه مهـــربي

أيـــن يمـــضي هـــارب مـــن دمـــه

هذه العاطفة المحتدمة المتأججة تنبض في كل ما يصادف قارئ الديوان من قصائده ومقطوعاته، بغض النظر عن الموضوع، فهو شاعر لايكتب إلا ما يتحرك له حسه، ويفيض به خاطره، فالشعر عنده عاطفة نارية، تتشكل في الأسلوب الذى يلائمها، والقالب الذى يتساوق معها .. ومن هنا أخذ بعضهم على الدكتور ناجي، أنه ينحرف في أسلوبه عن جادة الأسلوب العربي الصحيح، من حيث إحلال الألفاظ في غير معانيها.

وهو مأخذ مردود. فاللفظ الواحد عند الشاعر: يدور على أكثر من معنى .. والشاعر مسوق بعاطفته نحو موضوعه، وهي التي تلون أساليبه، ولها من قوتها الخارقة ما تستطيع بها أن تسم الألفاظ بأبعد معانيها. ولغة الشعر، غير لغة القاموس والشاعر يتأثر وينفعل، ثم يعمد إلى تصوير مرئياته في حرية لا تتاح لغيره، لأنه ينقل عن ذات نفسه ما يتخلق فيها من معان مجنحة، بعيدة على حد تصوير الشعر، فيختار لها ألفاظاً لا يقرها القاموس، ولا يستسيغها قلم الكاتب، وذلك هو مفترق الطريق بين الشاعر الذى يستشرف إلى الآفاق الجديدة، وبين الشاعر الذى لا يجرى إلا في غبار القدامى ...

وهكذا كانت المدرسة الحديثة في الشعر، جديرة بأن تثير حولها هذه الصيحات العالية التي أشفقنا على شعرائنا المجددين منها، ثم تخففنا من هذا الإشفاق شيئاً فشيئاً حينما وجدناهم يواصلون الزحف نحو أهدافهم، حتى بلغوها، وأخذوا يوقعون على قيثاراتهم أجمل الألحان وأبدعها...

وإنني لأحب هذا الشاعر كل الحب، ولا أعتقد أن حبي طغى على تقديري، فهو شاعر رقيق، رشيق، أنيق، تصل معانيه إلى قلبك، قبل أن تصل ألفاظه في طلاوة وسهولة وعذوبة، وقد جمعت ديباجته بين ميزة القديم والحديث، وامتاز شعره بروعة الابتداء وجودة المقطع، وطالما سمعته شاعراً في المحافل، فوالله ما سمعت مثله يجمع الرقة إلى الجزالة، والطلاوة إلى الفحولة والضخامة، فهو لا يترقب لفظاً قد استدعاه من بعد، ولا يكابد عناء في الوصول إلى معنى استعصى عليه، مع السلامة من التكلف، والبراءة من التعقيد، والبعد عن التشادق والتقعر والتنافر، وشعره مطبوع على الطرافة والابتكار، ولو كان الشعر مما يؤتدم به، لكانت قصائده نعم الإدام لطالبي الأدب، والثقافة، والذوق العربي السليم، ولقد وضعت ديوانه بين يدي دهراً، لأتمثل ببعض قصائده، فكنت أقرؤها معجباً (مترنماً)، وقد أكبر بعضها، فأقرؤها واقفاً عند الوثبات التي أراها تتخلل شعره، وتأخذ بلب القارئ وتفتنه، وتسحر فكره سحراً. فكان يقع اختياري على إحدى قصائده معتقداً

المها أجمل ما في الديوان، ثم أتلو غيرها، فأقول «بل هذه» ثم أمضي في القراءة فأقول «بل هذه»، وهكذا مررت بالديوان بل مر بي ولم أنته.

والشعر سحر وفتنة، وقد افتتنت به، وفيه خيال، وفي الخيال تسلية ولذة، وهو موسيقى، وفي الموسيقى طرب، وترويح وبهجة، وهو مناجاة تتصل بالروح فيستولي على الشعور، ويمتلك الوجدان.

وأعتقد أن الذي لا يهتز لجيد الشعر، جاهل أو بليد،أما الجاهل، فلا شأن لنا به، وأما البليد فله عذره، لأنه لم يخلق نفسه على ألا يلوم غيره: وويل للشجي من الخلي.

وقديماً كان الشاعر، يضرم حرباً عواناً، يثير عجاجها، ويروي لهيبها: ومن أجل بيت من الشعر، كانت تدق الأعناق، أو تتصل الأرزاق، أو يزول الجرح ويقضي بالموت أو يؤذن بالفرح، وترى أثر الشعر في كتاب الأدب وتاريخ العرب، وقد رأيناه يزدهر ثم يخبو نوره، ويسمو ويروج، ثم تنفق سوقه، ولكن تألقه كان يصاحب دائماً يقظة العرب، وتساير نهضته نهضتهم، فتسيران دائماً جنباً إلى جنب، وقد آن لمصر أن تصغي لشعرائها وتشجعهم فيشجعوها، وتنصفهم فينصفوها، ويشحذوا همتها، ويقووا عزيمتها فتسرع خطاها إلى المجد، وتثبت إلى المكان اللائق بها تحت شمس الله المشرقة.

ولا يفوتني قبل أن أختتم هذه الكلمة العاجلة، أن أشير إلى ما يؤكد ما ذهبت اليه من أن هذا الديوان الضخم الفخم (ليالي القاهرة) الذي يمثل

نهضة الشعر المعاصر وتطوره جديد في أخيلته ومعانيه وأساليبه: ذلك أن سمة الشاعر الجديد عندي، هو ما يثير في نفسي عند قراءته إحساساً خاصاً، يجعلني أجول معه في أودية سحيقة من صنع مواهبه وحدها ثم يظل معي، يسمعني همهمة قلبه، وحديث عقله في موضوعات النفس والحياة، حتى يخيل إلى أن كل صلة لي، بأي شاعر سواه قد انقطعت.

وقد كان هذا شأني مع صاحب (ليالي القاهرة) فهو شاعر نسيج وحده، في معارضه الفنية ولوحاته الملهمة: التي يطالعها القارئ في (ليالي القاهرة) و (الأطلال) و (السراب) وغيرها من دعاباته ووطنياته ومراثيه.

وسيقتنع القارئ بما اقتنعت به من أن هذا الديوان، نبت طيب، أخرج عطاءه واستوى على سوقه، وقد كانت أزهاره ورياحينه تنقص روضة الشعر الحديث لتنفحها بأريجها الفريد، ولونها الزاهي الجديد.

ليـــــالــــي القــــاهــــرة

"كان الظلام العصيب المخيم على القاهرة في سنوات الحرب الأخيرة، ظلاماً متجاوباً مع قتام في النفوس وحلوكة تجثم على الصدور. وقد مرت بالشاعر انطباعات من ذلك الضنك الشامل فسجلها صوراً في هذه الملحمة المختلفة الضروب والإيقاع"

١

فــــــي الظـــــلام

أليلايَ ما أبقى الهوى فيَّ من رشدِ
فردّي على المشتاق مهجتَــه ردّي
أتبكين تلاقينــا وأنــت حزينــةٌ
ورأسك كابٍ من عياءٍ ومن سهدِ
أقول وقد وسّدته راحــتي كمــا
توسّدَ طفلٌ متعب راحةَ المهــدِ ..
تعاليْ إلى صدرٍ رحيــبٍ وســاعدٍ
حبيبٍ وركنٍ في الهوى غيرِ منهــدِ
بنفسيَ هذا الشعر والخُصَل الــتي
تَجَرَّت على نحرٍ من العاج مُنقــدِ

ترامتْ كما شاءت وشاء لها الهوى
تميل على خدٍّ وتصدفُ عن خـــد
وتلك الكروم الدانيات لقـــاطفٍ
بياضُ الأماني من عناقيدها الرُبْـــدِ
فيالك عندي مـــن ظـــلام محبـــب
تألق فيه الفرق كـــالزمنِ الرغـــدِ
ألا كلُّ حسن في البريـــةِ خـــادمٌ
لسلطانة العينين والجيـــدِ والقـــدِّ
وكلُّ جمـــالٍ في الوجـــود حيالَـــه
به ذلةُ الـــشاكي ومرحمـــةُ العبـــدِ
وما راع قلبي منـــكِ إلا فراشـــة
من الدمع حامتْ فوق عرشٍ من الوردِ
مجنحةٌ صيغتْ من النور والنـــدى
ترفُّ على روضٍ وتهفـــو إلى وردِ
لها مثل مـــالي يـــاحبيبي وســـيدي
من الشجن القتَّال والظمأ المـــردي
لقد أقفر المحرابُ مـــن صـــلواته
فليس به من شاعرٍ ساهرٍ بعـــدي

وقفنا وقد حانَ النوى أيَّ موقفٍ

نحاول فيه الصبرَ والصبرُ لا يجدي

كأن طيوف الرعبِ والبينُ موشكٌ

ومزدحَم الآلامِ والوجدِ في حشدِ

ومضطرمُ الأنفاسِ والضيقُ جاثمٌ

ومشتبكَ النجوى ومعتنقَ الأيدي:

مواكبُ خُرسٍ في جحيمٍ مؤبدٍ

بغير رجاءٍ في سلامٍ ولا بَرد

فيأيكةً مدَّ الهوى من ظلالها

ربيعاً على قلبي وروضاً من السعدِ

تقلصتِ إلا طيفَ حبٍ مخيَّرٍ

على درجٍ خابي الجوانب مسودٌّ

تردد واستأنى لوعدٍ وموثقٍ

وأدبر مخنوقًا وقد غُصَّ بالوعدِ

وأسلمني لليلٍ كالقبر باردا

يهب على وجهي به نَفَس اللحدِ

وأسلمني للكون كالوحش راقدا

تمزقني أنيابُه في الدجى وحدي

كأنَّ على مصرٍ ظلاماً معلقاً
تأخرَ من خسابي المقاديرِ مربدُ
ركودٌ وإبهامٌ وصمتٌ ووحشةٌ
وقد لفَّها الغيبُ المحجّبُ في بُرد
أهذا الربيعُ الفخم والجنةُ التي
أكاد بها أستافُ رائحةَ الخلدِ
تصير إذا جنَّ الظلامُ ولفها
بجنحٍ من الأحلام والصمت ممتدٌّ
مباءةَ خمّارٍ وحانوتَ بائعٍ
شقي الأماني يشتري الرزقَ بالسهدِ
وقدْ وقفَ المصباح وقفةَ حارسٍ
رقيب على الأسرارِ داعٍ إلى الجدِّ
كأن تقياً غارقاً في عبادةٍ
يصوم الدجى أو يقطع الليلَ في الزهدِ
لحارسِ الأخلاقِ في الحيِّ نائمٌ
قضى يومه في حومة البؤسِ يستجدي
وسادتُه الأحجارُ والمضجعُ الثرى
ويفترش الإفريزَ في الحرِّ والبردِ

وسـيارةٍ تمـضي لأمـرٍ محجـبِ
محجبة الأسـتار خافيـة القـصدِ

إلى الهدفِ المجهولِ تنتهبُ الدجى
وتومضُ ومضَ البرقِ يلمع عن بُعدِ

متى ينجلي هذا الضنى عن مسالكٍ
مرنقة بـالجوعِ والـصبرِ والكـدِّ

ينقبُ كاسبٌ في الحطـام وربمـا
رعى الليلَ هوٌّ ساهرٌ وغفا الجندي

أيا مصر ما فيك العـشيةَ سـامرٌ
ولا فيك من مصغٍ لشاعركِ الفردِ

أهاجرتي، طالَ النوى فارحمي الذي
تركتِ بديدَ الشملِ منتثرَ العقـدِ

فقدتُك فقـدانَ الربيـعِ وطيبـه
وعدتُ إلى الإعياءِ والسقمِ والوجدِ

وليس الذي ضيعتُ فيـك بهيّنٍ
ولا أنتِ في الغُيّابِ هينـةُ الفقـدِ

* * *

بعينيك أستهدي فكيف تـركتني

بهذا الظلام المطبق الجهم أستهدي

بوردك أستسقي فكيـف تـركتني

هذي الفيافي الصمِّ والكُثُبِ الجُردِ

بحبك أستشفي فكيـف تـركتني

ولم يبقَ غيرُ العظمِ والروحِ والجلد

وهذي المنايا الحمرُ ترقص في دمي

وهذي المنايا البيضُ تختالُ في فَوْدي

وكنتُ إذا شاكيتُ خففتِ محملي

فهان الذي ألقاه في العيش من جهدِ

وكنتُ إذا انهـارَ البنـاءُ رفعتـه

فلم تكن الأيامُ تقوَى على هَـدى

وكنت إذا ناديتُ لبيتِ صـرختي

فوا أسفاً كَمْ بيننا اليومَ من سـدٌ

سلامٌ على عينيـك مـاذا أجنّتـا

من اللطف والتحنان والعطف والود

إذا كان في لحظيك سيفٌ ومصرع

فمنك الذي يُحيي ومنك الذي يُردي

إذا جُرِّدَا لم يفتكـا عـن تعمـدٍ

وإن أُغمدا فالفتك أروعُ في الغمدِ

هنيئاً بقلبي ما صنعتِ ومرحبا

وأهلاً به إن كان فتكك عن عمدِ

فإني إذا جنَّ الظلامُ وعادني

هواكِ فأبديتُ الذي لم أكن أبدي

وملتُ برأسي كابياً أو مواسيا

وعندي من الأشجانِ والشوقِ ما عندي

أُقبِّلُ في قلبي مكاناً حللته

وجرحاً أناجيه على القرب والبعدِ

ويادارَ من أهوى عليكِ تحيةٌ

على أكرمِ الذكرى على أشرفِ العهدِ

على الأمسياتِ الساحراتِ ومجلسٍ

كريمِ الهوى عفِّ المآرب والقصدِ

تنادمنا فيه تباريح معشرٍ

على الدمِ والأشواكِ ساروا إلى الخلدِ

دموعٌ يذوب الصخرُ منها فإن مضوا

فقد نقشوا الأسماءَ في الحجرِ الصلدِ

وماذا عليهم إن بكوا أو تعذبوا

فإن دموعَ البؤسِ من ثمنِ المجدِ ..

٢

أنـــــــــــوار

طابتْ بـكِ الأيـام وافرحتـاه

أنتِ الأماني والغـنى والحيـاه

فليـذهب الليـلُ غفرنـا لـه

مادام هذا الصبحُ عقبى دجـاه

يا من غَفَتْ والفجر من دارهـا

شعشعَ في الآفـاق أبهى سـناه

قد طرقَ البابَ فـتى متعـبٌ

طال به الـسير وكلّـت خطـاه

تقّـل في الأيـام أقدامَـه

يبغـي خيـالاً مـاثلا في منـاه

عندك قد حـطّ رحـال المنى

وفي حِمَى حسنك ألقـى عـصاه

كم هدأ الليـل وران الكرى

إلا أخـا سـهدٍ يغنّـي شـجاه

ناداك من أقصى الربى فاسمعي

لمن على طول الليالي نداه

نادى أليفاً نامَ عن شجوه

عذبٌ تجنيه عزيزٌ أناه

أحببتكِ الحبَّ وغنّى به

عفنَ الأماني والهوى والشفاه

وإنما الحبُّ حديثُ العلى

أنشودةُ الخلدِ ونحن الرواه ..

٣

أحـــلام ســـــوداء

ربَّ ليلٍ قد صفا الأُفْقُ بـه
وبمـا قـد أبدع اللهُ ازدهـرْ
وسـرى فيه نسيمٌ عَبِـقٌ
فكـأن الليـلَ بستانُ عطـرْ
قلـتُ: يـارب جمّلتَـه
ولمن هـذي الثريـاتُ الغُـررْ..؟
فعـلا الأُفُـقَ قتـامٌ وبَـدَتْ
سحب تحبـو إلى وجـه القمـرْ
كلمـا تقـربُ تمتـدُّ لـه
كـأكفٍّ شـرِهاتٍ تنتظـرْ
صحتُ بالبـدر: تنبـهْ للنُّـذُرْ
أدركِ الهالـةَ حفّـتْ بالخطـرْ
لا تُـبِحْ مائـدةَ النـور لهـم
لا تبحهـا لسـوادٍ معتكـرْ
قهقـه الرعـد ودوّي سـاخراً
فكـأن الرعـدَ عربيـدٌ سـكرْ

قمت مذعوراً وهمّتْ قبضتي ...

ثم مُـدَّتْ، ثم رُدَّتْ مــن خَــوَرْ

لهف القلب علـى الحُـسن إذا

قهقه الغربـانُ والـذئبُ سـحِرْ

تحتمي الــوردةُ بالـشوكِ فـإن

كثُـرَ القطّـاف لم تُغْـنِ الإبَـرْ

آهِ من غـصنٍ غـنيٍّ بـالجنَى

ومِـن الطامـــع في ذاك الثمَـر

آهِ من شكٍّ ومن حـبٍّ ومـن

هاجِسـاتٍ وظنـونٍ وحـذَرْ

كست الأُفْقَ سـواداً لم يكـن

غير غـيمٍ جـاثمٍ فـوق الفِكَـر

طالمــا قلــتُ لقلــبي كلمـا

أنّ في جـنبي أنـينَ المحتـضَرْ

إن تكن خانتْ وعقّـتْ حبنـا

فاضـفْها للجراحـاتِ الأُخَـرْ

٤

الميعـــاد الضائـــع

«في ليلة من ليالي القاهرة العصيبة، وقفت تنتظره، ولكن حال بينهما القدر، وأقبل هو بعد ذهابها، فتخيل فزعها، ووحدتها، وحاجتها إليه، فجاءت هذه القصيدة عرضاً لتلك الخواطر».

يا من طواها الليـــلُ في بَيْدائـــه
روحاً مفزعـــةً علـــى ظلمائـــه
تتلفـــتين إلى في أنحائـــــه
لهفَ الفؤاد على الشريد التائـــه
إن تظمئي لِيَ كم ظمئتُ إليـــك
جمـــع الوفـــاءُ شـــقيةً وشـــقيًا
يا منيتي قست الحيـــاة عليـــك
وجرتْ مقادرها الجِســـام عليّـــا
أسفاً عليك وأنتِ روحٌ حـــائرٌ
والكون أسرارٌ يضيق بها الحجى
تجتاز عـــابرةً ويســـرعُ عـــابرٌ
وتمر أشباحٌ يواريهـــا الـــدجى

في وجنتيكِ توهجٌ وضرامُ

وبمقلتيكِ مدامعٌ وذهولُ

وكذا تمرُّ بعثلكِ الأيامُ

مجهولةً وعذابُها مجهولُ

ولْيتِ قبل لقائنا يا جنتي

لم تظفري مني بقولٍ مسعدِ

وكعادة الحظ الشقيِّ وعادتي

أقبلتُ بعد ذهاب نجمي الأوحدِ

تتعاقب الأقدار وهي مسيئةٌ

كم عقّنا ليلٌ وخانَ نهارُ

وكأنما هذا الفضاءُ خطيئةٌ

وكأن همسَ نسيمه استغفارُ

وكأنه أحزانُ قومٍ ساروا

هذي مآتمهم وثَمَّ ظلالُها

عفتِ القصور وظلت الأسوارُ

كمناحةٍ جمدت وذا تمثالُها

ران السواد على وجوه الدورِ

وسرى إلى نحيبها والأدمعُ

وكأنني في شاطئٍ مهجورِ

قد فارقته سفينةٌ لا ترجعُ

حملتْ لنا أملاً فلمــا ودَّعَـــتْ

لم يبق بعـــد رحيلـــها للنــاظرِ

إلا خيالُ سعادةٍ قـــد أقلعـــتْ

ووداعُ أحبابٍ ودمـــعُ مـــسافرِ

٥

اثنـــان فـــي سـيارة

العمرُ أكثـره سـدى وأقلّـه
صـفو يتـاح كأنـه عمـرانِ
كم لحظةٍ قصرتْ ومدت ظلّهـا
بعد الذهاب كدوحةِ البـستان
ويمر في الذكرى خيالُ شـبابها
فكـأن يقظتها شـبابٌ ثـانِ
مَنْ ذلك الطيف الرقيق بجـانبي
كفـاه في كفـيَّ هاجعتـان
لكأننا والأرضُ تُطوى تحتنـا
نجمـانِ في الظلمـاء منفـردانِ
لكأننا والـريحُ دون مسارنا
خطّـانِ في الأقـدار منطلقـانِ
إني التفتُّ إلى مكانـك بعـدما
خليته فبكيـتُ سـوءَ مكـانِ

هل كان ذاكَ القربُ إلا لوعةٌ

ونداءَ مسغبةٍ إلى حرمانِ

حُمّى مقدرة على الإنسانِ

تبغي بقاءَ الأرضِ في الدورانِ

وكأنما هذي الحياةُ بناسِها

وضجيجها ضربٌ من الهذيانِ

٦

لقـــاء فـــي الليـــــل

«كان اللقاء في ظلمات القاهرة الحالكة أيام الغارات وقد تم هذا اللقاء تحت الفزع والظلمة والخوف».

قالـت تعـال فقلـت نبيـك ... هيهات أعـصي أمـرَ عينيـكِ
أنـا ياحبيبـة طـائرُ الأيـك ... لم لا أغـني في ذراعيـك..
أفديكِ مقبلـةً علـى جـزع ... بسـطت إليَّ يمـينَ مرتجـفِ
وبهـا ارتعاشـةُ طـائرٍ فـزع ... من قلبها تـسرى إلى كتفـي..

شحبت كلون المغرب الباكي
وتألقـت كـالنجم عيناهـا
فتلفتـتْ كحبيـس أشـراكِ
وحكى اضطرابَ الموج نهداها
قلتُ اهدئي لِـمَ ثـورةُ النـدمِ
كفَّـاكِ ترتجفـان يـا أملـي
وأخذتُ أُدفئ بردهـا بفمـي
لـو تـنفعنَّ حـرارةُ القُبـلِ

وجذبتها بذراعها غمشي

غمشي وما ندري لنا غرضا

إلفان قد فسرا من العش

يتبادلان سعادة ورضا

يا خطة ما كان أسعدها وسعادة ما كان أعظمها

مر الغريب فباعدت يدها وخلا الطريق فقربت فمها

مرت بنا سيارة ومضت فسضاءة خاطفة النور

كشفت لعينيها وقد ومضت

ظلين مقتربين في السور

ضحكت لظلينا وقد عجبت

مما يخال فؤاد مذعور

وكأن ضحكتها وقد طربت

قطرات ماء فوق بلور

عوذتها من شر أمسية

تعيا بها وتضل أبصار

وكواكب ليست بمجدية

ظلم مكدسة وأحجار

عثرتْ بها فرفعتُها بيدي

جسماً يكاد يشفُّ في الظُّلَمِ

ويرفُّ مثل الزهر وهو ندِي

ويخفُّ مثل عرائس الحلمِ

وكأنني ما يسوء تخلِّي

وحياتيَ المجابستْ حوالكهَا

أرمي الطريقَ بناظرةْ رجلِ

وأنا لها طفلٌ أضاحكُهَا

مَلَّكتُها الدنيا بما وسعتْ

وأنا أهامسُهَا بأسراري

وأُسِرُّها بحكاية وقعتْ

ورواية من نسجِ أفكاري

وإذا الطريقُ يسير منعطفاً

وإذا رياحٌ تضرب السدفَا

وكأن منها منذراً هتفَا

بلغ المسيرُ نهايةً، فقفا

يا توأما مـــن صـــدريَ انتُزِعَـــا

يامن دعـــا قلـــبي لـــه فـــسعَى

لم أيها الـــداعي هـــواكَ دعَـــا

والـــدهر يـــأبى أن نظـــل معـــا

انظـــرْ ذراعـــيَّ اللـــذيْنِ هما

قـــد طوقـــاكَ مخافـــةَ الـــبينِ

أقـــسمْ بأنـــك عائـــدٌ لهمـــا

إني لمـــــــدودُ الـــــــذراعينِ

٧

ختـــــــام الليالى

الليالى! يا مـــا أمــرّ الليـــالى

غيبتْ وجهكَ الجميـــلَ الحبيبَـــا

أنت قاسٍ معـــذبٌ ليـــت أنى

أســتطيع الهجــرانَ والتعـــذيبَا

إن حبى إليك بالصفح ســباقٌ

وقلـــبي إليـــك مهمـــا أصــيبَا

يا حبيبى كان اللقـــاءُ غريبـــاً

وافترقنـــا فبـــات كـــلٌّ غريبَـــا

غير أنى أســتنجدُ الــدمع لا

ألقى مكان الـــدموع إلا لهيبَـــا

آه لو ترجع الـــدموعُ لعـــينى

جفَّ دمعى فلستُ أبكى حبيبَـــا

الأطـــــــــــــــــلال

«هذه قصة حب عاثر، التقيا وتحابا ثم انتهت القصة بأنها هي صارت أطلال جسد، وصار هو أطلال روح، وهذه الملحمة تسجل وقائعها كما حدثت»

يا فـــؤادي رحـــمَ اللهُ الهـــوى
كانَ صرحاً من خيـالٍ فهـوَى
اسقني واشربْ علـى أطلالــه
وارو عنيِّ طالمـا الـدمعُ روَى
كيفَ ذاكَ الحبُّ أمسَى خـبرا
وحديثاً من أحاديـث الجـوَى
وبـسـاطاً مــن نــدامي حُلُـمٍ
هم تواروا أبداً وَهْوَ انطـوَى ..

* * *

يا رياحاً ليس يهـدَا عـصفُها
نضبَ الزيتُ ومصباحي انطَفـا
وأنا أقتـاتُ مـن وهـمٍ عفَـا
وأفِي العمرَ لنـاسٍ مـا وفَـى

كم تقلبتُ على جمره

لا الهوى مال ولا الجفنُ غفا

وإذا القلبُ على غفرانه

كلما غارَ به النصلُ عفَا

* * *

ياغراماً كان منى فى دمى	قدراً كالموت أو فى طعمه
ماقضينا ساعةً فى عرسه	وقضينا العمر فى مأتمه
ماانتزاعى دمعة من عينه	واغتصابى بسمة من فمه
ليت شعرى أين منه مهربى	أين يمضى هاربٌ من دمه

لست أنساك وقد أغريتنى

بفمٍ عذب المناداة رقيقْ

ويد تمتد نحوى كيد

من خلال الموج مُدَّتْ لغريقْ

آه يا قبلةَ أقدامي إذا

شكت الأقدامُ أشواكَ الطريقْ

وبريقاً يظمأُ الساري له

أين في عينيك ذياك البريقْ

* * *

لستُ أنساكِ وقد أغريتني

بالذرى الشمّ فأدمنتُ الطموحْ

أنتِ روحٌ في سمائي وأنا

لكِ أعلو فكأني محضُ روحْ

يالها من قممٍ كنّا بها

نتلاقى وبسرّينا نبوحْ

نستشفُ الغيبَ من أبراجها

ونرى الناس ظلالاً في السفوح

* * *

أنتِ حُسن في ضحاه لم يزل

وأنا عندي أحزانُ الطّفَلْ

وبقايا الظل من ركب رحلْ

وخيوط النور من نجمٍ أفَلْ ..

ألمحُ الدنيا بعينيْ سئمٍ

وأرى حوليَ أشباحَ المللْ

راقصاتٍ فوق أشلاء الهوى

معولاتٍ فوق أجداث الأملْ

* * *

ذهب العمر هباءً فاذهبي
لم يكن وعدُكِ إلا شبحَا
صفحة قد ذهب الدهر بها
أثبتَ الحبُّ عليها ومحَا
انظري ضحكي ورقصي فَرِحَا
وأنا أحملُ قلبا ذُبِحَا
ويراني الناس روحاً طائرا
والجوى يطحنني طحنَ الرحَى

* * *

كنتَ تمثالَ خيالي فهوى
المقادير أرادت لا يدي
ويحها لم تدرِ ماذا حطمتْ
حطمتْ تاجي وهدتْ معبدي
يا حياةَ اليائسِ المنفردِ
يا يباباً مابه من أحدِ
يا قفاراً لافحاتٍ مابها
من نجيٍّ .. يا سكونَ الأبدِ ..

* * *

أين من عيني حبيب ساحر
فيه نبل وجلال وحياءْ
واثقُ الخطوة يمشي مَلَكاً
ظالمُ الحسنِ شهيُّ الكبرياءْ
عَبِقُ السحرِ كأنفاس الربى
ساهمُ الطرف كأحلامِ المساءْ
مشرقُ الطلعة في منطقه
لغةُ النور وتعبيرُ السماء

* *

أين مني مجلس أنتِ به
فتنةٌ تمّتْ سناءً وسنى
وأنا حب وقلب ودمٌ
وفَراش حائر منك دنا
ومن الشوق رسول بيننا
ونديمٌ قدّمَ الكأسَ لنا ...

ومـــقانا. فانتفـــضنا خطـــةً

لغبـــارِ آدمـــــي مَـــسَّنا!

*　　*　　*

قد عرفنا صولة الجـــسم الـــتي

تحكم الحيَّ وتطغـــى في دمـــاه

وسمعنـــا صـــرخةً في رعـــدها

سوطُ جـــلادٍ وتعـــذيبُ إلـــه

أمرتنـــا فعـــصينا أمرهـــا

ورأينا الذلَّ أن يغـــشى الجبـــاه

حكم الطاغي فكنَّا في العـــصاه

وطُردنا خلفَ أسـوارِ الحيـــاه

*　　*　　*

يا لمنفـــيين ضـــلاًّ في الوعـــودِ

دميا بالشوكِ فيها والصخورِ ..

كلمـــا تقـــسو الليـــالي عرفَـــا

روعةَ الآلامِ في المنفى الطَّهورِ ..

طرداً من ذلك الحلم الكبيرِ

للحظوظِ السودِ والليلِ الضريرِ

يقبسانِ النورَ من روحيهما

كلما قد ضنّت الدنيا بنورِ

* * *

أنت قد صيرت أمري عجَبا

كثرتْ حولِيَ أطيارُ الرُّبَى

فإذا قلتُ تغنّي ساعة

قم نغرّدْ لسوى ليلى أبَى

حجبٌ تأبى لعينيَّ مأربا

غير عينيك ولا مطلبَا

أنتِ من أسدلها لا تدَّعِي

أنني أسدلتُ هذي الحُجُبَا

* * *

ولكم صاح بي اليأسُ انتزعها

فيرد القدْرُ الساخر: دعها

يالها من خطة عمياء لو

أنني أبصر شيئاً لم أطعها

ولِيَ الويل إذا لبيتها

ولِيَ الويل إذا لم أتبعها

قد حَنَتْ رأسي ولو كلُّ القوى

تشتري عزةَ نفسي لم أبعها

* * *

يا حبيباً زرت يوماً أيكه

طائر الشوق أغني ألمي

لك إبطاء الدلال المنعمِ

وتجني القادرِ المحتكمِ

وحنيني لك يكوى أعظمي

والثواني جمرات في دمي

وأنا مرتقب في موضعي

مُرْهفُ السمعِ لوقعِ القدمِ

* * *

قدمٌ تخطو وقلبي مشبهٌ
موجةً تخطو إلى شاطئها

أيها الظالمُ بالله إلى كَمْ
أسفحُ الدمعَ على موطئها

رحمةً أنتَ فهل من رحمةٍ
لغريبِ الروحِ أو ظامئها

يا شفاءَ الروحِ روحي تشتكي
ظلمَ آسيها إلى بارئها ..

* * *

أعطني حريتي أطلقْ يديّ
إنني أعطيتُ ما استبقيتُ شيّ

آهِ من قيدكَ أدمى معصمي
لِمَ أبقيه وما أبقى عليّ

ما احتفاظي بعهودٍ لم تصنها
وإلامَ الأسرُ والدنيا لديّ

ها أنا جفّتْ دموعي فاعفُ عنها
إنها قبلكَ لم تُبذَلْ لحيّ

* * *

وَهَب الطائرَ عن عشك طـارا

جَفّتِ الغدرانُ والثلجُ أغـارا

هذه الـدنيا قلـوب جَمَـدت

خبت الشعلةُ والجمر تـوارى

وإذا مــاقبسُ القلـب غـدَا

من رمادٍ لا تسله كيف صـارا

لا تسلْ واذكرْ عذابَ المصطلى

وهو يذكيه فـلا يقـبسُ نـارا

* * *

لارعـى اللـه مـساءً قاسـيا

قد أراني كل أحلامـي سُـدَى

وأراني قلـب مـن أعبـده ساخراً من مدمعي سُخْرَ العِـدَا

ليت شعرى أيُّ أحداث جرتْ أنزلت روحَكَ سجناً موصـدَا

صدئتْ روحُـك فى غيهبـها وكذا الأرواحُ يعلوهـا الصدَا

* * *

قد رأيتُ الكونَ قبرا ضيقا
خيم اليأسُ عليه والسكوتْ
ورأتْ عينيَ أكاذيبَ الهوى
واهياتٍ كخيوط العنكبوتْ
كنت ترثي لي وتدري ألمي
لو رثي للدمع تمثالٌ صموتْ
عند أقدامكِ دنيا تنتهي
وعلى بابكِ آمالٌ تموتْ

* * *

كنت تدعوَنيَ طفلا كلما
ثار حبي وتندتْ مُقلتي
ولكِ الحق لقد عاش الهوى
فيَّ طفلاً ونما لم يعقلِ
وأرى الطعنةَ إذ صوبتَها
فمشتْ مجنونةً للمقتلِ
رمتِ الطفلَ فأدمتْ قلبَه
وأصابت كبرياءَ الرجلِ

* * *

قلت للنفس وقد جُزْنا الوصيدا

عَجّلِي لا ينفع الحـزمُ وئيـدا

ودعي الهيكـلَ شـبَّتْ نـاره

تأكل الركّعَ فيـه والسجودا

يتمنّـى لي وفـائي عـودةً

والهوى المجروح يأبى أن تعـودا

لِيَ نحو اللهبِ الـذاكي بـه

لفتةُ العود إذا صار وقـودا

* النايشيء *

لسـت أنسـى أبـدا	سـاعة في العُمُـرِ
تحـت ريـح صفّقَتْ	لارتقـاص المطـر
نوّحـت للـذكرِ	وشـكت للقمـر
وإذا مـا طربـتْ	عربـدت في الشجرِ

هاك ما قد صبت الـريح بـأُذن الشاعرِ

وَهْـيَ تغري القلبَ إغراءَ النصيحِ الفاجـرِ

أيهـا الشاعر تغفو

تذكر العهد وتصحو

وإذا ما التامَ جرحٌ

جَدَّ بالتذكار جرحُ

فتعلمْ كيف تنسى — وتعلمْ كيف تمحو

أو كلُّ الحب — في رأيك غفرانٌ وصفحُ

هاك فانظرْ عددَ — الرمل قلوباً ونساءْ

فتخير ما تشاء — ذهبَ العمر هباءْ

ضلَّ في الأرض الذي — ينشدُ أبناءَ السماء

أي روحانيةٍ تُعصرُ من طينٍ وماءْ

أيها الريح أجلْ لكنما

هي حبي وتعلاتي ويأسي

هي في الغيب لقلبي خُلقَتْ

أشرقت لي قبل أن تشرق شمسي

وعلى موعدها أطبقتُ عيني

وعلى تذكارها وسدْتُ رأسي

جنّت الريحُ ونادته شياطينُ الظلام ..

أختاماً كيف يحلو لك في البدء الختام

يا جريحاً أسلمَ الجرحَ حبيباً نكأه

هو لا يبكي إذا الناعي بهذا نبأه

أيها الجبار هل تُصرعُ من أجل امرأه ..

ياها من صيحةٍ ما بعثتْ

عنده غير أليمِ الذكرِ

أرقتْ في جنبه فاستيقظتْ

كبقايا خنجرٍ منكسرِ

لمع النهر وناداه

فمضى منحدراً للنهرِ

ناضبَ الزاد وما من سفرٍ

دون زادٍ غير هذا السفرِ

* * *

يا حبيبي كلُّ شيء بقضاء

ما بأيدينا خُلقنا تعساء

رُبَّما تجمعنا أقدارُنا

ذاتَ يومٍ بعد ما عزَّ اللقاء

فإذا أنكرَ خِلٌّ خِلَّه

وتلاقينا لقاءَ الغرباء

ومضى كلٌّ إلى غايته

لا تقل شئنا وقل لي الحظُّ شاء

* * *

يا مغنّي الخلدِ ضيَّعت العُمُرْ

في أناشيدَ تُغنى للبشرْ

ليس في الأحياء مَن يسمعنا

ما لنا لسنا نغنّي للحجرْ

للجمادات التي ليستْ تعي

والرميماتِ البوالي في الحُفرْ

غنّها .. سوفَ تراها انتفضتْ

ترحمِ الشاديَ وتبكي للوترْ

* * *

يــا نـــدآء كلمــا أرســلته

رُدَّ مقهــوراً وبــالحظّ ارتطــمُ

وهتافــاً مــن أغاريــدِ المـنى

عــاد لي وَهْــوَ نــواحٌ ونــدمْ

رُبَّ تمثــالِ جمــالٍ وســنا

لاح لي والعيشُ شــجوٌ وظُلَــمْ

ارتمـــى الملحــن عليــه جاثيــا

ليس يدري الله حُـسْنٌ أصــمّ

* * *

هــدأ الليــل ولا قلــب لــه

أيها الســاهرُ يــدرى حيرتَــكْ

أيها الشاعر خُــذْ قيثارتــك

غن أشجانك واسكبْ دمعتَــكْ

رُبَّ لحن رقــصَ الــنجمُ لــه

وغزا السُّحْبَ وبــالنجم فتَــكْ

غنه حتى نــرى سِــتْرَ الــدجى

طلع الفجــرُ عليــه فانتهَــكْ

* * *

وإذا مـــــازهوات ذُعـــرتْ

ورأيتَ الرعبَ يغـشى قلبَهَـا

فترفــقْ واتئــدْ واعـــزفْ لهـا

من رقيق اللحن وامسح رعبَهَـا

ربما نامتْ على مهـد الأسـى

وبكـــتْ مستــصرخاتٍ ربَّهَـا

أيها الشاعرُ كـم مـن زهـرةٍ

عوقبتْ لم تـدرِ يومـاً ذنبَهَـا

الناشيء

ذات مســـــاء

وانتحينــا معــا مكانًــا قــصيًّا

نتهادى الحــديث أخــذًا وردًا

سألتني مللتنا أم تبدلتَ سوانا هــوًى عنيفــا ووَجْــدًا

قلت هيهاتَ! كم لعينيكِ عنــدى

من جميل كم بات يهدى ويُسدَى

أنا ما عشت أدفع الديْنَ شــوقًا

وحنينًــا إلى حمـــاك وســـهدًا

وقصيدا مجلجــلا كــلُّ بيــتٍ

خلفه ألفُ عاصفٍ ليس يهــدا

ذاك عهدى لكنَّ قلبَكِ لم يقضِ ديون الهوى ولم يرعَ عهدًا

والوعودُ التى وعــدتِ فــؤادى

لا أراني أعــيش حــتى تُــؤدَّى

روايـــــــــــــــة

نــــزل الـــستار فقـــمْ تنتظـــرُ

خلَت الحيـــاةُ وأقفـــر العمـــرُ

لم يبـــقَ إلا مقفـــر تعـــسٌ

تعـــوي الـــذئاب بـــه وتـــأتمر

هو مـــسرح وانفـــض ملعبُـــه

لم يبـــقَ لاعـــينٌ ولا أثـــرُ

وروايـــة رُوِيَـــتْ وموجزهـــا

صحبٌ مضوا وأحبـــةٌ هجـــروا

عبروا بها صوراً فمـــذ عـــبروا

ضحك الزمانُ وقهقـــه القـــدرُ

يأس على كأس

(١)

أصبحتُ من يأسي لو أن الردى
يهتف بي: صــحت بـه هيَّـا
هيا فمــا في الأرض لي مطمــح
ولا أرى لي بعـــــدها شــــيَّا
مـــاذا بقـــائي هاهنـــا بعـــدما
نفـــضتُ منـــه اليـــومَ كفيَّـــا
أهرب من يأسي لكأســـي الـــتي
أدفـــن فيهـــا أملـــي الحيَّـــا
يا أيهـــا الهـــارب مـــن جـــنتي
تعـــالَ أو هـــساتِ جناحيَّـــا
نبكي شـــبابنا ونبكـــي المنى
وترتمـــسي بـــين ذراعيَّـــا

(٢)

إني على يأسي وكأسي كـآبتي
وعلى سرابي عـاكفٌ وشـرابي
ولقد فرغتُ من التعلـل بـالمنى
إلا وميضـاً في الرمـاد الخـابي
رمقـاً يعللـني بأنسـك عائـد
يوما لقلبي قبـل يـوم ذهـابي
حتى إذا الأقدار شئنَ وعدتَ لي
راجعتُ نفسي وانحمتُ صـوابي
أأرى شروقَك في أفول مغـاربي
وأشمُّ عطرَكَ في ذبول شـبابي!

(٣)

هات اسقني واشربْ على سر الأسى
وعلى بقايـا مهجـةٍ وشـجاها
مهلاً نديمي! كيف ينسى حبَّهَـا
مَنْ ينشدُ السلوى على ذكراها

مازالت تسقيني لتنسيني الهـوى
حتى نسيتُ، فما ذكرتُ سواها

كانت لنا كأسٌ وكانت قـصة
هذا الحباب أعادهـا ورواهـا

الآن غشّاها الضبابُ وهـا أنـا
خلف المآسي والـدموع أراهـا

غالَ الزمـانُ صـباها وحبابهـا
وتبخـرتْ أحلامُهـا ورؤاهـا

أحببتها وطويت صفحتها وكـم
قرأ اللبيبُ صـحيفةً وطواهـا

تلك الوليدةُ لم تُطُـلْ بـشراها
لمّا تكدْ تطـأ الثـرى قـدماها

زفّ الصباح إلى الرمال نـداءها
وسرى النسيمُ عـشيةً فنعاهـا

عاصفة روح

(الزورق يغرق والملاح يستصرخ)

أين شط الرجاءْ يا عُباب الهمومْ
لياليّ أنواءْ ونهاري غيومْ

* * *

أعولي يا جراحْ اسمعي الديدانْ
لا يهم الرياحْ زورقٌ غضبانْ

* * *

البلى والقلوبْ في صميم الشراعْ
والضنى والشحوبْ وخيالُ الوداعْ

* * *

اسخري يا حياةْ قهقهي يا رعودْ
الصبا لن أراهْ والهوى لن يعودْ

* * *

الأماني غرورْ في فم البركانْ
والدجى مخمورْ والردى سكرانْ

* * *

راحت الأيامْ   بابتسام الثغورْ
وتولى الظلامْ   في عناق الصخورْ

* * *

كان رؤيا منامْ   طيفك المسحورْ
يا ضفاف السلامْ   تحت عرش النورْ

* * *

اطحني يا سنين   موقفي يا خرابْ
كل برق يبينْ   ومضه كذابْ

* * *

اسخري يا حياةْ   قهقهي يا غيوبْ
الصبا لن أراهْ   والهوى لن يؤوبْ

كـــــبريــــــــاء

١

نداؤك يا فــؤاد كَفَــى نــداءَ
أما تنفــك تــسقيني الــشقاءَ

أنا ظمــآن لم يلمـــع ســراب
علي الصحراء إلا خلــتُ مــاء

وأنت فراش ليـــل كــلّ نـــور
تبعتَ وكلّ بـــرق قـــد أضـــاءَ

فؤادى قــال لهــا لّمــا افترقنــا
على شجن وما نرجـــو اللقـــاء

حببتكِ ما شدوت إليك شـــعرا
ولكنى اعتصرتُ لــكِ الـــدماء

إذا أنا فى هواك أضعت روحــى
فلست أضيع فيك دمـــى هبـــاء

غرامك كان محـــراب المــصلى
كأنى قد بلغتُ بــك الـــسماء

خلعتُ الآدمية فيه عني

ولكن ما خلعتُ به الإباء

فلم أركع بساحته رياءً

ولا كالعبد ذلا وانحناء

ولكني حبيبُك حبُّ حُرٍّ

يموت متى أراد وكيف شاءَ

٢

وحبيب كان دنيا أملي   حبُّه المحراب والكعبة بيتُه

من مشى يوما على الورد له   فطريقي كان شوكا ومشيتُه

من سقى بماءٍ ظامئا   فأنا من قدح العمر سقيتُه

خفق القلب له مختلجا   خفقةَ المصباح إذ ينضب زيتُه

قد سلاني فتنكرتُ له   وطوى صفحةَ حبي فطويتُه

٣

أقبلتُ للنيل المبارك شاكيا

زمني وقد كثرتْ عليّ همومي

وسحتُ كفي والجبين بمائـه

علّي أهدئ ثورةَ الهموم

وجلست أنثر جعبة مغمورة

بالذكرياتِ جديدها وقديمِ

لهفي لحب مات غير مدنَّسٍ

وشباب عمر مرّ غير ذميمِ

خان الأحبة والرفاق ولم أخنْ

عهدى لهم وصفحتُ صفحَ كريمِ

أيخيفني العشبُ الضعيف أنا الذى

أسلمتُ للشوك الممضِّ أديمى

وإذا وني قلبى يصدق مكانه

شممى وتخفق كبرياء همومى

إنى لأحمل جعبتى متحديا

زمنى بها وحواسدى وخصومى

أحنى لعرش الله رأسا ما انحنى

بالذلِّ يوماً فى رحابِ عظيمِ

اذكري

اذكري ذاك المساءَ   كيف كنا سعداءَ
لم يدع عنديَ همّا   ومحا عنك الشقاءَ
ملأ الدنيا صفاءً   عندما شئتِ وشاءَ
أحسن الدهرُ إلينا   بعدما كان أساءَ
كلما أقبلت السحب   فظلّلن السماءَ
قاتمات غائمات   يتهادينَ بطاءَ
لاح نجمٌ من بعيد   فتجلى وأضاءَ
وتصدّى قمرٌ راح   على الأرضِ وجاءَ

رسـائل مـحترقـة

ذوت الـصبابـة وانـطوتْ
وفرغـتُ مـن آلامهـا

لكـني ألقـى المنايـا مـن بقايـا جنامهـا
عـادت إليَّ الـذكرياتُ بحـشدها وزحامهـا
في ليلـة لـيلاء أرّ قـني عـصيب ظلامهـا

هـدأت رسـائل حبـها
كالطفـل في أحلامهـا

فحلفـت لا رقـدت ولا ذاقـت شـيئٌ منامهـا
أشعلت فيهـا النـار ترعـى في عزيـز حطامهـا
تغتـال قـصة حبنـا مـن بـدئها لختامهـا
أحرقتهـا ورميـت قلـبي في صـميم ضـرامها
وبكـى الرمـاد الآدمـي علـى رمـاد غرامهـا

الغريب

يا قاسي البعد كيف تبتعدُ

إني غريب الديار منفردُ

إن خانني اليوم فيك قلت غداً

وأين مني ومن لقاك غدُ

إنّ غداً هوةٌ لناظرها تكاد فيها الظنون ترتعدُ

أطل في عمقها أسائلها أفيك أخفى خيالَهُ الأبدُ

يالامسَ الجرح ما الذي صنعت

به شفاةٌ رحيمةٌ ويدُ

ملء ضلوعي لظىً وأعجبه

أني بهذا اللهيب أبتردُ

يا تاركي حيث كان مجلسنا وحيث غناك قلبي الغردُ

أرنو إلى الناس في جموعهم

أشقتهمُ الحادثاتُ أم سعدوا

تفرقوا أم هم بها احتشدوا

وغوّروها هابطينَ أم صعدُوا

إنِّ غريبٌ تعـــالَ يـــا سـكني

فلـــيس لي في زحـــامهم أحَـــدُ

بعـــــد الفـــــــراق

١

أجل! أهواكِ أنتِ مُنَى حيـاتي
وأنتِ أحبُّ من بصري وسمعـي
وهل أنساكِ كلاَّ لستُ أنسى
هوى قد كانَ إلهـامي ونبعـي
لبستُ من التصبر عنكِ درعـاً
فها أنا تنـزعُ الأيـامُ درعـي
وها أنا لا أداري عنـكِ سـرًّا
عرفتِ محبتي ورأيتِ دمعـي
تلاشت قوتي وغـدا فـؤادي
كأن خفوقَـه خلجـاتُ نـزْعِ
أبـشِّره فيرقـص في ضـلوعي
وأنظـر سـودَ أيـامي فـأنعي
وقد نضب الخيالُ وغاض طبعي
ومات على حياض اليأس زرعي

أجرجرُ وحدتي في كل حشدٍ

واحمل غربتي في كلّ جَمْعِ

٢

مزّقته فصار والله لا يقدر حتّى أن يسأل الله رفقا

لجة بعد لجة كلما صارع رُدّتْ له أمانيه غرقى

فليق بعد فيلق حَجَبَ الشمسَ ولم يُبقِ للنواظرِ أفقا

وسنان الغروب تغزوه قسرًا

وسنان العذابُ تطعنُ زُرْقا

وجيوش الظلام تزحفُ زحفًا

وثقال الأقدام تسحقُ سحقًا ..

المـــــــــــــــــــــــــــعـــــــآب

«خرج الشاعر من مصر مريضا،ورجع إليها مكسور الساق يحمل عكازتين.فلما أشرفت السفينة على بورسعيد أستقبل الشاعر مصر بهذه الأبيات».

هتفتُ وقد بدتْ مــــصرٌ لعـيني
رفاقي! تلكَ مصرُ يـا رفــاقي
أتدفعني وقد هاضـــتْ جنــاحي
وتجذبني وقـــد شـــدَّتْ وثــاقي
خرجتُ من الديار أجـــرُّ هَمّــي
وعدتُ إلى الديارِ أجرُّ ســـاقي

في الأوتوجراف

من ن إلى هـ

طلبتِ الكتابةَ يا جنتي

ومـاذا تريـدين أن أكتبا

وما في الجوانح خافٍ عليكِ

وقلبك يعلم ما غُيِّبا

سأكتب أنكِ أنتِ الربيع

وأنك أنضرُ ما في الرُّبى

وأنك أنتِ الجمال الفريد

وفجر الشباب وحلم الصِّبا

أهلِّلُ باسمكِ عند الصباح

وأطوى على ذكركِ المغربَا ..

شكوى الزمن

يا ويلتا من عمرِيَ الباقي	هذا سواد تحت أحداقي
هذا بياضُ الشيب واعجبي	من مغرب في زي إشراق
ويلي على كأسٍ معربدةٍ
وعلى دم في الكأس مهراقِ
وعلى سرابٍ خادعٍ وعلى	متألق اللمحات براق
طاف الزمان به على نفرٍ	مالوا بجاماتٍ وأعناق
صُرعوا وأنت تظنهم سكروا
ماتَ الندامى أيها الساقي
يا دهرُ لم أشكُ الكلالَ ولا
ملكتْ خطوبُ الدهر إرهاقي
عذبتُ أيامي بعفتها
وقتلتُهَا بصفاءِ أخلاقي
يا كم غرستُ وكم سقيتُ وكم
نضَّرْتُ من زهرٍ وأوراقِ

مـــا حـيلتى والأرض مجدبـــة
ســيان إقـــلالى وإغـــداقى
أين الـــذين رفعـــتُ فانحـــدروا
وبنيتـــهُمْ بنيـــانَ خـــلاّقِ
إن الوفـــاءَ بـــضاعة كَـــسدتْ
ومـــآلُ صـــاحبها لإمـــلاقِ
إن كنت لم أغنمْ فقـــد ظفـــرُوا
مـــنىٍّ بمغفرتـــي وإشـــفاقى
لكـــننى والجـــرح يُلـــهب لى
حسِّي ويكـــوى كَـــىَّ إحـــراقِ
هيهاتَ أنـــسى الهـــم عبثـــوا
ووَفَيْـــتُ لم أعبـــثْ بميثـــاقى

كــل الــورى

كل الــورى يــدّعونَ حبَّــكْ
أنــا الوحيــد الــذي أحبُّــكْ
صدرك فيه اضــطرابُ شــوقٍ
يقرعُ قــرعَ العبــابِ جنبكْ
فكيــف تخلــى بــه مكــاني
وتُــسكنُ الغــادرينَ قلبَــكْ
لــمّا اعتنقنــا علــى اشــتياقٍ
لمستُ بالــساعدَيْنِ خطبَــكْ
تعــــالَ لا تعتــــذرْ لــمذنبٍ
بقــدرِ حــبيّ غفــرتُ ذنبَــكْ

* * *

طالَ علــى المتعــب الطريــقْ
بــــلا حبيــــب ولا صــــديقْ
قــد بَعُــدَ الــشاطئ المرجّــى
والمــوج لايــرحم الغريــقْ

فِي واضحِ النــور جــنحُ لَيــلٍ
وفي الرحابِ الفــساح ضــيقْ
يا أرجــوانَ الغــروب مهــلاً
ولتشــــدْ أيهـــــا العقيــــقْ
صبغتَ عمرى فصرتَ أمــشى
على دمــائى الــتى أريــقْ ...

* * *

يا مــسرحاً والفــصولُ تترَى
عليـــه مــالى بـــك اغتــرارْ
فــــلا بخــــيرٍ ولا بــمــشرٌ
ولا طــــوالٍ ولا قـــــصارْ
ماخنتُ عهــدى لمــن تــولَّى
كــــلاْ ولاخـــانني اصــطبارْ
أيـــن الليـــالى الــتى تُــسرُّ
بـــــلا لقــــاء ولا مــــزارْ
كــم قلــتُ ذا مــشهدٌ يُــرُّ
ولم أقـــــلْ إنـــــه سِــــتارْ

إن كـــان للمـــشجيات رســـم

إنَّ تمثالهـــــــــا المقـــــــــامْ

بـــــلا دمـــــوعٍ ولا شـــــكاةْ

قـــد جمـــدَ الـــدمعُ والكـــلامْ

يا طالـــبَ الحـــزنِ في المـــآقي

لا تنـــشد الـــدمعَ في الرخـــامْ

وخـــذه مـــن أخـــرسٍ مريـــرٍ

مـــن شـــفة دمعهـــا ســـجامْ

فهل فـــمٌ قـــد يكـــي بكـــائي

مـــن ذا رأى دمعـــة ابتـــسامْ

راقصة

عجباً لعاريةٍ كساها الفنُّ حسناً رائعا
سمراءَ وشّتها بنانُه بياضاً ناصعا
شبه الفرائد قد كسين في الغمام براقعا
من أي وديان الظباء ملاعباً ومراتعا؟

من عبقرٍ، ومن الأماسي، ومن فنونهما معا
تبدين ريّان الشذيّ لنا وخصرًا جائعا
وتُسوين كوناً يشبه الكون الرحيب الواسعا
متغاير الإبداع مختلف المحاسن جامعا
نلك خفة البطل المجلّي مقبلاً أو راجعا
متمهلاً للخصم متئداً، وحيناً للّقاء مُسارعا

الصنم الجميل

يا قلبيَ الشاكي المعذّب هذه الشكوى لِمَا
حان القرار وآن للمسجون أن يتنسما
حان الحساب وآن للموتور أن يتكلمَا
يا طفليَ النواح آن اليوم أن تتعلمَا
أسفي لغالي الدمع تبذله لمرخص الدُّمى
أفنيته ورجعتَ حتّى من دموعك معدمًا
فإذا افتقدتَ الدمع عزٌّ فتبكينّ تبسمَا
تبكي على العرش المصوغ من المدامع والدُّمَا
تبكي على الصنم الجميل يكادُ أن يتهكمَا
تبكي تراب الأرض مصبوغاً بألوان السما

الليـــل في فينسيــــا

يا ربِّ ما أعجبَ هــذي الـبلادْ
لا ليلَ فيها! كــل ليـلٍ صـباحْ
وكــل وجـه في حماهـا ضـمادْ
ومـصـرٌ لا تثبــتُ إلا الجـــراحْ

شـــــــــــكوك

يا راميَ السهم يدري أين موضعه

منيّ ويعلم ما داريــتُ مــن ألمِ

رميتَ في ساحة موسومة بــدمٍ

منقوشة بندوب الحبِّ والنــدمِ

لا يخدعنّك منها وَهْـيَ صــامتة

صمتُ القبورِ فراغُ الموتِ والعدمِ

فكم شفاهُ جراحاتٍ إذا انطبقتْ

جرحَ الإباءِ عليها غــيرِ ملتــئمِ

فيم انتقامك من قلب عصفتَ بــه

لم يبقَ من موضعٍ فيــه لمنــتقمِ

وفيم لذعة سخطٍ من جوى برمٍ

ترمي بجمرته في جوفِ مضطرمِ!

النسيان

حان الشفاءُ فودِّع الألما
واستقبل الأيامَ مبتسمًا
ضيفٌ من السلوان حلَّ بنا
حدب اليدين مباركٌ قَدَمَا
أو ما ترى الضيف الذي قدما
يطوي الغيوبَ ويذرعُ الظُّلَمَا
في كفِّه كأس يقدمها
تمحو العذابَ وتغسلُ الندمَا
فاشربْ ولا ترحمْ ثمالتها
لهفي عليك شربتَ أي ظما
فيضٌ من النسيان يغمرني
إني لأحمد سيلَه العرِمَا
مستسلمًا للموج يغمرني
فرحانَ حين أعانق العدما

المســـــاء

يـــا غلــةَ المتلــهف الــصادى
يا آيــتي وقــصيدتي الكــبرى
ماذا تركـــت لـــديَّ مــن زادِ
إلا اســتعادة هـــذه الــذكرى
يـــا للمــساءِ العبقـــريِّ ومـــا
أبقى علـــى الأيـــام في خلــدِي
شـــفتاك شـــفَا لوعـــةٌ وظمـــا
وجمالك الجبـــار طـــوعُ يـــدِي
نمشي وقد طـــال الطريـــق بنـــا
ونـــود لـــو نمـــشي إلى الأبـــدِ
ونود لـــو خَلَـــتِ الحيـــاةُ لنـــا
كطريقنا وغـــدتْ بـــلا أحـــدِ
نبني علـــى أنقـــاض ماضـــينا
قصراً مـــن الأوهـــامِ عملاقـــا

ونظلُّ ننسجُ من أمانينا

وشياً من الأحلامِ مؤتلفا

وأظلُّ أسقيها وتملأُ لي

من موردٍ خلفَ الظنونِ خفِي

حتى إذا سكرتْ من الأملِ

وترنحتْ مالتْ على كتفِي

حلفتْ بأنّ معتقدِ معَها

حيثُ اعتدتْ وهواي في دمِهَا

فمسحتُ بالقبلاتِ أدمعَها

وطبعتُ عشاقي على فمِهَا

عذاب

ألمي محا ذنبي إليك وكفّرا
هبني أسأتُ ألم يحنْ أن تغفرا

روحي ممزقةٌ وأنت تركتها
لمخالبِ الدنيا وأنيابِ الورى

روحي ممزقةٌ ولو أدركتَها
جمَّعْتَ من أشلائها ما بُعثرا

أوليس لي في ظل حبك موضع
أحبو إليه وأرتمي مستنصرًا؟

ما كنت أصبرُ عن لقائك ساعةً
كيف اصطباري عن لقائك أشهُرًا

من بَدَّلَ الثغر الجميل عبوسة
ومضى إلى وجه السماء فكدَّرا

يا هاته الأقدار! عينك لا ترى
تحت الدجى سامانَ ممتنعَ الكرى

ظمآن، لو باع الأحبة قطـرة

بالعمر والدنيا جميعـاً لاشـترى

أخفي جراحك واستعز بفتكهـا

غريدك الشادي المحلق في الذرى

يرنو إليك على البعاد ويعتلـي

ويجره الجرح المميت إلى الثـرى

قد عاش وهو معـذب بإبائـه

ولقد يلاقـي يومـه مـستكبرا

حتام كتماني وطـول تجلـدي

يا أيها الجاني علـيّ ومـا درى

ومتى المآب إلى رحابـك مـرةً

لأريك جرحي والدما والخنجرا

ملحمة السراب

١

السراب في الصحراء

السرابُ الخؤونُ والصحراءُ
والحيارى المشردون الظماءُ
وليالٍ في إثرهن ليالٍ
سنةٌ أقفرتْ وأخرى خلاءُ
قلَّ زادي بها وشحَّ الماءُ
وتولّى الرفاقُ والخلصاءُ
كيف للنازح الحبيب ارتحالي
وجناحاي السقمُ والبرحاءُ
وجراحي المُسْتَنْزَفاتُ الدوامي
وخطاي المقيّداتُ البطاءُ
أدركي زورقي فقد عبث اليمُّ به والعواصفُ الهوجاءُ
والعبابُ العريضُ والأفقُ الموحشُ واللانهايةُ الخرساءُ
أفقٌ لا يُحدُّ للعين قد ضاقَ فأمسى والسجن هذا الفضاءُ

سهرتْ ترقب الصباحَ وعينُ النجم كلّتْ وما بهـا إغفـاءُ
عجبي من ترقبي ما الذي أرجو ولمّا يَعُـدْ لقلبـي رجـاءْ
وأنـا مُرْهـفُ المسـامع فيـه
ـنَ إلى كلّ طارقٍ إصـغاءُ ....

*   *   *

التقينا كما التقى بعد تطوافٍ على القفر في السرى أنـضاءُ
قطعوا شوطَهم على الدم والشوك وراحوا على اللهيب وجاءوا
في ذراعـيَّ أو ذراعيسك أمـنٌ وسـلامٌ ورحمـةٌ ونجـاءُ
وعلى صدرك المعذب أو صدريَ حصنٌ وعـصمة واحتمـاءُ
كم أناديك في التنـائي فترتـدُّ بـلا مغـنم لِيَ الأصـداءُ
وأناديك في دمائي فتنساب علـى حـسرةٍ لسدىٌّ الـدماءُ
وأناديك في التداني ومـا أطمـع إلا أن يـستجابَ النـداءُ
باسمك العذب إنه أجمـل الأسمـاء مهمـا تعـددتْ أسمـاءُ
لفظة لاتبين تنطلق الأقدارُ عـن قوسـها ويرمـي القـضاءُ

*   *   *

وهْي بين الـشفاه نـايٌ وتغريـد وطـير وروضـة غنـاءُ
وهي في الطرس قصة تُذكر الأحباب فيها وتُحـشد الأنبـاءُ
صـدفةٌ ثم وقفـة فانفـاق فاشـتياق فموعـد فلقـاءُ

فقليل من السعادة لا يكمل فيه ولا يطول الهناءُ
فحنين فلوعة فاحتراق فجحيم وقوده الشهداءُ

* * *

ما بقائي وأجمل العمر ولّى
وانتظاري حتى يحين الشتاءُ
يطلع الفجر مرهقاً شاحبَ النور
عليه الكلال والإعياءُ
وبنفسي دب المساء وحلَّ الليل من قبل أن يحين المساءُ

* * *

زرتني كالربيع في موكبِ الزهر له روعةٌ وفيه رواءُ
ولك الوجه أومضَ الحسنُ فيه
والتقى السحرُ عنده والذكاءُ
وشحوب كظل خمر وللندمان تجلو شحوبها الصهباءُ
ولك الجيد أتلعاً أودع الصانع فيه من قدرة ما يشاءُ
قدٌ من مرمر وشعشعه الفجر بورد وصب فيه الضياءُ
وأنا الطائر الذي تصطفي نفسي السماواتُ والذري الشماءُ
راشني صائد رماني فأدماني وولّى الجاني وعاش الداءُ

مرحبا بالهوى الكبير، فإن يبقَ وإن تسلمي يطب لي البقاءُ
فهو القمة التي تهزم الموتَ ولا يرتقي إليهما الفناءُ
مر يومي كأمسه مسرحاً تُعرض فيه الحياة والأحياءُ
آدم كالقديم قلباً وتفكيراً ولكن تُبدَّل الأزياءُ
لم يحل طبعه ولا ذات يوم
لبست غير نفسها حواءُ
والنضار المعبود قدسٌ وقربانٌ وربٌ والشهوة الجوفاءُ
والحطام الفاني عليه اقتتالٌ
والأماني بريقها إغراءُ
وسفين تمر آثر سفين
والرياح اللذات والأهواءُ
والغيوب المحجبات رحاب
تعبت في رموزها الحكماءُ
عندها المرفأ المؤمل والشط
المرجّى والصخرة الصماءُ ...
مر يومي كأمسه وأتى ليل بهيج تُزف فيه السماءُ

قد جلت فيه عرسها، كل نجم

قدحٌ يستحم فيه الضياءُ

لم تزلْ تسكب السلاف وللأقداح فيها تجدد وامتلاءُ

لم تزلْ .. حتى هوّم الحان نعسان وأغفى البساط والندماءُ

غير نجم في جانب الليل يقظان، له روعة بها وجلاءُ

ذاك نجم الحبيب منىٌّ له الشوق ومنه الوميض والإيماءُ

كم أغنيه بالحنين كما غنّتْ على فرع غصنها الورقاءُ

وذراعىَ في انتظار، وصدرى

فيه بالضيف فرحة واحتفاءُ

موقداً للغريب نارَ ضلوعى

فعسى للغريب فيها اهتداءُ ...

* * *

لِمَ خليتنى وباعدت مسراك ومالى إلى ذراك ارتقاءُ

بالذى فيك من سنا لا تدعنى

فيم هذا المطالُ والبطاءُ

ما تراني وقد ذهبت بحظى

أخطأتنى من بعدك النعماءُ

وانتهى بعدك الجميل فــلا فــضل لمــسد ولا يــدٌ بيــضاءُ

ومشى الحسنُ في ركابك والإحسان طراً والغرة الــسمحاءُ

حسنات كانت يدُ الدهر عندي

فـــانطوت بانطوائـــك الآلاءُ

٢

السراب على البحر

لا القوم راحوا بأخبارٍ ولا جاءوا
ولا لقلبك عـــن لـــيلاك أنبـــاءُ
جفا الربيـــع لياليـنـا وغادرهـــا
وأقفر الروض لا ظلٌ ولا مـــاءُ
يا شافيَ الداء قد أودى بيَ الداء
أما لـــذا الظمـــأ القتـــال إرواءُ
ولا لطائر قلـــبٍ أن يقـــرَّ ولا
لمركب فزع في الشط إرســـاءُ!
عندي سماءُ شتاءٍ غـــير ممطـــرة
سوداء في جنبات النفس جرداءُ
خرساء آونـــة هوجـــاء آونـــة
وليس تخدع ظني وَهْيَ خرســـاءُ
وكيف تخدعني البيـــداء غافيـــة
وللسوافي على البيـــداء إغفـــاءُ

أأنت ناديتِ أم صوت يُخيل لي

فلي إليكِ بأذنِ الـوهم إصـغاءُ

لبيك لو عندي روحي ما نطير بـه

وكيف ينهض بـالمجروح إعيـاءُ

* * *

تفرق الناس حول الشط واجتمعوا

لهم به صخب عالٍ وضوضـاء

وآخرون كـسالى في أماكنـهم

كأنهم في رمال الـشط أنـضاءُ

هم الورى قبل إفساد الزمان هم

وقبل أن تتحدى الحبَّ بغـضاءُ

ضاقت نفوسٌ بأحقاد ولو سلمتْ

فإنها كسماء البحـر روحـاءُ..

تألقت شمس ذاك اليوم واضطرمتْ

كأنها شـعلٌ في الأفـقِ حمـراءُ

طابت من الظلّ ، ظل القلب ناحيـةٌ

لنا، وقد صَلِيَتْ بـالحرِّ أنحـاءُ

مالي بهم، أنت لي الدنيا بأجمعها
وما وعت ولقلبي منك إغناءُ
لو أنه أبداً مازاد عن سِنَة
ومدةُ الحلم بالجفنين إغفاءُ
أرنو إليك وبي خوف يساورني
وأنثني ولطرفي عنك إغضاءُ
إذا نطقتُ فما بالقول منتفع
وإن سكتُّ فإن الصمتَ إفشاءُ
وأيما لفظة فالريح ناقلة
والشط حاكٍ لها والأفق أصداءُ
ياليل! من علم الأطيار قصتنا
وكيف تدري الصَّبَا أنا أحباءُ
لما أفقنا رأينا الشمس مائلة
إلى المغيب وما للبين إرجاءُ
شابت ذوائب: وانحلت غدائرها
شهباء في ساعة التوديع صفراءُ

مشى لها شــفق دامٍ فخـــضبها

كأنه في ذيــول الــشَّعْرِ حنـــاءُ

* * *

يامن تنفس حر الوجد في عنقي

كما تنفسُ في الأقداح صـــهباءُ

ومن تنفستُ حر الوجد في فمه

فما ارتويتُ وهذا الري إظمـــاءُ

ما أنت عن خاطري بالبعد مبتعد

ولن تواريكَ عن عينيّ ظلماءُ ..

٣

السراب في السجن

يا سجينَ الحياةِ أين الفرارُ
أوصد الليل بابه والنهارُ
فلمنْ لفتةٌ وفيم ارتقابٌ
ليس بعد الذي انتظرتَ انتظارُ
والتعلاتُ من هوى وشباب
قصةٌ مسدل عليها الستارُ
ما الذي يبتغي العليل المسجَّى
قد تولَّى العُواد والسمارُ
طال ليلُ الغريب وامتنع الغمْضُ وفي المضجع الغضا والنارُ

* * *

وهَبِ السجن بابه صار حرًّا
لك لاحائلٌ ولا أسوارُ
وعفا القيد عنك كفا وساقا
فإذا الأرض كلها لك دارُ

أين أيمن الرحيل والتسيارُ

بعدتْ شقة وشطّ مزارُ

والخطى المثقلات باليأس أغلالٌ لساقيك والمشيب عثارُ

ما انتفاع الفتى إذا عفت الجنة واجتاحَ دوحَها الإعصارُ

عشتُ حتى أرى تماثيلَ حبي

تتهاوى كشامخٍ ينهارُ

تحت عيني ويذبل الحُسْنُ فيها

ويموت الربيعُ والأنوارُ

ما انتفاع الفتى بموحشِ عيشٍ

بقيتْ كأسه وطاحَ العقارُ

وبقاء البساط بعد الندامى

كأس سمٍّ بها يدور البوارُ

ما انتفاعي وتلك قافلةُ العيش وفي ركبِها اللظى والدمارُ

الدمار الرهيبُ والعدمُ الشامل واللفحُ والضنى والأوارُ

يا ديارَ الحبيبِ هل كان حلماً

ملتقى دون موعد ياديارُ؟

يا عزيزَ الجنَى عليــك ســلامٌ

كيفَ جادتْ بقربــك الأقــدارُ

بوركَ الكرمُ والقطوفُ وأوقاتٌ

كأنَّ العنــاقَ فيهــا اعتــصارُ

كلما أطلقتْكَ كفِّي استردتُّكَ

كمــا يحفــزُ الغــريمَ الثــارُ

آمـــــال كاذبـــــة

لا البرءُ زار ولا خيالـك عـادا
ما أكـذبَ الآمـال والميعـادا
عجباً لحبك يا بخيلةُ كيف يخلـقُ
مـن جـوانح عابـدٍ حُـسادا
إني لأهتف حين أفترش المـدى
وأرى الجحـيم لجـانبيَّ مهـادا
آه على الرأس الجميل سلاً وأغفى
مطمئنـا لا يحـسُّ سـهادا
فرشتْ له الأحلام واحتفل الهدوء
به ومدَّ لـه الجمـال وسـادا
يا حبها ما أنت ما هـذا الـذي
جمعَ الغريب وألَّـفَ الأضـدادا
كم أشرئب إلى سماك بنـاظري
مستلهما بـك قـوةً وعمـادا

ولكم أبيت على السآمة طاوياً

في خاطري شبحاً هفا عوادا

فأراك تعبث بي كطفل في السماء

يُصرِّفُ الأقدار كيف أرادا

ولقد أقول هوى كما بدأ انتهى

فإذا الهوى وافى النهايةَ عادا

مات الرجاء مع السماء وإنما

كان المماتُ لحبنا ميلادا

ماذا صنعت بناظرٍ لا ينثني

متطلعاً متلفتاً مرتادا

وأنا غريبٌ في الزحام كأنني

آمالُ أجفانٍ حُرمنَ رقادا

ولقد ترى عيني الجموع فما ترى

دنيا تموجُ ولا تحسُّ عبادا

فإذا رأيتك كنت أنت الناس والأعمار والآباد والآمادا

وأراك كل الزهر كل الروض أنت لديَّ كلُّ جميلة تتهادى

البعث

يا جمالا وجلالا يتدفقْ　　　رجع البلبلُ أم عاد الربيعْ
بهر النورُ عيوني فترفقْ　　　حين تدنو إنني لا أستطيعْ

* * *

أيها الورد الذي طاف بنا　　　أيها الطل الذي بلّ النعما
لا أراك الله حالي وأنا　　　أطأ الشوك ويغزوني الظما

* * *

يا أمانيّ وحبي وخيالي　　　لا تضيع لحظة فالعمر ضائعْ
لا أراك الله حالي والليالي　　　كاسفات ليس فيهن شعاعْ

* * *

قد بلوت الويلَ فيها لا بلوتا　　　وأنا أبداً يومي بالمساء
وعرفتُ الضيقَ ضيق القلب حتى
لم أجد في الكون ثقباً من رجاء

* * *

لا وربِّي ليس في الدنيا ختامْ

حين يغدو البعثُ نجوى من حبيبْ

حين يستيقظ قلبٌ من منامْ

والمنادِي أنتَ والحبُّ المجيبْ

المنصـــــــــورة

بأيِّ معجـــزة في الحسب نتفـــقُ

يا قلبُ لا يتلاقى الفجرُ والغسقُ

يا قلب إنَّا لقينا اليـــومَ معجـــزةً

تكاد في ظلمات الليـــل تـــأتلقُ

ظللتُ أسأل نفسي كيف تعشقها

بقية من بقايـــا العمـــر تحتـــرقُ

وافيتها وفلولُ النـــور دامـيـــة

تطفو وترسب أو تعلو فتعتنـــقُ

لم أدرِ حين تبدَّتْ لي إذا شـفقي

أبصرتُه أم على المنصورة الشفقُ؟

يامن منحتِ الأماني البيض معذرة

إني بهذي الأماني البيض أختنـــقُ

أين الهدوء المرجَّى في جوانبـــها

إني رجعتُ وليلـــي كلُّـــه أرقُ

أقبلتُ أنشد أمناً في هواك بما

فلم أنل وتــولى قلــبيَ الفــرَقُ

لا بالقلوب ولا الأرواح يا أملي

إنّا بشيء وراء الـــروح نعتنــقُ

ويحي على كفكِ البيضاء إذ بُسطتْ

عند السلام وويحي حين تنطبــقُ

هل يسمع النيلُ إذ سرنا بجانبــه

والموج مجتمــع فيــه ومفتــرقُ

صوتاً تماوَجَ في روحي فجاوبَــه

من جانب القلب موجٌ راحَ يصطفقُ

تظل تنــهب أذْني مــن أطايبــه

كأنها من خفايا الغيب تـــسترقُ

يا جنةٌ من جنان اللّــه أعبــدها

لن تبعدي ولديَّ السحر والعبقُ

وقفـــة عـــــــلى دار

قفْ يا فـؤاد على المنـازل سـاعا
فهنـا الـشبابُ علـى الأحبـة ضـاعا

وهنـــا أذلّ إبـــاءه متكـــبرٌ
أمـسـرتْ عيــونٌ قلبَــه فأطاعـــا

أحسستُ بالـداء القـديم وعـادني
جـــرحٌ أبَيْـــتُ لعهــده إرجاعـــا

ومضى مع الأمـلِ الـذهولُ كأنمـا
طـارت بنـي الحادثـاتُ شـعاعا

كثـرتْ علـيَّ متـاعبي فمحـوتني
ومحــونَ حـتى الـسقم والأوجاعـا

يامن هجرتِ لقد هجـرتِ إلى مـدى
فـإلى اللقـاء ولـن أقـولَ وداعـا

الراهبة الباكية

يا ربة الحسن الذي تصبو له
مهجُ العباد وترتجيه جميعا
الحُسْنُ من حق الورى وحملته
متأبيا متخفيا ممنوعا!
في الدير مثواه وفي جنح الدجى
يتحدر الحسنُ الشهيدُ دموعا
تتحرق الدنيا عليك وربما
أوقدتِ نفسك في الظلام شموعا

من ن إلى ع

١

يا شطر نفسي وغرامي الوحيد
ما شئت يا ليلاي لا ما أريد
يا من رأت حزني العميق البعيد
داويت لي جرحي بجرح جديدْ
هتكتِ عن روحي خفيَّ النقاب
فلم يزل ياليل هذا الحجاب
حتى مشت كفاك فوق العذاب
ياليل إن الشقيَّ سعيدْ
عمري سرابٌ في بقايا سراب
وكل أيامي المواضي اغتراب
فاليوم ياليلاى طاب المآب
في ظلك الرحب الجميل المديد
فليذهب الماضي البعيد السحيق
فيه صريعٌ للبلى لا يفيق
في جدثٍ يزداد ضيقا وضيق
في كفن قربه الشباب الشهيد!

٢

ريــــوم لقيــــاك علـــى سـلمِ

في جانــــبِ مكتئـــبٍ مظلـــمِ

يـــا عذبـــةَ العيـــنين والمبسمِ

وغـــضةَ الحسن الـــشهي الفريـــد!

في لحظـــةٍ يقفـــزُ فيهـــا دمـــي

وتعقـــد الدهـــشةُ فيهـــا فمـــي

مـــن أي كـــونٍ جئـــتِ لم أعلـــمِ

يـــا نفحـــة مـــن نفحـــاتِ الخلـــود

*   *   *

هيـــا! أجَمـــلْ هيـــا إلى أينـــا؟

حيـــث نحكـــي حلـــمَ روحينـــا

حيـــث نـــروي ســـرَّ قلبينـــا

فـــإن فرغنـــا مـــن حـــديث نعيـــده!

أي مكـــان بهوانـــا يـــضيق؟

فـــامضِ بنـــا، إن زحـــامَ الطريـــق

في ظل حبينا رحيب طليق

وكل طيب ركن في الوجود

من أنت؟ لا أدري، ولا من أنا

فينا إله الحب ماذا اسمنا

إنا حبيبان وذا حبنا

إنا وليدان، وهذا وليد

* * *

ومجلس قد ضمنا فيه الزحام

رفّ على قلبين فيه السلام

ترمقنا فيه ظنون الأنام

ولا تخلينا عيون الحسود!

وحين ودعت خلال الجموع

مشى على إثرك قلبي الوجيع

مشى به الحب، وكيف الرجوع!

وفي ضميري هاتفٌ: هل تعود!!

شعر الرثاء

رثاء الهمشرى

الشاعر النابغ الذى اختطفا نجمه في نضارة الشباب.

لا تجزعوا للشاعر الملهَمِ
ما مات لكنْ صار في الأنجمِ
ما كان إلا زائراً عابرا
لأى سر جاء لم نعلم
والآن قد رُدَّ إلى سربه
في قدس ذاك الفلك الأعظمِ
الآن قد رُدَّ إلى ربه
فتى إلى الخلد مشوق ظمى
الآن قد أصبح في قربه
فتى لآفاق السما ينتمى
كان فراشاً حائراً في الدنى
في نورها أو نارها يرتمى

فإن نجا من نارها مرةً

فمن لهيب النفس لم يسْلَمِ

* * *

لا تجزعوا للشاعر الملهمِ

بنُضرة الأيام لم ينعمِ

سرٌ بهذا الكون في لحظة

طالت كعمر الأبدِ الأعظمِ

أى جلالٍ فاته وصفه

وأى حسن فيه لم يرسمِ

فإن يكن ردٌ إلى حضنه

فعودة المغرم للمغرمِ

ورجعة القلب إلى صدره

بالعطف في أحنائه يرتمي

لا تجزعوا للشاعر الملهمِ

والله ما نامَ مع النُوَّمِ

ولم ينلْ منه أكولُ البلى

وإنما غابَ إلى موسمِ

المرحوم الدكتور عبدالواحد بك الوكيل

وزير الصحة

هي صفحة طُويتْ وحان ختــامُ
آسي الأساة على ثــراكَ ســـلامُ

لهفي عليك تسلمتك يدُ البلى
وانفض عنك إلى النشورِ زحـــامُ

الحفل منستظم تكامــلَ عقــده
أين العــشيُّ خيالُــكَ البــسامُ

يتلفتــون بــه كأنــك عائــد
هيهات في ريب المنــون كــلامُ

لا صحوَ من سِنة المنــون وإنمــا
سهر الخلود عليك حيث تنــامُ

يا أيها الآسي العزيــز بمــضجع
تــاهٍ لــه الإكبــار والإعظــامُ

أنتَ الطبيب وقد بلوت حياته

ومجالها الأوجاع والأسقامُ

جلت الحياةُ له حقيقتَهَا فما

في ظلها لَبْسٌ ولا أوهامُ

وله مع القدر الرهيب وقائعٌ

وله مع الموت الملم صدامُ

ووراء ذلك قوة أزليةٌ

خرساءُ عنها ما أُحيط لثامُ

أي الأساة هو المدل بفنه

سبحانَ من تُحنَى لديه الهامُ!

بلد على بلد كأنك ضارب

في الأرض ما يدرى لديه مقامُ

فرجعت من حمّى الحياة لمثلها

حمّىٌ هَدّ المصرع وهو مقامُ

سفر على سفر فهذى رقدة

شُفِيَ الغليل بها وطاب أوامُ

يلقي الغريب على جوانبها العصا

وتقـــر فيهـــا أعـــينٌ وعظـــامُ

رقد الصغيرُ إلى الكبير مجـــاورا

وتعانق الأحبـــابُ والأخـــصامُ

هجعوا إلى يوم النشور وهكـــذا

هجعتْ هنالك ألفـــةٌ وخـــصامُ

رثاء المرحوم الشاعر محمد الهراوى

ألقيت في حفلة تأبينه

ها هنا حفلٌ وذكــرى ووفــاءْ
ليتنــا أنــت ملــبي الأصــدقاءْ

ياهنــا مــمن غربــة مــضنيةٍ
لــيس تنجــاب وأيــام بطــاء

ذهب الموت بــأغلى صــحاب
وثوى في الترب أوفى الأوفيــاء

لست أنساك وقــد أقبلــت لى
تشتكي غدر صديق قــد أســاء

آه من جرح ومن قلــب علــى
ألم الجرح انطــوى مــر الإبــاء

كلما آلمك الجرح فأحسست بــه لطفتــه بالكبريــاء

أيها الشاكى من الدهر اســترحْ
كلنا يا أيهــا الــشاكي ســواء

الجراحــات الـــتي عانيتهـــا

لم تــدعْ أرواحنـــا إلا ذمـــاء

بـــرمِ العـــيش بهـــا لم يـــشفها

وتولى الـــدهر ســـامانَ وجـــاء

أذنَ المـــوتُ لهـــا فالتأمـــتْ

وشفاهَا بعدما استعصى الـــشفاء

لست أرثيـــك أيرثَـــى خالـــدٌ

في رحاب الخلد موفور الجـــزاء

كيف أرثيـــك أيُرثـــى فاضـــل

عاش بالخيرات موصول الـــدعاء

إنما الـــدنيا هـــى الخـــير علـــى

قلة الخـــير وقحـــط العظمـــاء

إنما الـــدنيا فـــتى عـــاش لكـــم

باذلا من قوتـــه حـــتى الفنـــاء

فإذا مات فقـــد عـــاش بكـــم

فهو بالذكرى جـــدير بالبقـــاء

ذلك الـــشاعر قـــد واســـاكم

وبكى آلامكـــم كـــلّ البكـــاء

ذلك الشاعر قد غنّاكم صادحاً في أيككم بشرى الهناء

وأولو الشعر المـــصابيح الـــتي

حطمتـــهنّ ريـــاحُ الـــصحراء

خلدت أنوارُهم رغـــم البلـــى

وبها المدلج في الليـــل استـــضاء

سوف يفنى القـــول إلا قـــولهم

ويمـــوت النـــاس إلا الـــشعراء

عـــدْ إلينـــا نـــسمة حـــائرة

ذات نجـــوى وحـــنين وولاء

ثم حلـــــقْ بجنـــــاحين إلى

عـــالمٍ نحـــن لـــه جـِــدُّ ظمـــاء

طرْ مطار النسْمِ والـــركْ قَـــدَما

ثقلتْ بالشوك في أرض الـــشقاء

تكريم

حضرة صاحب المعالى إبراهيم باشا عبدالهادى

(وزير الصحة)

خذ من طبيب الحى رأى النادى
واسمع إلى غريد هـذا الـوادى

إنى عن الفنـين قمـت وإنـه
شرف بلغتُ بـه أجـل مـرادِ

أنا لا أوافى اليومَ حقك وحـده
لكن أؤدي فيك حـقَّ بـلادى

يا عائداً تحدو الـسلامةُ ركبـه
بوركتَ في الغُيـاب والعُـوادِ

مصر التى بك فى اشتداد كروبها
عرفتْ فتى الفتيان يـومَ جهـادِ

رفتْ عليك قلوبهـا وتطلعـتْ
وهفتْ إليك منـابرُ الأعـوادِ

أي الخامد فيك لم ترفع به
رأساً ولم تتحسد كن معادي
وطنية ملء الفؤاد وهمة
علوية من حكمة وسداد
فلو أن أعواد المنابر قد مشت
لمشت لإبراهيم عبد الهادي
أنا ما التفت إليك إلا عادني
طيف يراوح خاطري ويغادي
طيف من الماضي الكريم وصفحة
(أخذت لها عهداً على الآباد)
إني به مترنم وبكل ما ازدانت به تلك الصحيفة شادي

أيام يجمعنا الشباب وكلنا
بالروح والدم والجوارح فادي
السجن مثل الأسر مثل النفي
مثل القتل. تلك قضية استشهاد

المرحـــوم الدكتـــور علـــي باشـــا إبراهيم

في يوبيلـــــه الفضـــي

إليك أزف في اليوم الجليل
تحيات الزميل إلى الزميل
تحيات يرف عليك منها
ندى الأسحار في ظل الخميل
سلاماً للإمام علي جنتنا
أنبه بالعشير وبالقبيل
نبايع منه فناً عبقرياً
وعقلاً في العقول بلا مثيل
تلفت يا علي تجد وفاء
وما احتاج الوفاء إلى دليل
أقول لحاسب الستين مهلاً
وقفت على الحساب المستحيل
إذا أحصيت للأجسام عمراً
فكيف تعد أعمار العقول

ولو أن الألى أنقذت جاءوا

يؤدون القديم من الجميل

ولو أن الألى علمت جاءوا

يؤدون القليل من القليل

ولو منحوك عمرهم جميعاً

وما هو بالكثير ولا الجزيل

إذنْ لرأيت عمرك عمر نجمٍ

له في اللانهاية ألف جيل

بربك كم وصلت حياة قومٍ

وكم حاربتَ من داء وبيل

وكم أنقذت من أسر المنايا

وكم نضو شفيت وكم عليل

إذا ما الموتُ أبدى ناجذيه

إذا انطفأتْ عيونٌ في الذبول

إذا غامت محاجرها ظماءٌ

كما غامت نجومٌ في الأفول

فما هو غير أن أقبلت حتى

تبدل كل أمر مستحيل

كأنك لمع برق في الأعالي

يحيي مقدم الغيث الهطول

كأنك واحة في القفر لاحت

رآها أعين الركب الكليل

كأنك جنة في البيد تندى

بعذب الماء والظل الظليل

ولو أيامك العصماء جاءت

بكل أغر مزدان حفيل

إذن لطلعن في الظلمات بيضا

من الغرر اللوامع والحجول

ولو أن المآثر ذات قول

لقلت تكلمي وصفي وقولي

أضفها فهي أعمار أضيفت

وما تدري لماضيك النبيل

تعال أذعْ لنـــا ســــر الفحـــول

ودعْ صمت الحييّ أو الخجـــول

ســـلالة عبقـــر وعشير جـــن

بعثتم في الحياة عـــن الـــشكول

فما للشيب من بـــاب إلـــيكم

ولا للضعف يوماً مـــن سبيل

لقد جهل الألى حسبوك شـــيخاً

فلا تقبل حسابا مـــن جهـــول

أعيذ صباك كيف يكون شـــيخاً

شعاع ســـلافة وسنا شـــمول

وما ظفروا بأثبت منـــك عـــودا

ولا أقوى وأصلب في الخمـــول

ولا ظفروا بأصفى منك روحـــا

كأن مزاجهـــا مـــن سلســـبيل

أرى سحر الشباب عليك غضاً

وقـــاك الله أنفـــاس الأصـــيل

تعالى الله كم من معجزات

معلقة بإصبعك النحيل

تحيل القسوة الكبرى حنانا

ترافقها إلى فم جميل

معارك من دمٍ أم ساح حرب

أسنتها منغمة الصليل

يسير المبضع الجبار فيها

بكفك سيرَ مطواع ذليل

معارك كم كسبت بها حياة

وما لك في المواقع من قتيل

تقسمك الورى قوما فقوما

وما لك بالورى ضجر الملول

تقضي في مسالك ألفَ أسر

وتقطع في مسارك ألف ميل

وإما سرت عن حضن قصير

فعن وعد بتذكر طويل

وأنــــت أب لـــهذا وأخ لهــــذا
ومنك لمن رجالك يـــذا خيـــل

* * *

نـــبيُّ الطـــب أدركنـــا إذا مـــا
تطلعـــت العيـــون إلى رســـول
فكم في مصر أجســـام مـــراض
بـــأرواح كأشـــباح الطلـــول
فيا أســـفا إذا تُركـــتَ فظلـــتْ
فـــرائس للـــدعيِّ وللـــدخيل
عليٌّ لقد ملكتَ عصاة موســـى
فقم واضرب بها أفعى الخمـــول
أقول لأعين الطـــب الحيـــارى
وقعت من الفخار على ســـليل
أبا حسنٍ سلمتَ على الليـــالي
وعش مُتعتَ بـــالعمر الطويـــل

المرحوم أنطون باشا الجميل

في حفلة تكريمه بمنزل صاحب المعالي

إبراهيم دسوقي أباظه باشا

كيف أنسى زمناً كنت بـه

من أخ أغلى وأسمى من أب

ضقت ذرعاً بزماني وكـذا

ضاقت الأيام والآلام بي

رائحاً في لجـة طاغيـة

غادياً في عاصف مضطرب

قد تغشاني ظلام لا أرى

فيه مغداي ولا منقلبي

صامداً للظلم والظلمُ لـه

معول يهدمني عن كثب

وأنا أدفعه عن منكبي

بيدي حق هاوي منكبي

وتماسكتُ فلم يبقَ سوى

كبرياءٍ هي درع لـلأبي

هتفت بي النفس فلنمض إلى

ذلك المورد الكريم الطيب

إن أنطمون وما أعظمه

طاهرُ القلب نبيلُ المشرب

كأس ود لم ترنق أبداً

وصفتْ كالذهب المنسكب

وتداماه على طول المدى

رفقة حفّوا به كالحبب

* * *

مكتب لا بل بساط عامر

بالمعالي يا له من مكتب

مكتب قد صيغ من عالي

المساعي ونبيل الدأب

مكتب يزهى بحُرٍّ ماجد

ثابت الرأي سني المأرب

صائد الدر تراه غارقا في

صحف أو غائصا في كتب

مصغيا في حكمة أو مطرقا

في وقار سامعا في أدب

فإذا أدلى برأي تلقه

راح يدلي بالعجيب المطرب

مستفيضا ببيان جامع

سحرُ جمر وجلال العرب

ذاك أنطون وما أروعه

صفحة لا تنتهي من عجب

قطرات خضبت من عرق

وهي لو حققتها من ذهب

أسعد الأيام يوم ضمّني

بك في دار كأفق الشهب

كرمت من شرف وارتفعت

بالعلا وازّينت بنخب

لذوقي وما أنسى له
إنه مثلك في الفضل أبي

كيف أنسى فضله وهو الذي
ذاد عني عاديات الحقب

أنتما للمجد ذخر فابقيا
للمعالي واسلما للأدب

عبدالحميد بك عبدالحق

في حفلة تكريمه بدار الأوبرا

١

أنت فوق التكريم فوق الثناء

جلّ ما قد أديت عن إطراء

يا عظيم الشؤون جلت شؤون

أنت منها في الذروة الشماء

يا عظيم الأوقاف جلت أمور

عرّفتنا مواقف العظماء

لم نكرمك للوزارة والمنصب والجد والسنا والرواء

نحن قوم نهيم بالرجل الكامل يمضي للأمر دون التواء

الرحيب الصدر القوى على الخَطْبِ

السريع الهدم السريع البناء

قد رأيناك كالمنار المعلى　　مثلا للقوىّ في الأقوياء

ورأيناك في الرجال فريدا　　فاقتفينا خطاك أىّ اقتفاء

وحببناك ما بنا من نفاق　　لا ولا في قلوبنا من رياء

* * *

أيْ وربي لأنتَ من صور الماضي ومجد الجدود والآباء

وجلال الصعيد والمُلْك في الوادي عزيز البنود ضافي اللواء

قد ينام التراث جيلاً فجيلاً غافياً في مجاهل خرساء

وتنام الروح العريقة في المجد لتبدو في طلعة سمراء

فتراها مصرية السمْت والقوة والعزم والحجى والمضاء

قسماً قد عفا الجلال ليصحو

من جديد في وجهك الوضّاء

أيها الكوكب الدءوب على الدهر

بلا فترة ولا إبطاء

تصنع الخير واضحاً شبه نجم

ساكب نوره بعرض الفضاء

وتؤديه خافياً مثل نجم

مستتر خاف خلال السماء

غير أن النفوس تعلم مسراه وإن كان ممعناً في الخفاء

وعظيم الفعال يجمل بالإفصاح عنه كالسيف غب الجلاء

ما جمال الربيع في الـــروض إن لم

يشد طير في الروضـــة الغنـــاء

ما جمال الـــسماء والبـــدر إن لم

يشدُ سارٍ في الليلـــة القمـــراء؟

واضياع النبوغ في مـــصر إن لم

تتحـــدث منـــابرُ الخطبـــاء

واضياع النبوغ في مـــصر إن لم

يَلتْ تخليـــده علـــى الـــشعراء

طاقة الشعر طاقة الـــورد معـــنى

جلّ قصدا وقـــلّ في الإهـــداء

لست تجزى بـــه أقـــل الجـــزاء

فتقبلـــه آيـــةً مـــن وفـــاء

* * *

كيف ننسالك والعفاة على بابك حشدٌ يموج بالبأساء

الشريد الطريد والعامل المرهق يشقى من صبحه للمساء

وبيوت هي العريقة في الأمجاد صارت عريقةً في الشقاء

لم تطقْ أن ترى دموع اليتامى تترامى على أكف السخاءِ

والأيامى كالكأس بعد الندامى

ذكرتْ حظها من الصهباءِ

وقف الدهر دونهم: كل باب

طرقوا صمَّ عن ذليل النداءِ

غير باب من المروءات سمح

لك، مارّ مرةً ذليل نداءِ

انظر الحقل: داويا بالدعاءِ

وانظر البحر زاخراً بالنداءِ

أنت ورد النبوغ جادت به الدنيا لقومٍ إلى المعالي ظماءِ

كلما أطلعتْ لهم عبقريا جعلوا منه معقداً للرجاءِ

حمدوا فيك يومهم واطمأنوا

مستريبين للغد المتراني

كيف تنساك في المحاماة حرا

طاهراً ذيله عفيف الرداءِ

وقف المجلس الحُيُسر يوما

مرهف المسمعين بالإصغاءِ

إذ يرى فيــك نائبــاً وخطيبــاً
دامغـــاً بالحقيقـــة البيـــضاء
مقنعاً مفحمـــا قويـــا جريئـــاً
ماحقـــا للخـصــوم والأعـــداء

عبدالحميد بك عبدالحق

٢

فـــي وزارة الأوقـــــاف

قل لوزير الحـــق وهـــو الـــذى
قد استقامت في حجاه الأمـــورْ
خذ مـــن مقـــالى ذمـــةً إنـــنى
عنهم إلى ساح المعـــالى سـفيرْ
يا جاعلَ الأوقـــاف في عهـــده
مدينةً والقفـــرَ فيهـــا قـصورْ
ونابـــشاً فيهـــا الكنـــوز الـــتى
مرت عليها بالعفـــاء العـــصورْ
نبـــشت فيهـــا عبقرياتهـــا
منقباً عن كـــل قـــدر خطـــيرْ
فكل مـــا قيـــل ومـــالم يُقَـــلْ
عن فضلك الجم الغفير الـــوفيرْ

مما جرى في شفة عاجزاً

وما توارى في حنايا الصدورْ

من حقِّ عبدالحق في عدله

له – وإن يأبى – إليه المسيرْ

تحيةٌ للأصل مردودةٌ

وباقةٌ قد قُدمت للوزيرْ

سبحان ربي قد رأينا الدجى

يجلوه في عهدِكَ صبحٌ منيرْ

ماشيتَ هذا العصرُ في سيره

والعصر يعلو بجناح النسورْ

مازلت بالأوقاف حتى رأت

محطِّمَ القيدِ وفادي الأسيرْ

كم عبروها بسلحفاتها

فلينظروها بجناحٍ تطيرْ

يا نابشاً فيها كنوز الحجي

من كل وهاج قليل النظيرْ ..

مـــن ذهـــب الـــدار وآياتهـــا

فتى كبيرُ القلبِ صافي الـــضميرْ

لـــه معـــانٍ البحـــر في هـــدأةٍ

وفيه روح كانـسياب الغـــديرْ

خذ من سجاياه ومـــن علمـــه

ما يهب الورد وتطوى البحورْ ..

عبد الحميد عبد الحق

في وزارة الأوقاف

٣

عِشْ مديداً وجدِّدِ   واعلُ والمعْ كفرقدِ

لو رأى الحق عبده   وهو بالحق يهتدي

وعلى الحق رائحا   وعلى الحق يغتدي

بسطَ التاج باليد   قائلاً قم تقلد

قم تقلد   يا أميري وسيدي

وبإيمان رُكّع   وتسابيح سُجّد

بايع الحق عبده   والبرايا بمشهد

* * *

انظر الساح داويا   بالنداء المردد

انظر البحر زاخرا   بالشباب المجند

حمدوا فيك يومهم   مشرئبين للغد

عش مديدا لتبتني   كل صرح ممرد

فلك الرأي قاطعا   ما به من تردد

يهدأ السيف في القراب	ويثوي بمرقد
ولسك السيف ساهرا	يقظا غير مغمد

* * *

خذ بياتا لظمته	شبه عقد منضد
ما به من تزلف	جل شعري ومقصدي
خالد أنت بالعلى	والفعال المسدد
فتقبل على المدى	كل شعر مخلد

عـــــزيـــز أباظـــة بـــاشـــا
في حفلة تكريمه بـــمنـــزل صاحب
المعالي دسوقي أباظة باشا

غيث على القفر حيّانا وأحيانـــا
يا شاعرَ الجيل كان الجيل ظمآنا

كنا نعيش من الدنيا على عــدة
نبغي من الأمل الموعــود دنيانـــا

فالآنَ قد حققتَ ما كان منتظَرا
منها وإن لمعتْ بالوعـــد أحيانـــا

جاءت بأروع من هز البيانَ ومن
أعاد مجد القوافي مثـــل ماكانـــا

ريحانة النيل هزت نفسها طربًــا
وقدمتْ لأمير الـــشعر ريحانـــا

ماذا نقول ونبدي بعدما سبقتْ
لك الشهادة من تكريمِ مولانـــا

أقمتَ من عبقري الشّعر برهانا

وقبلها كنتَ للأخــلاق عنوانــا

بآيتيْن: وفــاء للــتي ذهبــتْ

وأنت مَن حفظ الذكرى ومَن صانا

إنَّ التي نضرت عيشا نعمتَ به

وصيرتْ بيتك المعمورَ بستانا

لو لحظة نحو ذيالك الضريح رنتْ

عيناك، تلقَ الهوى لم يختلف شانا

وآية من وفاء لــلأُلي سحبتْ

عليهم حادثات الــدهر نسيانا

عهد الرشيد وعهد المجد في زمنٍ

به توطّد ملك العرب سلطانا

وعهد بغداد حيث العيشُ مؤتلقٌ

يهفو خمائــلَ أو يهتــز أفنانــا

جلوتــه وهــو فتــاك بجعفــره

والسيف يقطر بغضاءً وعــدوانا

بالنطلاء الذي يكسو النفوس لَكُمْ

كسي النفوسَ من التزييف ألوانا

تلك الطبيعة لاشــــيء يغيرهــا

ينام فيها خيالُ الفتـــكِ وســـنانا

الحرص يوقظه والمجـــد يوقظـــه

والويل إن وثبَ الوسنانُ يقظانا

*　　*　　*

جوزيتَ عن لغة الفصحى وأمتها

عمرًا مديدًا وتكريمًا وإحـــسانا

أغنية.. أنتِ

أنتِ إن تسؤمني بحبي كفاني
لا غرامي ولا جمالك فباني
أجدب الهجرُ خاطري وخيالي
وأجفّ النوى دمي ولساني
فتعالْ روى الظما في عيوني
واجنوني لقطرةٍ من حنانِ
طال والله في تنائيك ذلي
ووقوفي على ديارِ الهوانِ
أي روح أحسّه أي سرٌ
في جناحيك كلما ظلالي
أي روح أحسه أي سحر
سكبتْ فيّ هاته العينانِ
لكأن الرميمَ ما تبعثانِ
وكأن النشورَ ما تسكبانِ

وكـــأني محاـــقٌ في سمـــاءٍ

ومطلٌ منـــها علـــى الأكـــوانِ

مـــستعزٌ بمــا مُنحــتُ قــوىً

أجمعُ الكــونَ كلْــه في عنــاني

الإبراهيميات

«لصاحب المعالي دسوقي أباظة باشا فضل على الأدب والأدباء، فهو أبو النهضة الأدبية الحاضرة ماني ذلك من منازع، هذا فوق فضله على ناظم هذا الديوان، الذي يجد أنه في الأبيات القليلة التالية لا يعبر إلا عن جزء ضئيل مما يعتلج في خاطره من الشكر والمحبة وعرفان الجميل».

١

في حفلة تكريم معالي الباشا في دار الأوبرا ..

بمناسبة الإنعام بالباشوية على معاليه

منى نلتَها كانت لأنفسنا منى
تلفت تجدْ مصراً بأجمعها هنا

وما بعجيبٍ موطن البدر في العلى
وما بجديدٍ أن يرى الأفق مسكنا

ولكنّ قلبَ الحر تعروه نشوة
فيثني على الآلاء وضاحة السنا

إذا أخذ البدر المنير مكانه
وملك آفاق السمَا وتمكنا

إذا الملك المحبوب قــدر سـيداً

وعن رأيه في الفضل والنبل أعلنا

فعن ثقةٍ ممـــن يحـــب ويحتبي

وإيمان قلب باتَ بـــالحق مؤمنــا

سلاماً مليكَ النيل أنت ربيعـه

وإنك مُغنيه وفي ذاتـــك الغـنى

فذلك تكريم الربيـــع لروضـــةٍ

جلاها الأباطيون وارفـــة الجـنى

أجل! روضةٌ صارتْ لكلِ عظيمة

وللفضل والآداب والعلم موطنا

وميدان سبَّاقين للمجد والعُلـى

إذا اشتجرتْ أخرى الميادين بالقَنا

من الأدب العالي إذا راحَ سـيدٌ

غدا آخرٌ نحو اللــواء فمـا ونى

* * *

عصى القوافي سار نحوكَ مسرعا

ولبَّاك من أقصى الفؤاد وأذعنـا

وأنت الذي فكّ القيودَ جميعهـــا

عن الشعر تأبى أن يُهان فيسجنا

إذا المعدن الصافي دعا الشعرَ مرة

بذلنا له من أجْوَد الشعر معـــدنا

* * *

دسوقي إذا أقبلتُ فاقبلْ تحـــيتي

فما أنا شاديهم ولا خيرهم أنـــا

ولكنني صوتُ المحـــبين كلِّهـــم

ومن روضك الغالي وبستانهم جنى

فراشٌ على مصباح مجدكَ حـــائمٌ

وأي فراش من جلالـــك ما دنـــا

وإني صدى الهمس الذي في قلوبهم

فدعني أقمْ عما يكنُّـــون معلنـــا

٢

في جامعة أدباء العروبة

يا ربيعاً جَمَّلَ الله بهِ
روضةَ الدنيا ووقّاها الخريفْ

وشعاعاً مدَّهُ الله على
هذه الأمةِ من مُدْنٍ وريفْ

أيها النعمةُ لا حدَّ لها
نحن من نعماك في ظلٍّ وريفْ

يا شريفَ النفس والقلب لنا
فيك صافي القول والشعر الشريفْ

يا أبا الرقة لا تعدلها
رقةُ الوالدِ ذي القلب العطوفْ

رقة تستنزل من عليائها
كشعاع البدرِ بالضوء اللطيفْ

يتمنى الشعر فيه غايةً
وَهْوَ عنها عاجز الباع ضعيفْ

كلمـــــا حاولهـــــا أعجـــزه

قِصَرُ الطرفِ عن الصرح المنيفْ

أيها المـــصباح صـــرنا حولـــه

كفراش حـــامَ بـــالنور يطـــوفُ

زيهـــا الأيـــك غـــدونا حولـــه

نسماً في الأيك موصولَ الحفيفْ

أنا من غَنَّاك عنـــهم فاســـتمع

من أغاريدِ الربى نجوى الأليـــفْ

٣

في ندوة الباشا

وزيري الطيبَ الحرَّ الجليلا
تقبله هوى حراً نبيلا
يقيم على الحوادث لا يبالي
ويأبى في العوادي أن يميلا
ولا يدري الزمان له اختلافاً
ولا يدري الرياءُ له سبيلا
على الأدب الرفيع ووارديه
بسطتْ الخير والظل الظليلا
وما للقائلين عليك فضلٌ
فقد جئنا نردُّ لك الجميلا
قطفتُ لك القوافي طوق شعري
فعذراً إن قطفتُ لك القليلا
وددت بأن أطيل لك القوافي
فيمنعني حياؤك أن أطيلا

وزيري الطيب الحر الجليلا

وقفتُ عن الرفاق هنا رسولا

أعيد لك الذي يطوي فؤادي

وفخراً أن أعيد وأن أقولا

أقول لجاهلٍ معنى المعالي

إلام يظل جاهلكم جهولا

دسوقي لا الوزارة قربتنا

ولا قامت على صلةٍ دليلا

عشقنا فيك أخلاقاً وفضلاً

نقدّسه هوى حُرًّا نبيلا

٤

تعزية لمعالي الباشا في بعض السراة الأباظيين

إن السراة الأباظيين قد عظموا
عن طوق ند وعن تحليق أضداد

تخطف القدرُ الجاري أحاسنهم
بصيرفي المنايا أو بنقادِ

كم صحت والعينُ تُذري الدمعَ في أسف
على الجواهر في كف الردى العادي

ألاَ رقيٌ للأباظيين تحفظهم
على الحوادث من أنظارِ حسَّادِ!

٥

في منزل الشاعر
وكان الباشا قد تنازل بتشريفه

بأي لفظ يفيك شعري
شرفت قدري وزنت داري

أما كفى بؤسك المواسي
فزدتني روعة المزار

أقسمت بالشمس في ضحاها
أقسمت بالبدر بالمدارى

بفضلك الماحق الدياجي
كأنه واضح النهار

فيك من البحر كل معنى
فمن سمو إلى وقار

وأنت صدر العباب رحبا
وبسمة البشط والمنار

كــأن هــذا الجميــل يتــرى

من طيب غــاد ولطيــف ســارى

مــوج مــن الـــبر ذو اتــصال

بــلا هــدوء ولا قـــرار

غمـــرتني بالجميـــل حـــتى

لجــت قــوافي في العــمار

أنقـــذني البحـــر غـــير أني

غريــق فـــضل بــلا قــرار

كنـــت نـــدى في ريــاض عيــشي

وكنـــت غيثـــا علـــى القفـــار

لقيـــت ضـــنكاً مـــن الليـــالي

فمـــن غمـــار إلى غمـــار

قــد طــال عــتبي علــى الليــالي

وطـــال للـــراحم انتظـــارى

صــفحت عــن كــل مــا أســاءت

حــق لهـــا الليلـــة اعتــذارى

٦

في حفلة الربيع

التي أقامتها جامعة أدباء العروبة

أمير الفضل فضلك بيت شعر
عُلاك نسجنَ معناه الرفيعا
إذا كان الضياءُ نسيجَ فنٍّ
سناه يملأ الكونَ الوسيعا
فحولك حيثما تمشي وتسعى
قصيدٌ عامرٌ غمرَ الربوعا
تكلم حيثما تمضي مبيناً
وما عرفَ البيانَ ولا البديعا
حببتُ سناك أتبعه بشعري
وفخراً أن أكونَ له تبيعا
مدحتُكَ جهدَ مقدرةِ القوافي
فضقتُ بها مقصرةً جميعا
أتعصاني مغردةً بنفسي
معزَّزةً هنالك أن تطيعا!

أقول لها وقد كلّتْ قصورا

رويدكِ، واهدئي لن تستطيعا

يراك الناس حيث ترى عظيماً

كريماً في تسامحهِ وديعا

وأنت النهر دفّاقاً قويا

إذا ما اهمَّ لم يملكْ رجوعا

يفيض على الربوع جلالَ نعمى

ويغشى من حواليها المنيعا

٧

مظلمة

أنا لا أظلّ، وكل شيء مستمد من جلالكْ

في قاتمٍ محلو لك سُدّت عليَّ به المسالكْ

إن لم تضعني في سناك جمدتُ حظي في ظلالكْ

إن لم تضعني في يمينك فالتفتْ لي في شمالكْ

الرأي رأيك ليس في الأوقاف شيء غير ذلكْ

يا أحكم الحكماء لا يُفْتَى ربي الأوقاف مالكْ

٨

شكر واعتذار

أبي! أخـــي! كعبـــةَ آمالنـــا

أكرمتنــــــي أكرمـــــك الله

أعجبُ ما في الشكر أنِّ امــرؤ

بيانـــــه عنــــدك يعـــماه

يا من يرى القلـــب وشــكواه

ويعلـــم الـــشعر ونجـــواه

كـــم شـــاعر منطقـــه خانـــه

فاغرورقـــت بالـــشعر عينـــاه

مـــا أكـــرمَ الخلـــق وأسمـــاه

وأعـــذبَ الطبـــع وأصـــفاه

إنـــك فـــردٌ دون ثـــانٍ ولـــن

يُـــرى لهـــذا النبـــل أشبـــاه

عفوك عن حال فـــتى متعَـــبٍ

باتَ علـــى الأشـــواك جنبـــاه

طال بـه الليـل علـى حيرةٍ

وامتـد كالموجـة يغشـاه

يسأل الليـلَ علـى طولـه

عـن ذلـك الليـل وعقبـاه

والنورُ أين النورُ؟ هـل غالـه

ماحٍ مَحَـى الفجـر وأخفـاه؟

قد كدتُ لـولا ثقـةٌ لاتَنـي

وخشية الله وتقـواه

أقـول جَـفَّ البـرُّ لا ديمـةٌ

تهمـي ولا المزنـةُ ترعـاه

حتى رأيتُ الخيـر في طلعـةٍ

تحمـل لي الخيـر وبشـراه

في لمعـةٍ تـومض في فرقـدٍ

في فلـكٍ أنـت محيـاه

حمدتُ ربي وعرفـت الرضـى

يـا رحمـةَ الله ونعمـاه

جلالة الملك

عيد الميلاد الملكي السعيد

يوم أغرُّ على الزمـــان مكـــرَّمُ
أنواره وحـــي وأنـــت الملـــهِمُ

إني ليغـــريني ســـناك فأُقْـــدِمُ
وأراه يخطف نـــاظريَّ فـــأُحجِمُ

واخجلتـــا ممـــا يقـــدم نـــاظم
ماذا يغـــرِّد في عـــلاك وينظمُ

مهما يطاولـــك البيـــان فإنـــه
متضائل أبـــدًا وقـــدرك يعظـــمُ

ويخال وَصَّـــافُ العظـــائم أنـــه
نـــدٌ فـــإذا بـــه يـــتعلمُ

وإذا الجنّي في الحمـــى متعثـــرٌ
وإذا العثار عن الضمير يتـــرجمُ

وإذا رنا لـــك نـــاظر متطلـــع
ألفيتَ حـــيرةَ لحظِـــه تـــتكلمُ

ولقد يريد لك الهتاف فينثني
عن الفصاحة لم يساعفه الفمُ
تلك الخناجر قصرتْ أو عبرتْ
لحن قصاراه تعيشُ وتسلمُ
ملك الملوك تحيةٌ من صُدّحٍ
منح الربيع عبيره فتنسموا
الأيك مدَّ ظلاله فتوسموا
وغدوا إلى أفنانه فترنموا
إن طاب لي زمن فهذى ساعتي
أو موسم يرجّى فهذا الموسمُ
قل للأسارير العوابس أشرقي
ما من عشيرتنا الذي يتجهمُ
اليوم بالملك المعظم نقسمُ
أن الخطوبَ تخيلٌ وتوهمُ
الكون مختال الجوانح منتشٍ
والدهر أيامٌ نواضرُ تبسمُ
ولك البيان من الصميم نزفُّه
النور معنى والكلام الأنجمُ ..

في عيد التتويج

عيد الخلاص ووجهك الضاحي معاً
بوركت إشراقاً وبـوركـتَ مطلعـا
يا مالكا تـاجين تـاج الـشمس
ضاحيـة وتاجًا بالقلوب مرصـعًا
انظرْ إلى الشعب العظيم تجمعـا
كالسيل عجّ عجاجـه وتـدفّعَا
ما أعظم الحب الصحيح وأروعا
لا كاذبـاً فيـه ولا متـصنعًا
قد كان حبًّا ثم صـار شـريعةً
غـراء تنـتظم المـدائنَ أجمَعـا
انظرْ إلى ابن الشعب في عيد المنى
في شاهقات الدور يبقى موضـعًا
عجبا لـمذيّاك المطـلّ بموقـفٍ
كم يحبس الأنفاس فيـه توقعَـا
متطلعا لمك مشرئبا لـوْ هـوَى
من ذلك الصرح المنيف لَمَا وعَى

ولكانَ في النفس الأخير دعاؤه
مصر، وأنت مع الشهادة إذْ دَعَا

*　　*　　*

وانظرْ إلى النيل الوقـور كأنـه
شيخ على عرش الجلال تربعَـا
لو يستطيع وقد بعثـتَ شـبابه
وسقيتَه كأس الأمـاني مترعَـا
لجلا عرائسه إليك وزغرد الصوتُ الحبيسُ على السنين ولعلعَا
لترى طروب الموج وَهْوَ مصفقٌ
وترى الأكفَّ تكاد أن تتقطعَـا
يا أيها الملـك الـسعيد تحيـةٌ
من شاعرٍ غنّي النجـوم فأسمعَـا
تركتْ قوافيـه رفيـعَ سمائهـا
تبغي سمـاءك والمقـامَ الأرفعَـا
قد بايعتْكَ على الوفاء وأقبلـتْ
تسعى لساحتك الكريمة خُـشَّعا

بطـــــل الأبطـــــــال

الشهيد عبدالحكم الجراحي

بطل الأبطال مـــن أرض الهـــرمْ
لـــبِسَ الغـــارَ وحلّـــى وغـــنمْ
كيف تـــذرون عليــه دمعكـــم
وَهْـــوَ وضّـــاح المحيـــا يبتـــسمْ
كيف يبكي منكم الباكي علـــى
علـــمٍ شـــهيداً في علـــمْ
يا شباب النيل فتيـــان الحمـــى
وحماة الـــدار أشـــبال الأجَـــمْ
زعمـــوكم أمـــةٌ هازئـــةٌ
كذب الزاعم فيما قـــد زعـــمْ
تتحداهم علـــى طـــول المـــدى
ثـــورةٌ نكـــراء شَـــبَّتْ تلتـــهمْ
ومقـــال الـــدهر عنـــا في غـــدٍ
وحديث المجد عـــن عبـــدالحكمْ

كم أغــرٌ في بــواكير الـصبا

ناضر يــسحب أذيــال الـنعمْ

طبعه الجـود فلمــا هتفــتْ

مصرُ تدعوه تنــاهَى في الكـــرمْ

قــدّمَ الـروحَ إليهــا ومـشى

ثابت الخطــوة جبــار القــدمْ

كلفته اليقظــة الكـــبرى بهــا

همــةً ترعـــى وعينـــاً لم تــنمْ

جـــــشمته خطــــةٌ داميــــةً

وعرة المــسلك حُفّــتْ بــالألمْ

يجــد المـــوت بهـــا لذتـــه

ويرى العــار إذا المــرء سـلمْ

* * *

يا هذى الجنــة الفيحــاء كـــم

فتحت قبرًا لبــاغٍ قــد ظلــمْ

يصبح الصبح على هذى الربى

فإذا الورد ضــحوك في الأكــمْ

فإذا أمسى المساء انقلبتْ

فوهةً شعواء ترمي بالحمم

لست تدرى إذ تراها ظمئتْ

فروى الأحرارُ واديها بدمْ ...

ذاك لون الورد أم لون الردى الجا

ثم أم لون الحميم المضطرمْ!

يا شبابَ النيل فتيانَ الحمى

وحماةَ الدار أشبالَ الأجمْ

حطموا القيد الذى حطمكم

واجعلوا أمتكم فوق الأممْ

وإذا استشهد منكم بطلٌ

جاده الغيث وحيته الديم

ولقد أدى لمصرٍ دينه

ذلك الفادى، ووفّى بالقسمْ ...

مصـــــــــــــــــــــــــــر

أجلْ إن ذا يوم لمن يفتدى مصرًا
فمصر هى المحرابُ والجنةُ الكبرى
حلفنا نولّى وجهنا شطرَ حبـــها
وننفذ فيه الصبرَ والجهدَ والعمرَا
نبث بهـــا روحَ الحيـــاة قويـــةً
ونقتل فيها الضنك والذل والفقرَا
نحطم أغلالاً ونمحـــو حـــوائلا
ونخلق فيها الفكر والعملَ الحُـــرًا
أجل إن ماء النيل قد مر طعمـــه
تناوشه الفتاك لم يـــدعوا شـــبرًا
فدالت به الدنيا وريعَتْ حمـــائم
مغردة تستقبل الخيرَ والبـــشرى
وحامت على الأفْق الحزين كواسرٌ
إذا ظفرتْ لا ترحم الُحسنَ والزهرَا

تحط كما حط العُقَاب من الذرى

وتلتهم الأفنانَ والزغب والـــوكرَا

فهلا وقفـــتم دونهـــا تنحرونهَـــا

أكفا كماء المـــزن تمطرهـــا نحـــيرَا

سلاماً شباب النيل في كل موقفٍ

على الدهر يجنى المجدَ أو يجلبُ الفخرَا

تعالوا نُشيِّدْ مصنعاً رُبَّ مـــصنعٍ

يدر على عمّاله المغـــنمَ السوفرَا

تعالوا نُشيدْ ملجأً رُبَّ ملجـــأ

يضم حطامَ البؤس والأوجه الـــصفرَا

تعالوا لنمحو الجهلَ والعللَ التي

أحاطتْ بنا كالسيل تغمرنا غمـــرَا

تعالوا فقد حانتْ أمورٌ عظيمـــةٌ

فلا كان منا غافلٌ يـــصم العـــصرَا

تعالوا نَقُلْ للصعب أهلاً فإننـــا

شبابٌ ألِفْنَا الصـــعبَ والمطلبَ الوعرَا

شباب إذا نامت عيـــونٌ فإننـــا

بكرنا بكور الطير نستقبل الفَجرَا

شباب نزلنا حومةَ المجـــد كلنـــا

ومن يغتدي للنصرِ ينتزع النصرَا

صــــــور شعــــريــة

حب على الصحراء

أحبك ما حييتُ وأنتَ حسبي
فجوبْ أنت قلبـاً بعـد قلبي

ويا أسفا على صحراءِ عمري
جفاهـا بعـدك المطـرُ الملبي

تـارى في لوافحها سرابٌ
وليس من أباطيـلٍ وكـذبِ

وفي أذنيَّ من شـفتيك عتب
إذا أنا ساعةً أضجعتُ جنبي

وتلك قوافل الأيام تسرى
تمر عليَّ سرباً بعد سربِ

عوابسُ لا يطلُّ سناك منها
ولم ألمحْ مطالعه بركبِ

فإنْ غفلتْ عيـونُ الحـظ عنـا

وصرتَ-ولم أكنْ أدرى-بقسرلى

تَبيّنَّـــى فتلـــك خيـــامُ حـــبى

وإنى موقـــدٌ لـــكَ نـــار قلـــبى

القافلة الصغيرة

قافلة صغيرة يقتادها زعيمها وقد أوشكت على الفناء بينما زعيمها يجيل النظر هنا وهناك باحثاً عن واحة أو ظل أو ماء.

تعالَ سَــلِ القبيلــةَ والجمــالا

لأيــة غايــة شــدوا الرحــالا

وكيف تبدلوا أرضــاً بــأرضٍ

وكيف تغيروا حــالاً وحــالا ..

تطلعــت العيــونُ لعــل مــاءً

يتاح على الهــواجر أو ظــلالا

ومد الشيخ في الصحراء لَحْظــاً

كلحظِ الصقرِ في الآفاق جــالا

كــأن بنيــه ســقماً أو هــزالا

خيــال جَــرَّ هيكلَــه خيــالا

أقافلــــة الحيــــاة أريتنيهــــا

فلم تَــرَ مثلــها عــيني مثــالا

أجل هي نحن في الدنيا حيارى

ومـمـا نـدري لقافلـة مـآلا

رأيت حياتنا. كم عن غريب

علـى جنبيـه بالإعيـاء مـالا

وكم مـن سـائل لم يلـق ردا

وقد سألَ الهـواجرَ والرمـالا

فإنْ تُجبِ القفار عليـه يومـا

تـرد لـه سـوافيها السـؤالا

* * *

أقافلـة الحيـاة أريتنيهـا

خيـالاً أو ضـلالاً أو محـالا

عاصفـــــــــــــــــة

صورةٌ للبحر أم صـــورة نفـــسٍ

عندما النفس من اليــأس تثــورْ

قد علاَ الموج وقد عــز التأسّــى

لم يعــدْ إلا عبـــابٌ وصـــخورْ

زُلْـــزلَ البحـــرُ علـــى راكبـــه

مثلمـــا زُلْـــزل قلـــبٌ ضـــجرُ

ســـفرٌ صـــار علـــى طالبـــه

ركبَ ضنكٍ، والمنايـــا ســـفرُ ..

غربَ الحظ كما مال الـــشراعْ

هكذا الأعمار في الـــدنيا تميـــلْ

وسرت في الجو أشباحُ الـــوداعْ

وتنادى كـــلُّ شـــيء بالرحيـــلْ

أإذا اشتد على القلـــب الـــبلاءْ

أإذا جـــارَ عبـــابٌ وتنـــاهى

تعصف الأمواجُ عصفاً بالرجـــاءْ

كيف ننسى أنّ للكون إلهَـــا ..

عينـــــــــان

طوى السنينَ وشقَّ الغيبَ والظُّلَمَـا
برقٌ تـألقَ في عينيـك وابتـسمَا
يا ساريَ البرق من نجمين يـومض لى
ماذا تخبـئ لى الأقـدار خلفهمَـا
أجئتَ بي عتباتِ الخلـد أم شـركاً
نصبتَ لى من خداع الوهم أم حُلُمَا؟
كـأنني نـاظرٌ بحـرًا وعاصـفة
وزورقًا بالغـد المجهـول مرتطمَـا
حملتني لـسماءٍ قـد سريتُ لها
بالروح والفكر لم أنقلْ لهـا قـدمَا
شفّت سـديمًا ورقّـت في غلائلـها
فكدتُ أبصر فيها اللوحَ والقلمَـا
رأيت قلبين خـطّ الغيـبُ حبـهما
وكاتباً ببنـان النـور قـد رسَمَـا

وسحر عينيـــك إني مقـــسم بهمـــا

لا تسألي القلب عن إخلاصه قَسَمًا

واهًا لعينيك كالنبع الجميـــل صـــفا

وسالَ مؤتلقَ الأمـــواجِ منـــسجمًا

ما أنتما؟ أنتما كـــأسٌ وإن عـــذبتْ

فيها الحمام ولا عذرٌ لمـــن سـلمًا

لمَّا رمـــى الحـــب قلبينـــا إلى قـــدرٍ

له المـشيئة لم نـــسألْ لمـــن ولِمَـــا

في لحظة تجمـــع الآبــادُ حاضـــرها

وما يجيء وما قـــد مـــر منـــصرمًا

قد أودعت في فؤاد اثنينِ كلَّ هوى

في الأرض سارت به أخبارها قـــدمًا

كلاهمـــا نـــاظرٌ في عـــين صـــاحبه

موجا من الحب والأشواق ملتطمًـــا

وساحة بـــتعلات الهـــوى احتربـــتْ

فيها صراخٌ وفيها للعنـــاق غمًـــا

يـا للغـديرين في عينيـك إذ لمعَـا

فالراويان همـا والظامئـان همـا

بأيِّ قوس وسـهم وصـائب ويـد

هواك يا أيها الطاغي الجميل رمـى

يرمـى ويـبرئ في آن وأعجبـه

أن الذى في يديه البرء مـا علمَـا

وكيف يُبْرئني مـن لـستُ أسـأله

برءا وأوثر فيه الـسهدَ والـسقما

لـو أن للمـوت أسـباباً تقـربني

إلى رضاك لهان المـوت مقتحَمَـا

إن الليالي التي في العمر منك خلـتْ

مرت يباباً وكانت كلـها عقمَـا

تلفتَ القلبُ مكروبـا لهـا حـسرا

وعضَّ من أسـفٍ إبهامَـه ندمًا

إيمـــــــــــــان

قـــــــــدرٌ أراد شـــــــــقاءنا
لا أنـــتِ شـــئتِ ولا أنـــا
عـــزَّ التلاقـــي والحظـــو
ظ الســـود حالـــتْ بيننـــا
قـــد كـــدتُ أكفـــر بـــالهوى
لـــو لم أكـــنْ بـــك مؤمنـــا!!

إليها

أيها الماضي الذي أودعتُه
حفرةً قد خَيَّمَ الموتُ بها
أيها الشعر الذي كفنتُه
مُقسماً لا قلتُ شعراً بعدها
أيها القلب الذي مزقتُه
صارخا عهدُكَ يا قلب انتهى
قسماً ما مات منكم أحدٌ
إنما رقدةُ يأسٍ إنما
آه لو قامَ رسولٌ صارخ
أو شفيعٌ منكم يمضى لها
آه من يخبرها عن طائرٍ
تسيَ الأوكارَ إلا وكرها:

بعد الحب

أرى سمائي انحدرتْ وانطوتْ

لا تحسبي النجم هوى وحده

فيها نجومُ الليل لا نجم لي

ولا أرى لي أفقاً بعده

أنـــــوار المدينـــــة

ضحكتْ لعينيَّ المصابيح التي

تعلو رؤوس الليـل كالتيجـانِ

ورأيتُ أنـوارَ المدينـة بعـد مـا

طال المسير وكلَّت القـدمانِ

وحسبت أنْ طاب القرار لمتعبٍ

في ظـل تحنـانٍ وركـنِ أمـانِ

فإذا المدينة كالضباب تبخـرتْ

وتكشفت لي عن كذوبِ أمـاني

قدرٌ جـرى لم يجـرِ في الحسبانِ

لا أنتِ ظالمـةٌ ولا أنـا جـاني

خمر الوضا

يا حبيبي اسقني الأمانيَّ واشربْ
بوركتْ خمرة الوضا وَهْيَ تُسكبْ
بورك الكأس والحباب الذي يو
قص في الكأس والشعاع المذهَّبْ
نضبتْ رحمةُ الوجود جميعا
وبك الرحمةُ التي ليس تنضبْ
وإذا ضاقت السماء بشجوي
فالسماء التي بعينيك أرحب
كم غنيتُ والصدور تجافيني
وتزوّر والوجوهُ تقطّبْ
كم تمنيتُ صدرك البر يرتاح
على خفقه الطريد المعذَّبْ
هاتِ وسادي الحنانَ عليه
جسدي متعَبٌ وروحي متعبْ

في حفلة تكريم الدكتور ناجي صاحب الديوان

(سان جيمس ١٩٣٤)

يا صفوة الأحبابِ والخلانِ
عفواً اذا استعصى عليَّ بياني
الشعر ليس بمسعفٍ في ساعة
هي فوق آي الحمدِ والشكرانِ
وأنا الذي قضى الحياة معبرا
ومُرجِّعاً لخوالج الوجدانِ
أقف العشيةَ بالرفاق مُقصرا
حيرانَ قد عقد الجميلُ لساني
يا أيها الشعر الذي نطقتْ به
روحي وفاضَ كما يشاءُ جناني
يا سلوتي في الدهر ياقيثارتي
مالي أراكِ حبيسةَ الألحانِ ..
أين البيان وأين ما علمتني
أيام تنطلقينَ دون عنانِ

نجواك في الزمن العصيب مخلدٌ

نامتْ عليه يواقظ الأشجانِ

والناس تسألُ والهواجس جمةٌ

طب وشعر كيف يتفقانِ؟

الشعر مرحمةُ النفوس وسِرُّه

هبةُ السماء ومنحةُ الديّانِ

والطب مرحمةُ الجسوم ونبعُه

من ذلك الفيض العليِّ الشانِ

ومن الغمامِ ومن معينٍ خلفه

يجدان إلهاماً ويستقيانِ

يا أيها الحبُّ المطهر للقلوبِ وغاسلُ الأرجاس والأدرانِ

ما أعظم النجوى الرفيعة كلما

يشدو بها روحانِ يحترقانِ

أنفاً من الدنيا وفي جسديهما

ذل السجين وقسوة السجانِ

فتطلعا نحو السماء وحلّقا

صعدا إلى الآفاقِ يرتقيانِ

وتعانقا خلفَ الغمـــامِ وأترعـــا
كأسيهما مـــن نـــشوةٍ وحنـــانِ

أكتب لوجه الفن لا تعدلْ بـــه
عوضَ الحياة ولا الحطام الفـــاني

واستلهم الأمَّ الطبيعة وحـــدها
كم في الطبيعة من سرى معـــاني

الشعر مملكـــة وأنـــت أميرهـــا
ما حاجـــةُ الـــشعراءِ للتيجـــانِ

هُوميرُ أمّـــره الزمـــانُ بنفـــسه
وقضت له الأجيال بالـــسلطانِ

اهبطْ على الأزهار وامسح جفنها
واسكبْ نداك لظامئٍ صـــديانِ

في كلِ آيك نفحة وبكلِ روضٍ طاقة من عاطر الريحـــانِ

مهما أقلْ بقيتْ لـــديَّ قـــصيدةٌ
في القلبِ لم تنطق بها الـــشفتانِ

غصن صغير

رأيتِ غصناً صغيراً ... منوراً ونضيرا

أرق ما تشتهي النفسُ ... منظراً وعبيرا

جذبتُه جذب عنفٍ ... قد كاد يذري الزهورا

فلم يئنَّ لجذبي ... وكان غصناً صبورا

لكنني لم أدعْهُ ... حتى علا مسرورا

وارتد يضربُ وجهي ... ضرباً عنيفاً مثيرا

وعاد ينشر في الأيك ... ذا الحديثَ الأخيرا

تضاحك الأيكُ جذلانَ ... شامتاً مسرورا

ضحكَ الذي بعد صبر ... قد فاز فوزاً أخيرا

دعـــــابـــــــات

حفلة عدس

في منزل صاحب المعالي دسوقي أباظة باشا

(الدعابة موجهة إلى صديقنا الشاعر النابغ الأستاذ محمود غنيم)

دعــوتَ فلبينــا ودارك كعبــة
بها انعقد الإخلاص والحب طَوفا

خميلتنـــا تهفـــو إليهـــا قلوبنـــا
وأي فؤاد للخميلـــة مـــا هفـــا

بنوك الألى تحنو علـــيهم تعطفـــا
وترعـــاهم بِـــرًّا بجسم متلطفـــا

إذا خلعوا بعضَ الوقار فـــسعْفُهُمْ
فمثلك عن مثل الذي صنعوا عفا

هنا اطّرحَ الأعباءَ مثقلٌ كاهـــلٍ
وخفّفَ من وقريه مَـــن تخففـــا

فنال علي الفضل الأباظي طامعاً
وأغرق في الجود الأباظي مسرفا

فيا ندوةَ السمار هل من مسجل

يدون إعجاز القـــرائح منـصفا

ليشهدَ أن الشعر شيءٍ مشّى بنا

مع الطبع جلَّ الطبعُ أن يتكلفـــا

وفي دمنا يجري بـــه متواصـــلا

مع النَّفسِ الجاريِ وينساب مرهفا

فهل ناقلٌ عني الغـــداة وناشـــرٌ

مقالة صدق قد أبتْ أن تُحرفـــا

حديث غنيمٍ والردنجوت والذي

جرى بيننا ما كنتُ بالحق مُرْجفا

*   *   *

بصرتُ به زالصحن بالصحن يلتقي

فلم أر أَبهى من غنـــيمٍ وأظرفـــا

تراءى له لحمٌ فلم يـــدرِ عنـــده

تدنّيك من بعد الطوى أم تخوّفـــا

وأومأ لي باللحظ يـــسألني بـــه

أتعرفه أومأتُ باللحظ عـــمعفا

وقدمته للـــديك وهـــو كأنمـــا

بطـــير إليـــه واثبـــاً متلـــهفا

غنيما أخونا الديك! قدمتُ ذا لنا

فهذا لـــذا بعـــدَ لأيٍ تعرُّفـــا

ومـــاهي إلا لحظـــة وتغـــزلاَ

وقد رفعَا بعد الـــسلام التكلفـــا

فمال على الوركِ الشهيِّ ممزقـــا

ومال على الصدر النظيف منظفا

جزى الله أسناناً هنـــاك عتيقـــة

ظللنَ على الصحن الأباظي عُكَّفا

* * *

تُعيُّرُ ناجي بالردنجوتِ جاهه

معاراً فخامرْ واستعرْ أنتَ معطفا

هجــــــــــــــــــــو

في من اسمه عبد الحميد

رجـــلاً أرى بالنّـــسه أم حـــشرَةْ
سبحان مـــن بعبيـــدهِ حـسشرَةْ

يـــا فخـــرَ داروبـــن ومذهبـــه
وخلاصـــةَ النظريـــةِ القـــذرةْ

أرأيـــتَ قـــردا في الحديقـــة قـــدْ
فنّتـــه أثنـــاه علـــى شـــجرةْ؟

عبدالحميد اعلـــمْ فأنـــت كـــذا
ما قال داروبـــنُ وما ذكـــرَهْ

يـــا عبقريـــا في شـــناعتهِ
ولذلك آمـــك وهـــي معتـــذرةْ

هجو شاعر

أيها الحي وما ضرَّ الورى لو كنتَ متَّا

أو شعرّا! ذاك لا بلْ حجر يُنحتُ نحتَا

تُلقم الناسَ وترميهم به فوقًا وتحتا

صحتُ من يأسي لمَّا بركيكِ الشعر صحتَا

آه يا قاتلُ يا سفّاك! حتى أنت حتّى!

الخريف

يا حبيبي غيمة في خاطري ... وجفوني وعلى الأفق سحابة
غفر الله لها ما صنعت ... كلما شاكيتها تندى كآبة
صرخ القفرُ لها منتحباً ... وبكى مستعطفاً مما أصابه
فأصمّ الغيثُ عنه أذنه ... ما على الأيام لو كان أجابه

* * *

كثر الهجرُ على القلب فهل ... من سلو أو بعاد يرتضيه
أنت فجرٌ من جمال وصبا ... كل فجر طالع ذكّرنيه
كيف جانبتك أبغي سلوةً ... ثم ناجيتك في كل شبيه
أيها الساكن عيني ودمي ... أين في الدنيا مكان لست فيه

* * *

عندما أزمع ركب العمرِ ... رحلةً نحو المغاني الأخرِ
ظهرت لي حولك كفُّ القدرِ ... صورةً أروع ما في الصورِ
تتراءى لي الشباب العطرِ ... نفحةً تحمل طيبَ السحرِ
وقف العمرُ لها معتذراً ... وثنى الركبُ عنانَ السفرِ

* * *

عندما أقفرت الدنيا جميعاً ... لحتَ لي تحمل عمراً وربيعا
إن يكن حلماً تولى مسرعاً ... أجمل الأحلام ما ولى سريعا

إنْ يكنْ ما كان ذَنْباً يقتضيْ خلِّني أدفعه عنكِ دموعا
قد شربناه عزيزاً غالياً إنْ تكن بعتَ فإنّي لن أبيعا

* * *

يا ندامى الحب سُمَّار الهوى
سكبوا لي السهدَ في ذاك الشراب
أرقوني أجرع السقْمَ زبي
صفرةُ الكأس وأوهامُ الحباب
كلما تقبلُ أبتسامُ المنى
تنجلي النعماء عن ذاك السراب
وترى أيامي الحميرى علسى
عرسها الضاحكِ أحزانَ الضباب

* * *

لم أقيدْكَ بشيء في الهوى
أنت من حبي ومن وجدي طليق
الهوى الخالص قَيْدٌ وحده
رُبَّ حرٍ وَهْوَ في قيد وثيق
مزقتْ كفيك أشواكُ الهوى
وأنا ضقتُ بأحجار الطريق

كم ظمىءٍ بظمىءٍ يرتوي

وغريق مستعين بغريق

* * *

يا ليالي العمر ما سرُّ الليالي

البطيئاتِ المملاتِ الطوالِ

مسرعات مبطئات وهما

خفة الموت وأثقالُ الجبالِ

كاسفات البال عرجاء المنى

عاثرات الحظ شوهاء الظلالِ

عجباً للعمر يمضي مسرعا

للمنايا بسلحفاة الملالِ

* * *

يا كنارَ الروضِ في أينك الهوى

جفت الروضة من بعد النديم

حل بالأيكِ خريف منكر

وظلال قاتمات وغيومْ

ماتت الروضة إلا طائفا

من هوى حي على الذكرى يقومْ

فإذا أنكسر ما حمَّل بها

فرّ يبغي سربه بين النجوم

* * *

شاهت الدنيا وجوهاً ورؤى

وتولاها سهوم ووجوم

يا عذارى الحسن في ظل الصبا

كل حسن بعد ليلايَ دميمْ

يا نعيم العيش في ظل الرضا

آه لو أعرف ما طعم النعيمْ

أنكر الجنةَ قلبٌ ضجرٍ

أبديٌّ النار موصولُ الجحيمْ

* * *

طالما موهت بالضحك فما

غيّرَ التمويه رأياً لك فيَّا

كلما تنظر في عيني ترى

سرىَ الغافي ومعناى الخفيّا

وترى في عمقِ روحي زهرةً

قد سقاها الحزن دمعاً أبديًا

ويــراه النـاس طَــلاً وتــرى

أنت دمعــا غائمــا في مقلتيَّــا

* * *

يا فؤادي ما ترى هذا الغــروب

ما ترى فيــه انهيــار العمــرِ؟

ما ترى فيه غروبًا ذا شــحوب

يتلاشــى في خــضم القــدر؟

ما تراها اتأدتْ قبــل المغيــب

ورمت مـن عرشـها المنحــدرِ

لفتةَ الحسرة للــشط القريــب

قبل أن تسقطَ خلف النــهرِ ...

* * *

يا فؤادي قاتل الله الــضجرْ

وعــذابي بـين حــلٍّ وســفرْ

ما ترى قنطــرة مـن بعــدها

راحة ترجــى وبــالٌ يــستقرّ

ذلــك الجــرحُ ومــا أفدحــه

ما عليه لو إلى الــسلوى عبَــرْ

قــد طــواه اليــومُ في بردتــه

وأتـــى الليـــلُ عليــه فـــانفجرْ

* * *

مرّ يومي فارغــا منـــك ومـــن

أملِ اللقيا فمــا ألعـــنَ يـــومي

أنتَ يومي، وغدي أنتَ، ومـــا

من زمانٍ مرّ لي لم تــكُ همّــيا

آه كم أغدو صــغيرا، حـــاجتي

لـــك كالطفـــلِ إلى رحمـــةِ أمّ

ولكـــم آكـــبر بالحــب إلى أنْ

أغتدي مستشرفاً آفـــاقَ نجـــمِ

* * *

أيّ سر فيك إني لســت أدرى

كلُ ما فيك من الأسرار يغـــرى

خطرٌ ينساب مـــن مفتـــر ثغـــرِ

فتنةٌ تعصف مـــن لفتـــةِ نحـــرِ

قدر يُنسج من خـــصلةِ شـــعرِ

زورق يسبح في موجـــةِ عطـــرِ

في عبابٍ غامض التيـــار يجـــرى

واصلاً ما بين عينيك وعمـــرى

* * *

ذات ليــــلٍ والـــدجى يغمرنــا

أترى تـــذكر إذ جزنـــا المدينـــة

كلما روعت مـــن نـــار شجٍ

خوَّمًا يصلى تلمســت جبينـــه

بيدٍ شفافة مثل الندى الرطـــب

تعيــد النـــارَ بـــرداً وســـكينه

أيهـــا الآســـى لنـــارى هـــذه

ما الذي تصنع بالنار الدفينـــه؟

* * *

أتـيـــالأ كـــان هـــذا كلـــه

ذلك الجسرُ الذى كنـــا عليـــه؟

والمـــصابيحُ الـــتي في جانبيـــه

ذلك النيلُ ومـــا في شـــاطئيه؟

وشـــعاعٌ طوفـــتْ في مائـــه

وظـــلالٌ رســـبتْ في ضـــفتيه

رحيب زادع في ساعدي

ووعود نلتها من شفتيه؟

* * *

رب لحسن قصٌ في خاطرنا

قصة الحادي الذي غنّى سهاده

وكأن الصمتَ منه واحةٌ

هيأتْ من عشبها الرطب وساده

ها أنا عدت إلى حيث التقينا

في مكان رفرفت فيه السعاده

وبه قد رفرف الصمت علينا

إن في صمت المحبين عباده

* * *

رفرف الصمت ولكن أقبلتْ

من أقاصي السهل أصداءٌ بعيده

تتهادى في عباب ساحرٍ

مرسل للشط أمواجاً مديده

كم نداء خافت مبتعد

تشتهي أُذْنُ الهوى أن تستعيده

عـــاد منــــساباً إلى أعماقهـــا

هامساً فيها بأصــــداءٍ جديــدة

*　　*　　*

رفرف الصمت ولكــن هاهنــا

كل ما فيك من الحُــسْنِ يغــنيٌّ

آه كم مـــن وتـــرٍ نـام علـــى

صدرِ عودٍ نزمٍ غـــافٍ مطمـــئنٌ

وبه شـــتّى لحـــونٌ مـــن أســـى

وحــــنين وأنـــين وتمنّــــي

رقد العاصفُ فيـــه وانطـــوتْ

مهجةُ العود على صمتٍ دُونْ ..

*　　*　　*

هــذه الــدنيا هجــير كلـــها

أين في الرمضاء ظلٌّ من ظلالكْ

ربمـــا تزخـــر بالحـــسنِ وما

في الدُّمى مهما غلَتْ سر جمالكْ

ربمـــا تزخــر بــالنورِ وكـــم

من ضياءٍ وهو من غيرك حالـــك

لو جرت في خاطري أقصى المنى
لتمنيتُ خيـــالا مـــن خيالِـــكْ

* * *

أنا إن ضـــاقت بيَ الـــدنيا ألجيء
لشـــوانٍ رحيبـــةٍ قـــد وســـعتنا
إنمـــا الـــدنيا عبـــاب ضـــمنا
وشطوطٌ من حظـــوظ فرقتنـــا
ولقـــد أطفـــو عليـــه قَلِقًـــا
غـارقـــا في لحظـــةٍ قـــد جمعتنـــا
كلما تـــرى المعـــاني أجتلـــي
خلف معناها لأســـرارِكِ معـــنى

* * *

ما الذي صبك عبًّا في الفـــؤادْ
ما الذي إن أقصه عـــنيَ عـــاد
طاغيا يعصفُ عـــصفاً بالرشـــاد
ظامئـــا ســـيان قـــربٌ وبعـــاد
ساهر العينين موصول الـــسهاد
ما الذي يجري لهيبـــاً في الرمـــاد

ما الـــذي يخلقنـــا مـــن عـــدمٍ

ما الذي يُجري حياةً في الجمـــاد

*　　*　　*

كمْ حبيـــب بعـــدتْ صـــهباؤه

وتبقـــتْ نفحـــةٌ مـــن حبـــه

في نسيج خالـــد رغـــم البلـــى

عبثَ الدهرُ ومـــا يعبـــث بـــه

ما الذي في خصلة مـــن شـــعره

ما الـــذي في خطّـــه أو كتبـــه

مـــا الـــذي في أثـــر خلّفَـــه

من أفـــانين الهـــوى أو عجبـــه

*　　*　　*

مـــا الـــذي في مجلـــس يألفـــه

عقـــدَ الحـــبُّ عليـــه موعـــده

ربمـــا يبكـــي أســـى كرســـيه

إن نأى عنـــه وتبكـــى المائـــده

ربمـــا تحســـبها هَـــشّتْ إذا

عائـــدٌ هـــشّ لهـــا أو عائـــده

ربما نحسبها تسألنا

حين نمضي أفراق لعمده؟

* * *

كم أعدتْ لك ستراً في الخفاء

وتوارتْ عن عيون الرقباء

كم أعدتْ نفسها وانتظرتْ

واستوتْ موحشةً تحت السماء؟

وَهْيَ لو تملك كفّاً صافحتْ

كفكَ الحلوةَ في كل مساء

وَهْيَ لو تملك جوداً بذلتْ

كلَّ ما تملكُ كفٌ من سخاء

* * *

رُبَ كَرْمٍ مدَّهُ الليل لنا

فتواثبنا له نبغي اقتطافه

وعلى خيمته أسوده

عربيّ الجود شرقيّ الضيافه

وجد العرس على بهجته

وسناه دون وردٍ فأضافه

ثم وارت يـــــــده جنيـــــــةْ

وطوته كأســـاطير الخرافــه ...

* * *

أرج يعبــــــــق في أنحائــــــــه

حملتــه نحــو عرشــينا الريـــاح

كل عطـــر في ثنايــاه ســـرى

كان سرا مـــضمرا فيـــه فبـــاح

يالها من حقبـــةٍ كانـــت علـــى

قِـصرٍ فيهمـا كآمـادٍ فـساح

نـستمني كلمـــا طابــتْ لنـــا

أن يظل الليلُ مجهولَ الــصباح

* * *

يا فؤادي العمر سِفْر وانطـــوى

وتبقتْ صـــفحة قبـــل النـــوى

ما الذي يغريك بالدنيا ســـوى

ذلك الوجه ، وذيَّـــاك الهـــوى

العائد

أجِرْ غربتي أيها العائدُ
فقد ملَّني الداءُ والعائدُ

أجِرْ غربتي فبلادي الهموم
وليلٌ بطيءُ الخطى راكدُ

تقاسمني في سواك الديارُ
وأنتَ ليَ الوطنُ الواحدُ

محياك داري ومنك نهاري
إذا ضمّكَ الصدرُ والساعدُ

* * *

أجِرْ شفتي من عذاب الظما
أما آنَ للّهِ أن ترحَما!

أنمعنُ في الهجر حتى ترانا
بكينا دماً واحترقنا لمَا؟

ولي رمقٌ صنته كي أراك
فأشفقْ على رمقي ربّما

إذا طلبَ الحبُّ برهانَه

من الموت لبيتُ كي تعلما ...

* * *

ليالٍ مررنَ هباءً عقيما

فهل تتوالى البواقي سدًى؟

أسائل جرحيَ عمن جناه

وأرنو فأستخبر العُوَّدا

فما طلعوا اليومَ بالبشرياتِ

ولا علّلوا بالتلاقي غدا ...

فلما تنكَّرَ حتى الحبيبُ

تلفتُّ أسأل عنك العِدا

* * *

سلام على غائب عن عيوني

حملتُ حطامي إلى دارِهِ

وقلتُ لقلبي تمهلْ بنا

وخبِّئْ شقاءك أو دارِهِ

تناسى الأسى ها هنا أو يقالُ

حملتَ الظلامَ لأنوارِهِ ...

أتغـــدو إلى عتبـــاتِ النعــيم

بلفحِ الجحـيم وإعــصارِهِ؟ ..

فهرس الأعمال الشعرية الكاملة

المحقق في سطور

حسن توفيق:

- شهد حي شبرا بالقاهرة ميلاد حسن توفيق يوم ٣١ أغسطس ١٩٤٣.
- حصل على الليسانس من كلية الأداب- جامعة القاهرة- سنة ١٩٦٥.
- عمل- بعد تخرجه- مديرا لمكتب الشاعر العظيم صلاح عبد الصبور فى الهيئة العامة للكتاب.
- عمل في جريدة الراية القطرية رئيسا للقسم الثقافي على امتداد ثلاثين سنة ابتداء من سنة ١٩٧٩.
- عاد إلى مصر ابتداء من يوم ٥ يوليو ٢٠٠٩ ليتفرغ للكتابة.
- يكتب عمودا أسبوعيا بعنوان "مرايا الروح" في جريدة الشرق القطرية.
- أصدر ديوانه الأول "الدم في الحدائق" سنة ١٩٦٩ ثم توالت دواوينه الشعرية ومنها أحب أن أقول لا "قصائد عاشقة "حينما يصبح الحلم سيفا" انتظار الآتي "وجهها قصيدة لا تنتهي" "بغداد خانتني".
- أحدث دواوينه بعنوان "أحبك أيها الإنسان"، وله قيد الطبع ديوان جديد بعنوان "حلم يتفتح في صخر".
- اتجه لإحياء فن المقامة، حيث أصدر كتابه الأول في هذا الفن بعنوان "مجنون العرب بين رعد الغضب وليالي الطرب"، ثم أصدر "ليلة القبض على مجنون العرب".
- أصدر أولى دراساته النقدية بعنوان "اتجاهات الشعر الحر" سنة ١٩٧٠

- قام بتحقيق الأعمال الشعرية الكاملة للدكتور إبراهيم ناجي، وقد أصدرها على نفقته في طبعة محدودة سنة ٢٠٠١، وها هي تصدر في طبعة شاملة عن المجلس الأعلى للثقافة.
- تمكن من اكتشاف رواية كاملة مجهولة للدكتور إبراهيم ناجي وهي بعنوان "زازا"، وستصدر هذه الرواية مع دراسة مطولة عنها في القريب.
- له كتاب ضخم في أدب الرحلات وهو بعنوان "رحلات شاعر عاشق" "رحلات مع الشعر والحب في الشرق والغرب".
- أنجز كتابة روايته الأولى سنة ٢٠٠٩ وهي بعنوان "عرفة ينهض من قبره"، وقد نشرت مجلة نزوى العمانية نص هذه الرواية في عددها الثالث والستين.
- حصل على جوائز أدبية عديدة كما شارك في ملتقيات ومهرجانات ثقافية متنوعة.

الناشر

الناشيء

كان ناجي يتمنى من كل قلبه أن تغني له أم كلثوم إحدى قصائده، حتى تتحقق له شهرة جماهيرية عريضة، لا مجرد شهرة في الساحة الأدبية العربية وحدها، ولكن أم كلثوم لم تحقق لناجي ما تمناه من كل قلبه خلال حياته، فانطلق إلى محمد عبد الوهاب الذي اختار عدة مقطوعات من قصيدة مطولة من روائع ناجي، والتي يجدها القارئ في هذا الكتاب، وهي قصيدة بعنوان "الخريف" أما ما غناه محمد عبد الوهاب منها فإنه معروف بعنوان "القيثارة" وكان من المقرر أن تذاع هذه القصيدة بألحان وصوت عبد الوهاب خلال سنة 1953م، لكن ناجي رحل عن عالمنا يوم 24 مارس من تلك السنة دون أن يسمعها، ولم تذع هذه القصيدة إلا سنة 1954م ومنها:

أي سر فيك إني لست أدري ... كل ما فيك من الأسرار يغري

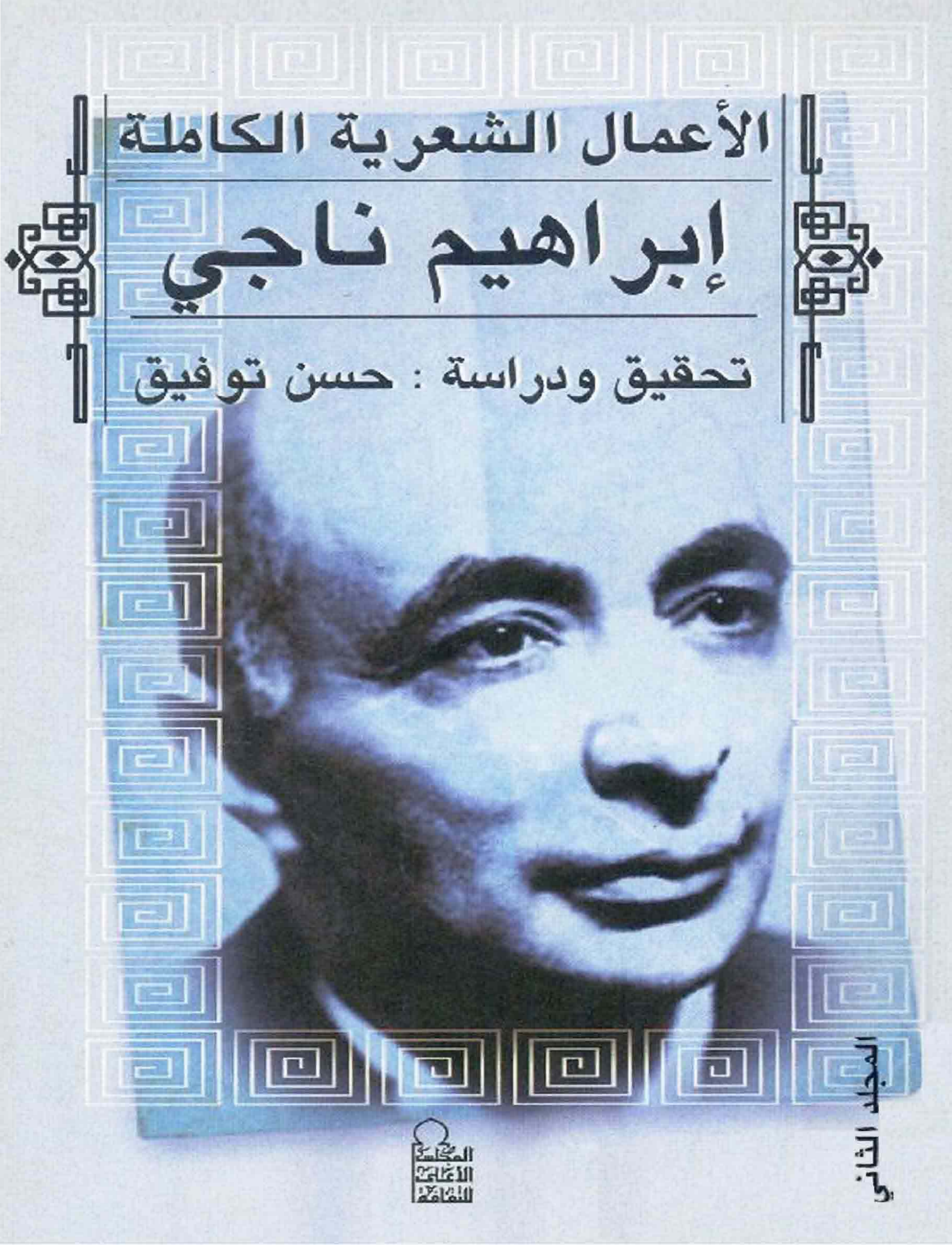
خطر ينساب من مفتر ثغر ... فتنة تعصف من لفتة نحر

قدر ينسج من خصلة شعر ... زورق يسبح في موجة عطر

في عباب غامض التيار يجري ... واصلاً ما بين عينيك وعمري

تحققت أمنية ناجي - دون أن يدري - بعد انقضاء ثلاث عشرة سنة على رحيله عن عالمنا حين غنت أم كلثوم له مقاطع من الأطلال وأضافت إليها مقطعين من قصيدة الوداع .




الأعمال الشعرية الكاملة
إبراهيم ناجي
تحقيق ودراسة : حسن توفيق
المجلد الثاني
المجلس الأعلى للثقافة

الناشيء

المجلس الأعلى للثقافة

ابراهيم ناجى

الأعمال الشعرية الكاملة

(المجلد الثاني)

تحقيق ودراسة: حسن توفيق



٢٠١٢

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

ناجي، إبراهيم، ١٨٩٨-١٩٥٣
إبراهيم ناجي: الأعمال الشعرية الكاملة (المجلد الثاني)/
تحقيق ودراسة: حسن توفيق.
القاهرة: طبعة خاصة بالمجلس الأعلى للثقافة، ٢٠١٢
٨٤٤ ص، ٢٤ سم
١- الشعر العربي - تاريخ - العصر الحديث
٢- ناجي، إبراهيم، ١٨٩٨ - ١٩٥٣ - الأعمال الكاملة
(أ) توفيق، حسن (محقق ودارس)
(ب) العنوان ٨١١,٩

رقم الإيداع ٢٩٤٤٤ / ٢٠١١
الترقيم الدولي: 978-977-707-446-6
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

الأفكار التي تتضمنها إصدارات المجلس الأعلى للثقافة هي اجتهادات أصحابها، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلس.

شارع الجبلاية بالأوبرا الجزيرة القاهرة ت: ٢٧٣٥٢٣٩٦ فاكس: ٢٧٣٥٨٠٨٤
El Gabalaya st. Opera House, El Gezira, Cairo
Tel.: 27352396 Fax: 27358084
www.Scc.gov.eg

عشت وامتدت حياتي لأرى في الثرى من كان قبلا في القمم
وإذا انحط زمان لم تجد عاليا ذا رفعة إلا الألم

من "ظلام"

أيها الشاعر خذ قيثارتك غن أشجانك واسكب دمعتك

من "أطلال"

ضاقت بنا مصر وضقنا بها وكل سهل فوقها اليوم ضاق
وضاقت الدنيا على رحبها أين ندامايَ وأين الرفاق

من "رباعيات"

يا قاسيَ البعد كيف تبتعدُ إني غريب الديار منفردُ
إن خانني اليوم فيك قلت غدا وأين مني ومن لقاك غدُ
إن غدا هوةٌ لناظرها تكاد فيها الظنون ترتعدُ
أطل في عمقها أسائلها أفيك أخفى خياله الأبدُ

من "الغد"

الناشيء

ومضات خاطفة

بقلم : حسن توفيق

- صدرت الأعمال الشعرية الكاملة لشاعر الحب الرقيق والكبير الدكتور إبراهيم ناجي في طبعتها الأولى سنة ١٩٩٦ عن المجلس الأعلى للثقافة بقيادة أمينه العام – وقتها – الدكتور جابر عصفور ، وكان مقبولا ومعقولا أن تصدر تلك الأعمال في مجلد واحد ضخم ، بلغ عدد صفحاته ٨٦٠ صفحة بخلاف صفحات الفهرس الشامل ، لكن عدد صفحات تلك الأعمال في هذه الطبعة الجديدة المنقحة والمزيدة قد قارب الألف صفحة ، وبالتالي فإنه لم يعد مقبولا ولا معقولا أن تصدر في مجلد واحد ، ومن هنا كان لا بد أن تصدر في مجلدين عن المجلس الأعلى للثقافة بقيادة أمينه العام الدكتور عماد أبو غازي مع بدايات سنة ٢٠١١ .
- يشتمل المجلد الأول على الديوانين اللذين أصدرهما ناجي خلال حياته وهما ديوان وراء الغمام الذي صدر في مايو سنة١٩٣٤ وديوان ليالي القاهرة الذي أوضحت أنه قد صدر سنة ١٩٥٠ ، وتتصدر هذا المجلد مقدمتان ، أولاهما كانت مقالا للكاتب والناقد الكبير رجاء النقاش ، نشر في جريدة الأهرام عقب صدور الطبعة الأولى بعنوان قصيدة في

القلب ، أما المقدمة الثانية المستفيضة فقد كتبتها بعنوان إبراهيم ناجي : الحياة — الحب — الموت .

- يشتمل هذا المجلد الثاني على ديوان الطائر الجريح الذي صدر عن دار المعرف سنة ١٩٥٧ بعد أن جمع قصائده الشاعر الكبير أحمد رامي وقدم له الشاعر الأستاذ محمد عبد الغني حسن ، وإلى جانب الطائر الجريح يشتمل هذا المجلد الثاني على ما صحت نسبته لناجي من قصائد الديوان الذي قام بجمع قصائده كل من صالح جودت والدكتور أحمد هيكل وأحمد رامي ومحمد ناجي ، ونلتقي بعد ذلك مع قصائد مجهولة التي بلغ عددها في الطبعة الأولى مائة قصيدة وقصيدة ، لكني في هذه الطبعة الجديدة أضفت إليها ثلاث قصائد أخرى مجهولة ، كنت قد عثرت عليها بعد صدور الطبعة الأولى .
- منذ عدة أشهر قلائل كنت أمام مفاجأة مدهشة ومنعشة ، فبينما كنت أقلب صفحات مجموعة ضخمة من المجلات المتنوعة القديمة في مكتبتي الخاصة وجدت قصيدة بعنوان أطلال لشاعر العاطفة الدكتور إبراهيم ناجي ، وكم كانت فرحتي باتساع السماء حين قرأت تلك القصيدة ، لأنها بمثابة اكتشاف أدبي جديد لما هو مخبوء من شعر ناجي وها هي أطلال شاعر العاطفة تتصدر هذا المجلد .

- القصيدة التي اكتشفتها منذ أشهر قلائل — كما قلت — كانت قد نشرت في مجلة الراديو المصري — عدد ٦٠٧ — الصادر يوم ٢ نوفمبر سنة ١٩٤٦ ، وهي تتألف من ٣٥ بيتا — وفقا للصيغة التي نشرت بها في المجلة — لكني راعيت أن تكون مؤلفة من ٣٨ بيتا ، لسبب فني بحت ، حيث تبدأ القصيدة بمقطوعة من ثلاثة أبيات تختلف في عدد تفعيلاتها عن بقية أبيات القصيدة ، فكل شطر من أبيات المقطوعة الأولى يتألف — عروضيا — من أربع تفعيلات وهي من بحر الرمل الذي يتألف كل شطر منه من ثلاث تفعيلات وليس من أربع تفعيلات ، ومن هنا فإني رأيت أن يكون كل شطر بمثابة بيت من مجزوء الرمل الذي يتألف من أربع تفعيلات ، وهكذا أصبح مجمل أبيات القصيدة كلها ثمانية وثلاثين بيتا وليس خمسة وثلاثين .
- في هذه القصيدة ثلاث مقطوعات ليست موجودة في نص قصيدة الأطلال وهو النص المنشور في ديوان ليالي القاهرة ، ولكني لن أستطرد في الشرح لكي يكتشف عشاق ناجي بأنفسهم ما سبقتهم إلى اكتشافه .
- تبقى تحية الحب لشاعر الحب الرقيق والكبير الدكتور إبراهيم ناجي الذي كان واحداً ممن يؤمنون بالمحبة ويؤكدون بالقول وبالفعل أن الدين لله وأن الوطن للجميع ، ويسعدني الآن أن أستهل هذا المجلد

الثاني من أعماله الشعرية بقصيدة أطلال شاعر العاطفة ؛ وقد اخترت هذا العنوان لكي يتسنى التمييز بينها وبين الأطلال الشهيرة .

حسن توفيق

القاهرة – ٧ يناير ٢٠١١

أطلال

لشاعر العاطفة الدكتور إبراهيم ناجي

جُنّت الريح ونادته شياطين الظلام
أختاما؟ كيف يحلو لك في البدء الختام
يا حبيباً أسلم الجرحَ حبيباً نكأه
أيها الظمآن لا ينقع شيءٌ ظمأه
هو لا يبكي إذا الناعي بهذا نبأه
أيها الجبار هل تُصرع من أجل امرأة؟

قُلْ لهذا الغِرِّ يُبقي نفسَه   إن من يهوى أضاعت نفسَها
الأماني والأغاني خلِّها   وعظيمات المعاني..إنسَها
والليالي فاغتنم حاضرَها   أمسُها ساعك فالقبر أمسَها
كل ذكرى من عذاب وشجى   هيئ المضجع واحفرْ رمسَها

* * *

يا حبيبي كل شيء بقضاء   ما بأيدينا خُلقنا تعساء
ربما تجمعنا أقدارنا   ذات يوم بعد ما عزَّ اللقاء

فإذا أنكر خلٌّ خلّه   وتلاقينا لقاء الغرباء
ومضى كلٌّ إلى غايته   لا تقل شيئا وقل لي الحظ شاء

* * *

يا مغني الخُلد ضيعتَ العُمُرْ   في أناشيد تُغنّى للبشر
ليس في الأحياء من يسمعنا   ما لنا لسنا نغني للحجر
للجمادات التي ليست تعي   والرميمات البوالي في الحفر
غنّها سوف تراها انتفضتْ   ترحم الشادي وترثي للوتر

* * *

يا نداءً كلما أرسلته   رُدّ مقهورا وبالحظ ارتطم
وهتافا من أغاريد المنى   عاد لي وهو نواح وندم
رُبّ تمثال جمالٍ وسنا   لاح لي ، والعيش شجو وظلم
ارتمى اللحن عليه جاثيا   ليس يدري أنه حسن أصم

* * *

أيها الصوت الذي بُحّ اتئدْ   نحن في القفر ظماء وجياع
ما لدينا للذي نعشقه   غير ذا الحب وما منه انتفاع
وغناء الطير قد رفّ على   زهرات ظامئات للسماع
ضاع شدو الطير في دنيا لها   صوتُ أعراسٍ ولهو ومتاع

* * *

هدأ الليل ونادتني جروحي … عزَّ من يصغي لها يا أخت روحي
قد نأى عني الذي يرحمني … والذي يشرب ألحاني ويوحي
والذي استلف منه فاليا … عبق الأزهار في الوادي الصبوحْ
والذي أعبد منه مقبلا … غرةَ الآمال في الوجه الصبيحْ

* * *

هدأ الليل ولا قلب له … أيها الساهر يدري حيرتَكْ
أيها الشاعر خذ قيثارتك … عَنْ أشجانك واسكب دمعتكْ
رُبَّ لحنٍ رقص الجنُّ له … وغزا السحب وبالنجم فتَكْ
غنه حتى ترى سِتْرَ الدجى … طلع الفجر عليه فانهتكْ

* * *

وإذا ما زهرات ذعرتْ … ورأيتَ الرعبَ يغشى قلبها
فترفقْ واتئدْ واعزفْ لها … برقيق اللحن وامسح رعبها
ربما نامت على مهد الأسى … وبكت مستصرخات ربها
أيها الشاعر كم من زهرةٍ … عوقبتْ لم تَدْرِ يوماً ذنبها

الطائــــــر الجــريــح

الديوان الثالث للشاعر

* صدرت الطبعة الأولى من «الطائر الجريح» – عام ١٩٥٧

إشارات تتعلق بديوان «الطائر الجريح»

* صدر ديوان «الطائر الجريح» كما ذكرت من قبل عام ١٩٥٧، بعد أن جمع قصائده أحمد رامي الذي كان صديقاً حميماً لناجي. وقام الشاعر والمحقق محمد عبدالغني حسن بكتابة مقدمة مقتضبة تصدرت الديوان.

* يضم ديوان «الطائر الجريح» في طبعته الأولى الصادرة عن دار المعارف سبعاً وخمسين قصيدة، لكني حذفت من هذه القصائد قصيدة واحدة، سبق أن ضمها ديوان «ليالي القاهرة».

القصيدة التي حذفتها لأنها مكررة، هي قصيدة «أين غد»، ومطلعها:

يـــا قاسيَ البعد كيف تبتعـــــــدُ

إنـــــى غريب الفؤاد منفـــــــردُ

هذه القصيدة ترد في ديوان «الطائر الجريح» - (ص ٨٥).

وكانت هذه القصيدة نفسها قد وردت في ديوان «ليالي القاهرة» الصادر عام ١٩٥٠- (ص ٦٩) بعنوان «الغريب»، وهناك تغيير واحد وحيد في مطلعها، فمطلع القصيدة في «ليالي القاهرة» هو:

يـــا قاسيْ البعد كيف تبتعـــــدُ

إنـــــى غريب الديار منفـــــردُ

بعد حذف هذه القصيدة من ديوان «الطائر الجريح» يصبح عدد قصائد هذا الديوان في هذه الطبعة الشاملة للأعمال الشعرية الكاملة ستا وخمسين قصيدة.

* يضم ديوان «الطائر الجريح» في طبعته الأولى قصيدة مطولة بعنوان «الفراق» وقصيدة أخرى بعنوان «بقية القصة»، والواقع - وكما اكتشفت- فإن ناجي قد نشر هاتين القصيدتين باعتبارهما قصيدة واحدة في مجلة «الحديث» الحلبية - عدد أبريل عام ١٩٥٠، وقالت هذه المجلة في تقديمها للقصيدة: «الفراق - من روائع شاعر مصر الحديثة الدكتور إبراهيم ناجي، أنشدها في سهرة خاصة جمعت طائفة من خُلص أصدقائه وقد خص بها «الحديث» وهي مهداة إلى أديبة الشام الآنسة فلك طرزي».

وقد لاحظت عندما قارنت بين النص المنشور للقصيدة في مجلة «الحُديث» والنص المنشور في «الطائر الجريح» أن هناك مقطوعة كاملة قد حذفت من النص المنشور في «الطائر الجريح» وقد رأيت أن أثبت المقطوعة المحذوفة هنا، طالما أن القصيدة قد نشرت كاملة في حياة ناجي. وهذا نص المقطوعة:

يا أيها القدر الملازم خطوتي ... فعشيقي في ظله وضحايا
جُردت من درعي وصرت محيرا ... ما أتقي وفنيتُ غير بقايا
قل للأماني الكذاب تنكبي ... طرقي ولا تخطو خطاك خطايا
غررتني بالوعد ثم مددتني ... وهماً كُسيت به وهُنَّ عرايا

وهذه المقطوعة هي المقطوعة التالية لمقطوعة

شفتاك في لج الخواطر لاحتا ... كالشاطئين وراء لج ثائر

* يضم ديوان «الطائر الجريح» في طبعته الأولى قصيدة مطولة بعنوان «ظلام» وكان ناجي قد نشر هذه القصيدة – عن طريق صلاح عبدالصبور – في مجلة «الثقافة» – عدد ٥ يناير عام ١٩٥٣.

وقد لاحظت عندما قارنت بين النص المنشور في «الطائر الجريح» والنص المنشور في مجلة «الثقافة» أن هناك مقطوعة كاملة قد حذفت من النص المنشور في الديوان، وهذه المقطوعة المحذوفة هي التي تلي المقطوعة التي تبدأ بـ:

يا دياراً يومها من سحب

وغيوم وضباب أفق غسد

وهذا هو نص المقطوعة المحذوفة:

يا فؤادى لا تلمنى إخوتى

أفسدوا القربى وأمى جهلتنى

أسفرت عن خلق مستنكر

أوجهٌ ناكرةٌ قد أنكرتنى

لا تخلنى حين أمضى راحلا

خف حملى من هموم أوقرتنى

إن همّى أننى بعد النوى

يائس أحمل همّى فوق متنى

وفي تقديري أن هذه المقطوعة المخنوقة تعكس حالة ناجي بعد أن أُخرج من وظيفته باعتباره طبيبا غير منتج خلال ما سمي بحملة التطهير في بدايات ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، فقد تسبب إخراجه من وظيفته في محنة نفسية قاسية، كان ينفس عنها بالبكاء أمام أصدقائه على نحو ما ذكره وديع فلسطين في مقالاته التي كتبها عن ناجي في مجلة «الأديب» البيروتية.

ويروي صلاح عبدالصبور في كتابه «على مشارف الخمسين» - (ص ٣٦) أنه قد حصل على قصيدتين بخط ناجي ومن الشاعر نفسه لكي ينشرهما في مجلة «الثقافة»، وقد لاحظت أن مجلة «الثقافة» لم تنشر غير قصيدة واحدة هي قصيدة «ظلام» التي أشير هنا إليها، أما القصيدة الثانية والتي يذكر صلاح عبدالصبور مطلعها فقد نشرت - كما تبين لي - في مجلة «الحديث» الحلبية - عدد يناير ١٩٥٣، وهي قصيدة «رباعيات» التي يضمها ديوان «الطائر الجريح». يقول صلاح عبدالصبور .. « ... وليتني احتفظت بأصول القصيدتين بخط (ناجي) .. فقد أضاعهما الطابع، ولم أُعْنَ باستردادهما، إذ كنت غرا لا أدري كيف أحتفظ بأجمل التذكارات ...».

* يضم ديوان «الطائر الجريح» في طبعته الأولى قصيدة بعنوان «المقعد الخالي»، وكانت هذه القصيدة قد نشرت في مجلة «الحديث» - الحلبية - عدد سبتمبر، أكتوبر ١٩٥١، وعندما قارنت بين النصين وجدت بعض التعديلات كما وجدت أبياتا محذوفة في النص المنشور في الديوان، وربما

كانت هذه القصيدة هى الوحيدة التى تنشر مشفوعة بدرجة «الباكوية» التي حصل عليها ناجي أيام العهد الملكي في مصر، فالقصيدة منشورة في مجلة «الحديث» ... «للدكتور إبراهيم ناجى بك».

١٠ يناير ١٩٩٦

«حســـــن تـــوفــيـــــق»

هـــــذا الــديــــــــوان

بقلم الأستاذ الشاعر

محمد عبدالغني حسن

هذا الديوان هو آخر الأنفاس الرقيقة التي نظمها الدكتور إبراهيم ناجي قبل أن يُسكت الموت أنفاسه ليرقد الرقدة الطويلة التي يستريح الجسم فيها بعد تعب الحياة.

ولقد مات الطبيب الشاعر إبراهيم ناجي في طبه ميتة جالينوس، أوميتة راعي الضأن في سربه، كما قال شاعرنا القديم الحكيم، ولكن الشعراء لا يموتون كما يموت الناس، لأن أصواتهم تأتي من وراء العالم البعيد في خلال الصمت الموحش، فكأنها الأصداء التي يقول عنها ناجي:

صَمَتَ السهل ولكن أقبلت

من ثنايا السهل أصداءٌ بعيدة

وهنا في مجموعة (ظلال الوحي) باقة عطرة من شعر ناجي عنوانها (الطائر الجريح) وهي في الحق أنغام شاعر عاش حياته حائراً معذباً .. كما يقول، وعاش ظامئاً على كثرة الموارد حوله، وجائعاً على وفرة الزاد عنده، ومقيماً كالمسافر، وثاوياً كالمهاجر .. بل عاش أكثر من ذلك:

فراشـــــــــة حائمـــــــــة   علـــــى الجمـــــال والـــــصبا

تعرضــــــــت فاحترقــــــت   أغنيـــــة علـــــى الـــــرُّبى

تنـــــاثرت وبَعْثَـــــرتْ   رمادهـــا ريــحُ الـــصَّبا..

نعم: لقد بعثرت الريح رماد تلك الفراشة الحائرة، ولكن بقى من ألوانها هذه الحزمة الفاتنة من الضوء، والعطر، والندى، والرقة، والصفاء الذى يجلل هذا الديوان.

لقد قرأ الناس ناجى الشاعر فى ديوانين سابقين له: هما (وراء الغمام) و(ليالى القاهرة) ولكنهم سيقرءون فى هذا الديوان الجديد (الطائر الجريح) شعراً جديداً لم يدر الشاعر الرقيق بأنه كان يعتصره من قلبه قطرة قطرة، ليُقرأ - لأول مرة - بعد أن يودع المثوى الأخير.

إن ناجى في هذا الديوان الجديد محبٌ يترجم في رقة وعذوبة عن آلام المحبين وآمالهم، وقد علمه الحب - على ما فيه من صور الشقاء - أن يحب الناس والدنيا جميعا ... فاتسع قلبه لكل طارق، وابتسم ثغره لكل بارق! وظل ذاكراً وهو يخاطب حبيبته فى عزة المحب الكريم:

لست أنساكِ وقد علَّمتني

كيف يحيا رجل فوق الحياةِ

إن هذا الشاعر الذى لم ينْس حبَّه لجدير أن يذكره الحب وأن تذكره الحياة ..

محمد عبدالغني حسن

زازا

أنا وحدى فى البيدِ حيرانُ هــائم

فمتى تَــذْكُرُ القفــارَ الغمــائمْ

رحمةً يا سمــاءُ إن فمــي جــفّ

وحَلْقى عــن المــواردِ صــائم

غاض نبعُ المُنى ولم يبــقَ حتّــى

ومضةُ الحُلْمِ فى محــاجرِ نــائم

أيها الطاعمُ الكرَى مِلء جفنَيْك

وجفنى من الكرى غيرُ طــاعم

أَبْكِنى واستَبِدَّ بي واقْضِ ماشــاء

لك الحسنُ فىَّ واظلمْ وخاصــم

غيرَ هــذا النّــوَى فــإنّ ليــا

ليه ظلالٌ مــن المنايــا حــوائم

تضمحلُّ الحيــاةُ فيــه وتنهــدُّ

كــأنّ النــهارَ معْــولُ هــادم

لا تكلْني لذلك الأبَد الأسْـود

في قـاعِ مُزْبِـدِ اللُّـجِ قـاتم

لاتكلْني لِهُوَّةٍ تعصِفُ الأشْـباح

في جَوْفِها وتَعْـوى الـسَّمائم

لا تكلْنـي إلى جنـاحِ عُقَـابٍ

في ضلوعي مُحَلِّقِ الرُّعْب جـاثم

لا تكلْنـي لـضائعٍ في حنايـا

هَا غريبٍ في مَهْمَهٍ من طلاسـم

يسأل الزهرَ والخمائلَ والأنْـوار

عن تربها الـضحوكِ الباسـم

ذاق مـا ذاق في الـصبابة إلاّ

ذَبْحَةَ الرّوحِ وانفصالَ التـوائم

إن تَعُـدْ محْـسناً إلى فَعُـدْ بي

للعهـودِ المقدّسـاتِ الكـرائم

وإذا ما رأيـتَ عزمِـيَ ينـهـا

رُ فَثَبِّتْهُ بالـذِكْرَياتِ الـدعائم

جِئْتَني في الخريف والروض عارٍ

فكسوتَ الرُّبَى عذارَى البراعم

وأجالَ الربيـعُ أخـضرَ كفَّيـهِ

ليمحـو اصـفرارَه المُتـراكم

رحلةٌ للنجوم لم تَـكُ أوهامـا

وبعضُ النعـيم أوهـامُ حـالم

آهِ كم ليلـةٌ أراجـعُ أيـامى

أعُدُّ العُلَى وأُحْـصِى العظـائم

وحسبتُ الخسارَ فيهـا فكـانَ

الغَبْنُ عنـدى زَمـانِىَ المتقـادم

قبل أن نلتقـى فلمـا تلاقَيْنـا

عرفتُ الغنـى وذُقْـتُ المغـانم

حيثما أغْتدِى فـإنَّ الـدرارى

ملءُ روُحى وفى خيالى بواسـم

إن أبِـتْ جائعـاً فثمّـةَ زادى

أو أبِتْ مُعْسِراً فـثَمَّ الـدراهم

وعجيبٌ قد كنـتَ لى حـسدَ

الحسّادِ فيها وكنتَ أنت التمائم

بالذي صُنْتُ عهده لم أخنْه

ومتى خانت الأكفُّ المعاصم؟

والذي حُكْمُه كأقدارِ عينيك

فما منهما ولا منه عاصم

أيُّ صوتٍ من الغيوب ينادي

بي فأطوي له الدُّنى والمعالم

قدَرٌ مُشْعَلٌ على شفةٍ تدعو

فأخطو على اللظى غيرَ نادم

وفؤادي يحومُ بالنارِ لا يَحْفِلُ

أني على المنيَّة حائم

الهوى مَصْرَعي وكم من حِمامٍ

كان بابا إلى الخلود الدائم

وطريقاً من الأسنَّةِ والشوك

رَوَتْ أرضَه الدموعُ السواجم

شهد اللّهُ ما قضيتُ الليالي

ناعمَ الجَنْبِ فوق مَهْدٍ ناعم

أيُّ جيْشَيْك مُغْرِقي لِيْلي الطاغي

أم الشوقُ وحده وهو عارم؟

آه مِن رُبّما ومن أملٍ يُمْـــــــ

ـــــسكُ نفسى رجاءَ يومٍ قادم

قد تجيءُ الأنباءُ مـــن شـــاطىء

النيل غداً والمبشّراتُ النـــسائم

وتكونُ النجاةُ فى القمر السارى

على زورقٍ مـــن النـــورِ حـــالم

بقـــــايـــــا حلـــم

آهِ مـــن وَجْـــدكِ بالهـــاجر آه

تـــتمنى أن تـــراه؟ لـــن تـــراه!

خـــدَعَتْنا مُقْلَتـــاهُ خـــدعتنا

وجنتـــاهُ خـــدعتنا شَـــفَتاه

والذي من صـــوتِهِ في مـــسمعي

وخيالي غـــادرٌ حـــتى صـــداه

حُلُمٌ مـــرَّ كمـــا مـــرَّ ســـواه

وكذا الأحلامُ تمـــضي والحيـــاه

* * *

أين يـــا لـــيلايَ عهـــدُ الهـــوى

أين يا لـــيلاي حُلْـــوُ الكَلِـــمِ؟

هامـــساتٍ بـــين أذْني وفمـــي

ســـارياتٍ غـــرِداتٍ في دمـــي

كلمـــاتٌ عذبـــةٌ معـــسولةٌ

ضـــيَّعت وارحمتـــا للقَـــسَم

ذهبتْ مثلَ ذهابِ الحُلُمِ
إنني أعلمُ ما لم تعلمي

* * *

كيف صدَّقْنا أضاليلَ الهوى
بِنُهى طفلٍ وإحساس صَبي؟
حَسِبْنا منه سماءً لمعتْ
فوقَ رأسينا وكوخٌ خشبي
حُلُمٌ ولّى ووهمٌ لم يَسدُمْ
ما تَبقّى غيرُ خَيْطٍ ذهبي!

* * *

ذات يومٍ في أصيلٍ فاتنٍ
ذابت الشمسُ فسالتْ ذهبا
كَسَت النيلَ نُضاراً وانثنتْ
تَغْمُرُ الصحراء نَخْلاً ورُبَى
ما على الجيزةِ أن قد أبصرتْ
شَفَقي معتنقاً فجرَ الصِّبا
قد رأتنا مثلَ طَيْفَيْ حُلُم
ما عليها أقْبَلا أم ذَهَبا!

* * *

قلتُ هيَّا! قلتِ نمشي سِرْ فما
من طريقٍ طالَ لا نَذْرَعُهُ
قلتُ والعمرُ بعيني كالكرى
وأنا في حُلُمٍ أقطعه
جمعَ الدهرُ حبيباً وامقاً
بحبيبٍ وغداً يَنْزَعُه
أطريقانِ: طريقٌ دونه
في حياتي وطريقٌ معه؟

* * *

كلما حلّى حبيبي يَدَهُ
لحظةً قلتُ وحُبّي أبْقِها!
أبْقِها أنْفُضْ بها خوفَ غدٍ
وأُحِسُّ الأمنَ منها وبِها
أبقِها أشْدُدْ بها أزْري إذا
ضَعُفَ الأزرُ أو العزمُ وَهى
أبْقِها أُومِنْ إذا لامستُها
أن حبي ليسَ حُلْماً وانتهى

فـــي ظـــلال الصمـــت

ها أنا عُدْتُ إلى حيـــثُ التقيْنـــا
في مكانٍ رَفْرَفَتْ فيه الـــسعاده
وبه قد رفرفَ الـــصمت علينـــا
إنَّ في صَمْتِ الحبيـــبين عبـــاده
ربَّ لَحْـــنٍ قَـــصَّ في خاطِرنـــا
قِصَّةَ الساري الذي غنّى سهاده
وكأنَّ الـــصمتَ منـــهُ واحـــةٌ
هَيَّأتْ من عُشْبِها الرَّطْبِ وساده

* * *

صَمَتَ السّهْلُ ولكـــن أقْبَلَـــتْ
من ثَنايا السهلِ أصـــداءٌ بعيـــده
كلُّ لحـــنٍ في هـــدوءٍ شـــاملٍ
تشتهي النفسُ به أن تـــستعيدَه
يتـــسهادى في عُبـــابٍ ســـاحرٍ
باعثٍ للنشْطِ أمواجـــاً مديـــده

فإذا مـــا ذَهَـــبَ الليـــلُ بهـــا
تَزْخَرُ النفسُ بأصـــداءٍ جديـــده
* * *
هـــدأ الليـــلُ هُنـــا لكنـــني
كنتُ في حُسْنِكِ بالصّمتِ أُغنّي
كلُّ لحنٍ لَجِبٍ يَغْـشَى دمـــي
لَعِبَ العـــازف بـــالعُودِ الْمُـــرِنّْ
تـــاقلاً للنّهـــرِ والـــسهلِ معـــاً
قصةً يـــشرحُها عنـــكِ وعـــنى
قصةَ الشاعرِ والحسنِ إذا اســـ
ـــتبقا للخلـــدِ في حَوْمـــةِ فـــنّ
* * *
ما الـــذي في خُـــصْلَةٍ راقـــدةٍ
ما الـــذي في خَطِّـــهِ أو كُتُبـــه؟
مـــا الـــذي في أَثَـــرٍ خَلّفَـــهُ
من أفـــانينِ الهـــوى أو عَجَبِـــه

مـــا الـــذي في مجلـــس يألفُـــهُ
عَقَـــد الخِـــبُ عليـــه مَوْعِـــدَه
ربمـــا يَبْكـــي أسًـــى كرســـيُّه
إن نأى عنـــه وتَبْكِـــي المائـــده
ولقـــد نحْـــسَبُها هَـــشَّتْ إذا
عائـــدٌ هَـــشَّ لهـــا أو عائـــده
ولقـــد نحْـــسَبُها تـــسألُنا
حين نَمْـــضِي أفـــراقٌ لِعـــدَه؟

* * *

كم أعَدَّتْ نفـــسَها وانتظـــرتْ
واستوتْ مُوحِشةً تحت الـــسماء
وهي لو تَمْلِكُ كفًّا صـــافحتْ
كفَّك الغَـــضَّة في كـــلّ مـــساء

* * *

رُبَّ كَـــرْمٍ مَـــدَّه الليـــلُ لنـــا
فتواثَبْنـــا لـــه نَبْغِـــي اقتطافَـــه

وعلـــى خَيْمَتــه حارســه

غَرَبيٌ الجود شــرقيٌ الـضّيافه

وَجَــدَ العُــرْسَ علـى بَهجتـه

وســناه دونَ وَرْدٍ فأضـــافه

ثم وارتْــهُ غَيابــاتُ الــدّجى

كخيالٍ من أســاطيرِ الخُرافــه

* * *

أرَجٌ يَعْبَــقُ في جُــنْحِ الــدّجى

حَمَلَتْه نحــو عَرْشِـينا الريـاح

كلُّ عطــرٍ في ثنايــاه سَــرَى

كان سِرًّا مُـضْمرًا فيــه فبــاح

يا لَها من حِقْبةٍ كانــت علــى

قِـصَرٍ فيهــا كآمــادٍ فِـساح

نتمنّــى كلمــا امتــدَّتْ بنــا

أن يَظَلَّ الليلُ مجهولَ الـصباح

* * *

أنا إن ضاقَتْ بيَ الـدنيا أفــيءْ

لثَــوانٍ رحبــةٍ قــد وَسِــعَتْنا

إنّما الدنيا عُبابٌ ضمّنا
وشطوطٌ من حُظُوظٍ فرّقتنا
ولقد أطفُو عليه قلقاً
غارقاً في لحْظةٍ قد جمعتنا
ومعاني الحُسنِ تترى وأنا
ناظرٌ فيها لِمَعنًى خَلْفَ معنى

* * *

هذه الدنيا هجيرٌ كلُّها
أين في الرمضاء ظلٌّ من ظلالك
ربما تَزْخَرُ بالحسن وما
في الدُمى مهما غلَتْ سحرُ جمالك
ولقد تزخر بالنورِ وكم
من ضياءٍ وهو من غيرِك حالك
لو جرَتْ في خاطري أقصى المُنى
لتمنّيتُ خيالاً من خيالِك!

* * *

قلتُ للّيلِ الذي جلّلنا
والذي كان على السرِّ أمينا

أينَ يا قلبيَ مَنْ قلــبي اجتبَــى

هــواهُ واصـــطفاهُ لي خـــدينا

لم أكـــن أطمـــع أن تـــرحمني

بعد أن قَضّيْتُ في الوجدِ السنينا

لم أكُـــنْ أطمـــعُ أن تُـــضْمِرَ لي

آسياً يُبْرِئُ لي الجُـــرح الـــدفينا

لم أكنْ أعلَم يـــا ليـــلَ الأســـى

أن في جُنْحِكَ لي فجـــراً جنينـــا

* * *

أيها اللائـــذُ بالـــصَّمْتِ كَفَـــى

وأدِرْ وجْهَكَ لي وانظرْ طـــويلا

لا تَملْ واسخرْ مـــن الـــدنيا إذا

شاءتِ الأيـــامُ يومـــاً أن تميـــلا

* * *

ما الذي مَكّن في القلبِ الـــوداد

ما الذي صبّك صبّاً في الفـــؤاد؟

ما الذي مَلّك عينيـــك القيـــاد

ما الذي يعصف عَصفاً بالرشاد؟

ما الذي إِنْ أُقصِهِ عنِّيَ عَادْ

طاغياً سيّانِ قُرْبٌ أو بِعَادْ؟

ما الذي يُخْلُقُنا من عدمٍ

ما الذي يُجْرِي حياةً في الجماد؟

* * *

كم حبيبٍ بَعُدَتْ صَهْباؤُه

وتَبَقَّتْ نفحةٌ من حَبَبِهْ

في نسيجٍ خالدٍ رغمَ البِلى

عَبَثَ الدهرُ وما يَعْبَثُ بِهِ

* * *

أين سلطاني ومجدي والذي

حُبُّه مجدٌ وسلطانٌ وعِزّه؟

أين إلهامي ونوري والذي

أيقظَ القلبَ إلى البَعْثِ وهَزَّه؟

نــــأى عنـــــى

قــد نــأى عـــنى الــذى يــرحمُنى

والــذى يفهــمُ آلامــى وروحـــى

والـــذى أعبـــدُ منـــه غُـــرّةً

كَنَدَى الأزهارِ فى الوجــهِ الــصبيحِ

والــذى أشْـــتَمُّ منـــه غاديـــاً

عَبَقَ الأنداءِ فى الــوادى الــصدوحِ

آه يـــا هنـــدُ جِراحـــى كَثُـــرَتْ

فتعالى ضَـــمّدِى أنــتِ جروحـــى!

قصة حب

مـــــرت حيــــاتي دون أمنيَـــــة
وتقلّبـــــت مَلـــــلا علـــــى ملـــلِ
حـــــتى لقيتـــــك ذات أمـــــسيةْ
فعرفـــــت فيـــــك مطـــالع الأمـــلِ

* * *

طافـــــت بيَ الأيـــــام واحـــــدة
لم تلقـــسني فرحـــــاً ولا جزعـــــا
وتمـــــرُّ فارغـــــة وحاشـــــدةْ
وقـــد اســـتوت ضـــيقاً ومتـــسعا

* * *

والعمـــــر ســـــارَ كأنـــه العـــدمُ
ســـــقمي بـــــه عنـــــدي كعـــــافيتي
فـــــأذقتني مـــــا لم يذقـــــه فـــــمُ
مـــــن أي كـــــاس كنـــــتِ ســـــاقيتي؟

* * *

مـــــا هـــــذه الـــــدنيا الـــــتي اقتربـــــت
فيهـــــا المـــــنى والظـــــلُ والثمـــــر

تجتاز وامضة فمد وثبت

وثب الهوى وتمهل القدرا

* * *

قدماك ما انتقلا على درج

حاشاك بل خطرا على ثبج

كسفينة خفت على اللجج

نشوى بما حملت من الفرج!

* * *

في مظلم متعرج كابِ

والليل تغزوني جحافله

دقت يد النعمى على بابي

والعيش خابي النجم آفله

* * *

يا للمقادير الجسام ولي

من ظلمها صرخات مجنون

باكي الفؤاد مشرّد الأمل

وقف الزمان وبابه دوني!

* * *

مزّقتِ ظلمةَ كل ديجور

وألنتِ ما قد كان منه عصًى

وفتحتِ مصراعيه للنور

ما كنت إلاّ ساحراً وعصا

* * *

ماء ضربت الصخر فانبجسا

وجرى الغداةَ زلالُه العذبُ

أيقول دهري إن مايبسا

هيهات يرجع عوده الرطب

* * *

صيّرت دعواه لتفنيدِ

وحطمته وهزمت حجّته

وأعدت ما قد جفّ من عودى

مخضوضراً وأقمت صعدته!

* * *

يامن رأت طَلَلاً كتمثالِ

يستعرض العمر الذى مرّا

وكأنه فى رسمه البالي

ندم الأسيف ودمعة حرّى

* * *

ورد ذوى أو طـــائر صَــمَتَا

العمـــر مثـــل الظّـــلّ منتقـــل

النـــاس لا يــدرون مـــن ومـــتى

والناس إن علمـوا فقـد جهلـوا

مـــا خطبـــهم في روضـــة حالـــت

أو صـــوّحت أفنانهـــا الخُـــضُل

*   *   *

تـــزل الربيـــع بهـــا فنـــضّرها

وأحالهـــا بـــشبابه لحنـــا

ومـــشى الـــشتاء لهـــا فغيّرهـــا

وأحالهـــا لفظـــاً بـــلا معـــنى

*   *   *

هـــذا حـــديث يـــشبه الـــسّحرا

هيهـــات أفـــرغ مـــن روايتـــه

شـــفق المغيـــب جعلتِـــه فجـــرا

وبـــدأتُ عمـــرى مـــن نهايتـــه

*   *   *

إنّي لطيــــرٌ حـــائر بـــاكِ

قـــد كانـــت الأحـــزان فلـــسفتي

ذابـــت حنانــساً يـــوم لقيـــاك

وجـــرت أغاريـــداً علـــى شـــفتي

*   *   *

يا مـــن طويـــت عليـــه جـــارحتي

وســـألت عنـــه الأنجـــم الزّهـــرا

وضـــربت في الـــصحراء أجـــنحتي

أســـتلهم الكثبـــان والقفـــرا

*   *   *

والمـــاء أهفـــل حيثمـــا كانـــا

والـــبرق أتبـــع حيثمـــا لمعـــا

فـــأرى صـــفاء الـــورد غيمانـــا

والمطلـــق المجهـــول ممتنعـــا!

بقيـــة القصـــــــــــة

كـــــلاّ ولا لغـــــة لـــــه إلاّ
قد جال في عينيـــك أو عينيّـــا
أو لفظة جمدت على شفتيك من
فزَع كما ماتت علـــى شـــفتيّا
أو حسرة مني إليـــك وحـــسرة
مرتـــدة مـــن ناظريـــك إليّـــا

* * *

لا أنــتِ نائيـــةٌ ولا أنـــا نـــاءِ
إني لـــديك مُقيَّـــدٌ بوفـــائي
بعضُ الهوى يُسدى كمنَّةِ مُـــنعمٍ
وجميلُـــهُ دَيْـــنٌ رهـــينُ قـــضاء
ويقِلُّ عُمر الـــدهر تَوْفِيَـــةً لمـــا
أَسْـــدَيْته بجمالـــكِ الوضَّـــاء
عُمر الزمان فِدًى لساعةِ ملتقًـــى
سمحتْ بها الأقدارُ ذاتَ مـــساء

* * *

أنتِ التي علّمتني معــنى الحيــاة

حبيبـــــةً ونجيّـــــة وصـــــديقا

أنكرتُ معناها بغيرِك واســتوتْ

وتشابهتْ سعَةٌ علــيَّ وضــيقا

وَوَددْتُ لو غال الخلائقَ غائــلٌ

مِقْنٍ أو اشتعَل الصباحُ حريقــا

وسلمتِ أنتِ فأنتِ أدنــاهم إلى

روحي وأبعدهم علــيَّ طريقــا!

* * *

لا تسأليني عن غدٍ لا تــسألي

فغداً أعودُ كما بــدأتُ غريبــا

هتكَ الــستارَ مُقنّــعٌ حــسناتُه

يَخفين خلــفَ ريسائهن الــذّيبا

كــان التلاقــي بيننــا كَفّــارةً

للــدهر عــن آثامــه ليَتوبــا

فلْتَذْهَبِ الحسناتُ غيرَ كريمــةٍ

سأعُدُّهُنَّ على المتــابِ ذنوبــا!

أرنو وحيــدا للمكــانِ الخــالي

كأسي وكأسُك فارغانِ حيــالي

مرَّ المســاء مُخَيَّبــاً فتــساءلا

وتَلَفَّتا لــكِ في المســاءِ التــالي

حتى إذا مَــلاَّ تَرَقُّــبَ عائــد

يُحْيي ويَبْعَــثُ ميِّــتَ الآمــال

بَكَيَاكِ بالحبِّ الحــزينِ وربّمــا

بكت الكؤوس على النديم السالي!

* * *

أرنو إلى الصهباء غامَ شــعاعُها

وامتدَّ نحو النفس ظــلُّ جنابهــا

وكأنما روحي هنــاك حبيــسةٌ

تطفو وترسُبُ في خطوطِ حَبابها

وكأن راهبــةً هنــاك ســجينةً

مغمــورةً بــدموعها وعــذابها

ظلّتْ تُقيم على الشموعِ صلاتَها

حتى تلاشى النُّــور في محْرابهــا

كمْ ذكرياتٍ في الحياة عزيــزةٍ

مَرَّتْ علــيَّ فكنــتِ أعلاهُــنَّ

حتى إذا عَفَتِ الصبابةُ وانقضى

مــا بيننـــا أقْبلـــتُ أسْـــألهنَّ

وسألتُ عنكِ العمر ماضِيَه وحا

ضِرَه فكان العُمرُ أنــتِ وهُــنَّ

واللهِ ما غـــدَرَ الزمـــانُ وإنمـــا

هانَتْ عليكِ الذكرياتُ وهُنَّـــا!

* * *

يا زهرةً عذراء تنــشر عِطْرَهــا

وتُذيعُ في جفنِ الضُّحى أحلامَها

لاقيتُها والــريحُ تجمــعُ شملــها

والسُّحْبُ تجمع بَرْقَها وغَمامَهـــا

عانقتُها ظمآنَ أشـــربُ راحَهـــا

واستقطرتْ قلبي لتملأَ جامَهـــا

فإذا الرياحُ نزعْنَهـــا عـــن خـــالقي

ضَـــمَّتْ علـــى أنفاســـه أكمامَهـــا

* * *

حُلُمٌ كما لمع الشهابُ توارى
سَدلَتْ عليه يدُ الزمانِ ستارا
وحبيسُ شجوٍ في دمي أطلقْتُه
متدفّقاً وَذَعَوتُه أشعارا
ووديعةٌ رجَعَتْ فما خطبي إذا
رُدَّ الذي كان الزمانُ أعارا؟
قد كان قلباً فاستحال على المدى
لحناً تناقلهُ الرُّواة فسارا!
* * *
يا حُصنِي العالي فقدتُك وانطوى
رُكني وأقفرَ موئلي وملاذي
نعطي ونأخذ في الحديث ومُقلتي
مسحورةٌ بجمالك الأخَّاذِ
والدهرُ يُغريني فأعْرِضُ لاهياً
فيظلُّ يَفْتِنُني بتلكَ وهذي
والدهرُ يَهْزِلُ والغرامُ يَجِدُّ بي
ما كنت ساخرةً ولا أنا هاذي
* * *

هل كان عهدُك قبل تشتيت النّوى

إلا مخالسةَ الخيالِ الطارقِ؟

إشراقةٌ وطغى عليها مَغْرِبٌ

غيرانُ يَخْطَفُها كخطفِ السارقِ

أو لمعةٌ لم تَتّئدْ ذهبتْ بها

دَكْنَاءُ مدَّتْ كفَّها من حالقِ

وكأن ثغرك والنوى تَعْدُو بنا

شَفقٌ يلوحُ على نضيدِ زنابقِ

* * *

شفتاك في لُجِّ الخواطرِ لاحَتَا

كالشاطئين وراءَ لُجٍ ثائرِ

هما إذا التقتا على أغرودةٍ

خرساءَ في ظلِّ الجمالِ الساحرِ

إسْعادُ ملهوفٍ ونجدةُ غارقٍ

وعناقُ أحبابٍ وعَوْدُ مسافرِ

وبراءةُ الملَكِ المتوَّجِ حُسنه

بجمالِ رحمنٍ وطيبةِ غافرِ

* * *

صَحِبَ الحياةَ فآذَهُ استــصحابُها

ركبٌ على طُرُقِ الحياةِ كليـــلُ

خدعتْ ضلالاتُ الحياةِ تبيعَهـــا

والدَّرْبُ وَعْرٌ والطريقُ طويـــل

فتلفَّتَ الـــساري لِعَـــلٍّ لعينِـــه

يبدو صـــباحٌ أو يَلـــوحُ دليـــل

فبدا له نــورٌ وأشــرق مــتْرَنٌ

أَلِـــقٌ ورقْـــتْ جنـــةٌ وخَميـــل

* * *

لكِ في خيـــالي روضـــةٌ فينانـــةٌ

غَنَّى علـــى أغـــصانها شـــاديها

يَحْمي مغارسَها وَيَرْعَـــى نبتَهـــا

راعٍ يُجَنِّبُهـــا البلـــى ويقيهـــا

فإذا النوى طالَتْ عليّ وشَـــفني

جُرْحي وعاد لمهجَـــتي يُـــدميها

نَسَقَ الخيالُ زهورَها وورودهـــا

فقطفتُها وشَمَمْتُ عِطْرَكِ فيهـــا!

* * *

بعضُ الهوى فيه الـــدمارُ وإنمـــا

بعضُ النفوسِ على الدّمارِ حِرَاصُ

فيكونُ فيه القيدُ وهـــو تحـــرُّرٌ

ويكونُ فيه الموتُ وهو خَـــلاص

آمنتُ بالحبِ القـــويّ وحتْمِـــهِ

ما مِنْ هوايَ ولا هواكِ مَنَـــاص

إن كـــان داءٌ فالـــسقامُ دواؤُه

أو كانَ ذنباً فالْعِقَـــابُ قِـــصاص!

* * *

أصبحتُ والـــدنيا وداعُ أحِبّـــةِ

ودموعُ خِلاّنٍ وحـــزنُ رِفـــاقِ

فسخِرْتُ من صَرَخاتِهِمْ وبكائهم

لا دمعَ إلا الـــدمعُ في أحـــداقي

لا صوتَ إلاّ صوتُ حبّك في دمي

أصـــغي لـــه وأراه في أطـــواقي

متدفقاً مثل العُبـــاب ومُزْبِـــداً

متفجراً كالـــسّيْل في أعمـــاقي!

* * *

ساهرتُ أحلامَ الظلام وكلـها
أشباحُ هجرٍ أو طيـوفُ وَداع
مرّتْ مواكبُـه علـيّ بطيئـةً
وإلى الفناء مَشَيْنَ جِـدَّ سِـراع
حتى إذا سَفَكَ الصباحُ دمـاءَه
وهوى قتيلُ الليلِ بعد صـراع
أبصرتُ في المرآةِ آخر قـصّتي
ونَعَى بها نفـسي إليّ النـاعي!

*   *   *

يا ربِّ أرسلْتَ الأشعّةَ ها هنـا
وهناكَ تُشْرِقُ في الحِمَى والدُّورِ
ومن الشموسِ دفينةٌ في خاطري
مخبوءةُ الأضواء طـيَّ شـعوري
وأحسُّ في نفسي نقـاءَ سمائهـا
أصفَى بِرَوْنَقهـا مـن البلّـور
يارِبِّ أودعتَ الضّحى في مُهجتي
وأنا الذي أشْقَى بهـذا النـور!

خاطـــــــــرة

نـارٌ مـن الـشوق إثْـرَ نـار
فــلا هــدوءٌ ولا قــرار
إنــك لى مبــدأ وَعَــوْدٌ
منـك إلى صـدرِك الفـرار
يـا مرفـأ الـروحِ لا تَـدَعْنِى
بـلا دليـلٍ ولا مَنـار
مـوجٌ وريـحٌ وزحـفُ ليـلٍ
فمـن دمـارٍ إلى دمـار
إن أنتِ أخلفـتِ وَعْـدَ حبِّـى
لم تُـؤْوِنى فى الـديارِ دار
وليسَ لِى فى الهـوى اصـطبار
ولـيس لى دونـك اختيـار

ظـــــــــــــــــلام

لا تقل لي ذاك نجمٌ قـــد خبـــا
يا فؤادي كــلُّ شــيءٍ ذهبـــا
ذلك الكوكبُ قد كان لعـــيني
الـــسماواتِ وكـــان الـــشُّهُبا
هـــذه الأنـــوارُ مـــا أضْـــيَعَهَا
صِرْنَ في جَنْبِي جراحـــاً وظُـــبى
كلما أهْدَتْ شــعاعاً خَلّفَـــتْ
بعده ســـجناً ومَـــدَّتْ قُـــضُبا

* * *

قلتُ أسلوكِ وكم مـــن طعنـــةٍ
بالُمـــداراةِ وبالوقـــتِ تهـــون
فـــإذا حُبُّـــكِ يَطْغَـــى مُزْبِـــداً
كدفُوقِ السَّيلِ طُغَيانَ الجنـــون
وكذا تمـــضي حيـــاتي كلُّهَـــا
بـــين يـــأسٍ ورجـــاءٍ وظنـــون

ما على الهجر معينٌ أبداً

وعلى النسيانِ لاشيءَ يُعين

* * *

ذلك الحبُّ الذى فُزْتُ به

لا أبالى فيه ألوان الملامه

ذلك الشطُّ الذى ذُقْتُ به

بعد لُجِّ البحر أمْناً وسلامه

إنه مزَّق قلبى قسوةً

وسقانى المُرَّ من كاسِ الندامه

صارَ ناراً ودماراً فى دمى

وصراعًا بين قلبٍ وكرامه

* * *

ذلك الحبُّ الذى علَّمَنى

أن أُحِبَّ الناسَ والدنيا جميعا

ذلك الحبُّ الذى صوَّر من

مُجْدِبِ القَفْرِ لعينَىَّ ربيعا

إنــه بـــصَرى كيــفَ الســورى
هدموا من قُدْسِه الحِصْنَ المنيعــا
وجـــلا لى الكـــونَ فى أعماقــه
أعيُناً تبكـــى دمــاءً لا دموعـــا

* * *

لَمْ تُعينينى على صَرْفِ النَّــوى
آهِ كنتِ على الـــدهرِ أعَنْتِ!
قَــدَرٌ نكّــسَ منّــى هــامتى
آذنَ الـــدهرُ بِبَـــيْنٍ وأذِنـــتِ
وعجيبٌ أمــرُ حــبَ لم يَهُــنْ
هو لَوْ هانَ على نفسى لَهُنْـــتِ
لهفَ قلـــبى لهفــةً لا تنقــضى
كنتِ دنياى جميعاً كيفَ كُنْـــتِ؟

* * *

كنتِ فى برجٍ من النـــورِ علـــى
قمةٍ شــاهقةٍ تغــزو الســحابا

وأنسا منسك فَسراشٌ ذائـــبٌ

فى لُجَيْنٍ من رقيق الضوءِ ذابـا

فَـــرحٌ بـــالنورِ والنـــارِ معـــاً

طـــارَ للقمَّـــةِ محمومـــاً وآبـــا

آب مـــــن رحلتــــه مُحترقـــاً

وهو لا يَـــألوكِ حُبًّـــا وعتابـــا!

* * *

افرحي ما شِئتِ يا روحي افرحي

أنْشِدي ما نَقَلَتْهُ الطـــيرُ عَنّـــي!

واغنمي نَفْحَ الـــصَّبا وانتقلـــى

فى الصَّبا المِمْراحِ من غُصْنٍ لغصن

وعلى أيْكِكِ نَاغي كُـــلٌّ مـــن

مرَّ بالأيكِ ونادي كُـــلَّ خِـــدْن

لن يُحبوكِ كحبي! لـــن تَـــرَىْ

ضاحكاً مثلي ولا حُزْناً كحزني!

* * *

يا كتاب الحُـــسْنِ جَلَّـــت آيـــة

من جمـــالٍ وكمـــالٍ وشـــباب

زعمـــوا أنّـــىَ قـــد خلّــدتّها

باغـــانٍ وألحـــانِ العـــذاب

ما أنـــا شـــادٍ ولكـــن قـــارئ

سُوَراً من ذلك الحسْنِ العُجـــاب

لم أزلْ أقـــرأ حـــتى ســـجدوا

وَجَعَلتُ الخُلْدَ عُنوانَ الكتـــاب

*   *   *

: الأصـــدافِ والبحـــرُ أبى

قبلَ أن يُلقِـــى بِى المـــوجُ هُنـــا

سائلى الأعماقَ عـــن غوّاصـــها

أنـــا صَـــيّادُ لآليهـــا أنـــا!

إن هَجرْنا القـــاعَ والليـــلَ إلى

قِمَمٍ شُـــمٍّ وعِـــشْنا فى الـــسّنا

فَبِنا الأمـــواجُ والـــصخرُ ومـــا

يَـــرِخَ العاصـــفُ فى أعماقنـــا!!

*   *   *

عاصــــفٌ عـــاتٍ تمنّيـــت لـــه
هَدْأةً أيْـــنَ لـــه مـــا تطلـــبين
اســـألي عـــن مقلـــةٍ مخلـــصةٍ
خبأتْ رسْمَكِ في جَفْـــنٍ أمـــين
سهرتْ تَرْعاكِ مهمـــا لقيـــتْ
في سبيل العهدِ والـــودِّ المكـــين
أقسمتْ لا تـــسألُ النـــومَ ولا
تطلبُ الرحمة منه بعض حـــين!

* * *

بعدَ ما غـــوَّر نجمـــي ودليلـــي
ما مسيري دون تِرْبٍ وخليـــلِ؟
في طريق الشَّوكِ والـــصخر وفي
شُعَبِ الإرْهاق والكَـــدِّ الوبيـــل
الغريبـــانِ عليهمـــا التقيّـــا
يستعينان على الدَّربِ الطويـــل
ما انتفاعي بحيـــاتي بعـــد مـــا
ساقَكِ التيارُ في غـــير ســـبيلي؟

* * *

يـــا لِجَهْـــلِ اثـــنين أقـــدارَهما

آه يـــا ليتـــهما قـــد عَرَفـــا!

ما الـــذى نـــصنعُ بـــالعيشِ إذا

ما صَحَا القلبُ غريبـــاً وغَفَـــا؟

ما الـــذى نـــصنعُ بـــالعيشِ إذا

ما الـــسبيلان عليـــه اختلفَـــا؟

ما الـــذى نـــصنعُ بـــالعيشِ إذا

صارَ تَـــذْكاراً فأمْـــسَى أسـفا؟

*   *   *

عندما تُقْفِـــرُ دارٌ مِـــن رِفـــاقِ

ونُحِسُّ السمَّ فى كأسٍ وسَـــاقِ

عندما يكشِفُ بـــؤسٌ وجهَـــه

سافرَ اللَّعْنَـــةِ مفقـــودَ الخَـــلاقِ

عنـــدما نُمْـــسى بظِـــلِ عالِقـــا

وبخيطِ الوهم مـــشدودَ الوثـــاق

يا فؤادي انظرْ وفكـرْ وأفـقْ

أيُّ قَيْدٍ لك بالأحبـابِ بـاقِ؟

* * *

كل جِد عَبَثٌ والـدهرُ سـاخر

وخبيءِ السـرِّ للعيـنين ظـاهر

أدَّعـي أني مقـيمٌ وَغَـدًا

رَكْبيَ المُضْنَى إلى الصحراءِ سائر

عندما صافحتْ خـائنتي يـدي

وَوَشَى خافٍ من الأشجانِ سافر

كَذَبَتْ كـفٌّ علـى أطرافهـا

رِعْشَةُ البُعْدِ وإحساسُ المسافر!

* * *

يا ديارًا يومُهـا مـن سُـحُبٍ

وغيـومٍ وضَـبابٌ أُفْـقُ غَـدْ

كلّ نَبْـتٍ عبقـريٍّ أطْلَعـتْ

جعلتْ منـه طعامـاً للحسَدْ

أخْلَفَ الميثاقَ مـن كـان بِهـا
كلّ آمـالى فلـم يَبْـقَ أحـد
ضاعَ عمـرٌ وحـصادٌ وغَـدًا
من هشيم كلُّ ما كنتُ أُعِـد!

* * *

قُمْ بنا والكونُ جَهمٌ كالـدجى
نتَلَمَّسْ مـن جحـيمٍ مَخرَجـا
وانـجُ عنـه ببقايـا رَمَـقٍ
أو حُطـامٍ وقليـلٌ مَـنْ نجـا
لا تُدِرْ رأيـاً بـه أضْـيَعُ مَـن
فى لظـاه مـستعينٌ بالحِجـا
واسألِ الرحمنَ أن يُصْلِحَ عهـ
ـداً كسيحاً وزماناً أعْرَجـا

* * *

عشتُ وامتـدّتْ حيـاتى لأرَى
فى الثرى مَنْ كان قَبْلاً فى القمم

انهيار المُثُلِ العُلْيا وإنـــــــــــ
ــــــــكار آلاءٍ وكُفْرٍ بالقيمِ

مَنْ يَكُنْ عَـــضَّ بنانًــا نادمًــا
فأنـــا قَطَّعْــتُ إبهـــامَ النَّـــدَمِ

وإذا الْحَـــطَّ زمـــانٌ لم تَجِـــدْ
عاليًـــــا ذا رفعَـــــةٍ إلاَّ الأَلَمْ!

* * *

ضِـــحْكَةُ ســـاخرةٌ هازلـــة
وخيـــالٌ تافِـــهٌ هـــذي الحيـــاه

هذه الأُكْذُوبةُ الكـــبرى الـــتي
خُدِعَ النـــاسُ بهـــا واأســـفاه!

ذلَّ فيهـــا المـــالُ والجـــاهُ إلى
أنْ غدا أحْقَرَهـــا مـــالٌ وجـــاه

نحمـــد الله علـــى أنّـــا بهـــا
لم نَصُنْ مـــن ذلَّـــةٍ إلاَّ الجبـــاه

* * *

عَبَثًا أهْرُبُ من نفـــسي ومـــن

ذلك الساكنِ روحـــى والبَـــدَنْ

من لقلبٍ مُسْتطارِ اللُّـــبِّ مَـــنْ

كلما عـــاوده التَّـــذْكارُ جُـــنّ

أينما أمـــضى فحـــوْلى ذِكَـــرٌ

وحبيـــبٌ ومكـــانٌ وزمـــن

وربيـــعٌ دائـــمُ الخُـــضرةِ فى

روضة الـــنفْس وطَـــيرٌ وفَـــنَنْ

* * *

قـــصةٌ خالـــدةٌ لا تنتـــهى

وهى ما كان لها يـــومٌ ابتـــداءِ

أنـــا لا أدرى مـــتى كـــان ولا

أين عنـــد الله أســـرار اللقـــاء

حينما لاح شِـــهابٌ فى سمـــائى

أسمـــرُ النـــور رفيـــعُ الخُـــيلاء

عبقـــرىٌّ مـــسوحشٌ منفـــردٌ

متعـــالٍ قلـــقُ الأضـــواء نـــاءِ

* * *

هو في الأفقِ بعيــدٌ وهــو دانِ

هو لي نفسي وروحـــي وكيـــاني

مخطئٌ من ظَـــنٌ أنّــا مُهجتـــان

مخطئٌ من ظَـــنٌ أنّــا توءمـــان

هو شـــطرُ الـنّفسِ لا توءمهـــا

هو منها هـــو فيهـَــا كـــلَّ آن

نحنُ نـــبضٌ واحـــدٌ! نحـــن دمٌ

واحدٌ حتى الـــردى متّحـــدان!

وحيد

إني على كاسي أعيد السنين

وأبعث الماضي البعيدَ الدفين

وحدي وقد أقسمتُ لن تعرفي

وما الذي يجديك لو تعرفين؟

وما الذي يُجدي طعينَ الهوى

لَمْسُكِ يا هند جراحَ الطعين

أصبحتُ لا أدري شربتُ الطِّلَى

عند بكائي أم شربتُ الأنين

* * *

كم أزرع السُّلوان في خاطري

وكيف ينمو في مَحيلٍ جديب؟

بالخمر أسقيه وفي مسمعي

إرنانُ باكٍ وتشاكي حبيب

الجامُ يبكي لوعةً أم أنا

جامي غريبٌ وفؤادي غريب

واحيرتي تُرى أصُـبُّ الطّلـي

أم أنني فيه أصـبّ النحيب؟

* * *

يا إلْفَ نفسي لم يكن هـا هنـا

هـمٌّ لألـف وسـلوٌّ هنـاك

لم يَجْرِ همسٌ لـك في خـاطرٍ

إلاّ جرى عندي كـأني صـداك

ولم أكـن أعـرفُ لي مـطمعاً

إلا الـذي تذرفُـه مقلتـاك

أصونُ حزني لك حتى اللقـا

وأحبسُ الفرحةَ حتى أراك

* * *

إن كنت غنيتُ فـإني الـذي

وقفتُ ألحاني علـى سَرحَتك

حَبسْتُ هذا الصوتَ لم ينطلـقْ

إلا على حزنـكِ أو فرحتـك

خمائـلُ الـروض بأعطارهـا

لم تَـشْجُني إلاّ علـى نفحتـك

أنكرتُه طُموًا ولم أعترفْ
إلاَّ بطيبٍ جاء من جنسك!

* * *

وافرَحي اليومَ بحريتي
بأيِ ليلٍ مدلهمٍ أطير
رُدّي على قلبي قيودَ الأسير
وذلك الصبحَ الوضيء المنير
كم شعبٍ لاحت فلم تختلفْ
لأيّها نغدو وأنّى نسير
بعد سنِي الأنوار خلّفْتِ لي
جَهْم المساعي وخفيَّ المصير

* * *

علمتِ حالي؟ لا وحقّ الذي
صيَّرني أشفقُ أن تعلمي
هيهات تدرين انطلاقَ الهوى
كجمرةٍ نضّاحة الدم
هيهات تدرين وإنْ خلْته
وثْبةَ الهوى الضاري وفتكَ الظمي

وصـــارخاً كَبَحْتـــهُ في فمـــي

وطاغيـــاً كَبَلْتُـــه في دمـــي

* * *

لا انت تدرين وما مـــن أحَـــدْ

بواصفٍ حسنَك مهما اجتهـد

أو بالغٍ ســـرَّ الـــذكاءِ الـــذي

يكـــاد في لحظـــك أن يَتَّقِـــدْ

أو مدركٍ عمـــقَ المعـــاني الـــتي

في لمحـــةٍ عـــابرةٍ تحتـــشد

أو فاهمٍ فـــنَّ الـــصَّناعِ الـــذي

أبدعَ الاثنين: الحجى والجـــسد

أطـــــــــــــلال

يا من بواديه حَطَطْتُ الرحـــال

ورحَّبتْ بي وارفـــاتُ الظـــلال

بذلتَ أقصى ما يكون القِـــرَى

وما تمنّى طـــامعٌ مـــن منـــال

بسطتَ كالآبـــاد عمـــر المنى

لطـــامعٍ في لحظـــاتٍ قِـــلال

بنيــــتُ صحـــرايَ لم أتخـــذ

دينا سوى حبّك في كل حـــال

أمهلْ فـــؤادي ســـاعةً ريثمـــا

أخلعُ عن عيني قنـــاعَ الخيـــال

أمهلْ فـــؤادي ســـاعةً ريثمـــا

أخلعُ عن قلبي سرابَ الـــضّلال

فهـــذه الـــصحراءُ عريانـــةٌ

ممتـــدةٌ خانقـــةٌ كـــالملالْ

خليعـــةُ الطبــع علـــى كُتْبِهــا

عَرْبَدةُ الريح وكُفْــرُ الرمــال

هيهات للقلــب صَــلاةٌ بِهــا

ولا عليهـــا معبـــدٌ وابتـــهال

خلعتُ إيمــاني علــى شــكّها

وبدَّدَتْــه الــساريات الثقـــال

نادتنيَ الــصحراءُ وهــي الــتي

آدَتْ جحيمي في السنينَ الطّوال

تُريد ســرّي إن ســرّي هنــا

في مُغْلَــقٍ أســرارهُ لا تنـــال

قالت هذا الصمتِ مــا لم يقــلْ

وقلـــت بالزفرات مـــا لا يقال

ذنـــبـــي

أيكــون ذنــبي أن رفعـــــ

ـــتُك وارتفعتُ إلى الـــسماء؟

وعلــــى جناحـــك أو تجنـــا

حي قـــد رقيـــتُ إلى الـــصفاء

إن كـــان حقًـــا أو خيـــالاً

فهـــو وثْـــبٌ للـــضياء

وتحـــــرُّزٌ ممـــا جنـــاه

طـــينُ آدم في الـــدماء

أيكون ذنبي أن جعلـــــ

ـــتُك فوق عرشٍ من سناء

وجئـــتُ في محـــراب قُـــدْ

سك عابـــدًا هـــذا الـــروُاء

أيكـــون ذنـــبي أنـــني

بـــك أحتمـــي مـــن كـــل داء

وأراك عــــافيتي فأضـــــــــــــــ
ــــــــــرَعُ طالباً منك الشفاء
أيكـــــــــون ذنــــــبي أن أرا
كَ لخـــــاطري قَبَــــسا أضـــــاء
وأُحـــسُّ وحبَـــك مــــن عَـــلٍ
لي دون أهـــــل الأرض جـــساء
أيكـــــون ذنـــــي أن يُنـــــاط
بـــــك التعلُّــــلُ والرجـــــاء
وإليك شكوى القلبِ نجــــــــــ
ـــــــوى الروحِ أجمعَ والنــــداء
أيكون ذنبي أن حـــــــــــــــــــ
ـــــــسبُك لي من الــدنيا وِقـــاء
فإذا رضيت فإنّ نعمـــــــــــــــــ
ـــــــــــتَها ونقمتَها سواء؟
أيكون ذنبي .. أيّ ذنـــــــــــــ
ـــــــــب صار لي إلاّ الوفـــاء

إنّي عشقتك ما طلبــــــــــــ

ــــــــتُ على محبّتي الجزاء

مَنْ همُّه همّي سيحــــــــــــ

ــــــمل من حبيب ما يشاء

ولقـــد يُســاء فمـــا يَـــرى

مـــن حُبِّـــه أحـــدًا أســـاء

قـــد كـــان عنـــدي عـــزةٌ

بـــصبابتي ولي احتمـــاء

إن لاَنَ عـــودي للخطـــوب

شَـــدَدت أزري باللقـــاء

أنـــسيت كيـــف نـــسيت يـــا

دنيـــا علـــى الـــدنيا العفـــاء!

يـــا لَلْهـــوَى لا صُـــبح لي

إلاّ هـــواك ولا مـــســـاء

أشوامخُ الأحلام والـــــــــــ

مثـــلِ الرقيقـــة كالهبـــاء؟

الطائر الجريح

أيُّ جوادٍ قد كبا	وأيُّ سيفٍ قد نبا
تعجبتْ زازا وقد	حقَّ لها أن تعجبا
لما رأتْ فيَّ شحوبَ	الشمسِ مالت مغربا
وَهْيَ التي زانت مشيبي	بأكاليل الصِّبا
وَهْيَ التي قد علّمتْني	حين ألقى النُّوبا
كيف أُداري النائبَ إن	عضَّ وأخفي المخلبا
لاقيتُها أرقصُ بِشراً	وأُغنّي طربا
وَهْيَ التي هتّكت سِتْرَ	القلب مهما انتقبا
لا مغلقاً تجهله	يوماً ولا مُغَيّبا
في فطنةٍ تومضُ حتّى	تستشفَّ ما خبا
رأتْ وراء الصدرِ طيراً	قلقاً مضطربا
في قفصٍ يحلمُ بالأفقِ	فيلقى القُضُبا
إنَّ زماناً قد عفا	وإنَّ عمراً ذهبا
وصيّرتْهُ طارقاتُ	السقمِ وَقْراً متعبا
ورنّقتْ مورِدَهُ	أنّى له أن يَعذبا؟
إنِّي امرؤٌ عشتُ زماني	حائراً معذّبا

عشت زماني لا أرى   لخافقي منقلبا

مسافراً لا قوم لي   مبتعداً مغتربا

مشاهداً علَيَّ في   مسرحه أن ارقبا

رواية مُلّت كما   مُلَّ الزمانُ ملعبا

وظامئاً مهما تُتَحْ   موارد أن أشربا

وجائعاً لا زادَ في   دنياي يشفي السغبا

فراشة حائمة   على الجمال والصبا

تعرَّضت فاحترقت   أُغنية على الربى

تناثرت وبعثرت   رمادها ريح الصَّبا

أمشي بمصباحي وحيداً   في الرياح متعبا

أمشي به وزيته   كاد به أن ينضبا

وشد ما طال الصراع   بيننا واحربا

ريحُ المنايا تقتضيني   نسماتي الخُلّبا

وليس بالأحداث فيما   قيل أو ما كتبا

كالعمر والسقم إذا   تحالفا واصطحبا

لولاك ما قلت لشيء   في الوجود مرحبا

ولم أجد ركناً غنيّاً   بالحنان طيّبا

أنت التي أقمت مر   فوعَ البناء من هَبا

وإنني الصخرُ الذي	أردتِ أن لا يُغلبا
ويضرب البحرُ عليه	موجَه منتحبا
علمتِ يأسي وجنوني	وجهلتِ السببا
يا أمالي إنك يأسُ	القلبِ مهما اقتربا
يا كوكباً مهما أكن	من يُرجه مقرَّبا
فإنه يظل في السَّمْتِ	البعيدِ كوكبا
وأين مني قلبك	قد عزّني مطّلبا
ليس إلى خياله	إلا السهاد مركبا
أستبطئُ الريحَ له	وأستحثُّ الكتبا
ولو طريق حبّه	على القتاد والظُّبا
وقيل للقلب هنا الموتُ	فعُدْ تسلم أبى
إني امرؤٌ عشتُ زماني	حائراً معذَّبا
لا أحسِب الأيام فيه	أو أعُدُّ الحقبا
ضقتُ بها كيف بمن	ضاق بها أن يَحسبا
تغيّرتْ واختلفتْ	وسائلاً ومطلبا
وارتفعتْ وانخفضتْ	طرائقاً ومأربا
سلوتُ على الحالين حُمْلاناً	بها وأذؤبا
وشاكلتْ لناظري	سهولَها والهُضُبا
دخلتها غِرًّا وعدتُ	فانياً مجرِّبا

لا أسأل الأيام عن   أعمالها معقِّبا

إن كان هذا الدهر فيما   جرّه قد أذنبا

فإنه تاب وأدّى   وعدَهُ المرتقبا

لقاكِ ماحٍ للذنوب   كيف لي أن أعتبا؟

ضممتُ عطفيْكِ غداة   الروع أبغي مهربا

كم خفتُ من أن تذهبي   وخفتِ من أن أذهبا

كأن طفلاً خائفاً   في أضلعي حلّ الخبى

يضرب ما استطاع على   جدرانها أن يضربا

يكافحُ الأمواجَ أو   يصرعُ جيشاً لجبا

إن بَعُد الشطُّ فقد   آن له أن يقرُبا

أنتِ الحياةُ والنجاةُ   والأمانُ المجتبى

القمــــــــــة

يا أيها العالي الغفورُ الـصفوحِ
هل ترحم القمّةُ ضَعْفَ السُّفوح
تاجُــك في النــور غريـــقٌ وفي
عرشك غَنَّى كل نجمٍ صَـدُوح
وأين هامــاتُ الـــربى نُكِـسَتْ
من هامةٍ فوق مُنيفِ الـصُّروح؟
وأيــــــن أوراقٌ خريفيّـــــه
أرْجَحَها الشكُّ فمـا تـستريح
من باسـقٍ راسٍ بـــه خـضرةٌ
ثابتةُ الرأي علـى كـل ريـح
برِئْتَ من هذي الوهــاد الـتي
نَغْدُو علـى آناتِهـا أو نـروح
وأيـن في مبتـسماتِ الـذرَى
برقُ الأماني من وميض الجروح؟

أصْغِ لهذي الأرضِ واسْمع لما

تشكو: لمن غيرك يوماً تبوح؟

تطفو على طوفان آلامها

وأين في آلامها فُلْكُ نوح

أرْوَعُ شيءٍ صامتٍ في العُلى

أفصح مُفْصٍ بالبيان الصّريح

يُعَيِّرُ الأرض إذا أظلمتْ

بما على مَفْرقِه من وضوح

هل تسخرُ الحكمةُ مما بنا

من نزواتٍ وعنانٍ جَموح

حَمْقى، قُصارى كلِّ غاياتنا

عزمٌ مَهيضٌ وجَناحٌ كسيح

أعِدْ عدلَ الحقِ من ظلمنا

فكم على القِيعان نَسْرٌ جريح

ونازحٌ من قِمَمٍ في علٍ

أوطانهُ كلُّ سموقٍ طروح

أنتَ له كلُّ الحِسى المُرتجى
وكلُّ مَبْغاه إليكَ النُّزوح

ما النسرُ إلاَّ راهبٌ في العُلى
محرابُه وجهُ السماء الصبيح

وقلبُها السَّمْحُ فما حطُّهُ
على الثَّرى الجَهْمِ الدميمِ الشحيح

على الثَّرى حيثُ تسابيحُه
نوحُ الحَزانَى ونداءُ القُروح

مبتهلٌ باكٍ بدمع الأسى
على الليالي وسقيمٌ طريح

ما أتعسَ الأرضَ بعُبَّادها
تُبهجُ من أخلاطِهم ما تُبيح

قد أنكرَ الهيكلُ زُوَّارَه
وأصبحَ الديرُ غريبَ المُسوح

لم يعرف الجسمُ خلاصاً به
من كُدْرَةِ الطينِ ولم تَنْجُ روح

يا سيِّدَ القمَّةِ أنْصِتْ لنا

لا يعرفُ الإشفاقَ قلبٌ مُشيح

وانظرْ إلى السكِّينِ في ساحةٍ

قد زمجرتْ فيها دماء الذبيح

واسكبْ ندى الحبِّ بأفواهِنا

كم من بَكِيْ وظَمِيْ طليح

فربما يُشرِقُ بعد الضنى

وجهٌ مليح وزمانٌ مليح!

أيهـــا الغائـــب

أيها الغائـبُ العزيـزُ النـائي
فَسَدَتْ ليلتي وضـاع هنـائي
قَدري أنت ليس لي منـك بـدٌّ
في اعتكارِ السحائبِ الـسوداء
هذه الـشُّرْفَةُ الـتي جَمَعتنـا
يا حبيبي بوجهِـك الوضَّـاء
سألتْ عنـك فالتفـتُّ إليهـا
وبنفـسي كـوامنُ البُرَحـاء
قائلاً صَـهْ! باللّـه لا تسـأليني
فكلانا مـن دونِهـا في عنـاء
أين ذاك الوجهُ الذي يُرسلُ النو
رَ ويُوحي إشـراقُه بالـصَّفاء؟

شـــــك

تَشُكّين في حبي؟ لكِ الحقُّ إنــني
جديرٌ بهذا الظُّلْم والريبِ والشّكّ

خليقٌ بأن تَنْسَىْ هواى فتنطوى
سعادةُ أيامي التي ذُقْتُها منــك

إذا أنا لم أذْكُرْكِ في كل لحظــةٍ
وقصّرتُ لم أسألْ تَوانيها عنــك

إذا أنا لم أبْذُلْ شجاىَ وعَبْرَتــي
على كل وقتٍ ضائعٍ كنتُ لا أبكي

فلا حبَّ عندي أستلذُّ به الجوى
بما فيه من سقمٍ وما فيه من ضنك

أليلاىَ حبّي فيك حبٌّ مُوَحّـــدٍ
تَنزَّهَ عن ريبٍ وجلَّ عن الشِّرك

تَبَقّى بقاءَ القلب يَنبضُ دائمًــا
وليسَ لسلوانٍ وليس إلى تَـركِ

ليـــلــــــــــــة

وليلةٍ بات من أهــوى ينــادمني

ما كان أجمله عنـدي وأجملــها

بتنا على آيةٍ من حسنه عَجَــبٍ

كتابه من خفايا الخُلْــدِ أنزلَهــا

إذا تساءلتُ عمَّا خلْفَ أسطرها

رَنـــا إلى بعينيــــه فأوَّلَهــــا

مُصَوِّبًا سَهْمَه مُستشرفًا كبــدي

مُستهدفًا ما يشاء الفتكُ مقتلــها

يا للشهيدة لم تعلــمْ بمــصرعها

ما كان أظْلَمَ عينيــه وأجهلَــها

حتى إذا لم يَدَعْ منها سوى رمقٍ

عَدَا على الرَّمقِ الباقي فجنــدلها

وصَدَّ عنها وخلَّاها وقد دميَـــتْ

في قبضة الموت غَشَّاها وظلَّلــها

وكان من ليلة التوديع آخرُهـــا

وكان ذاك التلاقي الحُلْوُ أوّلهـــا

ضممتها لجراحاتي التي سَـلَفتْ

إلى قدمٍ خطايا قد غفرتُ لهـــا!

في الباخرة

أحبُّ أجَلْ أحبّ كأن نبعاً
سماويّاً تفجّر في دمائي
لقد طاب الوجود بحالتيه
شقائي فيك أجملُ من هنائي
وليلي فيك أحسنُ من نهاري
وصبحي فيك أجملُ من مسائي
فمفترقان فيه إلى لقاء
وملتقيان حتّى في التنائي
أميمةُ إنّ عمر الحبّ حقّاً
لأعجبُ آيةٍ تحت السماء
فما أدري لأيهما ثنائي
ثوانيه السّراعِ أم البطاء
أهذا الحُلم يمضي شبه لمحٍ
أم الأبدُ المديد بلا انتهاء؟
أتفكيري هناك أم انتظاري
لأروعِ هالةٍ حول البهاء

وأزهى من تثنى في حُلِىٍّ
وأبهج من تهادى في رداء
وأسنى من تخطَّر في دلالٍ
وأطهر من تعثر فى حياء
سيذكر ملتقانا النيلُ يومًا
غداةَ تُعَدُّ أيام السعفاء
وحيدٌ غير أنى في زحامٍ
من الآمال تَتْرى والرجاء
إلى أن لاح عرشُ النور منى
قريباً والهلالُ إلى اعتلاء
فمؤتلقٌ على أفقٍ بعيدٍ
ومنعكسٌ على فضِّىِّ ماء
كذلك أنت فى فكرى وروحى
سناك مع الهلال على سواء
وطيفٌ عبقرىٌّ في خيالى
وحيدُ الذات مختلقُ الرُّواء!

سِرْبي

أحبك فوق ما عشقت قلوبٌ
ولا أدري الذي من بعد حبي
وأعلم أن كُلّي فيك فانٍ
وعيني فيك ذائبةٌ وقلبي
وأعلم أن عندك من يُنادى
خفيًّا هاتفًا وأنا الملبّي
وأعلم أن حبي ليس يشفي
وبعدي ليس يُجديني وقربي
ولما لم أجد للحب حلاًّ
هتفتُ به كما يرضيك سِرْبي!
وخذني حيث هند لا تسلني
لأيةِ غايةٍ ولأيِّ دربِ!

الفـــــــــراق

يا ساعةَ الحـــسرات والعـــبراتِ
أعَصَفْتِ أم عَصَفَ الهوى بحياتى؟
ما مَهْرَبى ملأ الجحيمُ مـــسالكى
وطغى على سُبْلى وسَدَّ جهـــاتى
من أى حصنٍ قد نزعت كوامناً
من أدمعى استعصمن خلف ثباتى
حطمت من جبروتهن فقلـــن لى
أزفَ الفراق فقلتُ ويحك هاتى!

* * *

أأموت ظمآناً وتغـــرك جـــدولى
وأبيت أشرب لهفـــتى وولـــوعى
جفَّت على شفتى الحياةُ وحُلْمُها
وخيالُها مـــن ذلـــك الينبـــوع

قد هدَّنى جزعى عليك وأدّعــى

أنى غداةَ البَــيْن غــيرُ جَــزوع

وأريد أُشــبع نــاظرىَّ فــأنثنى

كى أستبينَك من خِلال دموعى؟

* * *

هان الردى لــو أن قلبــك دارِ

أموت مغترباً وصــدرُك دارى؟

يا من رفعتِ بناء نفسى شــاهقاً

متــهللَ الجَنَبــات بــالأنوار

اليوم لى روحٌ كظــلٍّ شــاحبٍ

فى هيكــل متخــاذل الأســوار

لو فى الضلوع أجلــتِ عينــك

أبصرتِ منّهارةً تبكى عل منهار!

* * *

لا تسألى عن ليلِ أمسِ وخطبِــه

وخذى جوابَك من شقىٍّ واجــم

طالت مسافتُه عليَّ كأنها

أبدٌ غليظ القلب ليس براحم

وكأنني طفلٌ بها وخواطري

أرجوحةٌ في لُجّها المتلاطم

عانيتُها والليلُ لعنةُ كافرٍ

وطويتُها والصبحُ دمعةُ نادم

ليلـــــــة العـــــــيد

اليوم منك عرفتُ سر وجـــودى

وعرفتُ من معناك معنى العيـــد

ما كنت بالفانى وسرُّك حــافظى

وبعقليك ضَمِنْتُ كلَّ خلــودى

الآن أعرف ما الحيــاة وطيبُهــا

وأقول للأيّام طبــتِ فعــودى!

عاد الربيع على يديك وأشرقت

روحى وأورق في ربيعك عودى!

كذب السراب

البحرُ أسألهُ ويسألني
ما فيه من ريٍّ لظامئه
متمرِّدٌ عاتٍ يضلِّلني
كَذِبُ السَّراب على شواطئه

* * *

كم جال في وهمي فأرّقني
أربٌ وأين الفوزُ بالأربِ؟
وسرى بأحلامي فعلَّقها
فوقَ السُّهى بلوامعِ الشهبِ

* * *

في يقظةٍ منّي وفي وسنٍ
صَرْحٌ بذُرْوَتِهِنّ متّحدُ
الفجرُ والسحر المخضَّبُ من
لَبِناتِه والقمّةُ الأبدُ

* * *

واهاً لمضاف الظلِّ وارفه
قضَّيت عمري في توهّمه

لمّـا طلعـت علـى مـشارفه

آيقنـتُ أني فـوق سُـلّمه

* * *

ومن العجائب في الهوى اثنـان

لم يـضربا للحـبّ ميعـادا

ومحيّـرُ الأفهـام لحظـان

قَـرَآ كتابَهمـا ومـا كـادا

* * *

سارا فمذ وقف الهـوى وقفـا

يتبـادلان الـشوقَ والـشغفا

عرف الهوى أمراً ومـآ عرفـا

مَن ذلك الداعي الـذي هتفـا

* * *

قَـدَرٌ علـى قـدرٍ تلاقينـا

كـلُّ الـذي أدري وتـدرينا

أنّـا أطعنـاه مُلبّينـا

من أنت؟ من أنا؟ مـن يُبَيّنـا؟

أنت

إن كنتِ عارفةً وواثقةً

وبعمق هذا الحبِّ آمنتِ

فثقي بأنك ستبقي أبداً

وصلاةَ روحي حيثما كنتِ

إن كان لي في الدهر أمنيةٌ

منشودةٌ أمنيتي أنتِ

قيثارة الألم

إن حان لحنُ الختام
صار النشيدُ دعاء
مرّ الهوى في سلام
فلنفترقْ أصدقاء
سرٌّ وراء الظنون
أظلّق وأضاء
لم أدر ماذا يكون
ولم أسَلْ كيف جاء

* * *

ما بين ضحك الرِّياح
وقهقهات الغيوبْ
ولّى خيالٌ وراح
وحلَّ ظلٌّ غريب

* * *

يا ذنبُ فات المتاب

لما تحطّم صرحي

مالي عليها عتاب

إني أعاتب جُرحي

* * *

وهذه قيثاري

ذاتُ الشجي والأنين

وهذه أوتاري

أصوتِ لا تطربين؟

* * *

ياكم شدوتُ بلحني

ما بين حزني ودمعي

ما باله طيَّ أذني

لكنْ غريباً لسمعي

حلـــــم الغـــــرام

لا حبَّ إلاّ حيث حــلَّ ولا أرى
لي غير ذلـــك موطنــاً ومقامــا
وطني على طــول الليـــالي دارُه
مهما نأى وهواي حيث أقامــا
والأرضَ حين تــضمُّنا مأهولــةٌ
لحظاتهــــا معمـــورةٌ أيّامـــــا
لافرق بـــين شـــمالها وجنوبهـــا
فهما لقلـــبي يحمـــلان ســـلاما
وهما لعهدي حافظـــان وقلّمـــا
حفظ الزمان لمهجـــتين ذمامـــا
وإذا بكيتُ فقد بكيـــت مخافـــة
من أن يكون غرامُنـــا أحلامـــا
ولربما خطـــر النّـــوى فبكيتـــه
من قبل أن يأتي البعاد ســـجاما

ثـــلاث ســـــــنين

ثلاث ســـنين أم ثـــلاث ليـــالِ

هي البرق أم مرَّتْ كلمح خيالِ؟

وما كان هذا العمرُ إلاّ صحائفاً

تلاشت ظلالاً رُحن إثر ظـــلالِ

وما كان إلاّ أمسِ لقيـــاكِ إنّـــه

لأثبتُ ما خـــطّ الزمـــانُ ببـــالي

وما العمر إلا أنت والحب والمنى

وما كان باقي العمر غيرَ ضلالِ!

عدنا وعدت

عُدنا وعُدتِ وعادتْ | إن الحظوظَ أرادتْ
وبالعجائب جاءتْ | وما بذاك غريبَةْ

* * *

إن الغريب التماتي | فإن فيه شفاتي
وإن أردت دوائي | داري الهوى وطيبه

* * *

أنت المنى والعبادةْ | وليس عندي زيادَةْ
يا هند هذي شهادَةْ | لو أنها مطلوبَةْ

* * *

وأنت مني كنفسي | هواك يومي وأمسي
وأنتِ جهري وهمسي | صديقةٌ وحبيبَةْ

المقعد الخالي

هـمٌّ أناخ فما انجلى
وخلا مكانُك - لا خلا!
ليل الحياة وكان ليـ
ـلي في الهواجس أطولا -
كم لحظةٍ في الصدر نا
شبةٍ كحزّاز الكلا
كالرُّقْس فارغةٍ وإن
حفلت بإيحاشِ البلى
في إثْرِ أخرى لم تكن
إلاّ كجرداء الفلا
يسرحْنَ بي من وحشةٍ
وقتلتُهن تململا
وجُنِنَّ من قلقي عليـ
ـك وكيف لي أن أعقلا؟
قد رِشْنَ لي سهماً يحا
ول من يقيني مقتلا

فتعرّض الماضي الجميـــــــــــ

ـــــــــلُ بوجهــه متـهللا

فلوى عنانى فالتفـــــــــــ

ــــــــتُّ فلم أجد لى مَـوْئِلا

إلاّ دروعَ اليـــــــــأس إنّ

اليــــأسَ أيـــسر محمــــلا

يقتـــــادنى فــــأردّه

عـن خــاطرى وأقـــول لا!

يا هند إن يك قلبُك الســـ

ـــــوافى تغيّـــرَ أو ســـلا

وحـــصدت آمـــالى فـــإنّ

المــوتَ أرحــمُ مـــنجلا

رحلـــــــــة

نقلتُ حياتي والحياة بنـا تجــرى
من الحُلْــم المعــسول للواقــع المــر
فيا منتهى فنّي إلى منتـــهى الهــوى
على ذِرْوَة بيضاء في النــور والطهــر
عرفتك عرفان الـــسّماء ولم تكــن
سوى هَمَسات النجم ما جال في صدرى
وغامت خطوط السفح حتى نسيتها
وحتى توارى السفح من عــالم الــذكر
وفي القمم الشمّاء حلّقتُ حائمــاً
وأنتِ في أعلـــى شـــواهقها وكـرى
ولم يبق إلا أنــت والجنَّـــةُ الــتى
زرعنــا وكلّلنـــا بيانعـــة الزهـــر
ولم يبق إلا أنت والنــسمةُ الــتى
تهبُّ من الفــردوس مــسكيَّةَ النــشر

ولمْ يبقَ إلا أنت والزورق الذي
ترنّح منساباً على صفحة النهر

فيا منتهى مجدي إلى منتهى الغنى
غنى الروح بعد الضّنْك والذلِ والفقر

أعيذك أن أغدو على صخرةٍ لَقًى
وكنتِ مَجنّي في مقارعة الصخر

أعيذك بعد التاج والعرش والذي
تألق من ماسٍ وشعشع من تبر

أعيذك من رِدّى إلى سَفَهِ الثرى
وحَطّته بين الأكاذيب والغدر

أعيذك أن تنسي ومن بات ناسياً
هواه فأحرى بالنُّهَى عقم الفكر

إذا ما ذكرتِ العمر يوماً تذكري
هوى وزماناً لا يتاحان في العمر

فيالك من حلم عجيبٍ ورحلةٍ
تعدّتْ نطاق الحُلْم للأنجم الزُّهر

وياللك من يــوم غريــب وليلــةٍ
عَفَتْ وعفت عن ظلم روحين في أســر
ويا لك من ركــن خَفيــيّ وعــالِمٍ
خَفيـــيٌ غــنيٌ بالمفـــاتن والـــسحر

وياللك من أفــقٍ مديــد ومولــدٍ
جديـــدٍ لقلبينــا ويالــك مــن فجــر
عرفتك عرفـــان الحيــاة أحــسَّها
وأبصرَها من كــان يخطــو إلى القــبر
عرفتـــك عرفــان النــهار لمقلـــةٍ
مخـــضّبةِ الأحـــلام حالكــةِ الــذعر
رأت بك روح الفجر حين تبيّنــت
بيـــاضَ الأمـــاني في أشـــعّته الحمــر
بيَ الجرحُ جرحُ الكون من قبل آدم
تغلغل في الأرواحِ يَــدْمى ويستــشري
تولّته بالإحــسان كــفٌّ كريمــةٌ
مقدســـةُ الحـــسنى مباركـــةُ الــسرّ

فإن عدتُ وحدى بعد رحلتنا معــاً
شريداً على الدّنيا ذليلاً علــى الــدهر

رجعت بجرحى فاغرَ الفــم داميــاً
أداريه في صمت ومــا أحــدٌ يــدرى

هو العيش فيه الصبرُ كاليأس تــارةً
إذا انهارت الآمال واليــأسُ كالــصبر

عرفتكِ كالمحراب قدســاً وروعــةً
وكنتِ صلاة القلب في السرّ والجهــر

وقد كان قيدى قيدَ حبك وحــدَه
أنا المــرء لم أخــضع لنــهْيٍ ولا أمــر

وأعجبُ شيء في الهوى قيدُك الذى
رضــيتُ بــه صــنْوًا لإيمــانَ الحــرّ

بَرِمْتُ بأوضاع الورى كل أمــرهم
وســيلةُ محتــاج ومــسعاةُ مــضطرّ

برمت بأوضاع الورى ليس بينهم
وشــائج لم تُوصَــلْ لغــايٍ ولا أمــر

إذا كان ما استنُّوا وما شرعوا القِلَى
فذلك شرعُ الطــين والحمَــإ المُــزرى

تمرّدتُ لا أُلوِي على ما تعوّدوا

ونفسي بهذا الشوع عارمةُ الكفر

وَهَبْ مَلَكي الغالي الكريم وحارسي

تخلّى فما عذر الوفاء وما عذري؟

عشقتك لا أدري لحبيَ مبدأً

ولا منتهى حسبي بحبّك أن أدري

إذا شئتِ هجرانا فما أتعس المدى

من النور للّيل المخيّم للحشر!

شــــــــعرة

وشـــــعرةٍ خطفتُهـــــا كـــــأنني قطفتُهـــــا
ملكتُ ملكَ الدهرِ وحــــــدي حينمــــا ملكتُهــــا
إذا الريـــاحُ نازعـــــتني أمرَهـــا ضـــممتُها
بقبـــــضتيَّ خائفـــــاً إذا اعتـــــدتْ رددتُهـــــا
وفي مكـــــانٍ لـــــيس في بـــالِ جَــــرى خبّأتُهـــا
خبأتُهـــــا حيــــث إذا جُـــــنَّ الهـــوى رأيتُهـــا
حبـــستُها قـــرب عيـــوني إن أشـــأ نظرتُهـــــا
كأنمـــا في بـــصري ومقلـــــتيّ أخفيتُهـــــا
هـــذي لـــديَّ صـــورةٌ مـــن حالنـــا جلوتُهـــا
أنـــست كهـــذي الـــشعرة الـــسمراء مـــذ عرفتُهـــا
أقـــسم بالحـــب وهـــا تيـــك الـــسنين عـــشتُها
كـــأنني في جنـــة الـــــفردوس قـــد قـــضيتها

يـــوم الجمعـــة

أصبحتُ يومَ الجمعة ... ذا غربة ما أضيعهْ !
منفرداً لا خل لي ... وأين مَنْ قلبي معهْ؟
ضاقت بي الأرضُ فما ... في فُسحة الكمون سَعَةْ
أقطع يومي مُطْنِباً ... كأنني لن أقطعَهْ
إني امرؤٌ يُفضي إلى ... أزمانه المرقَّعَهْ
يَلُمُّ من شتاتها ... بجهده ما وسعَهْ
فلا يصيبُ غيرَ ما ... أمّلهُ وصدَّعهْ
يا هند من يُعيد لي ... آمالي المزعزعهْ؟
وإنّ يوماً واحداً ... حبالُه مُقطّعهْ
فكيف لو مرّ بنا ... ثلاثةٌ أو أربعهْ؟
قلبي خلا من نسمة ... مشرقةٍ مُرَصّعهْ
طالعةُ اليوم بها ... كأنه قد ودّعهْ
إن عاشه دونك يا ... هند تمنى مصرعهْ

تعلّة

هكذا كلُّ جميلهْ … ليس لي في الغدر حيلهْ
أَنْجُ منها وامضِ عنها … أخذتْ قلبَكَ غيلهْ
بعد هاتيك الليالي … المطمئنات الظليلهْ
بخلتْ ليلاك حتى … بالتعلاّت القليلهْ
لم تدعْ للقلب من طول … التباريح وسيلهْ
لم تدعْ للقلب ما يشفي … من الوجد غليلهْ
لم تدع إلا رفيقاً … من نسيمٍ في خميلهْ
وخيالاتٍ يُداوي … طيفُها نفسي العليلهْ
والرسالاتِ اللواتي … والأكاذيبَ النبيلهْ

مــــن لـــــي؟

أناشدك الهوى هل أنتِ مثلي ... نهاري فيكِ أشجانٌ وليلي
زمـانٌ لا يفـارقني عـذابي ... ولازمني الشقاءُ بـه كظلّي
كأن الليلَ أصبح لي مداداً ... أسَطر منه آلامي ويُملي
حياتي فيه قفرٌ بعد قفرٍ ... وعمري فيه كالأبدِ المُملّ
أبعد جوار هندٍ والأماني ... أكابد جمرةَ النجمِ المُطلّ
أحبكِ لا أملٌ لقاكِ يوماً ... ومن لي بالذي يُدنيكِ من لي؟
أحبكِ لست أدري سرّ حبي ... وعلمي فيه أشقاني كجهلي
أقول لعلَّ هذا الدهرَ يصفو ... ويا أسفاه لو تُغْني لعلّي
أحاول سلوةً وأرى الليالي ... بغيرِ هواكِ لي هيهات تُسلي

في لبنان

قلبٌ تقسَّم بين الوجد والألمِ
هل عند لبنانَ نجوى النيل والهرمِ؟
أشكو جواي إلى الرُّوح التي احتضنت
ناري وضمَّت إلى أسقامها سقمي
وقاسمتني الهوى حتى إذا رحلت
ألقت فؤادي بضنكٍ غير مقتسم
ميثاقنا أسطرٌ من مسدمعٍ ودمِ
يا طاهر النفحة اذكر طاهر القَسم
يا من أعاتب دهري إذ أودِّعه
وما عتابي على الأقدار والقسمِ
إنّ النوى غرَّبته وهي عالمة
أني رجعت أُداري النار بالضرمِ
ورنّحتْ بعده خطوى وما عرفت
من عثرة الحظِّ أم من عثرة القدم

خلَتْ وران عليها الصمت وانقلبت
كأنما لَفّها ثوبٌ من العدمِ

بالله أيامَنا هل فيك منتفعٌ
ونحن من سَأَمٍ نمشي إلى سَأَمِ؟
وما أُرقّعُ ثوباً فيك منخرقاً
لكن أُرقِّعُ جُرحاً غير ملتئم

فــــي نسـم النسـيم

أنت يا مــن جعلــت روض حيــاتي
مهســد ورد إليـــك وردك وُدًا
آيةُ الــورد أنــه نفحــةٌ منــــــ
ـــك ومن عطرك العبيرَا استمدَّا
هـــذه باقـــةٌ مـــن الـــورد تجثــو
مَلَكٌ في الريــاض أصــبح عبــدًا
يا جمال الجمال من خلّد الحـــــــ
ـــن جميعاً في نظرةٍ منــك تُنْــدى؟
يا صباح الصباح من يَمْلكُ الأضــــ
ـــواء وصفاً أو الفرائد عَــدًّا؟
ليس بدعاً يــا وردة العمـــر أن كــا
نت لمغناك وردةُ الــروض تُهــدي
لا تظنــــي ورداً يكــــافئ ورداً
أنت أغلـــى حســناً وأكــرم وردا
غير أني وإن عجزت عن التقــــــ
ـــدير حاولتُ ما تمكّنــتُ جهــدا

باعثاً للوفاء ورداً وللقلـــــــــــــــــــ

ـــــــب إلى أعمـــق الـــسرائر ودّا

وإلى العيـــــد أنـــــت عيــــدٌ لأيـــا

مي جميعاً أنـــت الحبيـــبُ المُفـــدّى

في العيد

أفدي نهارا طلعت فيه ... نجم جمال ونجم سعد

إني لهذي العيون عبد ... والدهر إما رضيت عبدي

إن كان عيد به وورد ... فأنت عيدي وانت وردي

يا خير من مر في وجودي ... إنك كل الوجود عندي

عندي خفي من الأماني ... أضعاف ما جئت فيه أبدي

معذرة في القليل إني ... والله أعيا الكثير جهدي

يا فتنتي والهوى ديون ... حسبي إني له أؤدي

ما أنت من أنت هل مجيب ... على سؤال بغير رد

لم يخلق الله من جمال ... يلقاه في سني بسرد

حسن قصاراه من شفاه ... عطر ثناء وطيب حمد

ويخلق الله معجزات ... يجمعها كلها بفرد

كسحرِ عينيك كيدَ باغٍ ... وسحر عينيك للتحدي ...

رثـاء كلب صغير

قالت "لميكي" سِرْ بنا　　　نمشي لحاجتنا الهُوَيْنى
فأطاع مسروراً كعادته　　　ولم يسأل لأيْنا

* * *

فيم السؤال وكل شيءٍ　　　طَيِّبٌ من أجلها
وبنفسه حتّى قُصاراه　　　الحياةُ بظلها
ماذا تغيّر عزّة　　　أو ذلّة في حبها
سارت وكلُّ متاعه　　　في أن يسير بقربها

* * *

يستاف نعليْها ويأبى　　　في الوجود مُنافسا
فإذا تخيّل دانياً　　　من تربْها أو لامسا
يختال مِلْءَ نُباحه　　　زَهْواً ويخطرُ حارسا!

* * *

عجباً له ولزهوه　　　ما يصنع الواهي الصغيرْ؟
ما يصنع التابعُ الضعيفُ　　　وما يُخيفُ ولا يُجيرْ؟

* * *

لكــنّ "ميكـــي" لا يبــالي أن يمــــــوت فــــــداءها
في وثبـــه هيهـــات يــسأل مـــــا يكـــــون وراءهـــــا

* * *

الأمـــــرُ كـــــلُّ الأمـــــر أن يغـــــدو يــــــدافع دونهمـــــا
والـنفس تُنكـــر في الـضحيَّة عقلـــــــــــها وجنونهـــــــــا

* * *

مــن ذلــك الظــلُّ الملازم في الحيـــــاة وفي الطريـــــقْ؟
المخلـــــــصُ الــــــوافي إذا عَـــــزَّ المنــــادمُ والرفيـــقْ

* * *

مــــن قلبُــه صــاف وديدنُــــه الــــــــولاءُ المطلــــــــقُ
فكأنمـــــا فيـــــه الــــولاء ســــــــجيَّةٌ تتــــــــدفقُ

* * *

وإذا أُســـيءَ فـــإن أسمـــى الحـــبّ أن يُبــدي رضـــاءَهْ
والصفح عنـــد ذوي القلـــوبِ البـيضِ مـــن قبــل الإســاءَهْ

* * *

مهمـــا نظـــرت لـــه نظـــرت إلى مَعـــين مـــن حنـــان
يُفــضي إليـــك بــسره الــذَّنبُ الــصغير ومقلتـــان!

* * *

لا بأس إنْ هند جفت		وقست أليست رئتَه؟
أقْصتْهُ ثم تلفّتت		ترجو إلَيها أوْبته

* * *

زَجَرَتْه أو نهرته أو		كفَّتْ على جُسرِمْ يده
فهي التي لم تَنْسَهُ		والأكل ماءُ المائده

* * *

وهو الذي في بعدها		لم يألُها طولَ ارتقاب
يقظان ينتظر المآب		وثَوى يُراقب خَلْف بَاب

* * *

هند التي اتّخذته من		دون الخلائق إلْفَها
بحثت عن الإلْف الصغير		فلم تجده خلفها
ميكي! وما ميكي ومصرعُه		على الدنيا جديد
نفسٌ يذوب وصرخةٌ		تدوي هنالك من بعيد
وتلفّتت هندٌ لموضعه		تغالب وَجْدَها
لا شيءَ. قد سارت		برفقته وتوجعُ وحدها

* * *

خرجت به جذلانَ يضحك		مثلما ضحك الصباح
فكأنّما خرجت به		ليُلاقيَ القَدَر المُتاح

* * *

سارتْ بـــه صـــبحاً وعـــادت بـــــالمواجع والـــــدموع
يغدو الحـــزينُ علـــى الأســـى وأشـــقٌ شَـــطْرَيْه الرجـــوع

خطاب

قَبَّلْتُ خطَّك ألْفَا
ولم أدَعْ منه حرفا
قد كنتِ توأم قلبي
وكنتِ في الغيبِ إلْفا
يا هند ما الحسن إنِّي
أُجِلُّ حسنك وصفا
رأيته بخيال
على جمالك رَفَّا
وكيف أُخفي اشتياقي
ما بيننا ليس يَخْفَى!

آه

آه مــــــن ميْــــــة آه ثم آه

وحبيـــــب ســــحرتني مقلتـــاه

لو تمنيتُ قُبيْــل المــوت مــاذا

أتمـــنى؟ قلــت تقبيـــل ثــراه!

أتمــنى المـــوت مـــن مقلتــــه

ما الذي يمنع أن أشــتاق فــاه

آهِ مـــــــن ميـــــــة آه ثمّ آه

وحبيبٍ عـــزّني اليـــوم لقـــاه!

في ليلة غسارة

يا ميَّةَ الحسناء هل يغزو الهوى
قلبيْن ما كانا على ميعاد؟
لاشيءَ إلاّ أن ذُكرتِ فهزّني
طربٌ وبات على الحنين فؤادى
وظللتُ أحلم والتفتُّ لساعة
تدنو إليَّ بطيفك الميّاد
يا ميّ إنى قد فُتنت بظلمة
والليلُ يجثم فوق صدر الوادى
فأنرتِ لى قلبى وصرتُ كأنما
هذا السواد الجَهْمُ غير سواد

سمراء المحفل

مَلَكي ومحرابي وقدْ — سَ فؤاديَ المتبتِّلِ
لمسُ الجمالِ الفخمُ يسرْ — فُلُ في الغلائلِ والحُلي؟ !
متألقاً في خاطري — متألقاً في المحفلِ
آقبِلْ بما ولّت به الدنيا — وهاتِ وعلِّلِ
وابسط جناحكَ فوق — قلبيْنا الغداةَ وظلِّلِ
طِرْ حيث شئتَ فبانْ دنوتَ — لناظري فتمهّلِ
واهاً لهذي الطلعةِ السمراءِ — عند التجلّي
بغلائلِ الأضواءِ وشّتها — رِقاقُ الأنملِ
وشّت بشاشتها نضارةُ — وجهِك المتهلّلِ
فكأنّ طفلَ الفجرِ نامَ — على وسادةِ جدولِ!

روض الحســـــــــن

في أي روضٍ من رياضك أمرحُ

وبـــأيِّ آلاءٍ لـــديكِ أُســـبّحُ؟

ثـمـرٌ علـــى ثمـــرٍ وإن الُمجْـتني

ليحار من عذب الجنى ما يطرح

بالـــشعر أم بـــالمقلتين معلّـــقٌ

من ناظرى وخواطرى لا يـبرح

تلك المحاسن في نُهـــاى جميعهـــا

رقافـــةٌ ومغـــرّداتٌ صُـــدَّحُ

فإذا غفوتُ فإننى أُمـــسي بهـــا

وعلى مغانيها الفـــواتن أُصـــبح

قلبـــــي النــــاتـــــى

أحببتُ ميّـةَ حـــب لا يُعادلـــه

حبٌّ وأفنيت فيها العمر أجمعــه

أُحببُ عمرى الذى فى قرب ميَّ وما

قد مرَّ من دونها ما كان أضــيعه

يا ميّ يا قلبيَ النائى أعـــيش بـــه

وإن يكن فوق ظنّى أننــى معـــه

يا بضعة من كيان الصبّ نابضةً

بكل حبٍ به الـــرحمن أودعـــه

مـــا أضيـــع الصـــبر

ما أضيع الصبر فى جُرح أداريــه

أريد أنسى الذى لا شيء يُنسيه

وما مجانبتى من عاش فى بــصرى

فأينما التفتــتْ عــينى تلاقيــه

مــا حيلتـــــى

ما حيلتى يا هند وجهك لاح لى

بأنوثـــــةٍ جبّـــارة الطغيـــــان

يا هند أين رجـــولتى وعــزيمتى

فى قرب وجــه ســـاحرٍ فتّـــان؟

وأنا حزينٌ ظامىءٌ قــد جــدّ لى

وردٌ وراء قميصــــه شــــفتان!

يـــــا نسيـــــم البحـــــر

يا نسيم البحر ريـــانَ بطيـــب

ما الذى تحمل من عطر الحبيب؟

صافحتنى مـــن نواحيـــك يــدٌ

تمسح الدمعة عن جفن الغريـــب

وتلقّـــانى رشـــاشٌ كالبكـــا

وهدير مثل موصـــول النحيـــب

ذات ليلـــــــــــــــــة

بين ســـهدٍ وعـــذابٍ وضـــنى

مــرّ ليلــي. ذاك حــالى وأنـــا

أسأل الأنجم عــن حــال المـــنى

يا حبيبى كيف صــارت بيننـــا

كيف أمسى يا حبيبى عهـــدنا

بعد ما طــاب هوانــا، ودنـــا

كلُّ مـــا كـــان بعيـــداً، ورنـــا

كلُّ نجمٍ من سمـــاوات الســـنا؟

آه لــو ينظـــر حـــالى الآن آه

حينما ضاقت بــآلامى الحيــاه

ندم النجمُ علــى غـــالى ســـناه

ورأى كيـــف انطوينـــا قطـــواه

إلى هـــــــند

غرامـــك لى معبـــدٌ طـــاهرٌ

دعائمه شُـيِّدتْ مـــن ولـــوعى

تعهـــدتُ محرابـــه بالوفـــاء

وأوقدتُ فيه الهوى من شموعى

جوانبه مـــن دمـــوعىَ قامـــت

وأضلعه بُنيـــتْ مـــن ضـــلوعى

ومن ذا رأى هيكلاً فى الوجـــود

يُقام على عمـــدٍ مـــن دمـــوع؟

يـــــا دار هـــــــند

إني لأقنع مـــن ظـــلال أحـبّتي
بحنان أخت أو بكـــفّ مـسلّم
وبجلسة طابست لـــدىّ بغرفـــة
حملت عبير الغائــب المتوسّـــم
يا أخت هنـــد خبّريهـــا أنـني
صـــبٌّ يعـيش بمهجـــة المتـــألم
صبٌّ سئمت من الحياة بـــدونها
أنا لا أحـــبُّ إذا أنـــا لم أسـأم
ومضي النهار ولا نهـــار لأنـــه
يمتدُّ عندي كـــالفراغ المظلــم
يا دار هند إن أذنـــت تكلّمـــي
يا دارها عيشي لهنـــد واسلمي
فدمي الفداء لحبّ هندٍ وحـــدها
وأنا المقصر إن بذلت لها دمـــي
ولقد حلفت لها ودمعي شـــاهدٌ
أني فنيت علمت أم لم تعلمــــي!

شــــفاعـــــة

لا تَمْحُ رَوْعَتَهَا بـــذكر فعالهـــا

دعها تمرُّ كمـــا بـــدت بجلالهـــا

لا تنكرنَّ الشمس عند غروبهـــا

أوَمَا نعمت بـدفئها وظلالهـــا؟

إن كان فاتك مجدها رَأْدَ الضُّحى

فاحمد لها ما كان مـــن آصالها

قســـــــــوة

قَسَتِ الحياة على الطّرِيـــــــــ
ـــــــــد فهم بنا تنْعَى الحياه
وقسا الحبيب على الغريـــــــ
ــــب فلا الدموع ولا الصّلاه
فــــزغ الحــــديث ومـــن رواه
طُوِيَ الكتـــاب فمـــن طــواه؟
عجبـــاً لهـــذا الحـــب مـــن
بـــــدء الزمــــان لمنتــــهاه
وقـــضاته بـــين الـــذى
حفــظ الوفـــاء ومـــن ســـلاه
قتلـــى الهـــوى لا يُـــذكرون
ولا حـــساب علـــى الجنـــاه

محنة

هي محنةٌ وزمانُ ضِيقْ
وتكشَّفَتْ عن لا صديق
جرَّبتُ أشواكَ الأذى
وبلوتُ أحجارَ الطريق
وكأنَّ أيّامي السحق
من مصرعٍ ليست تفيق
وكأنَّ موصول الضنى
يَمْتاحُ من جُرْحٍ عميق
زرعٌ على طَلَلٍ فما
أبداً لصاحبه رفيق
هذا الذي سَقَت الدموع
وذاك ما أبقى الحريق

الحب والربيع

جدِّدي الحبَّ واذكري لي الربيعا
إنني عشت للجمال تبيعا
أشتهي أن يلفّني ورق الأيك
وأثْوِي خلف الزهور صريعا
آه دُرْ بي على الرِّفاق جميعاً
واجعل الشمل في الربيع جميعا
لا تقل لي اشتر المسرّة والجاه
فإني حُسْنَ الربي لن أبيعا
فلغيري الدنيا وما في حماها
إنني أعشق الجمال الرفيعا
أنا من أجله عصيت وعَذَّبْ
ـتُ وأقسمت غيره لن أطيعا
وبطيبِ الربيع أقتات زهراً
وعبيراً ولا أكابد جوعا

فَهْوَ حسبي زادًا إذا عفَت الدُّنـــ

ـــيا وأَقْوَت منازلاً وربوعَــا

إلى ابنتــي ضوحيــة

يامن طلبت الشعر هاك تحـيّتي
وهواي يا روحي ويا ضـوحيّتي
يُرادُ تفصيلٌ لما عنـدي وكـم
قلبٍ وموجز أمره في لفظـة
لكنما فن الـشعر وردٌ أحبـةٍ
يُهدى فهاك قصيدتي بل وردتي
والشعر روضٌ يـانعٌ وعـبيره
سارٍ إلينـا مـن عـبير الجنّـة
وأراك روضـة رقـةٍ ومحاسـنٍ
هل روضةٌ تهدي البيان لروضة؟
فإليك يا أغلى عزيز يـا ابـنتي
وأحبَّ من تصبو إليـه مهجـتي
تذكار والـدك المحـبّ وديعـةً
فإذا ذكـرت فهـذه أمنـيّتي
والخطُّ مثل الرسم إن يوماً نـأى
رسمي فللأثـر العزيـز تلفّـتي

غيـــــــوم

أمـــلٌ ضـــائعٌ ولـــبٌّ مـــشرَّد
بين حبٍّ طغى وجُــرحٍ تمـرّد
وضلالٌ مـشت إليـه الليـالى
هاتكـــاتٍ قناعــه فتجـــرّد
وبـــدا شـــاحبًا كيـــوم قتيـــلٍ
لم يكد يلـثم الـصباح المـورّد
غفر اللّــه وهمهــا مــن ليــالٍ
صوّرت لى الربيع والروض أجرد
قاسمتنى الورقاء أحــزان قلــبى
وشجاه وغَــرَّدَتْ حــين غــرّد
ثم ولّتْ والقلب كــالوتر الـدا
مى يتيمُ الدموع واللحن مفــرد
ما بقــائي أرى اطّــراد فنــائي
وانتــهاني في صــورةٍ تتجــدّد

ورثائي وما يفيد رثائي

لأمانٍ شقيةٍ تتبدّد

عبثاً أجمع الذي ضاعَ منها

والمنايا منّي ومنها بمرصد

وبقائي أبكي على أملٍ بالٍ

وأحنو على جريحٍ موسَّد

واحتيالي على الكرى وبجفنيَّ

قتادٌ ولي من الشوك مرقد

وشكاتي إلى الدجى وهو مثلي

ضائعٌ صبحه ضليلٌ مسهَّد

وشخوصي إلى السماء بطرفٍ

وندائي بها إلى كل فرقد

فجعتني الأيام فيه فلم يَبْـ

ـقَ على الأرض ما يسرُّ ويحمد

ذهبت بالجميل والرائع الفخـ

ـم وطاحت بكل قدسٍ ممجَّد

مال ركنٌ من السماء وأمسى

هلهلَ النسج كلُّ صَرحٍ مُمرَّد

ربِّ عفواً لحيرتي وارتيابي

وسؤالٍ في جانحي يتردّد

هو همس الشقاء ما هو شكٌّ

لا ولا ثورةٌ فعدلك أخلد

أين يا رب من قبل حينْي

ألتقي مرةً بحلمي الأوحد؟

بخليلٍ ما ردَّه كيدُ غمّام

ولم يَثْنِه وشاة وحُسَّد

وحبيبٍ إذا تدفّق إحساسي

جزاني بزاخرٍ ليس ينفسد

وعناقٍ أحِسُّه في ضلوعي

دافقاً في الدماء كاليمِّ أزبد

ذهب العمر

قضيتَ العمر تذكر لي　　وأذكر في الهوى جرحكْ
فقم نسخرْ من الأملِ　　ومن أعماقنا نضحكْ!

* * *

وقم نسخرْ من الدنيا　　وقم نَلهُ مع اللاهي
طويتُ صحيفة الأمسِ　　فَدَعْها في يد الله

* * *

هي الدنيا كما كانت　　وماذا ينفع الوعظُ
وما عتبتْ ولا خانتْ　　ولكن خانك الحظُّ

* * *

أردنا الجاهَ والذهبا　　فلم يتلطّفِ المولى
وهذا العمرُ قد ذهبا　　وأحسن ما به ولّى

رباعيات

صيرك الحسن أميرَ الوجود والشعر من دراته كللك
مستلهماً منك معاني الخلود فكل تاجٍ في العلى منك لكْ

* * *

فَناهبٌ برقَ الثنايا العذابْ وسارقٌ ياقوتةً من فمكْ
وكل تغريد الهوى والشبابْ أغْنيةٌ حامت على مبسمكْ

* * *

وذلك الماس الرفيع السنا والجوهر الغالي الذي صدته
أرفع من فكر الورى مَعْدِنا وكل فضلي أنني صُغته!

* * *

لا فكر لي، عشتُ على فكرتكْ أقبس ما أقبس من غُرّتكْ
ودمعتي تقتات من عبرتكْ فانظر بمرآتي إلى صورتكْ

* * *

أشقاني الحبُّ وقلبي سعيدْ يَعُدُّ هذا الدمع من أنعمكْ
أجزل ما كافأ هذا الشهيدْ بلوغُه المجد على مُسْلمكْ

* * *

لا شيء من يوم النّوى منقذي ... إني امرؤٌ عنك وشيك المسيرْ
وأنت باقٍ والجمال الذي ... غنّى به شعري ليومي الأخيرْ

* * *

انظر إلى آيات هذا الجمالْ ... ترتدُّ عنها عاديات البلى
عاجزةً الباع ويأبى الزوالْ ... لوردةٍ من عَدْنٍ أن تذبلا

* * *

للأنفس الظمأى إليك التفاتْ ... ولهفةٌ ملءَ اللّحاظ الجياعْ
ولي التفاتٌ لسريّ الصّفات ... واللؤلؤِ اللمّاح خلف القناعْ

* * *

قلبي مع الناس وفكري شَرودْ ... في عالَمٍ رَحْبٍ بعيد الشّعابْ
عيني على سرٍّ وراء الوجود ... وبغيتي عرشٌ وراء السحابْ!

* * *

كم طرت بي واجتزت سورالضبابْ ... والضوء ملءُ القلب ملءُ الرحابْ
وعدت بي للأرض أرض السّرابْ ... والليلُ جهمٌ كجناح الغرابْ

* * *

أريْتني الغيبَ الذي لا يُرى ... كشفتَ لي ما لا يراه البصرْ
ثم انحدرنا نستشفُّ الثرى ... علّ وراءَ التُّرب سرَّ السفرْ

* * *

صدري وسادٌ زاخرٌ بالحنانْ   تصوُّري أعجبُ ما في الزمانْ
موج علـى لُجَّتـه خافقـان   قَرّا على أرجوحـة مـن أمانْ

* * *

كمركب في البحر يومَ اغتربْ   ما أبعد المحنة بعد اقترابْ
هيهات يُنْجي من شطوط العذابْ   إلاّ عبابٌ دافقٌ في عبابْ

* * *

ملأتُ كاسي وانتظرتُ النديم   فما لساقي الرُّوح لا يُقبلُ
شوقي جحيمٌ وانتظاري جحيم   أقلُّ ما في لفْحه يقتلُ

* * *

أنت كريمُ الودِّ حلوُ الوفاءْ   فما الذي عاقَكَ هذا المساءْ؟
وما الذي أخَّر هذا اللقاءْ   وحرَّم النبع وصدَّ الظماءْ؟

* * *

أذمّ هذا الوقت في بُطْئه   آخره يعثرُ في بَدْئه
لله ما أحمل من عِبْئه   وما يُعاني القلب من رُزْئه

* * *

تدقُّ فيه ساعةٌ لا تدورْ   وإن تَدُرْ فهو صراعُ اللغوبْ
رنينها يقلق صمَّ الصدورْ   وطَرْقُها يقرع بابَ القلوبْ

* * *

يا ذاهباً لم يشْفِ مني الغليلْ ... ما أسرعَ العقربَ عند الرحيلْ
هتفتُ قف لم يبقَ إلاّ القليلْ ... وكلُّ حيٍّ سائرٌ في سبيلْ!

* * *

يومٌ تولّى أو ظلامٌ سجا ... كلاهما بالقرب منك انتصارْ
أأحمدُ اليومَ تلاه الدُّجى ... أم أحمدُ الليلَ تلاه النهارْ؟

* * *

إنْ نوّرَ النجمُ به مرّةً ... فإنّ إشراقَكَ لي مرّتانْ
وكيف يُبقي الشكُّ لي حيرةً ... ولي على برجِ المنى نجمتانْ؟

* * *

فهذه تلمعُ في خاطري ... ملءُ دمي إشراقُها والبهاءْ
وهذه تُومِئُ للساهرِ ... والليلُ صافٍ وأديمُ السماءْ

* * *

وهذه تجلو كثيفَ الغيومْ ... وهذه تدرَأُ عنّي الهمومْ
وتمحقُ الحزنَ وتأسو الكلومْ ... فما الذي أجرى دموعَ النجومْ؟

* * *

هيهات أنسى دُرَّةَ الأنجمِ ... إليَّ من آفاقِها ترتمي
وفي جريحٍ أعزلٍ تحتمي ... من أيّ هولٍ؟ هي لم تعلمِ!

* * *

إنْ ضلوعاً تحتمــي في ضــلوعْ مقادرٌ ليس لهـا مـن رجــوعْ
أخلدُ أصفادَ الجوى والـتروعْ هوى الحزاني وعنـاق الـدموعْ

* * *

رضيت بالدهر على ما جَنَى وأُبْتُ بالحكمـة بعـد الجنــونْ
ومــرَّ يــومي هادئـاً سـاكنا وأيُّ شيءٍ خـادع كالـسكونْ

* * *

أرنو إلى الصحراءِ حيث الرمالْ نامت كأنْ اللفحَ فيهـا ظـلالْ
يا ليت لي والدهر حالٌ وحـالْ من وقدةِ الإحساسِ بعضَ الكلالْ

* * *

فاقبــلْ الــدنيا علــى حالهـا مــسلّماً بالغــدرِ في آلهـا
وراضــياً عنــها بأغلالهـا محــتملاً وطــأة أثقالهـا

* * *

الرُّعْبُ ســيّان بها والأمـانْ والحـسنُ زادٌ سـائغٌ للزمـانْ
والوهمُ في حالاتهـا كالعيـانْ والحبُّ والكـرهُ بهـا توأمـانْ

* * *

وَددْتُ لو قلبي كهذي القفـارْ أصمُّ لا يسمع مـا في الـديارْ
أعمى عن الليلِ بها والنـهارْ ووددتُ لو قلبي كهذي القفـارْ

* * *

وددتُ لو عنديَ جهلُ الثرى		تُعْمُر أو تقفر هذي البيوتْ
غفلانَ لا يعنيه أمرٌ جرى		أيولدُ الحيُّ بها أم يموتْ

* * *

وليلةٍ تمضي وأخرى وما		جئتَ فهل ألهاك عني أحدْ؟
ما ضاء من ليلاتنا أظلما		والسبت خدّاعٌ بها كالأحدْ

* * *

يمتلئ السطحُ على ضيقهِ		والوقت عندى كانفساح الأبد
حسدته والقلبُ فى ضيقه		أنا الذى لم أدْرِ طعم الحسد

* * *

وذلك (الجاز) وهذا النغمْ		منتقلاً بين الرضا والألمْ
يحمل لي طيفَ خيالٍ قَدِمْ		تراه عيني في ثنايا حُلُمْ

* * *

في واحةٍ يرسو عليها الغريبْ		فكلٌّ ما فيها لديه غريبْ
وهكذا الدنيا خداعٌ عجيبْ		إذا خلت أيامُها من حبيبْ

* * *

وهكذا يومٌ ويومٌ سواه		ينكرها القلبُ الصَّبورُ الحمولْ
وهكذا يذهب طيبُ الحياهْ		بين التمني واعتذار الرسولْ

* * *

هنا مهادُ الحبِّ هل تذكرينْ وها هنا بالأمس طاب السمرْ
وتلك آحلامُ الهوى والسنينْ يحملها التيّارُ فوق النهرْ

* * *

والقمرُ الفضيُّ بين الغيومْ يخفق كالمنديل عند الوداع
يا حسرتا! هل صوّرتهُ الهمومْ كالزورقِ الغارقِ إلاّ شراعْ

* * *

قد جللته غيمةٌ عابرةْ تسحبُ أذيالَ الأسى والندم
وأغرقتهُ موجةٌ غامرةْ فأطبق الصمتُ وَرَانَ العدمْ

* * *

ضممت أضلاعي على نعشه فلم يزلْ فيها هاوٍ شعاع
لأيِّ غورٍ زالَ عن عرشِهِ وغاص في اللجِّ إلى أيِّ قاعْ

* * *

أرنّي لحظٌ الأفق وهو الذي يرمقني بالنظرة الساخرةْ
وهرب الأنجمُ هذي وَذي ويجثم الليلُ على القاهرةْ

* * *

ويزحف الكونُ على خاطري كأنه في مقلة الساهر
سدٌّ من الرُّعبِ بلا آخرِ يعبُ عَبَّ الأبسدِ الزاخرِ

* * *

وفي ظلالِ الموت موتِ الوجودْ وخلفَ أطلال البلى والهمود
وبين أنفاس الرّدى والخمودْ وتحت سُحْبٍ عابسات وسودْ

* * *

تدفعني عاصفةٌ عاتيهْ تقصف من خلفي وقُدّاميَهْ
قد مزّقت روحي وآماليَهْ وقرّبتْ لي طرَفَ الهاويهْ!

* * *

تلمع في الظلمة أحداقُها قد رحّبتْ باليأس أعماقُها
شافية النفس وترياقُها مشتاقةٌ أقبل مشتاقُها

* * *

قد كان لي عندك عزُّ الذليلْ وكان للآمال ومضٌ ضئيلْ
يلمع في ظنّي قبل الرحيلْ فانطفأ النورُ ومات القليلْ

* * *

فداك يا جاهلةٌ ما بِيَهْ قلبي وأنفاسي الظّماء الحِرارْ
وكيف أنسى ليلتي الداميَهْ ولهفتي ألْهَثُ خلف القطارْ؟

* * *

وعودتي أجرع كأسَ الحياه مُعاقراً سُمَّ الفناءِ البطيءْ
أُنْكِرُ أو أفزعُ ممن أراه سيان من يذهب أو من يجيءْ

* * *

وليلـــةٍ فاضـــت بوسواســـها تعجبُ من إلْفَين بـــين البَـــشَرْ
ذلك يِعـــدو خلـــفَ أنفاســـها وهـــذه تتبـــع ســـيرَ القمـــرْ

* * *

تتبعه بـــين الــرُّبى والـــشِّعابْ لتبعه يسري خـــلالَ الـــسحابْ
كم هَلَّلَتْ وهو يضيء الرِّحابْ والتفتَتْ محسورةً حـــين غـــابْ

* * *

وذلك الطفل اللهيف الغيـــورْ في فَلَكٍ من ضوء ليالـــي يـــدورْ
يقفو خطاها وهي بين الطيـــورْ لهـــا جناحـــان مـــراحٌ ونـــورْ

* * *

كزورق يعـــبرُ بحـــرَ الوجـــودْ لـــه شـــراعان ولحـــظٌ شَـــرُودْ
كم شرّقا أو غرّبـــا في صـــعودْ وارتفعا حتى كـــأن لـــن يعـــودْ

* * *

ليلى ارجعي إني شقيٌّ كئيـــبْ أهتف مفقودَ الهُـــدى والقـــرارْ
يا هاته الأوطـــان إني غريـــبْ وعالمي ليس هنـــا يـــا ديـــارْ!

* * *

تـــركتني وحـــدي وخلفـــتني أرزح تحت المبْكيـــات الثقـــالْ
أنكـــرتِ ميثـــاقي وأنكـــرتني أكُلُّ ماضـــينا وليـــد الخيـــالْ؟

* * *

فرغت من أحلامـــه وانطـــوى بِعُـــرِّه وارتحـــتُ مـــن عذبـــهِ
الأمرُ ما شئتِ فـــذنب الهـــوى على الـــذي يكفـــر يومـــاً بـــهِ

* * *

كـــان إلى الله ســـبيلي ومـــا كان إلى الإيمـــان دَرْبٌ ســـواهْ
وكان في جُرح الهوى بلـــسما وكان عندي منحـــة مـــن إلـــهْ

* * *

مهما تكن ناري فإنّ الجحـــيم أرافُ بي من ظلم هـــذا البعـــادْ
وربُ هـــمّ مُقْعِـــدٍ أو مقـــيمْ قد لطّفَتْـــهُ نـــسماتُ الـــسوادْ

* * *

فخفّت النـــارُ وقـــرّ الهـــشيمْ وعـــاودتني الـــذُّكَرُ الغـــابرهْ
والنيلُ يجري هادئـــاً والنّـــسيمْ معربـــدٌ في الخُـــصَل الثـــائرهْ

* * *

كم هتف الأيامُ: خانت فَخُـــنْ ويح حيـــاتي إنْ تَخُـــنْ أمـــسها
إن هنتُ هذا عهـــدُها لم يَهُـــنْ ولا لياليهـــــا وإن تنـــــسها

* * *

تُهيب بي الفرصةُ قبل الفـــواتْ ويعرض الـــصَّيدُ فـــلا أقـــنصْ
إنيَ امرؤ زادي على الذكرياتْ وما غـــلا عنـــديَ لا يـــرخصُ

* * *

ومطلب في العمر ولّى وفات وكان همّي أنه لا يفوتْ
كأن فجراً ضاحكاً فيّ ماتْ وملءُ نفسي مغربٌ لا يموتْ

* * *

في السأم الحيُّ الذي لا يَبيدْ والأملِ الطاغي بأن ترجعي
أجدِّدُ العيش وما من جديدْ وأدّعي السلْوان ما أدّعي!

* * *

كم خانني الحظُّ ولا أنثني أقضي زماني كلّهُ في لعلْ
وتقسم المرآة لي أنني رَقَعْتُ بالآمالِ ثوبَ الأجلْ

* * *

قد فاتني الصيفُ وخان الربيعْ وكان همّي كلُّه في الخريفْ
وما شكاتيَ حين شملي جميعْ وأنت لي أيكٌ وظلٌّ وريفْ

* * *

والآن قد مزّق عندي القناعْ موتُ الأباطيل وزحف الشتاءْ
وبدّد الوهمَ وفضَّ الخداعْ بَرْدُ المنايا وشحوبُ الفناءْ

* * *

وأسِفَ القلبُ لكنزي الذي غَصّتْ به أفئدة الحُسَّدِ
صحوت من وهمي ولا كنز لي قد صَفِرَتْ منها ومنه يدي

* * *

أيـن زمـانٌ مُكـتسٍ يومُـهُ   بالحبِّ مَوْشِـي بحُلْـم الغـدِ؟
مـن هاتـه الأيـام محرومـةٌ   عرياتـة الآمـال والموعـد

*   *   *

قد قتل الـدهرُ هنـائي كمـا   ماتت بغوى ضحكات السعيد!
وربمـا رقَّ زمـانٌ قـسا   فانعطف الجـافي ولان الحديـدْ

*   *   *

محقـق الآمـال أو واعـدٌ   بفرحـة يـوم لقـاء وعيـدْ
فإن يَعـدْنِي ثـار شـكّي بـه   كأنما وعـد الليـالي وعيـدْ!

*   *   *

وا أسفا هـذا سـجلٌ كُتِـبْ   خطَّتْهُ كـفُّ القـدَرِ المحتجـبْ
ففيم عَـوْدي لقـديم الحقَـبْ   وفـيم تَـسآلي عمّـا ذهـبْ؟

*   *   *

ضاقت بنا مصرُ وضـقنا بهـا   وكلُّ سهلٍ فوقها اليوم ضـاقْ
وضاقتِ الدنيا علـى رحبِهـا   أين نـداماي وأيـن الرفـاقْ؟

*   *   *

كفٌّ تَلُمُّ العمـرَ والعُمـرُ راحْ   وقبضةٌ تجمـع شمـلَ الريـاحْ
لا حُبٌّ بـاقٍ ولا ظـل راح   ليـلٌ تـولّى وتـولّى صـباحْ

*   *   *

هذا نهارٌ مات يا للنهارْ كل مساءٍ مصرعٌ وانهيارْ
مال جدارُ النورِ بعد انحدارْ وغابتِ الشمسُ وراءَ الجدارْ

* * *

وذا مساءٌ صبغتُهُ الهمومْ بلونها القاني وهذي غيومْ
تحومُ والظلمةُ فيها تحومْ تبسطُ مهداً ليِّناً للنجومْ

* * *

كأنَّ ثوباً في السماءِ احترقْ فلم يزل حتى استحال الأفقْ
ظلٌّ دخانٍ أو بقايا رمقْ ولَمْ يعُدْ إلاَّ ذيولُ الشفقْ

* * *

وتزحفُ الظلماءُ زحفَ المُغيرْ حاجبةً ما دونها كالستارْ
وكلُّ حيٍّ وادعٌ أو قريرْ ما اختلفَ الشأنُ ولا الحظَّ دارْ

* * *

العيشُ أمرٌ تافهٌ والمنونْ والحكمةُ الكبرى بها كالجنونْ
وهكذا تمضي وتمضي السنونْ وهكذا دارتْ رحاها الطحونْ

* * *

في شجْوِها حيناً وفي طَحْنِها سينقضي العمرُ وأين الفرار؟
وثورةُ الشاكين من طحنِها نوحُ الشظايا وعتابُ الغُبارْ!

قصائد من «ديوان ناجي»

الديوان الـرابـع للشاعـر

جمعـه وحققـه وقـدم لـه

أحمد رامي　　　　صالح جودت

أحمد عبدالمقصود هيكل　　　　محمد ناجي

* صدرت الطبعة الأولى من «ديوان ناجي» عام ١٩٦١م، والقصائد التالية هي التي أضافها المحققون إلى هذا الديوان وعليها تعليقات مذيلة بحرفي «ح. ت».

إلـــــى أمينـــة

أرَباه أنقذني فأنت رميتـــــني بقلب على الأشواك والدم مشاءِ
«أمينــة» هذا ما أتاني كتبته وعندك أخباري وعندك أنباتـــي

---

* قرأ الشاعر - وهو جالس على شاطئ كليوباترة مع صديق له - رسالة بعثت بها كاتبة تسمى «أمينة ...» تقول فيها: قرأت قصيدة للشاعر زكي مبارك مطلعها:

أرباه انقذني فأنت رميتني بقلب على عهد الأحباء بكاء

وهي تريد تغيير عجز هذا البيت: فكتب ناجي هذين البيتين.

** هذان البيتان نشرا في مجلة «العالم العربي» في ثنايا مقال لمنقولا يوسف بعنوان «آثار أدبائنا بين الصيانة والضياع» - راجع عدد مايو عام ١٩٦٠ «ح. ت.»

إلـــــى أمــــيرتنـــــا

إقبلي يا «أميرةَ» اللطف حبي

واقبلي من أبيك هــذا الكتابــا

إجعليه ذكرى له، واجمعي الآراء

فيـه واسـتكتبي الأصــحابَا

جعل اللّه كـلّ عمـرك عيـداً

وربيعــاً منــضَّرا وشــبابَا

** أميرتنا هي السيدة أميرة إبراهيم ناجي، الابنة الكبرى للشاعر، والأبيـات التي كتبها .. كتبها في عيد ميلادها الرابع عـشر - ١٠/ ٤/ ١٩٤٦ - «ح. ت.»

تحـــــت البـــــــاب

أقبلتُ أطرق منـزل الأحبابِ
ودسستُ هذا الشعر تحت البابِ
أترى أكون بثثتُ شوقي كلّـه
وشرحت حالي يا أولي الألبـابِ
ياجارة «الوادي» إذ الوادي أخي
وكريم «إحسان» ولطف صحابِ
قسماً بموصـولِ المـودة بيننـا
هذي الزيارة لم تكـن بحسابي
قد يجمع الله الشتيتَ ويلتقـي
نائٍ بنـاءٍ بعـد طـولِ غيـاب

---

* ذهب الشاعر لزيارة بيت أخيه محمد، وعند خروجه عرج على جارته الشاعرة زينب محمد حسين وطرق الباب فلم يجدها، فترك لها هذه الأبيات (عن مخطوطة عندها).

عجبًا!

يا هاجري، يا من هجرتَ بلا سببْ
أترى العقاب بغير إثم قد وجبْ؟
عجبًا لقرص الشمس في البيت احتجبْ
عجبًا .. لأعجب ما يكون من العجبْ

بعـــد اعــــــتزال الأدب

صديقي "سعفانْ" ألفَ ســلام ولازلـــتَ صـــاحبيَ المرتقـــبْ
ستعجبُ من صـــورتي هـــذه ألم تـــر أنّـي اعتزلـــتُ الأدبْ؟

---

* كتب الشاعر هذين البيتين على صورة له أهداها لصديقه «السيد مجد الدين سعفان» خلال الفترة التي اعتزل فيها الشعر، وقد بدا له يومئذٍ أن صحته قد تحسنت بعد اعتزال الشعر. وتاريخها ١٦ - ٦ - ١٩٣٥.

أمير الكمان

«تحية لأمير القيثارة سامي الشوا»

آه من لحنٍ سماوي   عجيب النغماتِ
أيها الساحر لم تضرب   بقوس، بل عصاة
يا أبا الفن المصفى   هات ألحانك هات
في شطوط النيل، مهد الفن؛   مهد المعجزات
"الصّبا" في ريح "لبنان"   رقيق النفحات
"وحجاز راقص أو   هات من "شط الفرات"
نحن أبناء المعالي   نحن أبناء الغزاة
غننا لحن أبينا الشرق،   واهتف بالحُماة
هاتِ لحنَ الشرق .. ما   أجدره بالعبرات
هو أرض المجد، أرض الخـ   ـلد من بدء الحياة
هات لحن الشرق هات..   هاتِ لحن الشرق هاتِ
رُبّ لحن قدسيٌّ   من جنان الخلد آتِ
جعل الأرواح في هيـ   ـكله مزدحمات
حشدَ العالم كالعُبّاد   قاموا للصلاة
جَمَعَ الناسَ على   الحبِّ وأدنى من شتات

شـــــــــفاء .. وشــــــفاءٌ

إن يكن "مظهــر" يــا زيـــــــــ ـــــــنب ربّ المعجـــــزات
مبْــضعٌ بآســو ويـــشفي في الأكــــف الـــشافيات
وفــتى كالملَسك الــساحر حلــــــوُ الكلمـــــــات
ولــــه مجـــد الجــــدة يـــن وأقـــدار الثقـــات
فــوق أخـــلاق كريـــات رقـــاق محـــــسنات
إنـــه يَـــشفي . . . وتَــشفي زينـــبٌ بالبــــسمات
أبــداً دأبكمـــا الخالـــد بعـــــثٌ للحيــــاة
ومـــسير الرحمـــة الكبــــ ـــرى كمـــا في النـــسمات
فاهنـــآ . . إنكمـــا حقـــا ســـــواء في الـــسمات

---

* نظم الشاعر هذه الأبيات ردا على أبيات أخرى من الروي نفسه للشاعرة زينب محمد حسين، تمتدح بها الدكتور مظهر عاشور، وفي البيت الأول إشارة إليها.

وقد عثرنا على هذه الأبيات في عدد ٢٩ مايو سنة ١٩٥١من جريدة البلاغ ..

تحيـــــة لضـــوحيـــــــة

إليــــك يــــا ضـــــوحيتي　　أبعـــــــث بالتحيـــــــة

تحيـــــــةً مــــن قلمـــــي　　ومثلهـــــا مـــــن مهجـــــتي

إنـــــــك كــــــالزهرة في　　جمالهـــــــا والرقـــــــة

تقبلـــــي مــــن روضـــــة الأ　　شـــــعار خـــــيرَ زهـــــرةِ

عبيرُهـــــا خـــــواطري　　وملؤهــــــا محبـــــــتي

** ضوحية إبراهيم ناجي – ابنة الشاعر – «ح.ت»

حُــــــبان

كرقــــة طبعـــك، كالنـــسمةِ

ومن شاطيء البحر، صَــوْحيَّتي

أزف إليــك جميـــلَ البيــان

وأوجـــــز حـــــيَ في لفظــــــةِ

أحبك حُــبَّين .. حــب ابــنتي

وحــــي لمـــا فيــك مـــن رِقــةِ

---

* أبيات أرسلها الشاعر من الإسكندرية لابنته ضوحية.

لمـــــــن الصمـــــت؟

لمن الصمتُ والفـؤاد المـشرّد | أين من أسكر الربى حين غـرّدْ؟
طائر . . أم رأت عيون الأماني | حُلُماً مثـل غـيره قـد تبـددْ
أم قناع قـد مزقتـه الليـالي | عن هوى دون طائـل فتجـردْ
وبـدا شـاحباً كيـوم قتيـلٍ | لم يكد يلـثم الـصباحُ المـورْدْ
ليت شعري، إلام إطراق رأسي | وانحنائي على جـريح موسـدْ؟

---

* وجدت هذه الأبيات بين أضابير ناجي على بطاقة طبية، ويبدو أنها المحاولة الأولى في نظم «غيوم» الواردة بهذا الديوان، بدليل تكرار بعض الأبيات في القصيدتين.

** قصيدة «غيوم» ضمن قصائد ديوان «الطائر الجريح» والبيت الرابع من الأبيات الواردة هنا هو نفسه البيت الثالث في قصيدة غيوم ومطلعها:

أمل ضائع ولب مشرد | بين حب طغى وجرح تمرد

«ح. ت»

القريــــة

حبذا الريف والخلائق فيه　　ضاحكات الوجوه تفترّ سحرا
من يراه وقد تبيّن فيه　　زمراً في الزّحام تحشر حشرا
يحسب الضيق آخذاً في حماه　　بخناق، ويحسب القوم أسرى
وهم النور والمحبة والقلب　　طليقاً مع النسائم حُسرا
منظر تلمح البساطة فيه　　وترى طيبةً وبشراً وطهرا
منظرٌ تلمح السعادة فيه　　لا تقل لي أرى شقاء وفقرا
انظر الجرة التي خلقوها　　وانظر النيل ضاحكاً مفترا
عبدوا النيل مذ قديم وألقوا　　كل عام له عروساً بكرا
مصر سحر ورقة وصفاء　　لِمَ لا يعبد المحبون مصرا؟

---

* عثرنا بهذه القصيدة في العدد الأول من المجلد الثاني لمجلة العمارة «سنة ١٩٤٠» كتصوير شعري للوحة الفنان محمود سعيد، التي تمثل بعض بنات الريف في طريقهن إلى النيل لملء الجرار.

عـــازفـــة البيـــانـــــو

ليس البيانو الذي راحتْ تحركه
يداك، أطوعَ من قلبي وأفكاري
لمستِهِ فتمشّى السحر بي، فكمـــا
تـــهتز أوتـــاره تهتـــز أوتـــاري

---

* ارتجل الشاعر هذين البيتين وهو يستمع إلى حرم صديقه الأستاذ عدلي فرج الحامي تعزف البيانو مساء يوم ١٥ - ٣ - ١٩٥٣ أي قبل وفاته بعشرة أيام.

** هذان البيتان وجدتهما منشورين في مجلة «العالم العربي» عدد مايو عام ١٩٦٠ «ح.ت.»

ســـرب مـــن الحـــــور

ســـرب مـــن الحـــور الفـــوا ‏ ‏ ‏ ‏ تـــن كـــالزهور نواضـــرْ
ألهمتنـــــي وأحطـــــنَ بي ‏ ‏ ‏ ‏ فجـــرى بـــشعري الخـــاطرُ
ألهمـــــني وشـــككن بي ‏ ‏ ‏ ‏ ونـــسينَ أني شـــاعرُ
فـــإذا اعتـــرفنَ فـــإنني ‏ ‏ ‏ ‏ للفـــضل دومـــاً ذاكـــر
وأنـــال «فُلـــةَ» عـــارفٌ ‏ ‏ ‏ ‏ وإلى «أميـــةَ» شـــاكرُ

* كان الشاعر في حفل بجمعية نسويه سنه ١٩٥٠ فالتف حوله سرب من الفتيات يسألنه هل يستطيع أن يرتجل شعراً؟ فقال هذه الأبيات.

** نشرت هذه الأبيات في مجلة «العالم العربي» – عدد مايو عام ١٩٦٠ ضمن المقال الذي أشرت إليه لنقولا يوسف، أى قبل صدور «ديوان ناجي» بنحو عام تقريباً «ح.ت.»

إلــى ابنتــي

يـا ابـنتي إنـي لأشـعر أني ... ملأتْ مهجتي شمـوس منيره
أشرقتْ فرحتان عندي فهذي ... لعمـاد وهـذه لأميره
أنتما فرقدان، وهـو جدير ... بالذي نالـه وأنـتِ جديره
اغنما كل ما يطيب وفوزًا ... بالمسرات والأماني الوفيره
وافرحا بالذي يطيب ويُرجى ... عيشةٌ نضْرة وعين قريره

** هذه الأبيات كتبها الشاعر لابنته «أميرة» وأما «عماد» فهو زوجها الأستاذ عماد محرز ونستطيع أن نتبين من خلال الأبيات أنها قد كتبت للتهنئة بزواج ابنته وزوجها. «ح.ت.»

ســـــــــــــــــباق

فجرٌ أطــلّ علــيّ بالإشــواقِ
والقلب يحفــزني ليــومِ تلاقــي
فطردتُ ثقل السهد لا ثقل الكرى
قلــبي بوثبتــه يــسابق ســاقي
عيناي أم قلبي أم القــدم الــتي
حثّت خطاها في مجــالِ ســباقِ
هذا قليل قد شــرحتُ دفينــه
وعلى ذكائك أنت فهم البــاقي

فجر جديد

فجرٌ جديد حالم خفاقْ ... لما يزل في عالم الآفاقْ
توهان في غمم الدجى قلق ... بحنينه .. بالحب .. بالأشواقْ
ويود لو ضاق الظلام به ... فيهب مندفعاً من الأعماقْ
متحرراً من قيد ظلمته ... يرنو بعمق الروح .. بالأحداقْ
فيحس لا شيء ينازعه ... ويحول عنه الكون إذ ينساقْ
لا شيء ملتفا يعانقه ... غير السنا في ضوئه البراقْ
فيغيب في أحضانه ثملاً ... ويعبُّ من فيض الهوى الدفاقْ
بانت له الدنيا على قلق ... «مشتاقة تهفو إلى مشتاقْ»

** الشطر الثاني من البيت الأخير تضمين من ناجي لقصيدة أحمد شوقي التي يستهلها قائلا:

رمضان ولى هاتها يا ساقي ... مشتاقة تسعى إلى مشتاق

أبــــد الخلـــــود

ما كان أقصر هذه مــن زورة ... ما أشبعتْنا من بــشاشة نــازكِ
كلا ولا رَوى النهي من زهــرةٍ ... بالطهر تفصح عن سمات ملائكِ
إنّـــا حمـــدنا لليـــالي أنهـــا ... قد قرَّبتنا من سنيّ سمائــكِ ...
إن كان أسعدنا الزمان بــساعة ... فكأنها أبــد الخلــود حيالــكِ

---

* عندما زارت نازك الشاعرة الملائكة الدكتور ناجي في مصر أهدى إليها ديوانه ليالي القاهرة وقد كتب «الإهداء» هذه القصيدة.

** كانت زيارة نازك لمصر عام ١٩٥٠ م والبيت الثالث سليم في طبعة دار العودة من ديوان ناجي ، أما طبعة دار الشروق فقد سقطت «أنها» من البيت فاختل الوزن.

«ح.ت.»

نحـــــــو المجـــــــــد

يا أم مَن تستصرخين؟ من الذي
قدح اللظى الموَّار في عينيـــكِ؟

يا أم هل تمشين نحـــو النــــار، أم
فُتح الوغى ومشى الجحيم إليك؟

ما حلّ بالحرية الحمـــراء؟ هـــل
سال الدم القاني على قـــدميكِ؟

يا ويلها مـــن صـــرخة مجنونـــة
ضجتْ لها الآفاق من شـــفتيك

لا تجزعي يومَ الفـــداء فكلنـــا
مهج تـــحلق كالنسور عليـــك

فتلفتي تجدي عرينَـــكِ عـــامراً
وتسمَّعي، كـــم قـــال لبيـــك

* عثرنا بهذه القصيدة في العدد (٧ و٨) من المجلد الثاني لمجلة العمارة «سنة ١٩٤٠» كتصوير شعري لتمثال الفنان فتحي محمود، الذي يمثل مرأة قوية في يسارها درع، وفي يمينها سيف مشهر، وعلى قاعدة التمثال مجموعة من المحاربين.

وقف الشباب فداءَ محرابِ الحمى

وتجمّع الأشبالُ بين يديكِ

والصقر تاجك، تاج فرعون الذي

جعل الشموس الزهر في كفيكِ

والمجد تاجك والسهى لكِ موطنٌ

الشهْب والأقمار في نعليكِ

يا مصر أنتِ الكون والدنيا معاً

وعظائم الأجيال في تاجيكِ

قـــــــدر

لا تُدمني نظراً إليّ، فهــو الــذي   جعل الهوى قَدراً على كفيــكِ

ما تلتقي عيني بعينــك لحظــةً   إلا رأيتُ صبــايَ في عينيــكِ

---

* عن مخطوطة قدمتها إلينا الآنسة ضوحية، كريمة الشاعر.

** هذان البيتان هما آخر بيتين في قصيدة بعنوان «بعد الشباب» وهي القصيدة الثالثة والأربعون ضمن «قصائد مجهولة» وكان ناجي قد نشر القصيدة كاملة ثلاث مرات خلال حياته «ح.ت.»

اعتذار

أبعث الآن اعتذاري وأنا
حاضر بالقلب والروح معكْ
لك ظل مقتفٍ في خاطري
حيثما سرتَ مضى فاتبعكْ
أنا لا أومن بالبعد ولا
أحسب المقدورَ من نزعكْ
أنت لا تبرح عيني، فلِذا
لا تراني اليوم فيمن ودّعك

---

* هذه الأبيات رواها لنا الأستاذ عبد اللطيف محمد رئيس محكمة جنايات مصر سابقاً. وقصتها أنه كان قاضياً بالمنصورة، وناجي يومئذ طبيب بها، ثم نقل الأستاذ إلى القاهرة، ودعا أصدقاءه قبل الوداع إلى حفل صغير تخلف عنه ناجي وبعث بهذه الأبيات معتذراً لظروف قاهرة.

فرحتان

قد زُرتُ أيكك بعد أن طال النوى
وإليه كنتُ محلقاً بخيالي

يا من جروا في البال، ما برحوا به
أترى جرينا عندكم في البالِ؟

عهد مضى بين الهواجس والمنى
والنفس بين تعجب وسؤال

حتى رجعتُ كأنما رجَعَ الصبا
لي بالأزاهر والربيع الحالي

فإذا بقلبي فرحتان، فهذه
بلقاك أنتِ، وفرحةٌ بـ «جلالِ»

---

*هذه الأبيات تلقيناها من الأديب السكندري نقولا يوسف، الذي روى أن ناجي نظمها عند زيارته للشاعرة جميلة العلايلي حين رزقت مولوداً أسمته «جلال».

**ولو كان أعضاء لجنة تحقيق ديوان ناجي قد بحثوا بأنفسهم في الجرائد والمجلات لكانوا وجدوا هذه القصيدة منشورة في مقال لنقولا يوسف في عدد مايو ١٩٦٠ من مجلة «العالم العربي»، وقد سبق أن أشرت إلى هذا المقال عدة مرات من قبل. «ح.ن»

إلى د. تـــملـــــي قلــــدس

«دعـــــابة»

يا قرةَ العيـــنين يـــا «تملـــي» | يـــا واســـع التـــدبير والحيـــلِ
يا خـــالع المضرسين في سَنـــةٍ | ومعقـــم الآلات في «الحلـــلِ»

* داعب ناجي بهذه القصيدة صديقه الدكتور تملي قلدس، طبيب الأسنان، وقد ضاعت بقية القصيدة.

في رثاء مطران

يا نفس إن راح الخليل وعنده
وُدُّ الخليل فعجّلي برحيلي

حملوا على العواد فنا خالداً
وارحمتاه لكوكبٍ محمولِ

هو مصرع للعبقرية رُوّعتْ
في عرشها والتاجِ والإكليلِ

** في مقاله المنشور بمجلة «العالم العربي» عدد مايو ١٩٦٠ يقول نقولا يوسف « .. وقد نشرت إحدى الصحف منذ عهد قريب ثلاثة أبيات منسية لناجي كان قد قالها فور سماعه خبر وفاة الشاعر خليل مطران وهي ...»

وفي الشطر الثاني من البيت الأول وردت كلمة «ورد» بالخطأ في ديوان ناجي الذي حققته اللجنة، ثم تكرر الخطأ في طبعة دار العودة وكذلك طبعة دار الشروق؛ فصحة الكلمة «ود».

«ح.ت.»

يـــــا بحـــــــــــــــــــــــــــــر

يوم أبحرتُ فوق متنك تهــوي   بي أمواجك الغـضاب وتعلــو
راعني حولُك الرهيب فخارت   عزمـــاتي ولم يعـــد لِيَ حـــول

* * *

وتوثبتُ بــين جنبيــك تلــهو   بي فتطغــى آنــاً وتهــدأ آنــا
كانت القطرة الضئيلة من لُـــ   ـــجك أمضى مني وأخطر شانا

* * *

وأنا اليوم أجتليك من الشاطئ   تُزجي الأمــواج مثــل الجبــال
فإذا بي أثور مثلك يا بحـــــ   ـــر وتنزو الأمواج في أوصـــالي

* * *

هو روحي الذي يحاكيك في البأ   س ولكن يؤوده عبء جــسمي
فإذا ما اجتلاك والجسم غفــلا   نُ توخــاك في مــضاء وعــزمِ

* * *

هو روحي الذي يحاكيك يا بحــ   ــر ويخشى قلبي الجزوع أذا كا
ضعضع الجسمُ عزمَ روحي المُعنّى   يا أخا الروح بُث فيــه قواكـــا

الـــــربيـــــع

مرحى ومرحى يا ربيـــع العسامِ

أشرق فذلكَ مـــشارق الأيـــامِ

بعدَ الشتاء وبعد طول عبوســـه

أرِنا بـــشاشةَ ثغـــرك البـــسّامِ

وابعثْ لنا أرجَ النسيم معطـــراً

متخطـــراً كخـــواطر الأحـــلامِ

---

* مطلع قصيدة ضاعت بقيتها.

تكريم

قصيدة الدكتور ناجي في الحفلة التي أقامها فريق من أنصار التجديد وأعلام المدرسة الحديثة تكريماً لصاحب مجلة الحديث الحلبية الأديب الراحل سامي الكيالي سنة ١٩٣٢.

نفدي الترسل ونكبر منْ   إن لم نكرمه فمنْ؟
يا ضيف مصر أقم مقا   م الأهل وانزلْ في وطن
إنا اشتركنا في الأما   ني والتقينا في المحنْ
فمن الشآم إلى العرا   ق إلى الحجاز إلى اليمنْ
والصرخة الكبرى كمو   ج البحر تدْوي في الأذنْ
تتباين الأصوات فيها   لا تبالي بالثمنْ

* * *

نبغي الحياة وما الحياة   سوى مماشاة الزمنْ
الدهر دفاق فكيف   تحسبُ من ماءٍ آسنْ
العصر عصر السابقين   إلى الشواهق والقننْ
لا عصر مفتتنين بالأ   حلام غرقى في الوثنْ
ومقيّدين إلى الثرى   بين التخاذل والوهنْ
يا أيها الشرق الذي   يدعو: رويدك واطمئنْ

* * *

إنـــــا إليـــــك وللـــــشبا	ب رســـــــالة لا تمتـــــهنْ
قمنـــا لهـــا! كـــل بنـــا	حيـــةٍ رســـولٌ مـــؤتمنْ؟
ما في طلائعنـــا الـــضعيـــف	ولا الـــــذليل المـــــستكنْ
مـــا في طبائعنـــا الخـــصام	ولا الحقيظـــــة والـــــضغَنْ
إنـــا جنـــود النـــور مـــن	علـــم ومـــن أدب وفـــنْ
القاتلون الجهـــل مثـــــــــل	البـــوم عـــشّشَ في الـــدمنْ
إنـــا لأعـــداء الجمـــــو	د وواضـــــعوه في الكفـــنْ

* * *

يا أيها الضيف العزيـــــــز	نعمـــت بـــالعيش الحـــسنْ
يـــا مـــؤنس المـــصري في	حلـــبٍ ومـــا تنـــسى المـــننْ
صدر الشآم حنا عليـــــك	ومـــصر لـــو تـــدري أحـــنْ
بردى لنا، وصباه الـــــــــ	ـــــــجنات والطير المـــرنْ
والأرز والطود المعصّـــــب	بـــــالجلال المطمـــــئنْ
والنيـــل نهـــركم ومـــازان	الخميلـــــة والفـــــننْ
والقـــوم أهـــل والقـــرى	وطـــن عطـــوف والمـــدنْ

البنْـدر

انظرْ وجوه القوم غمرّ | قها بزينتها المدينةْ
ـسكينة بلهاء لا | تدري الزمان ولا فنونه
يا من يغرّهما إذا | أرست لصاحبها السفينه
الأفْق مضطرب الحوا | شي والسماء بها حزينه
لا تحسن الدنيا إذا ما | المرء جنّ بها جنونه
وطغت منافعه عليه | وصون دنياه ودينه
العيش حيث الحب، حيث | العطف صافٍ والسكينه

---

* عثرنا بهذه القصيدة في العدد الأول من المجلد الثاني لمجلة العمارة (سنة ١٩٤٠) كتصدير شعري للوحة الفنان محمود سعيد المشهورة «بنات بحري» التي تصور ثلاثاً من حسان الإسكندرية، بنات البلد، في براقعهن الشفافة وملاءاتهن السود المحبوكة على أجسامهن.

إلـــى وديـــــع فلسطـــــين

دعـــابــــة

قد هنأوك بمجـــدك الإســـباني فمتى تكون مُـــصارعَ الـــثيران؟
أمنحت أوسمـــةً، ومجـــدك أول ماذا يهمك مـــن وســـامٍ ثـــانِ؟
إني أهنيـــك الغـــداةَ لأنـــني أهواك من قلبي ومـــن وجـــداني
إن المقطمَ والزمـــانَ كليهمـــا الخالدانِ، وكـــل شـــيء فـــانِ

---

* هذه الأبيات تلقيناها من الأديب السكندري نقولا يوسف، الذى روى أن ناجي نظمها تهنئة للأستاذ وديع فلسطين (رئيس تحرير المقطم يومئذٍ) حينما أنعمت عليه الحكومة الإسبانية بوسام الاستحقاق المدني.

** هذه الأبيات منشورة ضمن مقال نقولا يوسف الذي سبق أن أشرت إليه راجع مجلة «العالم العربي» - عدد مايو ١٩٦٠.

"ح.ت."

عيد «سونيا»

يا أبا الأشواق غَنِّ ... وانقل الألحانَ عنّي
إن «سونيا» ذات حسن ... ضارب في كل فنِّ
إيه «سونيا» هجتِ شوقي ... وشجوني والتمنّي
إيه تغنيني فإنّي ... طائر في كل غصنِ
إنني بالحسن أدعى ... وأغنّي كل حُسْنِ
إيه «سونيا» ذاك يومي ... فاسكبي لي، لا تضنّي
أفرغي سحر الهوى في ... خاطري من كل دنّ
إنما عيدك عيدي ... وَهْوَ يوم فوقَ ظنّي
لا أهنّيكِ .. ولكنْ ... كلُّ مخلوقٍ أهنّي

كيـــــــف أنســــــــاك؟

إيه «سوتيا» أنت الرضا والحنانْ

كيف ضاعت بك الليالي الحسانْ

وغدا الدهرُ لحظةً من سلام

وإذا كل ما عليه أمانْ

لا أرانا فيه خُدعنا إذا ما

بك عزُّ الهوى وفات الهوانْ

كيف أنساكِ إذ نسيتُ شقائي

وعذابي، وليس بي أشجانْ

وإذا بي أرى لعينيك دنيا

خير ما فكرتْ به عينانْ

خشـــــــــــوع

جمالـــك الهـــادئ الـــرزينْ — وســـحرك الواضـــح المـــبينْ
أبـــدع مـــا مـــرَ في خيـــالٍ — وخـــير مـــا أبـــصرتْ عيـــونْ
وســـرّه أنـــت تجهلـــينْ — وكيـــف لـــو كنـــت تعلمـــينْ
وكيف أضـــنى القلـــوب منـــا — وكيـــف جئنـــاه طـــائعينْ
وكيـــف نلقـــاك في ســـرورٍ — وكيـــف نلقـــاه خاشـــعينْ

دنيـــــــــــــا

إيه «ســونيا» .. إيـــهِ ســونيا   أنـــت دنيـــا .. أنـــت دنيـــا
أنت دنيا الحسن لكـــــــن   سماواتِـــــــكِ عُليـــــــا
بـــك يلقَــي القلـــب رِيّـــاً   وبـــك الأنفـــاس تحيـــا
قـــد نـــسينا وطوينـــا   كـــلَّ مـــا قبلـــك طيّـــا
كـــل مـــن يلقـــاك لا يـــذ   كـــرُ في الأيـــامِ شـــيّا
غير «سونيا» .. إن «ســونيا»   هـــي دنيـــا، أي دنيـــا!

قصائد مجهولـــة

مائة قصيدة وقصيدة

الديوان الخامس للشاعر

جمـــــع وتحقيـــق

حسن توفيق

* صدرت الطبعة الأولى من «قصائد مجهولة» عام ١٩٧٨م ، وقد أضيفت إلى هذه الطبعة الجديدة من الأعمال الشعرية الكاملة لناجي ثلاث قصائد مجهولة لم تنشر من قبل فى الطبعتين السابقتين.

مناجاة الهاجر

أنت التي بعثتْ إليَّ خيالها	يوما يلوم على قليلِ نعاسِ
صبراً لقد هجر الكرى وهجرتني	فكلاكما مُرُّ القطيعةِ قاسِ
إن نمتُ فهْوَ رقادُ منهوكِ القوى	تمضي لياليه بلا إيناسِ
تمضي كما مضتِ الليالي قبلها	لا أنتِ ذاكرةٌ ولا أنا ناسِ

* * *

ما هاته النُسُمُ التي هبّتْ على	وجه الغدير عليلةَ الأنفاسِ
ما بالها عطفتْ على زهراته	ما بين إشفاقٍ ولينِ مساسِ
من نامَ منها قبّلته ومن بكى	فله من الريحِ الطبيبةِ آسِ
وأنا الذي ذبلتْ زهورُ شبيبتي	وجرى الأوارُ اليومَ في أغراسي
أمسيتُ لا نسمًا ولا كلمًا ولا	قلماً يخطُّ الصبر في قرطاسي
ماهاته النارُ التي قد أوهنتْ	جَلَدي وهدّتْ قوتي ومراسي
أكلتْ ذكائي في النضوج وسطّرتْ	في عارضيَّ رسائلَ الأرماسِ
والله ما أدري أذاكَ رمادُها	أم أنه وخطُ المشيبِ براسي

* * *

لو كان يغني الدمعُ كان لها غني	سيظلُّ ما عشنا حديثَ الناسِ
لكنَّ هذا المالَ ليسَ بنافعٍ	والروحُ مقبلةٌ على الإفلاسِ

(١) نشرت هذه القصيدة في نوفمبر ١٩٢١

الذكرى

«إلى حبيب مريض»

هل تأمرينَ فأفتدي وأقيك … لو كان فوقَ الروح ما يفديك
أمسيتَ أقلقَ راقدٍ في مضجعٍ … وكذلكَ يمسي من يفكّرُ فيكِ
مستعرضًا صورَ الهوى وفصوله … من كسلٍ تاوٍ في النهي متروكِ
من محزنٍ مشجٍ ومن مستنهضٍ … جيلاً وهي من عزميَ المدكوكِ
وقديمِ سرٍّ في هواكِ كتمتُه … أبدًا وآخرَ ظاهرٍ مهتوكِ
ولرُبَّ آمالٍ عليكِ حبستُها … وخشيتُ لو تبدو قتالَ ذويكِ
كالطيرِ لو كانتْ تطيرُ لأسرعتْ … ظمآنةً نحو الحياة بفيكِ
أطلقتُها وفككتُ عنها قيدَها … حتى بلغتُكِ بالمنى المفكوكِ
فدنوتُ حتى إذ ضممتُكِ باكيًا … وجعلتُ حولكِ هالةً تحميكِ
فإذا الخيالُ مكذَّبٌ. وإذا الفؤادُ معذَّبٌ عبثتْ به أيديكِ
ولقد عرضتِ فرحتُ أشقى ذاكرٍ … يبكي لأجلكِ كلما ذكروكِ
جندُ السقامِ وتلك جندك في الهوى … من أيِّ عهدٍ أصبحتْ تغزوكِ
يا زهرتي لم أدرِ هل عَرَقُ الضنى … هذا عليكِ أم الندى يعلوكِ
ولقد ظمئتِ فكدتُ أبذل مدمعي … لو كنتُ أعلم أنه يرويكِ
ووددت لو أنَّ الحياةَ تحولتْ … ماءً وأني ماؤها أسقيكِ
لكنَّ تلك حياة صبٍّ بائسٍ … غرقتْ المردى مما يكابدُ فيكِ

مُلِئَتْ بُكاءً فاستحالتْ مُرَّةً ... فغدتْ كمثلِ الدمعِ لا تُغنيك
رفقاً بمهجتي التي تدرينها ... قفرًا رماه الحظُّ من واديك
وضعتْ بساحتك الرجاءَ وأقسمتْ ... بالحبِّ والإخلاصِ لا تعدوك

(٢) نشرت في ديسمبر ١٩٢١

قبلـــــة التوديـــــــع

بـــالروحِ باكيــــةٌ تقـــبلني وقــــد قَـــرُبَ التنــــائي

هـــي قُبلـــةُ التوديـــعِ ميثــــاقُ المحبـــةِ والوفـــاءِ

أبـــدَ الزمـــانِ وديعـــتي سأصـــونُها كالأوفيـــاءِ

ســـتظلُ في شـــفتي تـــذكِّرني وتُحـــيي بي رجـــائي

فـــإذا التقينـــا ثانيـــاً ســـأردها لـــكِ في اللقـــاءِ

(٣) نشرت في مارس ١٩٢٢.

إلـى القمـــــر

قـــلْ تمهــــلْ واصـــطبرْ سَـــكِّنْ خفوقَـــكَ واســـتقرْ
أتجنْ مـــن صُـــوَرِ الطبيعـــةِ رائعـــاتٍ للنظــــرْ
ذِكـــرنَ إلفـــاً غائبـــاً آهــاً علـــى تلـــك الـــذِكَرْ
يـــاعينُ هـــل تجدينَـــه يبـــدو بهاتيـــكَ الـــصورْ
يـــا عـــينُ لا نـــومٌ ولا تـــدرينَ مـــا بعـــدَ الـــسهرْ
سلي شجونكِ بالنجـــومِ عقـــدنَ عرســـاً للقمـــرْ
ســـلي قلـــيلاً واهـــدئي أَتـــضيعُ في الـــدمعِ العُمُـــرْ
يا بدرُ قلْ لي بعـدَ بؤسِـكَ كيـــفَ صـــافاكَ القـــدرْ
لُحْ في سمائـكَ للعيـونِ أو اختبـــئْ بـــينَ الـــشجرْ
أنا لا أبالي بالضياءِ عـلى جوانبِـــكَ انتـــشرْ
يمتـــدُ في الآفـــاقِ أو يـــنطوي علـــى وجـــه الغُـــدُرْ
قـــلْ لي وأنـــتَ خزانـــةٌ في طيِّهـــا الغيـــبُ استترْ
قـــلْ لي لعلَّـــكَ منجـــدٌ ألـــديكَ عـــنْ ليلـــيَ خـــبرْ؟

(٤) نشرت في أبريل ١٩٢٢

ليلَـــى! لقـــد زارَ البـاســـي   قلـــبي وطيفُــــكِ لم يـــزُرْ
عصفتْ ريــاحُ الهجــرِ منــكِ   وأنـــت أقْـــسى مَـــنْ هَجَــرْ
وهـــواكِ حـــول كيانــــه   هـــبٌ يقيـــه مـــن الغِـــيَرْ
لهــبٌ تُــضَاعِفُهُ الريـــــ   ـــساحُ فكلمـا بِنْـتِ اسـتعر

أسعد الله مساءك

لا تقلْ عند رحيلك
أسعدَ اللّهُ مساءَكْ

أيُّ سعدٍ لخليلكْ
شيَّعَ الروحَ وراءكْ

**

إنْ تُقِمْ عندي ظلامي
يستحِلْ ليلي ضياءْ

منكَ لو كانتْ تباعْ
أشتريها بالحياهْ

(٥) نشرت في أبريل ١٩٢٢.

التـــــــــوبـــــــــــــــــة

يارب عفوكَ قد عبدتُكَ مشركاً
شركاً تـضيقُ بإثمـه الرحمـــاتُ
أنتَ الذى خَلَقَ الحيــاةَ وإنمــا
قَبْلَ الهوى تلكَ الحيـــاةُ ممـــاتُ
وعيونُ ليلى قد خلقنَ بِىَ الهوى
فـــذا هواهـــا للحيـــاةِ حيـــاةُ
يا ربِّ صَفْحاً تلك آلهةُ الهـوى
فلـــها علـــىَّ عبـــادةٌ وصـــلاةُ

(٦) نشرت في مارس ١٩٢٢.

الختام

ليلى! أبعدُكِ أم جفاؤكِ أقدحُ ... والموتُ فيكِ أم الجنونُ الأربحُ
عجباً لقلبٍ هيضَ فيكِ جناحه ... وثوى به نَصْلُ الندامةِ يذبحُ
ومضَى الحِمامِ يدبُ فيه فإنْ جرَتْ ... ذكراكِ طارَ إليكِ وَهْوَ مجنَّحُ
هفي على الناقوسِ بين جوانحي ... وعلى بقيةِ هيكلٍ لا تصلحُ
لا فرقَ بين أنينِه ورنينه ... وصداه في وادي المنيّةِ أوضحُ
يا قلبُ! صهباءُ الهوى وبساطُه ... وكؤوسُه المتجاوباتُ الصُّدَّحُ
وقفٌ على متنقلينَ على الهوى ... يبغون من لذّاته ما يسنحُ
متبدلينَ موائداً وأحبةً ... ما خابَ مِنْ حبٌ فآخرُ يفلحُ
فالحب آسيه وراءَ عليله ... فيهمْ وبلسمُه على ما يجرحُ
ياقلبُ ويحَ تبابِنا ماذا جنى ... أترى شعاعاً في الدجنَّةِ يُلْمِحُ
يا أيها الحبُ المقدّسُ هيكلاً ... ذاقَ الردى من عابديكَ مُسبح
كثرتْ ضحاياه وطال قيامهُ ... وصيامه فمتى رضاءَك تَمنحُ؟!
يا دوحةَ الأرواحُ يُحمدُ عندها ... فيءٌ ويعبد زهرُها المتفتحُ
أينالُ ظلَّكِ والرعايةَ عابثٌ ... بجلالكِ البادي وآخرُ يمزحُ
ويبيتُ يُحْرمه قتيلُ صبابةٍ ... قضّى الحياةَ إلى ظلالكِ يطمحُ
ليلى حببتُكِ كالحياةِ وذقتُ في ... ناديكِ كأساً بالأماني تطفحُ

فتكسرتْ قدحُ المنى ورجعتُ مِـنْ ـــقمِ الهــوى وهزالـــهِ أتـسرنّحُ
نزلَ الستار على الروايةِ وانقــضتْ تلك الفصولُ وفُضَّ ذاكَ المـسرحُ
فــالآنَ يــاليلى ســلامٍ مــودِّعٍ بانٍ خيالُـكِ لــيسَ عنـــه يــبرحُ
يجزيكِ عن قلبٍ ذوى نبتُ المـنى فيـــه وفارقــه الربيــعُ المفــرحُ
عمراً سيلبثُ رهــنَ حبــكِ كلــه يمسي على ذكراكِ فيـــه ويُـصْبِحُ

(٧) نشرت في نوفمبر ١٩٢٢.

الصورة

رَسْمَ الحبيبِ الأوَّلِ   دعني لحسنِكَ أجتلي
بنواظرٍ مقروحةٍ   بالنومِ لم تتكحَّلِ
دعها تعبُّ سناكَ   فَهْيَ شقيةٌ لم تنهلِ
بالصبرِ .. بالآلامِ هل   حمّلتك إلا أغلى؟
إنيَ أغارُ من الظلام   وأنتما في معزلِ
وأقول كُنْ بينَ الضلوع   وفي الجوانح فانزلِ
فهناك قلب لم يخن   عهداً ولم يتبدلِ
يلقي ضياءَكَ بالسجود   كعابدٍ في هيكلِ
يا رسمُ من أعطى الهوى   مفتاحَ قلبي المقفلِ
في حبه فنِيَ الصِّبى   وشبابُ أيامي جلي
يا ويحَ ما ضيَّعْتُ فيه   من قليلٍ مخجلِ
ماضيّ ضاعَ ولو قدرتُ   لجددتُ بالمستقبلِ
يارسمُ كم مِنْ ليلةٍ   أبكي وأستبكيك لي
قل هل تركتُكَ مرةً   بالدمعِ غيرَ مبلَّلِ؟
حتى رجعتَ مخادعاً   ومضيتَ جدَّ مضلَّلِ
أرنو لدمعي بادياً   في وجهِكَ المتهللِ

فأخـــــال عينَـــــكَ هزَّهـــــا شــــكوى الغريـــبِ المهمَـــلِ
فبكـــــتْ وتلـــــكَ دموعهـــــا هــــذى تـــسيلُ وذى تلـــى
يارســــم كــــمْ معـــنىً حملـــتَ لنـــاظرِ المتأمـــلِ
تلــــك الـــشفاهُ الحانيـــات علــــى أرَقٍّ مقبـــــلِ
عســـمَّ ابتــسمنَ إذ انفـــرجن أعَـــنْ عتـــابِ مرمـــلِ
أم عـــن قـــساوةِ هـــاجرٍ في النـــاعمينَ مـــدلّلِ
تلـــك العيـــونُ الراميـــاتُ ســـــهامَهُنَّ بمقتلـــى
كــم هجــنَّ أشـجانَ الـشجيِّ ونلـــنَ مـــن قلـــبِ الخلـــى

(٨) نشرت في ١٥ أغسطس ١٩٢٣.

حنين

قسوتِ فلم نجدْ ظلاً يقينا ... أحلماً كانَ عطفُك أم يقينَا
أهجراً في الصبابة بعد هجرٍ ... أرى أيامَه لا ينتهينَا
لقد أسرفتِ فيه وجُرتِ حتى ... على الرمقِ الذي أبقيتِ فينَا
كأن قلوبَنا خُلقتْ لأمرٍ ... فمذ أبصرنَ من تهوى نسينَا
شُغلنَ عن الحياة وعُمنَ عنها ... وبتنَ بمن نحبُّ موكلينَا
فإن مُلئتْ عروقٌ من دماءٍ ... فإنّا قد ملأناها حنينَا
يمر الناسُ ما مرُّوا وشاءوا ... على هذا الثرى متقلبينَا
وأنت تنقلينَ على قلوبٍ ... وأكبادٍ وأرواحٍ بلينَا
فرفقاً بالذي أبقيت منها ... وأُقسمُ كم تركتِ لنا أنينَا
فإنكِ إن سررتِ فلم نجدها ... فرشنا الدمعَ هتّاناً سخيناً

(٩) نشرت في ١٥ ديسمبر ١٩٢٣.

الموسيقى

عجبتُ لهذا الدهرِ فرَّقَ بيننَا
ومزَّقَ قلبى طولَ صدِّكِ تمزيقَا
أحاول أن أنسى وهيهاتَ إنه
لَحُبٌّ يظل العمرَ يزدادُ توثيقَا
عدتْ عادياتُ الدهر يعصفنَ بالمنى
وأشبعتِ الأيامُ بيْناً وتفريقَا
ومازال ذاك الوجهُ أعذبَ مشتهىً
لعينى وذاك الإسمُ أعذبَ موسيقى

(١٠) نشرت في ١٥ ديسمبر ١٩٢٣.

إهــــــداء صـــــــورة

محمدُ إن تضقْ بالـــدهر ذرعـــاً

وبانَ إليكَ وجه الكـــون داجـــي

وقلبـــتَ العيــونَ تــروم خِـــلا

فقمْ للرســـم مفتقـــدا ونـــاجي

فربَّـــتَ راحـــة تُلْقـــى إذا مـــا

بدا لك في الليالي وجـــه نـــاجي

(١١) مخطوطة مؤرخة بتاريخ سبتمبر ١٩٢٤.

بين الشباب والشيب

أحمد الشيبَ على رأسك والتسعين عامَا
وأحيِّي ناصعَ الصبح وأهديه السلامَا
هاهو الحق الذى لم يُبْقِ شكًّا أو كلامَا
وهوَ الدنيا وربِّ نزعَتْ عنها اللثامَا
روعة الحقِّ لقد نكست الصارى احترامَا
نحن قوم نعشقُ الحقَّ ولو كانَ الحمَامَا
إيه أيامَ شبابي كيف تمضينَ عقامَا
فيم تمتدين طولاً وفراغاً وإلامَ!
ليتنا نبدو كما نحن شقاء وسقامَا
كلما تخدعنا الأيام خادعْنَا الأنامَا
فرثينا العمر بِشْراً وبكيناه ابتسامَا

* * *

قد ترى المفراحَ للبهجة تمثالاً مقامَا
أنت تدري أي ضنك في لياليه أقامَا
ولقد تظفرُ بالخائبِ حظًّا وغرامَا
أسود اللمة يحسبُه الناسُ غلامَا

وهو الفاني الذي أهلكه الدهر صِدامًا

ويعينًا لا ترى أروع مِن هذا انتقامًا

هيكلٌ يرزح في آلامِه عامًا فعامًا

فهْو حيٌّ يحمل الموتَ ولا يلقي الحِمامًا

أعشق الأنوارَ من تاجِك هذا تترامى

وأرى قلبي فراشًا حول هذا الضوءِ حامًا

ليس يرضيكَ شبابي إن تمرّدْ منى سَوامًا

سترى كأسًا ولكنْ لا ترى فيها مدامًا

(١٢) نشرت في يونيو ١٩٢٦.

جسـر التنهـدات

«عن توماس مور» *

سامَهَا العيشُ كـلَّ ضـنك وروّعْ فالحت علـى السردى أن يقـيلا
خذ برفق هذي الـضحيةَ وارفـعْ بحنـان هـذا الجمـالَ النحـيلا
تلـك أثوابهـا تسلسـلُ مـاءَ لاصـقات تشابه الأكفانـا
لا تجـلْ ناظريـك فيهـا ازدراءَ بـل سـلاما ورحمـةً وحنانـا
لا تمسَّنها بمقـت، وفكّـرْ في أنـاة وأصـدر الحكـمَ ريثـا
غسلَ المـوتُ كـل وزر وطهّـرْ لم يدع في التي تـرى غـير أنثـى
لا تقف ذاكـراً لمـا قـد جنتـه ومطيلا مـا بـين هجـس وظـنِّ
آيـة المـوت كـل هـذا محتـه أتـرى الآنَ غـير آيـة حسـنِ
بنت حواء – ما تزال – فأنـصفْ واغتفرْ مـا جنتـه يومًـا يـداها
وإذا ما غفـرتَ أقبـلْ فجفـفْ قطـرات نـزت بهـا شـفتاها
وفـرة بعثـرت بغـير رواء خصلات مـا نـسقتها المـدارى
صففها فـوق رأسـها باعتنـاء بينما تهجس الظنـونُ حيـارى
ربَّ أيُّ الـديارِ آويـن هـدي ألهـا والـد حنـون وأمُّ
ألها إخـوة؟ لم يكـن مـن مـلاذ كحبيـب كانـت حمـاه تـؤم
نزل الحب عـن مهيـب الـسريرِ واضـمحلتْ عواطـفُ الأقربينـا
ربنا اغفـرْ تسـاؤلاً في الـضميرِ أوَ مـن رحمـة الـسماء نـسينا؟

أكذا الحبُّ عن بني الأرض ينأى — فعلى الطيباتِ فيهم عفاء
عجبا والديار بالأهل ملأى: — وقفتْ لا ترى لديها ثواء
تظهرتْ للشعاع والأنوار — مرسلات للنهر منعكسات
والمصابيح زينتْ كلَّ دار — كيف يعسي الظلامُ مأوى فتاة؟
كلما مرَّ صرصرٌ أرعدها — لا الدجى حالكا ولا النهر جونا
ترتضي في شقاوةٍ أذهلتها — أي مثوى، إلا الحياة مجنّا
وثبتْ نحو مائه المتدفعْ — لا تبالي بردا ولُجّا مهولا
نادِ: قالْ للإنسان: في أي موضعْ — منه ترجو غلاًّ يروي عليلا
خذ برفق هذي الضحيةَ وارفعْ — بحنان هذا الجمال النحيلا
مَهِّدِ الآنَ هاته الأعضاءَ — قبل بردٍ لدى الحمام ويبس
ثم هذي النواظر العمياءَ — سَجِّ أجفانها بأرفقِ لمسِ
يالهذي العيونِ قد حملتها — رسم آلامها بروع نظره
كدر اليأسِ كم قديما غشتها — ولها اليوم من قذى أي كدره
إن هذي ضحيةٌ قد رمتها — صارخاتُ الآلام من غير رفقِ
وأراها فريسةٌ لفظتها — قاسياتُ القلوب من غير حقِّ
إن تكنْ أجرمتْ وإن تكُ ضلَّتْ — ضعْ يديها كأنما في صلاة
غسلَّ آثامها وإن هي جلَّتْ — في يد الله غافرِ المعصيات

(١٣) نشرت في ١٨ ديسمبر ١٩٢٦.

صخرة الملتقى

سألتك يا صخرةَ الملتقى ... متى يجمع الدهرُ ما فرَّقا
فيا كعبةً شهدتْ هائمين ... أفاءا إلى حسنها المنتقى
إذا الدهرُ لجَّ بأقداره ... أخذنا على ظهرِها الموثقا
أرقَّ الهوى عندها مجهداً ... وأنَّ النسيمُ بها مرهقَا

* * *

رمى البحرُ نحوكِ أمواجَه ... فعانَدْتِ تيارةَ الأزرقَا
وصدت نواحيك هدارة ... كما أغضبتْ أسداً موثقَا
قرأنا عليكِ كتابَ الحياة ... وفسض الهوى سرَّها المغلقَا
نرى الشمسَ ذائبةً في المحيط ... وننتظر البدرَ في المرتقَى
إذا نشر الغروبُ أثوابَه ... فأطلقَ في النفس ما أطلقَا
نقول هل الشمسُ قد خضبته ... وخلَّت به دمَهَا المهرقا
أم الغروبُ كالقلب دامِ الجراح ... له طلبةٌ عزَّ أن تُلحقا
فيامهجةٌ خلف هذا الغمام ... يكتْ نضرةً وصباً ريِّقا
وبا صورة في نواحي السحاب ... رأينا بها همّنا المغرقَا
لنا اللّه من صورة في الضميرِ ... يراها الفتى كلّما أطرقَا
يرى صورةَ الجرح طيَّ الفؤاد ... مازال ملتهباً محرقَا

فيأبى الوفاءُ عليه اندمالا ويأبى التذكُّر أن يشفقا

* * *

ويا صخرةَ العهدِ جاشَ العُباب ولاقاك محتدماً محنقَا

وجاورك القَفْر يعيي الظنونَ إذا الفكر في كنهه حقَّقا

أرى في العبابِ كفاحَ الحياة وتيارها الجارفَ الأحمقَا

وألمح فيها عراكَ الرجال إذا لاحَقَ الزورقُ الزورقَا

وكيف على زُخُبِ هذا المجال ننزلُها منزلاً ضيِّقًا!

وقفتُ على السيمِ أسألُ نفسي بعيدَ الهواجسِ مستغرقًا

هل اللّه من قَبْلِ خلْقِ الحياة أراد على الموج أن تخلقَا؟

ومثّل في القفر لغزَ الحِمام لم نكتشفْ سره الأعمقَا

أرى في ابيضاضِ الرمالِ المشيب والكفنَ الشاحبَ المقلقَا

أرى في السرابِ غرورَ النفوسِ والأملَ الخائبَ المخفقَا

وقد جعل اللّه ذا الصخرَ بين الحياةِ وبين البلى موبقَا

ومثّلَ فيه عتوَّ الدهورِ لن تستباح ولن تخلقَا

تريد الحياةُ لقاءَ المماتِ ولا يأذن الله بالملتقى

ويا صخرةَ العهد أبثُّ إليكَ وقد مَزَّقَ الشملُ مما مزقَا

أريكِ مشيبَ الفؤادِ الشهيدِ والشيبُ ما كلّلَ المفرقَا

شكا سره في حبالِ الهوى وودَّ على اللّه أن يعتقَا

فلما قضى الحـــظُّ فــكَّ الإســارِ ــــنَّ إلى أســـره مطلقَـــا

لـــمن زيَّنَ اللّه هذى السمـــاءَ أو جمّلَ الكونَ أو نسقَـــا؟

لمـــن يطلـــعُ الفجـــرُ في أفقهـــا فيبـــدو بهـــا ضـــاحياً مونقَـــا؟

لمن مـــسَّ هـــذا النـــسيمُ الغمـــامَ فرقـــرقَ منـــه الـــذى رقرقَـــا؟

إذا ذكرتْـــــهُ الحمـــــائمُ أنَّ وإنْ ضـــاحكتْه الـــربى صـــفقَا

أللطـــائرِ المفـــردِ الـــروحِ يمـــضي يـــرودُ المـــواردَ عـــن مـــستقى؟

وربِّـــكَ لـــيس لهـــذا ولكـــنْ لـــروحينِ في أفـــقٍ حلّقَـــا!

«المنصورة»

(١٤) نشرت في ٦ أغسطس ١٩٢٧.

اللقاء

عادت لطائرها الذي غناها   وشدا فهاج حنينها وشجاها

أي الحظوظ أعادها لوفيها   ونجي وحدتها وإلف صباها

مشبوبة التحنان تكتم نارها   عبثا وتأبى أن يبين لظاها

***

يا إلفي المنشود سرك ذائع   نار الحنين دفينها أفشاها

فيم السؤال؟ أما يدلك جارف   من صبوتي جاز المدى وتناهى

ودموع أشعار أثرت نواحها   وجمالك الوحي الذي أملاها

ما يصنع الرقباء في حب طغى   وصبابة جنت وضاع حجاها

مد الخريف على الرياض رواقه   ومضى الربيع الطلق ما يغشاها

ما بالرياض كآبة في أرضها   وسحابة تغشى صفاء سماها

جمدت حمائم أيكها وأنا الذي   شاكيتها فاغرورقت عيناها

***

لهفي عليك أين أنات الصبا   وتناوح الغدران بين رباها

أجرى عليها الصمت حتى لم يعد   إلا مخيب صرختي وصداها؟!

(١٥) نشرت في ١٢ نوفمبر ١٩٢٧.

ماذا لقينا مـــن لقـــاء خـــاطف وعشية كالبرق حـــان ضـــحاها
ياويح هاتيك الثـــواني لم تقـــف حـــتى نـــسيغ هنـــاءة ذقناهـــا
حـــتى يمتسع بـساليقين مكـــذب عينيه في رؤيـــا يـضل ســـناها
تمضي لها الأبصار والهـــة الهـــوى وتحول عنها مـــا تطيـــق لقاهـــا
عاد الزمان لها بـــسرد دموعهـــا وخيال يقظتها وحلـــم كراهـــا

***

تخبو العواطف في الصدور وتنتهي ويجف في زهر القلـــوب نـــداها
وأنا أحـ يـــوم بـــنء علاقـــة وعنيف ثورتهـــا وحـــز مـــداها
وأحس طغيان الهيـــام لكـــوكبي ومنار أيـــامي وفجـــر هواهـــا
لم ترو منك نواظري وخـــواطري ورجعت أزكى مهجة وشـــفاها

***

ما حيلة القرب الوشيك بمهجـــة الدهر أجمع مـــا يبـــل صـــداها
ما حيلـــة الآمـــال في معبـــودة قرحت أجفـــاني علـــى مغناهـــا
إلا التـــذكر وهـــو زاد منـــهك ماذا تقوت خـــواطري ذكراهـــا
قضيت أحلامي أضـــم خيالهـــا وأضعت أيامي أقـــول عـــساها

وداع المريض

فيم الغدو غدا وأين رواحي ويح الصباح لقد مضى بصباحي
عصفت علينا غير منذرة لنا يا فرقة الألاف أي رياح
طلعت علينا بالسقام وبالنوى وهوت هوى الغادر المجتاح
عيثت بمعبود العيون وصيرت كالورس لونا توأم التفاح
ذهبوا به كالورد جافاه الندى ومضوا به شبحا من الأشباح
يا هاتفا باسمي فديت مناديا رد النداء عليه حر نواحي
يا آسي الآسي لمست جراحتي وأسلت عند نواك أي جراح
طأطأت للبين المشتت هامتي وخفضت للقدر المغير جناحي
ذهب الوفي فلا ابتسام مشرق لي حيث كنت ولا نهار ضاحي
عاد الشقي إلى قديم شقائه ومحا من الدنيا السعادة ماحي
ويح المآب إلى مكان موحش متجهم العرصات مقفر ساح
في كل ناحية خيال هاتف ومذكر بجبينك الوضاح
وموسد كالطيف صاح ليله أمسيت أرعاه بجفن صاح

(١٦) نشرت في ٢١ مارس ١٩٢٨.

أمضي أمازحه لأنسيه الضنى		وأقول في هليلة الأفراح
لا تجزعن لعلة رهن الدجى		ستزول عند تبلج الإصباح
أخفي المخاوف عنه وهي جلية		مرسومة في ناظري الفضاح
متكشف بتجلدي، متكشف		بتستري: متكشف بمزاحي
عاصيت فيه الداء وهو مغالب		عاص على الهادين والنصاح
أي الليالي العاتيات سهرتها		في أي آلام وأي كفاح
هدم الضنى العادي قوى شكيمتي		وثنى معانادتي ورد جماحي
والصبر هاو والغيوب خفية		وشقاؤه في قبضة المتاح
وطغى على الملك الموسد بيننا		في ضعف زنبقة ولطف أقاح
يا من مضيت خلال أنات الصبا		وذهبت بين تناوح الأدواح
يمضي بك البرق المقل فيختفي		عجلان بين ربى وبين بطاح
ويح الحياة اليوم أين جمالها		وعلام إخفاقي بها ونجاحي
أنت الذي وهب الحياة ليت		في الأرض منفرد بغير طماح
أشرقت في ظلمائها وغمامها		وطلعت مثل البارق اللماح
فارجع إلي فقد تركت مشردا		مستغرقا في الدمع والأتراح

الشك

بي ما تحس وفي فؤادك ما بي ... فتعال نبكي يا نجي شبابي
تجري الدموع وأنت دان واصل ... كمسيلهن وأنت في الغياب
أنكرت بي ناري عشية لامست ... شفتاي منك أنامل العناب
ومشت يميني في غزير حالك ... مسترسل كالجدول المنساب
وسألت: ما صمتي وما إطراقتي ... وعلام ظلت حيرة المرتاب
أقبل! أذقني ما اليقين وهاته ... خلوا من الآلام غير مشاب
أقبل! لأقسم في حياتي مرة ... أن الذي أسقاه ليس بصاب
لهفي على هذا اليقين وطعمه ... بفمي وتكذيبي شهي شرابي
من أنت؟ من أي العوالم ساحر ... مستأثر بأعنة الألباب
مهلا سليل النور! ما هذي الدنى ... أبدا مكان جلالك الخلاب
حدثت نفسي إذ رأيتك باديا ... وأطلت تسآلي بغير جواب
ما يصنع الملك الطهور بعالم ... فان وأيام كلمع سراب
ما يصنع الأبرار في الأرض التي ... ساوت من الأبرار والأوشاب
دوارة أبد السنين كعهدها ... من ليل آثام لصبح متاب

(١٧) نشرت في ١٩ مايو ١٩٢٨.

تغلو الحياة بها إلى أن تنتهي عند التراب رخيصة كتراب
أغفر خليلي الشك في الرؤيا التي ملكت علي مشاعري وصوابي
يا طالما ضج الفؤاد من المنى وشكا التماع سرابها الكذاب
يا هيكل الحسن المبارك ركنه الساحر النور الطهور رحاب
لا صدق إلا في هيبك وحده وجلاله الباقي على الأحقاب
قدمت قربانى إليه بقية من مهجة تلفت على الأحباب
فإذا سحت دفعت فيه دماءها ورجعت أحمد من ذراك مآبي
وأذبت جوهرها فداء نواظر علوية قدسية المحراب!

خـــواطر الغـــــــروب

قلت للبحر إذ وقفــت مســاء كم أطلت الوقــوف والإصــغاء
وجعلت النــسيم زادا لروحــي وشــربت الظــلال والأضـــواء
وكـــأن الأضـــواء مختلفـــات جعلــت منــك روضــة غنــاء
مر بي عطرها فأســكر نفــسي وسرى في جوانحي كيــف شــاء
فأطرحـــت الهمـــوم والأعبـــاء ونـــسيت العـــذاب والبرحــاء
وكـــأني أرى بعـــين خيـــالي ساحر المقلــتين يغــضي حيــاء
وكــأن الوجــود لم يحـــو إلا حـــسنه والطبيعـــة الحـــسناء
نشوة لم تطل صحا القلب منــها مثـــل ماكـــان أو أشـــد عنــاء
إنمـــا يفهـــم الـــشبيه شـــبيها أيها البحـــر نحـــن لـــسنا ســـواء
أنت باق ونحن حــرب الليـــالي مزقتنـــــا وصــــيرتنا هبـــــاء
أنت عات ونحن كالزبــد الــذا هب يعلو حينـــا ويمــضي جفــاء
وعجيب إليك يممــت وجهـــي إذ مللـــــت الحيـــاة والأحيــــاء
أبتغي عندك التأسي وما تملــك ردا ولا تجيـــــــب نـــــــداء
كل يوم تساؤل.. ليت شــعري مـــن يـــنبي فيحـــسن الأنبـــاء

(١٨) نشرت في ٢٢ نوفمبر ١٩٣٠.

ما تقول الأمواج! ما آلم الشمـ / س فولت حزينة صفراء
تركتنا وخلفت ليل شك / أبدي والظلمة الخرساء
يا لهذا الجلال والأبد المجـ / ـهول يزداد حيرة وخفاء
روعتني ضآلة الناس فيه / فبكيت الحياة والأحياء
وبكيت الغرور والأمل الوا / سع والسخط والرضى والرياء
ما ترجيه ريشة في مهب السريح / تلقى الإعصار والأنواء
ما يرجيه ذلك القبس الخا / بي وشيكا كأنه ما أضاء
والخيال الذي تراءى وولى / غير وان كأنه ما تراءى
نحن ألعوبة القضاء ومن يملك / أمرا ومن يرد القضاء
ولعل القضاء يسخر مني / حين أبكي وما عرفت البكاء
فليدعني القضاء أبكي لأشفي / لم تدع ذلة الهوى كبرياء
لاح خلف الدموع وجه حبيب / لا أرى غيره لقلبي عزاء
قلت للقلب جاء ربك فاهلل / كم ظمئنا فما وجدنا الماء
لم تشبنا الحياة إلا بهذا / حسبنا وجهه الجميل جزاء

السآمة

بين الضنى والملال   طالت علي الليالي
وغربة الروح طالت   في الأسر والأغلال
ولهفة القلب طالت   رهن القيود الثقال
يا أيها القلب أقصر   وكف عن تسآلي
فيم الجدال وسر الـ   ـحياة فوق الجدال
عبء حملنا وناءت   كواهل من كلال
من يحمل العبء يصبر   له على كل حال
إن لم تطقه فدعه   أو قم به كالرجال
أكل يوم بكاء   على رجاء محال
وكل يوم حنين   إلى بعيد المنال
وكل يوم نزوع   إلى قصي غال
وكل يوم هيام   بكل معنى عال
بين الكواكب حينا   وفي سماء الخيال
تعلو وتصفو وباقي القـ   ـلوب في الأوحال

(١٩) نشرت في ٢٤ يناير ١٩٣١.

وفي السحائب تشدو … كالطائر الجوال
فليت أنا ضمنا الـ … ـخلود في الأجيال
وليت أنا أصبنا … مـسعادة الجهال
وليت أنا عرفنا … يوما هدوء البال
لكن رجعنا وظل الشبـ … ـاب في اضمحلال
مشكاته بين عصف النـ … ـكباء والأهوال
وزيته في نضوب … ونـاره في اعتلال
فما عناد الأماني … وما صراع الذبال
تكشفت بعد لأي … خوادع الآمال
عن مقفر ليس فيه … غير التماع الآل

***

يا قلبي الباكي اغتنم … من قبل شد الرحال
ليس الصبي بمعاد … ولا العهود الخوالي
وآخر العمر يوما … جوف الثرى المنهال
سيلتقي القبح فيه … بدمية من جمال
وعاجز الرأي وفيه … بمستتم الكمال
يا قلبي الباكي اضحك … ضحك الطروب السالي

أما تصباك يوما ... حسن الربيع الحالي
ورحلة العمر بين ... البكور والآصال
وصدحة الطير تهفو ... للجدول المختال
أين الحبيب المفدى ... بين الصبى والدلال
في فتنة لا تبالي ... ومبسم قتال
يا جنتي وعذابي ... وطلبتي وسؤالي
أما سمعت نداء الـ ... ـقلب الجريح تعالي

ظـــــلام ونـــــــــــــــــور

نزل الظلام فلاح حـين مقـامي لم يبق غير مـدامعي وسـلامي
هبط العقاب على الديار فلفـني في جنحـه وأظلـني بقتـام
والسيل قد غمر المدائن والقـرى وطغى كما يطغى العباب الطامي
نفـسي تحـدثني بـأني مغـرق لا حول لي في لجـه المترامـي
فلأي أرض بعـد أنقـل متعبـا قدمي وأحمل هيكلي وحطـامي
ضاقت علي الأرض وهي مفسازة فوق امتداد الظـن والأوهـام
سكنت سكون القبر ثم تناوحـت فيها الرياح كـساهر بـسقام
ثكلى إذا أنـت أحـس كأنهـا راحت تدوي في صميم عظامي
كفـساك أومأتـا إلي وقالتـا: من للرميـة يقتفيهـا الرامـي
فنفضت عني الموت وهو ملازمي حيث التفت فمـا أراك أمـامي
أجتـاز أي كتائـب مرصوصـة واشق نحـو حمـاك أي زحـام
سد من الـدنيا ومـن أغلالهـا وعـواثر الألبـاب والأفهـام
فـإذا خلونـا عاودتنـا سـاعة رقد الهوى في ظلـها البـسام
هلت على أفق الحيـاة ونـورت وتألقـت في خـاطر الأيـام

(٢٠) نشرت في أبريل ١٩٣٣.

كم من رؤى عزت علي تكشفت		فرأيتـــها بنـــواظر الإلهـــام

وسعادة شـــردت وعـــز مناهـــا		فقنـــصتها في نـــشوة الأحـــلام

وعرفت ما طعم الهدوء أنا الذي		لم ألق ســـاعة راحـــة وســـلام

وصـــف أصلـــع

يـــا معجبـــا تـــاه علـــى صـــحبه
برأســـه بـــورك مـــن رأس

فنـــصفه الأعلـــى بـــه أجـــرد
عـــار.. ولكـــن القفـــا مكـــسي

يـــا حـــسنه مـــن "بتنـــساج" بـــه
تمـــشي القباقيـــب بـــلا حـــس

"يبرطـــع" البرغـــوث في ســـاحها
ويـــشرد المـــسكين لا يرســـى

(٢١) نشرت في أبريل ١٩٢٣.

حسناء بجانب أمها الدميمة

وغـــــــــادة تجلــــــــس في جـــــــــانبي
كأنهـــــــــا الزهـــــــــرة في كمهـــــــــا
أبـــــدع مـــــا تنظـــــر عـــــين امـــــرئ
وخيبـــــــــة الله علـــــــــى أمهـــــــــا

(٢٢) نشرت في ٣١ مارس ١٩٢٨.

تحية مصر لفلسطين

أهب ببيانك الصافي تدفق ... وقف بالقدس واهتف في رباه
وقم نقضي الحقوق إذا دعينا ... أليس الشرق يجمعنا حماه؟
سلام الله من أبناء مصر ... إلى أرض البسالة والفتوه
من المهد الذي هز البرايا ... إلى مهد القداسة والنبوه
من الوطن الكريم على الليالي ... إلى الوطن الكريم على الجوار
من الوادي الخصيب بلا نظير ... إلى الوادي المكلل بالوقار
وقد رقت حواشيه إلى أن ... رأيت الطود يخضر اخضرارا
لقد فاض الجلال عليه حتى ... كأن عليه من نور إزارا
تهب به النسائم ساحرات ... كأن أريجها أنفاس موسى
وتأتلق الحياة على الروابي ... كأن على الربى كف عيسى
وتنظر روعة الإسلام فيه ... وقد غمر المدائن واليبابا
فحيث تدير في الأنحاء عينا ... فنور محمد ملأ الرحابا
حللنا في ذراكم يوم عيد ... بعدنا فيه عن مصر مزارا
فألفينا لديكم ألف عيد ... تنسينا الأحبة والديارا

(٢٣) نشرت في مايو ١٩٢٣

وكم عبرت بلا فرح ليال — وكم بالله أعياد تمر
وكيف تطيب أعياد وتحلو — لصاد والفم المحروم مر
وكيف تطيب أعياد وتحلو — إذا عز التعاهد واللقاء
فإن العيد عيد يوم تدنو — ويجمعنا التفاهم والإخاء
بني القدس التفت فسر قلبي — جهود بالشدائد لا تبالي
أرى روح الحياة تفيض فيكم — وعزمكمو يفيض على الليالي
أرى أملا وقلبا حيث أمشي — وأعثر بالحياة إذا التقيت
إلى أن قال قائلكم لديكم — بأقصى الأرض بحر وهو ميت
خرجنا أمس في ركب جليل — تؤدي للمنية ما علينا
فلما أن بلغناه جميعا — وقر الركب عند الشط عينا
عجبت لمن يسمي ذاك ميتا — وقلت يمين ربي ذا الحياة
أميت من يحينا ابتساما — وتشرق في جوانبه الحياة
نزلنا فارحين على ذراه — فراشات تحوم فيه وثبا
يكاد المرء يشربه سرورا — كأن الملح فيه صار عذبا
أراغب قمت أهدي عن علي — تحيات الكريم إلى الكريم
وإن أشكر يدا لك وهي تسدي — فتلك يد العظيم إلى العظيم

الشبــــاب الثانـــي

لا الروح غاربة ولا أنـا فـانِي — إني ضمنت بك الشباب الثـاني
اليوم أهزأ بـالردى فليرمـني — ما شاء إني اليـوم غـير جبـان
فارقت عالمنا وعفـت همومـه — ودخلت عالم حـسنك الفتـان
فنسيت آباد الحيـاة وطولهـا — وعرفت أن الخلد بـضع ثـوان

(٢٤) نشرت في يناير ١٩٣٤.

رثاء صديق

(الدكتور محمد نصر الدين)

طلق شجونك في ثرى الأحباب وانثر دموع العين دون حساب

لم لا تفيض مدامعا ومواجعا لصديقك الثاوي بغير مآب؟

يا لوعة الدنيا وراء مودع يمضي إلى الأخرى بألف ثواب

أسفا لنصر الدين أين جنانه وحنانه الشافي من الأوصاب

ويد كعيسى كم شفت من علة وأست صريع وجيعة وعذاب

يتجمع الشاكون ملء رحابه متوافدين على أبر رحاب

فيظل يدفع عنهم شبح الردى ويرد رد الواثق الغلاب

ما كان في وهم ولا في خاطر أن الردى لطبيبهم بالباب

أو هكذا الدنيا وذاك مآلها اسفا لغادرة كلمع سراب

تغلو الحياة بها إلى أن تنتهي عند التراب رخيصة كتراب

أو هكذا الدنيا وذاك مآلها أو ذاك وعد خيالها الكذاب؟

أمل على أمل وآخرة المنى نوم على نوم مدى الأحقاب

***

(٢٥) نشرت في يناير ١٩٣٤.

يا أيها الثاوي المكفن بالرضى ما يصنع الملكان يوم حساب

أي الحساب لذاهب وحياته علوية قدسية المحراب

فتحت له الجنات واحتفل الملائك بالطهور الصادق الأواب

***

أمسيت قرب الحق فاسمع صوته ذهب الحمام بحيرة المرتاب

وخلعت ثوب العيش وهو مهلهل فالبس كما تهوى جديد شباب

واظفر بنور الخلد قد بلغته أنت الجدير بمجده الخلاب

يا دار لاشين

يا دار لاشين حيتك المسلاماتُ
والناس عندك ياكلوا الأكل ويباتوا

تموج بالرائح الغادي مواكبها
خلقٌ صنوفٌ وأشكالٌ عجيباتُ

حتى إذا كثروا في الدار وانقلبتْ
كمولد البدوي رغيٌ وصيحاتُ

ترنُ صيحةُ «تيزي» في سلالمها
ما تختشوا والا إيه دا اللي اختشوا ماتوا

ماذا ترى العينُ؟ إن اليومَ في حُلُمٍ
وسكي وصودا وأقداحٌ ومزاتُ

كانوا إذا ما أتيح العرقسوسُ لهم
يقولُ قائلهم زارني النبي ذاتُه

(٢٦) نشرت في ٣١ يناير ١٩٢٤.

تحية لمجد مصر

بلادَ النيل يا مهدَ المعالى ... ويا وطنَ العظائم والجلالِ
سلمتِ لنا وعشتِ على الليالى ... وقدَّسْنا سماءكِ والترابا
هنا المجدُ الذى هزَ البرايا ... هنا أرضُ الطلاسمِ والخفايا
هنا سرُّ الموالد والمنايا ... هنا النور الذى غمر الرحابا
فقلْ للمنكرين الجاهلينا ... أفيقوا إننا نحن الذينا
أتينا بالملوكِ مكبلينا ... ونلنا المجد أخذاً واغتصابا
فكم من رائحين ومن غوادى ... أتوا أرضَ الفراعنة الشدادِ
ومختلفين من أقصى البلادِ ... لكيما يبصروا العجب العجابا
فطافوا بالمضاجع خاشعينا ... ومروا بالمفاخر مطرقينا
ألسنا قد تحدينا السنينا ... صبانا ناضرٌ والدهرُ شابا؟
وقد خشعوا وقالتْ كل نفسِ : ... يمينَ الله لم أنزلْ برمسِ
ألم نجد الطعام كيومِ أمسِ ... ألم نَلْقَ الموائد والشرابا
ولَمَّا أبصروا الملك العظيما ... رأوا قوماً كما كانوا قديما
يقسِّم المجد بينهمُ نديما ... ويحرسُ دورهم باباً فبابا
وماذا ينكرونَ عليكِ مصرُ ... بساطك أخضرٌ وثراك تبرُ
وقلبكِ طيبٌ ونداكِ غمرُ ... ووردكِ ساغَ للدنيا وطابا؟!

(٢٧) أُلقيت في يناير ١٩٣٤ ونشرت في فبراير ١٩٣٤.

إذا طلبوا السلامَ ففيك صفحٌ وإنْ طال الظلامُ فأنت صبحُ
وإنْ سقموا أتوا مصرًا فَصحُّوا وجاءوا يستعيدون الشبابا
ولن يلقوا كماءِ النيلِ ماءَ جرى شهداً وأكسبهم شفاءَ
وأجرى في خدودهم الدماءَ فعادوا بعدما بلغوا الرغابا
وأين كمثل هذا الأنس أنسُ وجَوُّكِ نعمةٌ وحماكِ قدسُ
وأين كمثل هذى الشمسِ شمسُ لمن ألفتْ نواظره الضبابا
وكم روح وكم طيف قريبٌ وكم بين الجدود لكم حبيبٌ
ولكن الضميرَ هو الرقيب رقيبٌ ليس يألوكم حسابا

«الأقصر»

تحية إلى ذقن الدكتور محجوب ثابت
"من طبيب فى حفلة سنوية"

رُبَّ يومٍ إذ حكينا ما لدينا ... وقصصنا
قد أطلَّت ذقن محجوب علينا ... فرقصنا
ماجت الأرضُ ومادتْ بالسرور ... والحياه
مقبلاً يقرعها قَرْعَ الأمير ... بعصاه
رب ذقن قد تجلت حول ثغرٍ ... باسمٍ
وتدلت بدلالٍ فوق صدرٍ ... أعظمِ
هى روحٌ: هى قُديسٌ عظيمْ ... للتبرك
شعر شمسون هو السرُّ القديمْ ... وهْىَ سوك
هى للأزمة فى مصرَ دواءْ ... وعلاجْ
وعن السودانِ صوتٌ ونداءْ ... واحتجاجْ
تفهمُ القولَ وتصغى للكلامْ ... سامعه
وهى للآداب والعلمِ التمام ... «جامعَه»
زادها اللّه ولا زالتْ عليكْ ... تتماذَى
وأراني فرعَها فى قدميكْ ... يتهاذَى
وأراني وجَهكَ البدر التمامْ ... ها هنا
أنت مدعُوّ لديهمْ كلَّ عام ... وأنا!

(٢٨) نشرت في أبريل ١٩٢٤.

كأس كوكتيل

وفي الكأسِ من ماء الخدودِ عصارةٌ
أحلُّ الهوى للعاشقينَ شرابُهَا
وما كنتُ أدري قبلَها أنَّ وَجْنَةً
تنفَّسَ فيها عاشقٌ فأذابَهَا

(٢٩) نشرت في ديسمبر ١٩٣٤.

إلـــى منيرة توفيق

أمــنيرةَ الوجــه الــسنيّ تقبلــي   مــنيْ جليــلَ تحــيتي وســلامي
إن كانَ قد قصُرَ اللقاءُ ففــي غــد   يغدو خيالــكِ في البعــاد أمــامي
فكأنمــا رفّــتْ علــيَّ خــواطرٌ   ممــا تطــوف علــيّ في الأحــلامِ
فسألتُ نفسي مذ رأيتــكِ هاهنــا   مَنْ ذلك المَلَكُ الكريم الــسامي؟!

(٣٠) أعتقد أنها كتبت عام ١٩٣٤.

تــــــوأم الـــروح

مهــــــلاً فــــإنّ المنـــــادى شـــطرُكَ الظـــــامى
يـــا تـــوأمَ الـــروح أدركْ روحـــيَ الـــدامى
إنى مـــن الليـــلِ في قـــبرٍ ومـــنْ شـــجنى
فى جـــنحٍ مـــصطخبٍ كالزبَـــدِ الطـــامى
واليـــومَ لى صـــرخةٌ تـــدعوكَ يـــا أملـــى
مـــن جـــوفِ ليالـــى ومـــن أعمـــاقِ آلامـــى
يـــداكَ ياكـــلّ أحلامـــى يـــدًا ملَـــكٍ
همـــا شـــقائى همـــا ... يـــا كـــل أحلامـــى
إنّى بـــالله أنـــسىَ مـــا جـــنىَ زمـــنى
وامـــددْهُمَا لَـــى تغفـــرْ جـــرحَ أيـــامى

(٣١) نشرت في ٧ أغسطس ١٩٣٥.

نســـــاء الشـــوارع

أيها الجالسُ في مرقبه

أترى الدميةَ تمشي أترَى؟

أترى كيفَ مشتْ مبطئةً

وتأنتْ فهْيَ تمشي القهقرَى

أترى هذا الذي ساومَها

لا يبالي ما الذي قالَ الورَى؟

عصبتْ شهوته أعينَه

فهْوَ بالشهوة أعمى لا يرَى

نسوةٌ معدنُها هذا الثرى

هُنَّ دوماً لاصقاتٌ بالثرىَ

(٣٢) نشرت في ٢١ أغسطس ١٩٣٥.

عاصفـــــة روح

أيـــن شـــطُّ الرجـــاءْ — يـــا عبـــابَ الهمـــومْ

لــــيلتي أنــــواءْ — وغــــاري غيـــومْ

أعـــولي يـــا جـــراحْ — أسمعـــي الـــديّانْ

لايهـــم الريـــاحْ — زورقٌ غـــضبانْ

البلَـــى والثقـــوبْ — في صـــميم الـــشراعْ

والـــضنى والـــشحوبْ — وخيـــالُ الـــوداعْ

في احتـــدامِ النـــارْ — واصـــطخابِ الأنـــينْ

تـــضحكُ الأقـــدارْ — تـــرقصُ الـــسكينْ

كـــل يـــومٍ يـــروحْ — في احمـــرارِ الجـــروحْ

كـــل صـــبحٍ يلَـــوحْ — فجـــرُه مـــذبوحْ

اســـخري يـــا حيَـــاةْ — قهقهـــي بـــالرعودْ

الـــصبا لـــن أراهْ — والهـــوى لـــن يعـــودْ

الأمـــاني غـــرورْ — في لظَـــى البركـــانْ

والـــدجى مخمـــورْ — والـــردى سكـــرانْ

وخليـــعُ العبـــابْ — موجُـــه العربيـــدْ

دارَ بالأكوابْ   ويلَ هذا العيدْ
راحَتِ الأيامْ   بابتسامِ الثغورْ
وتقضّى الظلامْ   في عناقِ الصخورْ
كانَ رؤيا منامْ   كأسُكِ المسحورْ
يا ضِفافَ السلامْ   تحتَ عرشِ النورْ
اطحني يا سنينْ   مزقي يا حرابْ
كلُّ برقٍ يبينْ   ومِيضُه كذابْ
اسخري يا حياهْ   قهقهي يا غيوبْ
الصبا لن أراهْ   والهوى لن يؤوبْ

(٣٣) نشرت في أول سبتمبر ١٩٣٥.

المساء

يا غلةَ المتلهفِ الصادي   يا آيتي وقصيدتي الكبرى
زادي لقاؤكِ: طابَ من زادِ   وإذا نأيتِ أعيشُ بالذكرى

* * *

يلْقَى خيالكِ كيفما باتا   صبٌّ له لفتاتُ مسحورِ
يَرْوَى ويشبع منك هيهاتا   لا يرتوي بصرٌ من النورِ

* * *

بعد الأوارِ يدبُّ في الغرسِ   لا يرتوي عودٌ من الطلِّ
ومَن احتسى من لفحة الشمسِ   لا يرتوي أبداً من الظلِّ

* * *

ذقتُ المنايا غدَّ أنفاسي   والبعثُ كان شبابَكِ الزاهي
ومن ارتوى من سخطِ الناسِ   لم يروه غير رضا الله

* * *

يا للمساء العبقريِّ وما   منحتْ من النفحاتِ عيناكِ
أوَ كانَ رؤيا واهمٍ حَلُمَا   ما كانَ أقدسَه وأسناكِ

* * *

(٣٤) نشرت في ١٦ سبتمبر ١٩٣٥.

يـــا للنــــسائمِ مـــسبِّحةً	خشعتْ بهيكلِ ذلكَ الــوادي
فحفيفُهــا همــساتُ أجنحـــةٍ	ورفيفهـــا صـــلواتُ عُبَّـــادِ

* * *

نمشي وقد طالَ الطريــقُ بنــا	ونــودُّ لــو نمــشي إلى الأبــدِ
ونودُّ لو خلَــتِ الحيــاةُ لنــا	كطريقنا وغَــدَتْ بــلا أحــدِ

* * *

نبني علـــى أنقــاضِ ماضــينا	قصراً مـــن الأوهـــامِ عملاقــا
ونظـــلُّ ننــشدُ مـــن أمانينـــا	وشـــياً مـــن الأحــلامِ براقـــا

* * *

وأظـــلُّ أســـقيها وتمـــلأ لي	من منبعٍ فوقَ الظنــونِ خفـــي
حتى إذا سكرتْ مـــن الأمـــلِ	وترنحتْ مالـــتْ علـــى كتفـــي

* * *

حلفتْ بـــأني أغتـــدي معَهـــا	حيث اغتدتْ وهوايَ في دمهـــا
فمسحتُ بـــالقبلاتِ أدمعَهَـــا	وطبعتُ أقسامي علـــى فمهـــا

* * *

إنّا لقـــومٌ أنكـــروا الجـــسدَا	فاعجبْ لمفتـــرقَيْن مـــا افترقَـــا
أوَمَا تـــرى روحيهمـــا اتحــدَا	أومـــا تـــرى ظليهمَـــا اعتنقَـــا

أنوار المدينة

ضحكتْ لعينيَّ المصابيحُ التي ... تعلو رؤوسَ الليلِ كالتيجانِ

ورأيتُ أنوارَ المدينةِ بعدما ... طال المسيرُ وكلَّتِ القدمانِ

فحسبتُ أنْ حان القرارُ لمتْعَبٍ ... في ظلِّ تحنانٍ وركنِ أمانِ

فإذا المدينةُ كالضبابِ تبخرتْ ... وتكشفتْ لي عن سرابِ أمانِي

قدرٌ جرى لم يجْرِ في الحسبانِ ... لا أنت ظالمةٌ ولا أنا جاني

ماذا صنعت بعشك نيرانه ... ضنَّتْ يداك فظلَّ في النيرانِ

ومعذَّبِ الحرمانِ كانَ لقاؤه ... بك كلُّه ضرباً من الحرمانِ

(٣٥) نشرت في أول أكتوبر عام ١٩٣٥.

أعـــاصــير مصـــريــة

«مهداة إلى روح الشهيد عبدالحكم الجراحي»

كَمْ أغـــر في بـواكيرِ الـصِبَا ناضرٍ يـسحب أذيـال الـنعمْ
طبعُـه الجـودُ فلمـا هتفـتْ مصر تدعوه تنـاهى في الكـرمْ
قَدَّمَ الـروحَ إليهـا ومـشى ثابتَ الخطـوة جبـارَ القـدَمْ
كلفته اليقظـةُ الكـبرى بهـا مهجةً ترعـى وعينـاً لم تـنَمْ
جـشمته خطـةٌ داميـةٌ وعرةَ المسلك حُفَّتْ بـالألمْ
يجـدُ المـوتَ بهـا لذتَـه ويرى العـارَ إذا المـرءُ سَـلِمْ
يا لمصرَ الجنة الفيحـاءِ كـمْ فتحتْ قبراً لنـابغ قـد ظلَـمْ
يطلع الصبحُ على هذى الـربى فإذا الوردُ ضـحوكٌ في الأكَـمْ
فإذا أمـسَى المسـاءُ انقلبـتْ فَوْهَـةً حمـراءَ تغلـي بـالحممْ
لستَ تدري إذ تراها ظمئـتْ فَرَوَى الأحـرارُ واديهـا بـدمْ
ذاكَ لونُ الوردِ؟ أم لونُ الـردى الجـاثمِ أو لـونُ الجحـيم المـضطرمْ؟

(٣٦) نشرت في أول فبراير ١٩٣٦.

إلـــى ريـــاض المعلـــوف

«دعـــــــــــابـــــــــــة»

هذي الروشنة في الظهيرة أُعطيــت

مـــن شـــاعر لـــصديقه المعلـــوفِ

تـــذكار ودٍّ في الجـــوانح خـــالص

من معجـــبٍ بقريـــضه مـــشغوفِ

(٣٧) كتبت خلال فبراير ١٩٣٦.

بايعتُ حسنك

بايعتُ حُـــسنكِ أولاً وأخـــيراً ورضيتُ حبّكِ ســيِّداً وأمـــيراً
وحنيتُ رأسي واطّرحتُ غرورى وأتيتُ أرسف فى القيود أســيراً
آمنتُ بالحبِّ القسوىَ ورعـــدة سبقتْ غرامكِ غازيـــاً ومغـيراً
يجتاح أيامى ويجعل مـــضجعى شوكاً، وليلاتى الطوالَ ســعيراً
واهاً لنارِكِ..إفتحــى أبوابهـــا للقلب.. يستقبلْ لظـــاكِ قريـــراً
النار والآلامُ.. ما أحلى الفدى مادام حبُّـــكِ بالفـــداء جـــديراً
و اروعـــةَ الإيمـــانِ فى محرابــه والصمتُ يغمر مهجةً وشـــعوراً
وارهبةَ العاصى تقربَ واغتدى طفلاً لدى النور الكبير صـــغيراً
وارجفةَ الجبـــارِ قـــدّم قلبــه وجثا..وسلَّمَ..طائعـــاً مقهـــوراً

(٣٨) نشرت فى يناير عام ١٩٣٦.

صخور وأشواك

كل يومٍ يمرُّ يُحْيِي جروحي كل يوم يزيـد غربـةَ روحسي
كل يومٍ يضيقُ حتى محا الضيـ ـق رجائي بقرب يومٍ فسيحِ
لم تَحِنْ هدأتي ولا أذن اللـ ـه لرأسي بضجعة المستريحِ
وأراني إن مزق الشوكُ أقدا مسي وزاد العثارُ في التبريحِ
أمسكُ القلبَ مستجيرا كأني صرت أمشي على فؤادي الذبيحِ

(٣٩) نشرت في يناير ١٩٣٦.

اســـــــترحــــــــام

أنـــــــا أهـــــــواكَ وإنْ لمْ تقـــــضِ لى يومــــاً ديونَــــكْ
لا أبــــــالى خُنْــــــتَنى أمْ غيَّـــــرَ البُعـــــدُ يمينَـــكْ
أيهــــا الطـــــائر عـــــنِّىَ طـــرتَ عمَّـــنْ لـــنْ يخونَـــكْ
كلّما عدت ترى القيــــــــــــــد وتلقـــانى ســـجينَك
فاســـأَلِ الأيــامَ هـــلْ قـــدْ ضــنَّت الأيـــامُ دونَـــكْ
كم مَحانى السقمُ والهجـــــــــــــرُ ولم أفْـــح ظنونَـــكْ
صاحَ جرحى بسك صَـــدِّقْ أيهـــا الرامـــى طعينَـــكْ
عندمَا استرحمتُ كفيـــــــــــــك وقبَّلـــتُ عيونَـــكْ

(٥٠) نشرت في يوليو ١٩٣٦.

محمـــود بـــك بســـــيوني

قَدّمْ لبسيوني قريضكَ واعتــذرْ
غُرَرُ القريضِ أقل ما يجزى بـــه

لكنـــه زهـــرُ الحسبُ وورده
وتحيـــةُ الـــواقى إلى أصـــحابه

إن كانَ يومُكَ ذا فإني شـــاربٌ
كأسَ السرور ومتـــتش بحبابـــه

اليـــوم يـــوم للأحبـــة كلّهـــا
فَدَع الصديقَ يثبْـلك ثمـــا بـــه

زينُ الشيوخ حلفت أنك بينهمْ
رجلٌ جلالُ المجدِ مـــلءَ ثيابـــه

لو زعّموكَ على الشباب جعلته
كالسيلِ يزخر فى قـــوىً عبابـــه

كم وقفة لك بيننـــا فى مجلـــس
أقسمتُ كنتَ به شبابَ شـــبابه

خيلتُ سعداً فى قـــوىً بيانـــه
ورأيتُ قسا في حماسيٍّ خطابـــه

لا تذكرنْ لِيَ الـــسنينَ وعـــدها
العمرُ يقْـــدرُ بالفعـــالِ النابـــه

كم لمة ســـوداء تعلـــو هامـــةً
شاختْ وأدركها البلىَ بخرابـــه

كم لمة مثـــل النـــهارِ أشـــعةً
هى قبلةُ السارى ونـــورُ ركابـــه

كالأُفْقِ مبيضُ الغمائم مـــشرقٌ
والشمسُ تلمعُ من وراءِ سحابه

يا رُبَّ طود بـــالثلوج متـــوَّج
ما مسَّت الدنيا جديـــدَ إهابـــه

سجد الربيعُ مكـــبراً لجلالـــه
وتلفّتَ الوادى بخـــضر هـــضابه

لِمَ لا يكرم ذلك الليث الـــذى جَمَعَ الضراغمَ كلـــها فى غابـــه

مهما يدُرْ بالشرقِ خطبٌ تلقهم فى ظلـــه وتـــراهُمُ فى بابـــه

فترى فلسطين الشهيدةَ عنــده وترى العراقَ لدى كريمِ رحابـــه

لو يستطيعُ مشَى لتلك الفضل الذ ى قضيت عمركَ فى ارتيادِ شِرابه

ومشى إلى تكريمكَ الوطنُ الذى لولا التقى صــليتَ فى محرابـــه

(٤١) نشرت فى ٢٩ يوليو ١٩٣٦.

مـــــــرة

هـــذه دَارُهَـــا فـــلا تَـــدّعَانِي .... آهِ صـــاحِبيَّ لمَّـــا عـــرانِي
أتقولانِ قد تسليتُ عنها ومـــسحتُ الـــدموعَ مـــن أجفـــانِي
فلِمَ الرجفَـــةُ الـــتي في دمـــائي ولِمْ الرعـــدةُ الـــتي في كيـــاني
وانفاقُ الحيـــاةِ واضـــحلك الأيـــام مـــنى واكذبـــةُ الـــسلوانِ
أسكبُ الدمعَ مرة ثم أغـــدُو ذلـــكَ الـــساخرَ الخليَّ الهـــانِي
أسكبُ الدمعَ مرةً وبلوتُ الموتَ ألفـــاً لـــو كنتمـــا تعلمـــانِ
ضِحْكتي ثورتي وقهقهـــةُ الـــسخرِ عنـــدي تمـــردُ البركـــانِ

(٤٢) نشرت في أول يناير ١٩٣٧.

إحياء ذكرى حافظ ابراهيم

أنتَ حيٌّ برغمِ عادِ الفناءِ لا يُصاغُ الرثاءُ للأحياءِ
هذه الهجرةُ التي عَزَّ معْنا ها على الآخرينَ والخلصاءِ
زورةٌ في معارجِ النورِ تلقى الوحيَ فيها والشعرِ كالإسراءِ
مَنْ يقلْ ماتَ حافظٌ ضلَّ رأياً البلى لا يكونُ للشعراءِ
لا تقولوا قضى ولا تندبوه هذه رجعةُ الغريبِ النائي
إنما الشاعرُ العظيمُ غريبٌ في ديارِ الأجدادِ والآباءِ
جسدٌ في الثرى وروحٌ شريدٌ في الأعالي محلّقٌ في السماءِ
ولقد رُدَّ ذا الغريبُ عن الدنيا إلى أصلِه في الجوزاءِ
كيف يَفْنى من عَطَّرَ الخلدُ يديه وفي شعرِه نسيجُ البقاءِ
إيه يا خدنَ مصطفى كاملٍ والعهدُ عهدُ الخطوبِ والإيذاءِ
وصديقاً لا ينثني ووفياً في الزمانِ الضنينِ بالأوفياءِ
وشقيًّا ينسى تَفَاقُمَ بلواه ويبكي لغيرِه في الشقاءِ
وفقيراً يرى الغنى والأماني في اعتصامِ النفوسِ بالكبرياءِ
إذا العبقريُّ رامَ أمراً توخّى سُبُلاً فوقَ قدرةِ الأقوياءِ
ورأى السُقْمَ علةَ الواهي الخائفِ والبؤسَ حجةَ الضعفاءِ
أتراهمْ في ذروةِ الخلدِ قالوا لك عنا الجديدَ في الأنباءِ

حومةُ الموتِ استصرختْ مصطفى الثاني فأبلى بها أجلَّ البلاءِ

واللواءُ الخضيبُ كم زادَ حبًّا   فانثني ظافراً عزيزَ اللواءِ

طالعاً مطلعَ الهلالِ إذا ما   لاحَ في جنحِ ليلةٍ قمراءِ

* * *

انطوى ذلكَ البساطُ الذي مُدَّ وفُضَّتْ مجالسُ الندماءِ

وليالي الصفاء تمضي عجالاً   والمنايا بالموتِ غيرُ بطاءِ

وحبيب يمرُّ إثرَ حبيب   ليتَ شعري مابعدَ هذا الثناءِ

والنوى كالردى عذابٌ ولكنْ   يمسكُ القلبَ حُلْمُه باللقاءِ

(٤٣) نشرت في ١٣ مارس ١٩٣٧.

الأطلال – الضائعة

يا لَمنفيَّيْنِ ضلا في الوعورِ دَميا بالشوكِ فيها والصخورِ
طُردَا من ذلكَ القصرِ الكبيرِ للحظوظِ السودِ والليلِ الضريرِ
كلما تقسو الليالي عرَفَا روعةَ الآلامِ في المنفى الطهورِ
يخلقانِ النورَ من قلبيهما في دُجاها كلما ضنَّتْ بنورِ

* * *

كلَّما تقسو الليالي أنْبتَا نادياتِ الوردِ من صخرِ الطريقِ
كلما جدَّدتْ قيودٌ جدَّدَا سبحاتِ الروحِ في القيدِ الوثيقِ
كم بَسطْنَا الخُلدَ في القفرِ السحيقِ ونشرْنَا الأُفْقَ رحباً من مضيقِ
وخَلَقْنَا عالماً من عدمٍ يا حبيبي ونجيِّي وصديقي

* * *

إن يكنْ ذاكَ الهوى حلماً كذوبَا إن يكن طيفاً تَولَّى لن يؤوبَا
فلقد كنتِ لقلبي أملاً أطأُ الدهرَ إليه والخطوبَا
أعبرُ الدنيا إليه ساخراً وألاقي الكربَ بساماً طروبَا
ألمحُ الأمرَ بعينيْ مُلْهَمٍ فكأنِّي بكِ أبصرتُ الغيوبَا

(٤٤) نشرت في يوليو ١٩٣٧.

بعـــــد الشــــــــباب

ذَهَبَ الشبابُ فجئتِ بعد ذهابِهِ
تـــذكينَ مـــا أطفأتـــه بيـــديكِ
لتكادُ تلفحُني النـــسائم كلمـــا
حَمَّلْتُها حُرَقَ الغـــرام لـــديكِ
ألفي لها وهجاً علـــى خـــديكِ
وأرى لها جمراً علـــى شـــفتيكِ
لا تُدْمِني نظراً إلىَّ فـــو الـــذي
جَعَلَ الهوى قَدَراً على كفيـــكِ
ما تلتقي عيني بعينـــكِ لحظـــةً
إلاَّ رأيـــتُ صـــباىَ في عينيـــكِ

(٤٥) نشرت في ٢٧ نوفمبر ١٩٣٨.

الشـــاطـــئ الخالــي

ياليـــالى غرامِهـــا ياليـــالي جنبـــيني ذكـــراكِ إنْ ســـالي

وهبـــيني آلتفـــتُ خلفـــي إلى عهـــدكِ إنْ لطـــامعٌ في محـــالِ

لا أمامي غدٌ ولا عن يمـــيني أمـــلٌ ضـــاحكٌ ولا عـــن شمـــالي

ياهواها باللهِ بعد انحـــدارِ الـــشمسِ مـــاذا تعلّقـــي بـــالظلال

قطع النسرُ شوطه بـــين همـــين: ترضُّـــيكِ وانتـــهاب المعـــالي

شـــهد الله مـــا أسَـــفَّ جناحـــاه ولا حلَّقَـــا علـــى أوحـــالِ

وهبي المجد داؤه القممُ الـــشماء فالجـــسدُ مـــوحشٌ في الأعـــالي

خطرتْ تحتـــها بأعراســـها الـــدنيا ومـــرتْ مواكبـــاً لا تبـــالي

ما مقامي بها شقيا غريبـــاً .. بعـــدتْ شـــقتي وطـــال اغتـــرابي

يا هباءَ الهبـــاء يـــا زبـــدَ البحـــرِ وذراتِ مـــستطارِ الرمـــالِ

إن بعضَ الهدوء ضربٌ من الرعبِ وبعـــضَ الثـــواء كالترحـــالِ

أين مرسايَ والسفينةُ ظلتْ في صـــراعٍ وشـــاطئي قبـــلُ خـــالي

(٤٦) نشرت في ١٢ سبتمبر ١٩٣٩.

أنـــــــــــــــــــوار

(مهداة إلى الأستاذ خليل شيبوب)

طابتْ بكَ الأيامُ وافرحتاه　　أنتَ الأماني والغنى والحياه
قد وَجَدَ الضليلُ نورَ الهُدى　　يا حلمَه .. يا نجمَه ... يا سناه
فليذهبِ الليلُ غفرنا له　　ما دامَ هذا الصبحُ عقبى دجاه
جمالُكَ الطاهرُ عندي له　　إيمانُ قلبٍ في خشوعِ الصلاه
وَلِي إلى ذاكَ الجمالِ اتجاه　　ولي بسلطانكَ عزٌ وجاه
قد طَرَقَ البابَ فتىً متعبٌ　　طالَ به السيرُ وكلّتْ خطاه
لَقَّلَ في الأيامِ أقدامَه　　يبغي خيالاً ماثلاً في مناه
عندكِ قد حطَّ رحالَ المنى　　وفي حمَى حسنكِ ألقى عصاه
أينَ شقاءٌ صاخبٌ في دمي　　جرَّ عنى الضنكُ إلى منتهاه
له إذا دوَّى صاخبٌ في دمي　　ضحكُ التشَفِّي وجنونُ الطغاه
له إذا دوَّى به ساخراً　　تحدَّتِ النحسَ فشُلَّتْ يداه
شكراً لذاتٍ هبطتْ من عَلٍ　　فماتَ في قلبي حتَّى صداه
بأيِّ كفٍ طعَنتْ قلبَه　　فماتَ في قلبي حتَّى صداه
قد هَدَأَ الليلُ ورانَ الكرى　　إلا أخًا سهدٍ يغنيٌ شجاه

نَاداكِ من أقصى الربى فاسمعى لِمَنْ على طولِ الليالى نِداهْ

نادى أليفاً نام عن شجوه عذبٌ تجنّيه عزيزٌ جناه

أحبَّكِ الحبُّ وغنّى به عفُّ الأمانى والهوى والشفاه

وإنما الحبُّ حديثُ العلى أنشودةُ الخلدِ ونحنُ الرواه

(٤٧) نشرت في ديسمبر ١٩٣٩.

أحلام سوداء

رُبَّ ليلٍ قد صفَا الأفقُ بـه   وبما قد أبدَعَ اللّه ازدهرْ
قد سرى فيه نسيمٌ عبقٌ   فكأنَّ الليلَ بستان عطر
قلتُ يا ربَّ لمن جملته   ولمن هذي الثرياتُ الغرر
فخليٌّ نائمٌ عنه القدرْ   نامَ لم يسعدْ بهاتيك الصور
وشجيُّ القلبِ يشدو للذكرْ   دامي الألحانِ مجروح الوتر
كلُّ شيءٍ مأتمٌ في عينه   لا الكرى طابَ ولا طابَ السهر
غام وجهُ الأفقِ واربدَّتْ به   سُحُبٌ حامتْ على وجهِ القمر
كلما تَقْرُبُ تمتدُّ له   كأكف شرهاتٍ تنتظر
قاتمات كذئاب جُوَّعٍ   جائعات مثل غربان الشجر
صحتُ بالبدرِ تنبهْ للنذر   أدركِ الهالةَ حُفَّتْ بالخطر
لا تبحْ مائدةَ النورِ لهمْ   لا تبحْهَا لسوادٍ معتكر
قهقه الرعدُ ودوّى ساخراً   فكأنَّ الرعدَ عربيدٌ سكر
قمتُ مذعورا وهمّتْ قبضتي   ثم مُدَّتْ ثم رُدَّتْ من قصر
لَهفَ القلب على الدنيا إذا   عَجَزَ القادرُ والباغُ خور
لَهفَ القلبِ على الحسنِ إذا   قهقه الغربانُ والذئب سخر

تحتمي الوردةُ بالشوكِ فإنْ كثُرَ القُطّافُ لم تُغنِ الإبر

آهِ من غصنٍ غنيٍّ بالجَنى ومِنَ الطامعِ في ذاكَ الثمر

آه من شكٍّ ومن حبٍّ ومنْ هاجساتٍ وظنونٍ وحذر

كَسَتِ الأفْقَ سواداً لم يكنْ غيرَ غيمٍ جاثمٍ فوقَ الفكر

طالما قلتُ لقلبي كلّما أنَّ في جنبي أنينَ المحتضر

إن تكنْ خانتْ وعقّتْ حبَّنا فاضْفُها للجراحاتِ الأخر

كان طيفاً من ظنونٍ لم يدمْ وسحابا من جنونٍ .. وعَبَر

(٤٨) نشرت في ١١ ديسمبر ١٩٣٩.

تحقيق الأماني

أسائلتي، فُديتِ، عن الأماني
أجلْ، لي طلبةٌ بيد الزمان
وما أمر المقادر في يميني
ولا أمرُ الليالي في عناني
ولكنّي قضيتُ العمر حلماً
كبيراً ليس يبرحُ عن عياني
فراح العمرُ عاماً بعد عامٍ
ومر الدهرُ من شانٍ لشانٍ
ولو أني طلبتُ به لنفسي
مُنىً، ما ساءني ما قد سقاني
ولكنيّ شقيت به لغيري
فَيَحْطِبُ الخلق أجمع ما عناني
ترى قد غَيَّرَ الزمنُ الطوايا
ترى ضاعَ القديم من الحنانِ

طلبت لهم بساطا من إخاءِ

طلبت لهم ظلالاً من أمانِ

وذا أملي الكبير لو أنّ يوماً

تحققه السماءُ إذنْ كفاني

(٤٩) نشرت في فبراير ١٩٤٠.

إثنان في سيارة

مَن أي أكوانٍ وأي زمانِ

يا ساعةً بسطتْ ظلالَ أمانِ؟

هل كنتِ حين هبطت غير توانِ

ومداك فوق الظنِّ والحسبانِ

العمر أكثره سُدىً وأقلُّه

صفو يتاح كأنه عُمرانِ

كم لحظةٍ قصرتْ ومدت ظلها

بعد المغيبِ كدوحةِ البستانِ

ويعسو في الذكرى خيال شبابها

فكأن يقظتَها شبابٌ ثانِ

مَنْ ذلك الطيف الرقيق بجانبي

كَفَّاه في كَفّيَّ هاجعتانِ

إني التفتُّ إلى مكانِك بعدما

أخليتِه فبكيتُ سوءَ مكاني

لكأننـــا والأرضُ تُطــوَى تحتنــا

نجمــان في الظلمــاء منفــردانِ

لكأننــا والــريحُ دونَ مــسارنا

خَطَّــان في الأقـــدار منطلقــانِ

هل كــان ذاكَ القــربُ إلا صــيحةً

همــت بهــا شــفتان ترتجفــانِ

هــل كــان ذاكَ القــربُ إلا لوعــةً

ونـــداءَ مـــسغبةٍ إلى حرمــانِ

والنـــاس مُـــستبقون كـــلٌّ يبتغــي

غرضـــاً يكـــافحُ دونـــه ويعـــاني

حُمَّـــى مقـــدرة علـــى الإنـــسانِ

تبقـــى بقـــاءَ الأرضِ في الـــدورانِ

وكأنمـــا هـــذي الحيـــاةُ بـــضونها

وضجيجها ضربٌ مــن الهــذيانِ

(٥٠) نشرت في ٢٦ فبراير ١٩٤٠.

الربيع – عام ١٩٤٠

لمنْ هذا الجلالُ جنى وظلاّ
ومن بَسَطَ الجمال ومن أَهَلاّ
ومن نشر الضياءَ على البرايا
ومَن مِنْ أوجِه العالي أطلاّ
أطلَّ فلم يَدَعْ ركناً صغيراً
ولم يتركْ على الدنيا محلاّ
أجل هذا الربيع وما رأينا
أحبَّ ولا عرفنا منه أحْلَى
تعالى الله، مدَّ لنا بساطاً
وأودع نعمةً فيه وعدلاَ
فليس به غنيٌّ أو فقيرٌ
جميع الناس منه تصيبُ فضلاَ
لقد عاد الربيع فقلْ لقومٍ
هنالك أمعنوا فتكاً وقتلاَ

لمن هـــذا الربيـــع إذا اقتلـــتمْ

وجَفَّ الحب فيكم واضـــمحلاَّ

لمن وردٌ علـــى الأغـــصانِ زاهٍ

وهذى الأرض بالأحزان ثكلى؟!

(٥١) نشرت في أبريل ١٩٤٠.

صخـــرة المكـــــــس

تعالَ نـــزفُّ للثغـــر الـــسلاما
ألست ترى على الثغر ابتـــساما

ألم تشعرْ كـــأن يـــدىْ عزيـــز
مَسَحْنَ لك المواجعَ والـــسقاما

كأن خطى العبابِ خطى حبيبٍ
كـــأنَّ المـــوجَ أفئـــدةٌ ترامـــى

سلاماً يـــا عـــروس المساء إنى
أحبُّـــكِ لا أمـــلُّ بـــك المقامـــا

أسيرُ إلى لقائكِ نـــضْوَ شـــوقٍ
وأرجع عن ربوعـــكِ مـــستهاما

أراكِ فتنتشى روحـــى وقلـــبى
كأنى قد سُـــقيتُ بـــك المـــدَاما

وإن طُوِىَ البساطُ فنصبَ عينى
عليك خيالُ أحبـــابي القـــدامى

وإنْ طاحَ الزمانُ بكـــأس حـــي

فلا الساقي نسيتُ ولا النـــدامى

*　　*　　*

فؤادي قمْ بنا نـــذكرْ شـــجانا

لصخر في جوار المكـــس قامـــا

تعـــالَ ولا تقـــلْ هـــذا جمـــادٌ

وكيفَ ترومُ بالصخر اعتصاما؟

فكم في الحيِّ من قلـــبٍ أصـــمٍّ

تَنَكَّـــر أو تجاهَـــلَ أو تعـــامى

وكم صخرٍ أحـــسَّ بمـــا عنانـــا

وما عَرَفَ الحديثَ ولا الكلامـــا

وكم في الناسِ من رجلٍ قـــويٍّ

شديد البأسِ يقـــتحمُ اقتحامـــا

تَعـــرَّضَ للحـــوادثِ لا يبـــالي

تلقّاهـــا نـــصالاً أم ســـهاما!

فإن عَرضَتْ له الذكَرُ الخـــوالي

رأيتَ الكونَ في عينيـــه غامـــا

عرته الرجفةُ الكبرى وراحــتْ

جيوشُ الصبرِ تسـهزمُ انهزامــا

* * *

بربـــكِ أيهـــا الأنــوارُ مـــاذا

صنعتِ بساهرٍ ألِـــفَ الظلامـــا

بربك أيهـــا الأمـــواجُ ظلَّـــتْ

علىَ الشطئانِ تـــرتطمُ ارتطامـــا

أتيتُكِ أبتغـــى منـــكِ التأسِّـــى

وأنشدُ في نواحيـــكَ الـــسلاما

أراكِ فتحتِ لى شـــجناً جديـــداً

وكنتُ أرومُ للماضـــى التئامـــا

وهيتُ وخـــانني جَلَـــدِى وإلاّ

فهذى الدمعةُ الحـــرّى علامـــا

أيا بلد التأسى كيـــف أنـــسى

زمانى فيـــكَ كهـــلا أو غلامـــا

ويـــومَ أتيـــتُ مكتئبـــاً عليـــلاً

أحسُّ البَيْنَ يـــدنو والحمامـــا

أجرجرُ فيكَ أقداماً ثقالاً
وأجمعُ مِنْ عزيمتي الحطاما

وعلاتي وأدواتي كبارٌ
شربنَ دمي وأبلينَ العظاما

أراكِ فلا أبالي بالمنايا
وأحمدُ عند شاطئكِ الختاما

وكم طافَ الرفاقُ وغادروني
كَعُوّادٍ ومرّوا بي كراما

تمرّ بي الحياةُ ولستُ أدري
أيومٌ مرَّ أم قضّيْتُ عاما

عرفتك والشتاء يمدُّ ظلاً
وينشرُ في جوانبكِ الغماما

عرفتكِ والمصيفُ عليكِ زاهٍ
وقرنُ الشمسِ يضطرمُ اضطراما

عرفتكِ والعواصفُ فيك غضبى
تشنّ على محياكِ القتاما

عرفتكِ والفلائكُ فيــك بيضٌ
مجنحــــةٌ يحـــاكينَ الحَمامــــا
عرفتكِ هادئاً والفجــرُ غــافٍ
كـــأنَّ البحـــر وسَّــده فنامــا
عرفتكِ كالصديقِ بكـــلِّ حـــالٍ
وكنتِ شراب روحي والطعامـــا
وملحكِ في دمي وشذاكِ بـــاقٍ
وهذا الــصوتُ أسمعــهُ دوامــا
تعالَيْ صخرةَ الماضــي أجــيبي
وقوفـــكِ وانتظـــارُكِ ذا الإمـــا
لقيتِ من العبابِ كمـــا لقينـــا
من الأيــام قرعـــاً واصــــطداما
كأنكِ للورى هـــدفٌ وهـــذى
جمـــوعٌ تبتغــي أسـراً جـــساما
إذا ما أخفقوا رجعـــوا فُـــرادَى
وإنْ همُّـــوا وجـــدتهُمُ زحامــــا
* * *

فــــؤادى إنْ تغــــيرتِ الليـــالى
فمثلك مَنْ رَعَى فيهـــا الــــذماما

بلغنا كعبـــةَ الآمـــالِ فاخــشع
ودعْنـــا فى مناســـكِهَا قيامـــا

خُذِ السلوانَ من حجرٍ صموتٍ
فما أحراكَ بـــالحجرَ اســـتلاما

بربـــكَ أيسن أحـــلامٌ غَـــوالٍ
وعمـــرٌ قـــد قطعنـــاه نيامـــا

ونـــشْقاه أمـــانىَ أو خيـــالاً
ونطعمُـــه قـــصيداً أو غرامـــا

وعهدٌ كانَ فيـــك ربيـــع وردٍ
كهذا اليومِ حسْناً وانـــسجاما!!

(٥٢) نشرت في ٢٩ أبريل ١٩٤٠

أمينة نور الديـــن

يـــا حبـــيبي وحيـــاتي
هـــاتَ لي ثغـــرك هـــاتِ
اعطـــني حبـــا كـــبيرا
واســـقني مـــلء لهـــاتي
ذهـــبَ الماضـــي طـــويلا
وانقـــضى في الترهـــاتِ

(٥٣) كتبت خلال عام ١٩٤٠ دون تحديد.

ليلـــــــــــــة من ليالى القاهرة

قالتْ تعـــالَ .. فقلـــتُ لبيـــكِ

هيهاتَ أعـــصي أمـــر عينيـــكِ

أنا يـــا حبيبـــةُ طـــائرُ الأيـــكِ

لِـــمَ لا أغنّـــى في ذراعيـــكِ

أنا يـــا حبيبـــةُ جئـــتُ أنتظـــرُ

إنى امـــرؤ هـــواكِ مـــؤتمنُ

مهما يكـــنْ في حبّـــكِ القـــدرُ

مهما يطلْ فى وعـــدكِ الـــزمنُ

ظُلمٌ على ظلـــمٍ علـــى ظلـــمِ

وفتى غريـــبُ القلـــبِ منفـــردُ

غشى السكون فليس من قـــدمِ

وخلاَ المكانُ فمـــا هنـــا أحـــدُ

وطغى الهوى فى صـــدر مختنـــقِ

فى ليلـــةٍ صـــيفيةِ الـــريحِ

يرنـــو بنـــاظرِهِ إلى طُـــرُقِ

عميـــاءَ زرقـــاء المـــصابيحِ

أُصغي لصوتِ خطاكَ في وهْـــمِ

مـــستيقناً حيـــناً ومفترِضـــاً

مـــستغرقاً في نـــشوةِ الحلـــمِ

فيردُّ صوتَ القلـــب معترضـــاً

يـــاعينُ هـــذا مـــدلجٌ ســـاري

فمـــنِ الملـــمُّ كأنـــه شـــبحُ

الليـــلُ غلّفَـــه بأســـرارِ

ياليتـــه يـــدنو فيتـــضحُ

يا أُذْنُ تلكَ خطـــى، أتقتـــربُ؟

لا بل خطـــى تنـــأى وتبتعـــدُ

إنِ علـــى الحـــاليْن مرتقـــبُ

لويـــصدُقُ الميعـــاد مَـــن يعـــدُ

وإذا بمقبلـــةِ علـــى جـــزعِ

بـــسطتْ إليَّ يمـــينَ مرتجـــفِ

وإذا ارتعاشةُ طائرٍ فزِعٍ
أحسستُها إذ لامستْ كتفي
وكأنَّ ألسنةَ السماءِ لها
لغةٌ إذا اقتربتْ كواشفُها
همستْ: تأمّلْ فالتفتُّ لما
فإذا بها شحبتْ مراشفُها
شحبتْ كلونِ المغربِ الباكي
وتألقتْ كالنجمِ عيناها
وتلفتتْ كحبيسِ أشواكِ
وحكا اضطرابَ الموجِ هداها
راجعتُ نُبْلي واتهمتُ دمي
وسألتُ قلبي أين حجتُه
فوجدتُه خلْواً من التهمِ
وتحدتِ الشبهاتِ عفتُه
قلتْ اهدئي لِمَ سورةُ الندمِ
كفاكِ ترتجفانِ يا أملي

وأخذتُ أدفئ بردَهَا بفمي

لو تنفعنْ حرارةُ القُبلِ

وجذبتُها بذراعِها نمشي

نمشي وما ندري لنا غرضًا

إلفانِ قد فرًّا من العشِّ

يتبادلانِ سعادةً ورضًا

وحديقةٌ نامتْ بلا شجنِ

وغفتْ على أمنٍ أزاهرُهَا

لِمَ لا وقد سكنتْ إلى غُصُنِ

وغدا الربيع لها يباكرُهَا

كم أبصرتْ قبلي ومرَّ بها

مثلي ومثل حبيبتي اثنانِ

وهنيهةٌ ما كانَ أعذبَهَا

إذ يلتقي في الحبِّ قلبانِ

يا لحظةً ما كانَ أسعدَهَا

وهناءةً ما كان أعظمَهَا

مر الغريـــبُ فباعـــدتْ يــدَها

وخلا الطريـــقُ فقربـــتْ فمهَـــا

مـــرت بنـــا ســيارةٌ وَمَــضَتْ

خطافـــةً فـــضاحةَ النـــورِ

كشفتْ لعينينا وقــد وَمَــضَتْ

ظلَّـــيْنَ معتـــنقينِ في الـــسورِ

ضحكتْ لظلينا وقـــد عجبـــتْ

كمـــا يـــصوِّرُ قلـــبُ مـــذعورِ

وكأن ضحكتهَا وقـــد طربـــتْ

قطـــراتُ مـــاءٍ فـــوق بلُّـــورِ

لم تَـــدْرِ هاتيـــك الحبيبـــةُ مَـــا

كان الهوى في خاطري يـــوحي

مـــا نقَّلـــتْ في جـــانبي قَـــدَمَا

إلا خَطَتْ تمشي علـــى روحـــي

عوذتُهـــا مـــن شـــرِّ أمـــسيةٍ

تعيـــا بهـــا وتـــضلُّ أبـــصارُ

وكواكبٌ ليستْ بمجديةٍ
ظُلَمٌ مكدسةٌ وأحجارْ
عثرتْ بها فرفعتها بيدي
حُسْناً يكاد يشفُّ في الظُّلَمِ
ويرف مثل الزهر وهو ندِي
ويخفُّ مثل عرائس الحُلُمِ
وكأنني مما يسوءُ خَلِي
وحياتي انجابتْ حوالكُها
أرمي الطريق بناظريْ رجلِ
وأنا هنا طفلٌ يضاحكُها
مَلَكتُها الدنيا بما وسعتْ
وأنا أهامسُها بأسراري
وأسرُّها بحكايةٍ وقعتْ
وروايةٍ من نسجِ أفكاري
وإذا الطريق يسير منعطفَا
واذا رياحٌ تضربُ السدفَا

وكـــأنَّ منـــها منـــذراً هتفَـــا:

بلـــغَ المـــسيرُ نهايـــةً فَقِفَـــا

يا توأماً مـــن صـــدرِيَ انتُزِعَـــا

يا مَنْ دعا قلـــبي لـــه فـــسعى

لِمْ أيها الـــداعي هـــواكَ دعَـــا

والـــدهر يـــأبى أن نظـــلَّ معَـــا

انظـــرْ ذراعـــيَّ اللـــذين هُمَـــا

قـــد طوقـــاكَ مخافـــةَ الـــبينِ

أقـــسمُ بأنـــكَ عائـــدٌ لهمـــا

إني لَممـــــدودُ الـــــذراعينِ

(٥٤) نشرت يوم الثلاثاء ٢٢ أبريل عام ١٩٤١.

الميعـــــــاد الضائـــع

يا مَنْ طواها الليـــلُ في ظلماتــهِ
روحاً مفزعـــةً علـــى بيدائـــهِ
تتاغـــــــتينَ إليَّ في آنحائــــــه
لهف الفؤادِ على الشريد التائــهِ

* * *

إن تظمئي لي كم ظمئتُ إليــك
جَمَعَ الوفـــاءُ شــقيةً وشـــقيًا
يا مُنْيتي قستِ الحيـــاةُ عليـــكِ
وجرتْ مقادرُها الجســامُ عليّـــا

* * *

إني التفتُ إلى مكانـــكِ والمـــنى
شُلَّتْ وقلبي لا يطيـــقُ حراكـــا
فصرختُ يا أسفاً لقد كانتْ هنا
لِمَ عاقني القدرُ الخئونُ هناكـــاا

* * *

عَبَسَتْ وسودتِ السماءُ ظلالَها

فكأنَ عقبانــاً تحـطّ رحالَهــا

وكأنّ أطوادَ السحاب حيالَهــا

أرْسَتْ على الكتفِ الصغير ثقالَها

* * *

تستصرخين لك السماء وقد خبت

وطوتْ بشاشةَ كلُّ نجمٍ مـشرقِ

إن خلتها سمعتْ إليك وقاربـت

ألفيتها صارتْ كلحــدٍ ضـيقِ

* * *

يا مَنْ هربتِ من القضاء وصرفهِ

عجبــاً لهاربــة تلــوذ بهــاربِ

إما هوى نجــمٌ ومــال لــضعفه

أبصرتِ حظّكِ في الشعاعِ الغاربِ

* * *

أسفاً عليك وأنتِ روحٌ حــائرُ

والكونُ أسرارٌ يضيقُ بها الحجَى

تجتازُ عــابرةٌ ويــسرعُ عــابرُ

وتمرُّ أشباحٌ يواريها الـدُّجَى

* * *

فى وجنتيـكِ تــوهجٌ وضــرامُ

وبعقلتيـكِ مــدامعٌ وذهــولُ

وكــذا تمــرُّ بمثلــكِ الأيــامُ

مجهولــةٌ وعــذابُهَا مجهــولُ

* * *

وَلَّيتِ قبلَ لقائنــا يــا جــنتى

لم تظفرى مــنىٍّ بقــولٍ مــسعدِ

وكعادةِ الحظ الشقىِّ وعــادتى

أقبلت بعد ذهاب نجمى الأُوحدِ

* * *

تتعاقبُ الأقدارُ وَهْــيَ مــسيئةٌ

كم عقَّنــا ليــلٌ وخــانَ نهــارُ

وكأنما هــذا الفــضاء خطيئــةٌ

وكأن همس نــسيمه اســتغفارُ

وكأنه أحـزان قَـومٍ سـاروا

هـذى مـآتمهم وثمَّ ظلالُهَـا

عَفَتِ القصورُ وظلّتِ الأسـوارُ

كمَنَاحَـةٍ جمدتْ وذا تمثالُهـا

* * *

غامَ السوادُ على وجوه الـدورِ

وسـرى إلىَّ نعيبُهَـا والأدمـعُ

وكـأننى فى شـاطئٍ مهجـورِ

قد فارقتـهُ سـفينةٌ لا ترجـعُ

* * *

حملت لنا أملاً فلمـا ودَّعَـتْ

لم يَبْقَ بعـدَ رحيلِهَـا للنـاظرِ

إلا خيالُ سعادةٍ قـد أقلعـتْ

ووداع أحباب ودمـع مسـافرِ

(٥٥) نشرت فى ٢٨ يوليو ١٩٤١.

الكـــــأس

لا تبكها ذَهَبَـتْ ومـات هواهـا
في القلبِ متسعٌ غَـداً لِـسواها
أحببْتُها وطويـتُ صـفحتَها وكـمْ
قَرَأَ اللبيبُ صـحيفةً وطواهـا
يا شاطئَ الأحزانِ كم مِـنْ موجـةٍ
هبْها ارتطامةَ موجـةٍ وصـداها
تلـك الوليـدةُ لم تَطُـلْ بُـشْرَاها
لمّا تكَدْ تطـأ الثـرى قـدماها
زفَّ الـصباحُ إلى الرمـال نـداءَها
وسرى النسيمُ عـشيةً فنعاهـا
هاتِ اسقني واشرب على سرِّ الأسى
وعلى صبابةِ مهجـةٍ وجواهـا
مهلاً نديمي كيـفَ ينـسى حبَّهـا
من ينشدُ السلوى على ذكراها

مازلت تـسقيني لتنسيني الجـوى

حتى نسيتُ فما اذكرتُ ســواها

كانت لنا كـأسٌ وكانـتْ قـصةٌ

هذا الحبابُ أعادَهـا ورواهـا

كاسي وشمس هوايَ والساقي الـذي

عَصَرَ الشعاعَ لمهجتي وسـقاها

الآنَ غَـشّاها الـضبابُ وهـا أنـا

خَلْفَ المدامعِ والهمـومِ أراهـا

غـالَ الفنـاءُ حبابَهـا وضـبابَها

وتبخـرتْ أحلامُهـا ورؤاهـا

(٥٦) نشرت في ٢٨ أغسطس ١٩٤١.

خـــائـــن

الليــــالى! يامـــا آمـــرَّ الليـــالى

غيبت وجهــك الجميــل الحبيبَـــا

أنـــتَ قـــاسٍ معـــذِّبٌ ليـــتَ أنى

أســـتطيعُ الهجـــرانَ والتعـــذيبَا

إن حبِّـــى إليـــك بالـــصفح سَـبَّاقٌ

وقلـــبي إليـــك مهمـــا أُصـــيبَا

يـــا حبيبي كـــانَ اللقـــاء غريبـــاً

وافترقـــا فبـــات كـــلٌّ غريبَـــا

غير أنى أســـتنجدُ الـــدمعَ لا ألْقَـــى

مكـــان الـــدموع إلا لهيبَـــا

آه لـــو ترجـــعُ الـــدموع لعـــينى

جفَّ دمعى فلستُ أبكـــى حبيبَـــا

أنتَ مـــنْ بـــدَّلَ الوجـــود لعـــينى

أنـــتَ صـــيرته جمـــالاً وطيبَـــا

أنت مَـنْ بـدَّلَ الـسماءَ لعيني

أنـتَ صيرتها ابتساماً رحيبَا

أنتَ يا رقـةً تـذيبُ القلوبَـا

وتذيبُ الـصخرَ الأصـمَّ المذيبَا

غير أني إليكَ جئتُ من الليلِ

وقـد حـانَ للـدجى أن أؤوبَـا

(٥٧) نشرت في ٨ سبتمبر ١٩٤١.

الدمعة الخرساء

عرفتُ الذى تخفين عرفانَ مُلْهَمِ
إذا الدمعةُ الخرساءُ لم تتكلمِ
وأنتِ سماءٌ يعشقُ المرءُ نورَهَا
ويعشقُ ما في أُفْقِهَا مِنْ تجهُّمِ
وإنْ إذا عيناكِ بالدمعِ غامتَا
جديرٌ بأن يمشي على هدبِهَا فمى
دعيني أحلّق في سمائك طائراً
ويسبَحْ خيالى في سناكِ المعظَّمِ
ألا إنّ ضوءَ البدرِ إحسانُ محسنٍ
له أينمَا يسرى تفضُّلُ مُنعمِ
يطوفُ به في الناضرِ المتبسِّمِ
وينشرهُ في الدارسِ المتهدمِ
وربما يغشى الخميلةَ ضاحكاً
فتحلم في جو من السحرِ مبهمِ
وينشرُ في الأطلالِ طلاً كأنه
خيالُ الأماني في محاجرِ نُومِ

(٥٨) نشرت في ٢٩ سبتمبر ١٩٤١.

بين الشاعـــــــر والريـــح

الشاعـــــــر:

لــــسـت أنـســى أبـــــدا ســــــاعة في العمـــــــرِ
تحـــت ريـــح صـــفقتْ لا رتقـــــاص المطـــــر
نوحــــــتْ للـــــذكرِ وشــــكتْ للقمـــــــرِ
وإذا مــــــا طربــــتْ عربـــدتْ فى الـــشجرِ

* * *

هاك ما قد صبت الريـــــــ ـــــح بـــأُذنِ الــــشاعرِ
وهي تُغـــرى القلـــبَ إغـــرا ءَ النـــصيح الفـــاجرِ

الريح :

أوَكـــــل الحـــــبِّ فى رأ يـــك غفـــرانٌ وصـــفحُ
أيهــــا الـــشاعر تغفـــو تـــذكرُ العهـــدَ وتـــصحو
وإذا مـــا التـــامَ جـــرحٌ جَـــسدٌ بالتـــذكارِ جـــرحُ
فـــتعلمْ كيـــف تنـــسى وتعلـــمْ كيـــف تمحـــو

* * *

هاكَ فانظر عدد الرمــــــــ ـــــل قلوبـــاً ونـــساءْ
فـــتخير مـــا تـــشاءْ ذهَـــب العمــــرُ هبـــاءْ

* * *

ضلّ في الأرض الذي يَنْـــــ ـــــشد أبنــاء الســماءْ
أيُّ روحانيـــة تُعْـــــ ـــــصَرُ طـــينٍ ومـــاءْ

الشاعر :

أيهـــا الــريح أجـــلْ لكنمـــا هي حــبي وتعلاتــي ويأسـي
هي في الغيب لقلـــبي خُلِقــتْ أشرقتْ من قبل أن تشرق شمسي
فعلى تذكارِها أطبقــتْ عــيني وعلى موعدِها وَسَّدتُ رأســي

* * *

يا لها من صــيحةٍ مــا بعثــتْ عنــده غــير أليم الــذكرِ
أرقتْ في جنبــه فاســتيقظتْ كبقايـــا خنجـــرٍ منكـــسرِ
لمـــع النـــهرُ ونـــاداه لـــه فمـــشى منحـــدراً للنـــهرِ
ناضــبَ الــزادِ ومــا ســفرٍ دون زاد غــير هــذا الــسفرِ

الشاعر :

يا حبيبي كـــلُّ شـــيء بقـــضاءْ مـــا بأيـــدينا خُلقنـــا تعـــساءْ
ربمـــا تجمعنـــا أقـــدارُنا ذاتَ يوم بعـــدما عـــزَّ اللقـــاءْ
فـــإذا أنكـــر خـــلٌّ خلّـــه وتلاقينـــا لقـــاءَ الغربـــاءْ
ومـــشى كـــلٌّ إلى غايتـــه لا تَقلْ شئنا وقلْ لي الحظ شـــاءْ

(٥٩) نشرت في ١٣ أكتوبر ١٩٤١.

الربيـــــع – ١٩٤٢

اسألِ الكونَ أو فَتاجِ الربوعَـا

ما لهذا الورى أضـاعَ الربيعَـا؟

أين فجر السلام؟ هل فجره ضَلْ

مع الصبح لا يرجّـي الطلوعـا

أين عهدُ الصفاء والأمـل النـا

ضر؟ ولّى فلا يريـد الرجوعَـا

يا بشيرَ الربيـع نـادِ البرايـا

ربما صـادَفَ المنـادى سميعَـا

قل: تعالوا الى المودة والعطـف

وثوبـوا إلى الوفـاء جميعَـا

أيعود الربيـع بـالزاد والـريِّ

ويشكو العبادُ عُريـاً وجوعَـا

ويمدُّ البساط الأخضرَ نضراً

وتمـدونَ مـن دمـاءٍ نجيعَـا

هَبْ لنا ربنـــا وأنـــت الـــرحيم

كلما نبعـــثُ الـــدعاءَ شـــفيعَا

نظرةً تقتلُ الـــضغائنَ والـــبغضَ

وشـــيطانَها يَخِـــرُّ صـــريعَا

(٦٠) نشرت في أبريل ١٩٤٢.

الـــــــــورد

يـــا مرحبـــاً بـــالورد فى إبّانـــه
وبموكـــب الآمـــالِ فى بـــستانه

يـــا محـــسنا للعـــين فى إقبالـــه
ما تنتهى العينانِ حسن إحـسانه

قل لى أهذا الطَّلُّ دمـــعٌ حـــائرٌ
يروى الربيعَ النضْر من أشـجانه

عجباً له والحسنُ مـــلءَ عيونـــه
يبكى عليكَ وأنتَ فى أحـضانه

إنِّ رأيتكَ بعـــدما ولّى الـــصبا
فبكى الشبابُ على ربيعِ زمانـــه

ورأيتُ عرسَك في مجالى أنـــسه
والطيرُ صـــدَّاحٌ علـــى أفنانـــه

فتلفتتْ روحى تُرَجِّـــى قطـــرةً
من كأسِـــه أو وقفـــةً فى جانـــه

(٦١) نشرت عام ١٩٤٢.

ليالـــي القاهـــرة

أليلايَ ما أبقى الهوى فيَّ من رُشْــدِ
فردّي على المشتاق مهجتَــه ردّي
أيُنــسَى تلاقينــا وأنــتِ حزينــةٌ
ورأسُكِ كابٍ من عياءٍ ومن سهدِ؟
أقولُ وقد وســدتُه راحــتي كمــا
توسَّدَ طفلٌ متعــبٌ راحــةَ المهــدِ
تعالَيْ إلى صدرٍ رحيــبٍ وســاعدٍ
حبيبٍ وركنٍ في الهوى غيرِ منهَــدِّ
بنفسي هذا الشعرُ والخصَلُ الــتي
تهاوتْ على نحرٍ من العــاجِ منقــدِّ
ترامت كما شاءتْ وشاءَ لها الهوى
تميلُ على خدٍّ وتصدفُ عــن خــدِّ
وتلك الكرومُ الــدانياتُ لقــاطفٍ
بياضُ الأماني من عناقيــدها الربــدِ

فيالكِ عندي مــن ظــلامٍ مجبَّــبِ
تألّقَ فيه الفـرقُ كـالزمنِ الرغـدِ
ألا كلُّ حسـنٍ في البريـةِ خـادمٌ
لسلطانة العيـنينِ والجيـدِ والقـدِّ
وكلُّ جمـالٍ في الوجـودِ حيالَـه
به ذلّةُ الـشاكي ومرحمـةُ العبـدِ
وما راعَ قلبي منـك إلاّ فراشـةٌ
من الدمعِ حامتْ فوقَ عرشٍ من الوردِ
مجنحة صيغتْ من النورِ والنـدَى
ترفُ علـى روضٍ وتهفـو إلى وردِ
بها مثلُ ما بي يا حبـيبي وسـيِّدي
من الشجنِ القتالِ والظمأِ المـردي
لقد أقفرَ المحـرابُ مـن صـلواته
فليسَ به من شاعرٍ سـاهرٍ بعـدي
وقفنا وقد حانَ النوى أي موقـفٍ
نحاول فيه الصبر والصبر لا يجـدي

كأن طيوف الرعبِ والبين موشكٌ

ومزدحم الآلامِ والوجد فى حَشدِ

ومضطرم الأنفاس والضيق جاثمٌ

ومشتبك النجوى ومعتنق الأيدى

مواكب خرسٌ في جحيمٍ مؤبدٍ

بغير رجاءٍ فى سلامٍ ولا بَرْدِ

أيا مصرُ ما فيكِ العشيةَ ساهرٌ

ولا فيكِ من مصغٍ لشاعركِ الفردِ

أهاجرتي، طال النوى فارحمي الذى

تركت بديدِ الشملِ منتثرِ العقدِ

فقدتُكِ فقدان الربيعِ وطيبه

وعدتُ إلى الإعياء والسقمِ والوجدِ

وليسَ الذى ضيّعْتُ فيكِ بهيِّنٍ

ولا أنت فى الغُيَّابِ هينةُ الفقدِ

* * *

بعينيكِ أستهدى فكيفَ تركتِني

بهذا الظلامِ المطبقِ الجهمِ أستهدى

أتيتُكِ أستسقي فكيــفَ تركتنــي
لهذي القيافي الصمِّ والكثبِ الجُــرْدِ
أتيتُكِ أستعدي فكيــفَ تركتنــي
إلى هذه الــدنيا وأحــداثها اللــدُّ
بحبِّكِ أستشفي فكيــفَ تركتنــي
ولم يَبقَ غيرُ العظمِ والروحِ والجلــدِ
وهذي المنايا الحمر ترقصُ في دمي
وهذي المنايا البيض تختال في فُــوْدي
وكنتِ اذا شاكيتُ خففتِ محملــي
فهانَ الذي ألقاه في العيشِ من جهد
وكنت إذا انهــارَ البنــاءُ رفعتــه
فلمْ تكنِ الأيامُ تَقْوى علــى هــدّي
وكنتِ إذا ناديتُ لبيتِ صــرختي
فواحَرَبَاً كَمْ بيننا اليومَ مــن ســدِّ
وقد كانَ لي للعطفِ والحبِّ مسلكٌ
فأغلَقْتِــه دوني فبــتُّ بــلا رِدِّ

سلامٌ على عينيكِ ماذا أجنَّتا
من اللطفِ والتحنانِ والعطفِ والودِّ
إذا كانَ في لحظيكِ سيفٌ ومصرعٌ
فمنكِ الذى يحيي ومنكِ الذى يُردى
إذا جُرِّدَا لم يفتكا عَنْ تعمدٍ
وإنْ أغمدَا فالفتكُ أروع في الغمدِ
هنيئاً لقلبي ما صنعتِ ومرحباً
وأهلاً به إنْ كانَ فتكُكِ عن عَمْدِ
فإنى إذا جُنَّ الظلامُ وعادني
هواكِ فأبديتُ الذى لم أكنْ أبدى
وملتُ برأسي كابياً أو مواسياً
وعندى من الأشجانِ والشوقِ ما عندى
أقبِّلُ في قلبي مكاناً حللتِهِ
وجرحاً أناجيه على القربِ والبعدِ
فيا أيكةً مدَّ الهوى من ظلالها
ربيعاً على قلبي وروضاً من السعدِ

تقلصت إلا طيفَ حسبٍ مجيَّرِ
على دَرَجٍ خابي الجوانبِ مُسْوَدِّ
رَدَّد واستأني لوعدٍ وموثقٍ
وأدبر مخنوقاً وقد غُصّ بالوعدِ
وأسلمني لليلِ كالقبرِ بارداً
يهبُّ على وجهي به نَفَسُ اللحدِ
وأسلمني للكونِ كالوحش راقداً
تمزقني أنيابُه في الدجى وحدي
كأنَّ على مصرٍ ظلامَيْنِ أعْكَرٌ ،
بآخر من خابي المقادير مربدّ
ركودٌ وإبهامٌ وصمتٌ ووحشةٌ
وقد ضمها الغيبُ المحجبُ في بُرْدِ
كأن سماءَ النيلِ لم تَلْقَ حادثاً
ولا قصفتْ فيها القواصفُ بالرعدِ
أحقا تولّى ذلك الهولُ والحَّتُ
خواطرُ ذاكَ الويلِ والرعبِ والحقدِ

فيا للقلوبِ الصابراتِ وقد غفتْ

على نعمةِ الإيمانِ والشكرِ والحمدِ

ويا للقلوبِ المؤمناتِ وأمنها

وضجعتها في رحمةِ الصمدِ الفردِ

أهذا الربيعُ الفخمُ والجنةُ التى

أكاد بها أستافُ رائحةَ الخلدِ

تصيرُ إذا جُنَّ الظلامُ ولفها

بجنحٍ من الأحلامِ والصمتِ ممتدٌ

ميساءةَ خمَّارٍ وحانوتَ بائعٍ

شقيٌّ الأماني يشترى الرزقَ بالسهدِ

وقد وقف المصباحُ وقفةَ حارسٍ

رقيبٍ على الأسرارِ داعٍ إلى الجدٌ

كأنْ تقيًّا غارقاً في عبادةٍ

يصومُ الدجى أو يقطعُ الليل فى الزهدِ

فيا حارسَ الأخلاقِ، فى الحيِّ نائمٌ

قضى يومَه فى حومةِ البؤسِ يستجدى

وسادَتُه الأحجارُ والمضجعُ الثـرَى
ويفترشُ الإفريزَ في الحـرِّ والـبردِ
وسـيارة تمضي لأمـرٍ محجَّـبٍ
محجبـةِ الأسـتارِ خافيـةِ القـصـدِ
إلى الهدفِ المجهولِ تنتهبُ الـدجى
وتومض وَمضَ البرقِ يلمع عن بعدِ
متى ينجلي هذا الضنَى عن مسالكٍ
مرنقةٍ بـالجوعِ والـصبرِ والكَـدِّ؟
ينقّب كلـبٌ في الحطـامِ وربمـا
رَعى الليلَ هِرٌّ ساهرٌ وغفا الجنـدي
ويا دار من أهـوى عليـك تحيـةٌ
على أكرمِ الذكرى على أشرفِ العهدِ
على الأمسياتِ الساحراتِ ومجلسٍ
كريم الهوى عفٍّ المآربِ والقـصدِ
تنادمُنَـا فيـه تبـاريحُ شـاعرٍ
على الدمِ والأشواكِ يمشي إلى الخلدِ

فبودليرُ محـــزونٌ وفـــرلين بـــائس

وميسيه مجروحُ الهوى عـــاثرُ الجَـــد

وللمتـــــنبي غـــضبةٌ مـــضريةٌ

وثورةُ مظلومٍ وصـــيحةُ مـــستعدى

دموعُ يذوبُ الصخرُ منها فإن مضوا

فقد نقشوا الأسماءَ فى الحَجَرِ الصلدِ

وماذا عليهمْ إن بكـــوا أو تعـــذبوا

فإن دموعَ البؤسِ من ثمَـــنِ المجـــدِ

(٦٢) نشرت في ١٤ ديسمبر عام ١٩٤٢.

قلق

عبثاً أبتغي لقلبي المسكينه

والليالي بها عليَّ ضنينه

هاكِ ما قد أبقيته يا حياتي

من حياتي فذاكِ ما تبقينه

فظلالٌ من الغروبِ دَوَامٍ

وبقايا من المغيبِ طعينه

يا غريبَ الفؤادِ قلبي غريبٌ

وسجينَ العذابِ نفسي سجينه

أيها الشاطئُ الذي غابَ عن عيني

أما حانَ أن تؤوبَ السفينه

واحتسيني للمحسةِ منه إنّ

جسدٌ ذائبٌ وروحٌ حزينه

كيف خانتْ مدامعي فيك قلباً

لم تكن قبل عودت أن تخونه

سبقتْهُ إليكِ يومَ التلاقي

وأبَتْ في وداعِنا أن تعينَه

قد عرفتُ الهوى كما تعرفينَه

وارتقبتُ الغدَ الذي ترقبينَه

وأنا في انتظارِ يومٍ بعيدٍ

ما ارتيابي وقد ضمنتُ يقينَه

بعدما صَوَّحَ الشبابُ وولّى

وطوى حُلْمَهُ وأفنى سنينَه

(٦٣) نشرت في يناير ١٩٤٢.

أنا والقمر

ذاتَ مساءٍ صفا المساءْ
ولَيسَ في خاطري صفاءْ
يخيمُ الليلُ في فؤادي
والبدرُ في قبةِ السماءْ
والسُحْبُ لما انتشرنَ بيضاً
أثوابُ عرسٍ على الفضاءْ
يلبسها غيمةً فأخرى
يختارُ منها الذي يشاءْ
أو يخلعُ الغيمَ ثم يبدو
طفلاً مصوغاً من الضياءْ
ما يبرحُ الكونُ في صباه
مجدَّدَ الحسنِ والرواءْ
ما يبرح الكون غيرَ أني
قد دبَّ في نفسي الفناءْ

فمـــن عيـــاءٍ إلى كـــلالٍ

ومـــن كـــلالٍ إلى عيـــاءْ

كـــم احتملنـــا وكـــم صـــبرنا

والعـــيش صـــبرٌ وكبريـــاءْ

وكـــم نـــسينا وكـــم مَحونـــا

وكـــم غفرنـــا لمـــنْ أســـاءْ

ومـــا عتبنـــا علـــى حبيـــب

لكـــنْ عتبنَـــا علـــى القـــضاءْ

(٦٤) نشرت في فبراير عام ١٩٤٣.

غيـــــــوم

إنْ تجدْ ياقلب قلباً قــد لَهَــا
عن حبيبٍ مــات فيــه وَلَهــا
رُبَّ شمــسٍ منحتنــا ظلَّهــا
وتخلَّــت .. غفــر الله لَهَــا

* * *

ذنبُ من يهواكَ أو ذنبُ السنينْ
ذلكَ الهجــرُ ولا لــومَ عليــكْ
أذْ نَبتْ ساعة نجـوى وحـنينْ
وسـدتْ راحتَــه فى راحتيــكْ

* * *

آه لــو تعــرفُ يومــاً ألمــى
مستطاراً تأكلُ النــارُ ضــلوعى
أو شريداً يلفــحُ القفــرُ دمــى
أو طريداً تشربُ الريحُ دموعى

* * *

يا حبيبي غامتِ اليومَ السماءْ

وعلى الأفقْ جهامٌ من بعيدْ

كلما أطمعُ في يومِ صفاءْ

عصفَ العاصفُ عندي من جديدْ

(٦٥) نشرت في مارس عام ١٩٤٣.

الطبيعـــــــــة

وافِ نغتنمْ جمـــالَ الطبيعَـــةْ
ويرى المـــرءُ في الربيـــع ربيعَـــهْ
خلِّ ضيق الديار وانزل برحـــبٍ
من رياضٍ ومن غياضٍ وســيعه
وإذا ما عـــصاك فكـــرٌ وفـــنٌّ
فهنا الفكـــر والأمـــانى مطيعـــه
هاهنا في الزهورِ والشعب حـــالٌ
يجد القلب مـــا يحـــبُّ جميعَـــه
تجدُ الـــروحُ بهجـــةً وانطلاقـــا
يجـــدُ الفكـــر هاهنـــا ينبوعَـــه
منظـــرٌ كلمـــا طوتـــه الليـــالي
نـــتمنى مـــع الهـــلالِ طلوعـــه
وبساطٌ مـــن الريـــاحين نـــادٍ
أبداً توقب الريـــاضُ رجوعَـــه

(٦٠٦) نشرت في أبريل عام ١٩٤٤.

نــــداء إلـــى صـــديق

أنتَ الحياة وقد رعيتَ صـــديقًا

يامن يعينُ بها ويمحـــو الـــضيقًا

عجبـــا لمنطلقَـــيْنِ فى أجوائهـــا

شقَّا على وعث الطريق طريقـــا

يتقيـــدان العمــــرَ فى حريـــةٍ

ما دام بينـــهما الربـــاط وثيقـــا

فى صحبةٍ تكسو الحياةَ سـعادةً

مَنْ فاتها قـــد أخطـــأ التوفيقـــا

يا شاطئَ الأمن الحبيب لمجهـــدٍ

في اليمِّ أوشكَ أن يصير غريقـــا

لى فيك يا شطَّ الـــسلامِ منـــارةٌ

كانت هدى لـــضلِّي ورفيقـــا

(٦٧) نشرت في مارس عام ١٩٤٥.

أغنيـــــــة النصــــــــــر

قد وَلّتِ الحربُ وانفـــضت مجازرهـــا

من بعدما جرعتنا الويــلَ والحرَبــا

وخلّفتْ حـــين ولـــتْ بلقعـــا خربـــا

وعالَمـــاً عســـرفَ الآلامَ والنـــصبَا

لكنـــه بعـــدما ظنـــوه قـــد غُلبـــا

وفوق أعجازِ ذاك النخلِ قد صُـــلبَا

قد أثبتَ البعثُ أن البعـــثَ معجـــزةٌ

والنصر أعظم والـــدنيا لمـــن غَلبـــا

وما بضحكٍ بـــلا معـــنى ولا مـــرح

نـــودعُ الحـــربَ توديـــع الخليينـــا

لكـــنْ بحـــزنٍ صـــموتٍ في جوانحنـــا

وبالأســـــى يتجلـــــى في مآقينـــــا

وبالـــدموع الـــتي بالـــشكر نـــذرفها

شكر على مصرعِ الأبطـــالِ يبكينـــا

نبكي ونبكي هم دمعاً بلا أمد
فالآن موعدُ حزنٍ بات يشجينا
فلنذكرنّ هم عند الردى قسما
ولنهجنّ على آثارِ ذا القسمِ
ولنبدأنّ بتشييد الذي تركوا
ولننشد البعث والتجديد في الأممِ
دنيا نجددها والقلبُ في ثقةٍ
لا يعرفُ الخوفَ والإحجامَ في الهممِ
فليبقَ حين نسوق الدين أجمعه
دين الألى هجعوا للبعث في الأممِ
لم تذهب الحربُ، بل حربٌ هنا بدأتْ
للمجدِ والفخرِ والإصلاحِ والعظمِ

(٦٨) نشرت في مايو ١٩٤٥.

مرثية الشيخ محمد مصطفى المراغى

إنا افتقدناكَ والأفهامُ حائرةٌ
والبدر في الليلة الليلاءِ يُفتقدُ

فرددِ الغيلِ والأشبالِ ناظرةٌ
خلا مكانك فيها أيها الأسدُ

يا أيها المنهل الصافى لوارده
أى الموارد من بعد الردى نردُ

لم يبق إلا ندى الذكرى نلوذ به
يا ويحنا بالظى المشبوب نبتردُ

ياناتيا صامتا في البين منفردا
يحوطه ألف قلب وهو منفردُ

وكيف يصمت من غَنَّتْ فضائله
وذكره عاطر حيٌّ الشذا غردُ

يا أيها الركن من نورٍ دعائمه
له الفضيلة والأخلاق معتمدُ

أقسمت بالحق في الوجه الوقور به

تبقى بقاء الليالي هذه العمدُ

وكيف يُذوى البلى من ذى مكارمه

ومن له كأبيّ الطود معتَقَدُ

والله ما للبلى كفٌ تطاوله

وليس يرقى له شيء ولا أحدُ

كأن جوهرة للموت صامدة

تكاد في ظلمات القبر تتقدُ

أو ماسة تتحدى الدهر مشعلة

على التواريخ والأجيال تتمدُ

فما يمر زمان في تغيبها

إلا تلفتَ يستهدي بها البلدُ

وأيما رجل، والشك يأخذه

يهديه نور سناها وهو مجتهدُ

فما يمر زمان في تغيبها

إلا تلفتَ يستهدى بها البلدُ

وكـــل نـــادٍ بحفـــل العـــام مؤتلـــق

وكل سامر فـضلٍ وهـو محتـشدُ

شيخي عليك سلام الله هل علِم الـــــ

ـــــــقلبُ الكبير بأني هائم أجــدُ

وأنـــني مرمـــل طـــرفي إلى رجـــل

يسدُّ ركنَـك في قلـــبي فـــلا أجـدُ

(٦٩) كتبت في أواخر غسطس عام ١٩٤٥.

السراب

لا القوم راحوا بأخبار ولا جاءوا
ولا لقلبك عن ليلاك أنباء
جفا الربيع ليالينا وغادرها
وأقفرَ الروضُ لا ظلٌّ ولا ماءُ
يا شافيَ الداءِ قد أودى بيَ الداءُ
أما لهذا الظمأ القتّال إرواءُ
ولا لطائرِ قلبٍ أنْ يقرَّ ولا
لمركبٍ فزعٍ في الشطِّ إرساءُ

* * *

عندي سماءُ شتاء غيرُ ممطرةٍ
سوداءُ في جنَباتِ النفسِ جرداء
هوجاءُ آونةً خرساءُ آونةً
وليسَ تخدعُ ظني وَهْيَ خرساءُ

فكم سجا الليلُ إلا هامسٌ قَلِقٌ
كأنه نَفَسٌ في الليل مَشَّاءُ
أأنتِ ناديتِ أم صوتٌ يُخيَّلُ لي
فلي إليكِ بأُذْنِ الوهمِ إصغاءُ
لبيكِ لو عندَ روحي ما تطيرُ به
وكيف ينهضُ بالمجروحِ إعياءُ
لَمنْ قيامي وبعضي هذه صورٌ
لا تصطفي وتماثيلٌ وأزياءُ
ومعرضٌ أجوفُ المعنى وأسماءٌ
مذ آذنتنا بهذا البينِ أسماءُ
يا ليلُ! كلُّ نهارٍ ميتٌ فإذا
ناديتِ قامَ كما للبعثِ إحياءُ
وليسَ يبلى نهارٌ في هواكِ مضى
هيهاتَ ينسيه إصباحٌ وإمساءُ
طابَ اللقاءُ به لاثنينِ فانفردَا
فتىً به سقمٌ بادٍ وحسناءُ

جمالُهَا توبةُ الدنيا وغرتُهَا

كفارةٌ عن ذنوبِ الدهرِ بيضاءُ

وشعرُهَا الفاحمُ انسابتْ جَدَاولُه

تكادُ تسطعُ حُسنْاً وَهْي سوداءُ

نامتْ به خصَلٌ واسترسلتْ خُصَلٌ

لَهَا وللعاجِ خلفَ الليلِ إغراءُ

* * *

توهجتْ شمسُ ذاك اليومِ واضطرمتْ

كأنما شُعلٌ في الأفْقِ حمراءُ

تَفَرَّقَ الناسُ حولَ الشطِّ واجتمعوا

لهمْ صخبٌ عالٍ وضوضاءُ

وآخرونَ كسالَى فى أماكنهم

كأنهمْ فى رمالِ الشطِّ أنضاءُ

تحللوا من قيودِ العيشِ وانطلقوا

لاهُمْ أسَارى ولا فيهمْ أرِقَّاءُ

تُنَزِّلَ الدهرُ يوماً عن مشيئته

وحكمِه فلهمْ فى الدهرِ ما شاءوا

هُمُ الورى قبلَ إفسادِ الزمانِ لهم
وقبلَ أن تتحدّى الحبَّ بغضاءُ
لَمْ يُخلقوا وبِهم من نفسهمْ عِلَلٌ
لكنْ حضارةُ هذا العالمِ الداءُ
ضاقتْ نفوسٌ بأحقادٍ ولو سلمتْ
فإنها كسماءِ البحرِ روحاءُ

*   *   *

مالي بهمْ، أنتِ لي الدنيا بأجمعها
وما وعتْ ولقلبي منكِ إغناءُ
لو كان لي أبدٌ مازاد عن سنةٍ
ومدةُ الحلمِ بالجفنين إغفاءُ
أدنو إليكِ وبي خوفٌ يساورني
وأنثني ولطرفي عنكِ إغضاءُ
إذا نطقتُ فما بالقولِ منتفعٌ
وإن سكتُّ فإنّ الصمتَ إفشاءُ
أحبُّكِ القلبُ حبًّا ما هتكتُ له
سرًّا ولا مستطاعٌ فيه إخفاءُ

وأيما خطرةٌ فالريحُ ناقلةٌ
والشطُّ حاكٍ لها والأفْقُ أصداءُ

ياليْل من علَّمَ الأطيارَ قصتَنا
وكيفَ تدرى الصَّبا أنَّا أحباءُ

* * *

لمَّا أفقنَا رأينَا الشمسَ مائلةً
إلى الوداعِ وما للبينِ إرجاءُ

شابتْ ذوائبُ واخْلتْ غدائرُهَا
شهباءُ في ساعةِ التوديعِ صفراءُ

مَشَى لها شفقٌ دامٍ فخضَّبَها
كأنه فى ذيولِ الشَّعْرِ حنَّاءُ

يامن تَنفَّسَ حَمرُ الوجدِ فى عنقى
كما تَنفَّسُ فى الأقداحِ صهباءُ

ومَنْ تنفستْ حرُّ الوجدِ فى فمه
فما ارتويتُ وهذا الريُّ إظماءُ

ما أنتَ عن خاطرى بالبعدِ مبتعدٌ
ولن تواريكَ عن عينىَّ ظلماءُ

(٧٠) نشرت في ٢٧ أغسطس عام ١٩٤٥.

العام الجديد - ١٩٤٦

غَـــرِّدْ بألحـــانِ الـــسلامْ
وابعـــثْ بـــشيرك فى الأنـــامْ
حـــربٌ علـــى حـــربٍ أمـــا
يُرجَـــى هـــذا مـــن ختـــامْ
يـــاربِّ قـــد طغـــت النفـــوس
فـــلا صـــفاء ولا ونـــامْ
يـــاربُّ قـــد بغـــت المطامـــ
ـــعُ فـــالكوارث لاتنـــامْ
أيحـــلُّ هـــذا العيـــدُ والـــد
نيـــا ظـــلامٌ فى ظـــلامْ
والأرضُ عابـــسةُ الجـــوا
نـــبِ لا شـــروق ولا ابتـــسامْ
حاشـــاك رَبِّ فى جـــلا
لـــكَ لا وعيـــدَ ولا انتقـــامْ

هــــذا امتحــــانٌ للــــورَى

وغــــداً سينكــــشفُ الغمــــامْ

هيهــــاتَ أن تفــــسني لنــــا

ثقــــةٌ بعــــدلِكَ واعتــــصامْ

قــــد مــــرَّ عــــامٌ فــــاتمّ

ويعــــودُ بالآمــــالِ عــــامْ

وتعــــود رحمتُــــكَ الوســــيعةُ

بالأمــــانِ والســــلامْ

(٧١) نشرت في عام ١٩٤٦.

شـــــــــــــهادة

وفينانـــــــــة ريانســــــة بجمالهـــــــا
بتول، كـــأملاكِ الـــسماء كعساب
رآها أخٌ بالحـــسنِ والــــسحرِ عـــارفٌ
عليمٌ بـــشهدٍ في الحيـــاة وصساب
بها صورٌ شتىً مـــن الحـــسن لم تـــدُرْ
ببـــالٍ ولا جالـــتْ لـــه بحـــساب
بدتْ سافراتٍ تنهب القلب والحجـــى
ولو كان هذا الحسنُ خلـــفَ نقـــاب
إذاً لتحـــدى صـــولةَ كـــل حائـــل
وشقَّ إلى الأنـــوار كـــلَّ حجـــاب
فيالك من حُـــسْنٍ قـــوى وإن يكـــنْ
كفجرٍ وديـــع في الـــضياءِ مـــذاب
رآها .. فصاحَ القلبُ في الصدرِ هاتفاً
ألا ليـــتني أدركتُهَـــا بـــشبابي!

(٧٢) نشرت في ٢٧ مايو عام ١٩٤٦.

القمـــــــــــــــــر

أضئْ على النيل واخطر بين شطآنِ
وفضض الرمل من سهل وكثبانِ
لأنت قلب الوجود المحض منطلق
على السماء ينادي كلّ إنسانِ
وأنت دون سحابٍ ثغرُ فرحانِ
وأنت خلف سحابٍ غلّ أشجانِ
وأنت عند شجيّ دمعةٌ سكبت
على الفضاء فظلت دون أكفانِ
وأنت للأرض هادٍ وهي ما فتئتْ
حيرى تدور على عقاب حيرانِ
وأنت في الكون ظل الخلد منتشر
على البرية من قاصٍ ومن دانِ
لا يبلغ الزمن المحدود جانبه
وكيف للخلد تحديد بأزمانِ

للملتقى السعداء اللمـح ممـن قـصر
والعمر في نورك المحبـوب عمـران

من أنت يا من سرى فى خاطرى ودمى
وصمته الحلو يـسرى مـلء آذانى

يـا للفـتى الغريـد العبقـرى إذا
شدا على وتـر بالـصمت رنـان

يظل يهتـف فى روحـى فيـسكرنى
فما احتيـاجى إلى ترجيـع ألحـان

يا طاويًـا فى الليـالى الـسر أجمعـه
ويا كتـاب الليـالى دون عنـوان

عجبت لليـل يحـوى جنـة خلعَـتْ
نور الصباح على أعطـافِ بـستان

(٧٣) نشرت في يوليو عام ١٩٤٦.

خسوف القمر

ذات يوم كمل البدر وفى الأفق امتدارا
كعبة الأنظار والشعر لمن حَجَّ وزارا
فإذا أبناء هومير يؤدون المزارا
مدحوا البدر وعادوا بالذى جَدَّ حيارى
خسف البدر، هل البدر خجولٌ كالعذارى؟
كسيتْ وجنته فى صفحة الأفق احمرارا
مسبلاً من خجل دون المحبين خمارا
بيدٍ مثل يد الحسناء قد أبدتْ سوارا

(٧٤) نشرت فى يوليو ١٩٤٦.

إلـــى حيفـــاء

حيفـــاء والحـــسن يـــسبى
مـــاذا صـــنعتِ بقلـــبى

الـــشعر يـــاوحى شـــعرى
إذا دعـــوتِ يلـــبى

لـــو دان للفكـــر عنـــدى
عـــصيُّه المتـــأبى

مـــلأت دنيَـــايَ شـــعرا
مـــا بـــين قطـــبٍ وقطـــبِ

مجلجـــلا بقـــريض
يـــصبو لـــه المتـــنبى

(٧٥) كتبت في حيفا - مساء الأحد ٣ نوفمبر ١٩٤٦.

سلام الشعر

سلام الشعر والشُعرا
على البلدية الغرّا
على حيفا على بلد
يفيض على الورى سحرًا
ويعكسه كمرآةٍ
عليها الضوء قد مَسرًا
فيبدو في أكابرها
وفي أعماقها الكبرى
ربيعًا وارفًا أبدًا
لهذي الجنة الخضرا

(٧٦) كتبت في سجل الزيارات ببلدية مدينة حيفا - الفلسطينية شهر نوفمبر ١٩٤٦.

العام الجديد – أهداف وأماني – ١٩٤٧

يا للنفس آمالٌ وآلامُ
ماذا تخبّي أيها العامُ

مرت بنا في محنةٍ حقبٌ
ومضت على الأحداث أعوامُ

أيطل نورٌ وَهُوَ مؤتلقٌ
ويلوح ثغرٌ وهو بسامُ

أو كلما قلنا انجلت وصفت
هتكت قناعَ الصفو أوهامُ

فإذا الرجاء سراب لا فجةٍ
وإذا أماني النفس أحلامُ

يا عامُ كم في النفس من أملٍ
وبها من الغمرات إقدامُ

وتطلعٌ نحو العلا قدمًا
وخطى له تسعى وأقدامُ

يــا أيهــا الــزمن الــذى كثــرتْ

فيـــه الجــراح ولـــيس يلتئـــامُ

طلـــعْ ذُكـــاءك آه لـــو ذهبـــتْ

عنـــك الغيـــوم وزال إظـــلامُ

وتـــنفسَ الـــصبح الجميـــل علـــى

الـــوادى ورقـــتْ فيـــك أنـــسامُ

وصـــفت قلـــوب مثلمـــا حـــصلتْ

بنـــدى الربيـــع النـــضر آكـــامُ

هـــل فيـــك للـــسعد أيـــامُ

بـــالله، بـــشرْ أيهـــا العـــامُ

(٧٧) نشرت في يناير ١٩٤٧.

الربيـــــــع عـــام ١٩٤٧

يـــا موكـــب الأحـــلام والآمـــالِ
أرجعتَ أم رجـــع الـصبا لخيـالى
إلى فـــراشُ خميلـــةٍ قـــد جـــنَّ فى
عرس الربيـــع الـضاحك المختـــالِ
خلـــق الربيـــع لـــه جنـــاحيْ نـشوةٍ
وســـقاه كأســـيْ فرحـــةٍ وخيـــالِ
يا صـــورةَ الفـــردوس مختـــصراً ويـــا
خمـــر الخلـــود تـــصبُّ في الآجـال
لو أن للأيام عافيـــةٌ لكنـــت علـــى
محيَّاهـــــا رفيـــــف ظـــــلال
لو أن للأحـــلام أحلامـــاً لكنـــــــ
ـــــت وراءَ أجفان القرير الخـــالى
لو أن للآمـــال ألوانـــا لكنـــــــ
ـــــت مذهّبَ الأحلام والآمـــالِ

يبدو المحالُ عليك وهو حقيقةٌ

وترد كلَّ حقيقة كمحالِ

إنى رأيت على بساطك حالى

والعمر مخضل الشبيبة حالِ

وأنا مغردك السعيد وطائر

شادٍ على الأسحار والآصالِ

فى كل غصن وقفة وبكل واد

رشفة من نبعه السلسال

حسنٌ وقفت على سناه مياليّا

وأنا الذى ما كنت قبل أبالى

غنيتُه إذا حجب النوى

نسواره وجبينه المتلالى

غنيته فى القلب محتفلاً به

مترقباً عودَ الربيع التالى

(٧٨) ألقيت عام ١٩٤٧.

مصـــــــر والخلـــد

اليـــوم يومـــك فى الوجـــال فنـــادِ
فى ســـاحة مجموعـــة الأشـــهادِ
حفلـــت بأقطـــاب العـــلا وتنظمـــتْ
عقـــدين بـــين حواضـــرٍ وبـــوادى
يا شـــادىَ الـــوادى وغريـــد الـــربى
اسكبْ لحونـــك أيهـــذا الـــشادى
اســـكبه فى أرض المفـــاخر إنهـــا
كانـــت مهـــادَ الـــدهر فى الآبـــادِ
يا مصرا يا مـــصر الحبيبـــة إنْ يـــومْ
منى الفداء .. دمى لحبـــك فـــادىا
تالله لـــو فى الخلـــدِ كنـــتُ بموضـــع
أو فى المجـــرة مـــصبحى ومهـــادى
لرنت لـــشطيك النـــواظر مـــن علٍ
وهفا إليـــك مـــن الجنـــانِ فـــؤادى

يا مصر! أشقتك اختلافات الهوى
وجنى عليك تناحرُ الأضداد
قل للبناة المصلحين ألاّ اصنعوا
شمّ الذرى ورواسخ الأطواد
جيلا من النشء القوى إذا مشوا
رفعوا الرؤوس بعزة وعناد
اليوم يومكمو وذلك جيلكم
ماذا بكم من عدةٍ وعتاد
غدوهمو مصريةً مشبوبةٌ
تسرى من الأبناء للأحفاد
فإذا رأى نور الوجود صغيرهم
شفتاه أول ما تقولُ: بلادى
يسقون حب الواديين أجنةً
وتكون مصر صرخة الميلاد
أبكت عيونكم الضعيف بمصر في
ناب القوى فريسة استعباد
فتبينوا أمر الحقيقة واعلموا
أن الطبيعة هكذا من عاد

الجو ملكُ النسر، يغشاه على
ما يشتهي والغاب للآساد

خير الوثائق ما كتبتَ سطوره
بدم الضحايا المحض لا بمداد

تمليه إملاء القوى محطما
بيديك أنت مذلة الأصفاد

صونوا البلاد وأدركوا سودانكم
إن العيون إليه بالمرصاد

ما مصر والسودان الا وحدة
كتماسك الأرواح والأجساد

نور وظل، كم بيغي هازل
حرمانُ عين من عزيز سواد

إني وقلبي كله مصرية
أجد العروبةَ كعبة القصّاد

ضموا الصفوف ووحدوا آمالكم
تجدوا لسواء الله في الأجناد

(٧٩) ألقيت عام ١٩٤٧.

المجد الحي

يا أمةً نبتتْ فيها البطولاتُ
لا مصر هانتْ! ولا الأبطال قد ماتوا
ما يبرح المجد يدعونا فتتبعه
كما تطير إلى النارِ الفراشاتُ
والفخر مهما يطفْ يأوي إلى بلد
لله فيه وللإيمان آياتُ
فيه محاريب عبَّاد، صلا همو
للشرق والوطنيات العباداتُ
أين الغزاة الألى مرُّوا بنا زمرا
وأين بالله تيجان ودولاتُ
طافوا البقاع فلما حلْ رحلهمُ
بمصرَ لم يصبحوا فيها كما باتوا
كأن صخرةَ أقدارٍ تحطمهم
وما من القدر المحتومِ إفلاتُ
مروا ومصر على التاريخ باقية
كصفحة حولها للنور هالاتُ

يــد تخــط وأخــرى غــير واتيــة

ها على الــدهر توكيــدٌ وإثبــاتُ

هذا هــو المنطــق العــالى، وأعجبــه

محض من الزور وشّــته الــضلالاتُ

ومــسرح فى الليــالى لا جديــد بــه

لكي يعاد عليــه الــذئب والــشاةُ

الـــشرق ســحر، وأرواح معطـــرة،

كأنها من نــواحى الخلــد نفحــات

وللقداســـة أســـرار مجنحـــة

وللنبــوّة أنفـــاس زكيـــاتُ

إن العروبـــة ظـــلّ الله فـــائتلفوا

تظلكـــم بالعنايـــات الـــسماواتُ

إنى لأهتــف بالــشرقية انتبــهى!

أين الــورود الغــوالى والتحيــاتُ

هاتى أكاليلك اللاتــى لهــا خلقــتْ

مفـــارق مـــشرئبات وهامـــاتُ

هـــل وقفـــة بعظـــيم التـــل نـــذكره

تشفى التاريخ أو تؤسى الجراحـــاتُ

إن لم نعــدها هنـــا ذكــرى مجلجلــة

فنحن عند المسجَّى الحــي أمــواتُ!

لا تـــذكرن نهايـــات الأمـــور إذا

نبت عن المـــرء أوطـــارٌ وغايـــاتُ

وصفْ لنا وهـــو مـــاضٍ في رســـالته

هل أديت مثلما تقـــضى الرســـالاتُ

يا أيها الترب بالذكرى يضوع شـــذى

كمـــا تـــضوع بالأعطـــار جنـــاتُ

هنـــا مـــساعٍ عظـــام فيـــك هانئـــة

قريـــرة، وعظـــامٍ مطمئنـــاتُ

يا قالـــة أخفقـــت، لكنـــها طلعـــتْ

كأنهـــا في جـــبين النيـــل مـــشكاةُ

قد كانت الوحدة الـــشماء حجـــتكم

في وجهِ من كان بالبـــهتان يفتـــاتُ

فـاليوم، واحـسرتاه؛ أيـن حجتنـا

مبعثـون: وأحـزاب، وأشـتاتُ!

لهفي على أسـرة دب الخـلافُ بهـا

فَسلّ الأشـقاء فيهـا والـشقيقاتُ

لهفي على أسـرة دب الخـلاف بهـا

تمشي الـضغائن فيهـا والـسعاياتُ

يـد التفـرق في الـسودان تنـشرها

كأنها في الـروابي الخـضر حيـاتُ

أبعدَ ذاك البـساط النـضر يجمعنـا

تُمدُّ يوماً لكـاس الـسم راحـاتُ

النيل حبـل ونحـن العقـد متـصلا

حباته، كيف تـذري منـه حبـاتُ

(٨٠) ألقيت عام ١٩٤٧.

تحية للطالبة (١)

هنيـــــئاً لك بالـــسنة العاشــــره
وبالخطـــــة الفــــذة البــــاهره
ويـــا نجمـــةً في سمـــاء العلـــى
بهـــا تبتـــدي الأنفـــس الحـــائره
ستعنو الـــرؤوس وتـــروى النفـــوس
وأنـــت علـــى أفقهـــا ســـاهره
وعفـــوك حـــين ارتجلـــتُ الكـــلام
وحـــين نظمـــت مـــن الـــذاكرة
ففـــضلك لي حـــافز ملـــهمٌ
كمـــا تلـــهم الروضـــةُ الناضـــره
فـــإن تطلـــبي الـــشعر مـــن شـــاعرٍ
فأنـــت بإعجابتـــا شـــاعره
إذا كنت «طالبـــة» لفنـــون العلـــى
فإنـــك أســـتاذة قـــادره

تحليـــــت بـــــالعلم في روعـــــة

وزيـــــتِ بالرقـــــة الـــــساحره

(٨١) ألقيت عام ١٩٤٨.

شهـــــــــــر زاد

شـــــــــــهرزاد ويا ضـــــــــــياء الأهلّـــــــــــه

زهــــــرة أنـــــــت مـــــــن خميلـــــــــة مطلّـــــــه

ليلـــــــة أنـــــــت مـــــــن جمـــــــال وحُـــــــسْنٍ

قرأتهـــــــا القلـــــــوبُ في ألـــــــفِ ليلـــــــه

(٨٢) نشرت ٣ نوفمبر ١٩٤٨.

سامية جمال

يا من تمنيتِ شعرا
يكون كفءَ جمالِكْ
وليس في الكون شعر
أراه كفءًا لذلكْ
عفو القوافي وعذرًا
إن قصّرتْ في سؤالِكْ
إن لم تجد لك عدلا
ولا نظير دلالِكْ
حاولتُ وصفك لما
رأيت نور هلالِكْ
فحرتُ ما قلتُ شيئا
يليق باستقبالِكْ
يا فتنةً فوق ظني
بالله .. مالي ومالِكْ؟!

(٨٣) نشرت يوم ٣ نوفمبر ١٩٤٨.

ســـــــهام رفقـــــــى

إذا غفـــــــرت لـــــــشعرى

فقلْـــــــي واســـــــعيدي

تـــــــروْنَ فيـــــــه «ســـــــهاما»

فـــــإن أردتِ فزيــــــدى

ممـــــا يـــــصيب ويـــــدمى

القلـــــوبَ قبـــــل الجلـــــودِ!

(٨٤) نشرت يوم ٣ نوفمبر ١٩٤٨.

أماني فريد

أهواك مصغية إليّ مطلة
بالنور والإشراق في عينيك
وأحب شعرك حينما أرسلته
فوضى مهدلة على كتفيك

(٨٥) كتبت خلال عام ١٩٤٨.

أنغـــــــــــــــــام قلـــــــــــــــــب

حـــب تغلغـــل فى صـــميم جـــوانحى

إنى الســخىُّ بــه وأنــتَ ضــنينُهْ

يـــامن تقيـــدنى الحيـــاة بحبـــه

هيهات يقلتُ من هـــواك ســـجينُهْ

حاشاك بـــل يبقـــى عليـــك حنينـــه

وتظـــل فيـــه دموعـــه وأنينُـــهْ

حـــبى إليـــك هـــو الغـــرام جميعـــه

إن لم أكنـــه فمـــن ســـواى يكونـــهْ

خُنْ ما تشاء وإن تَرُمْ فـــانس الهـــوى

إنى الـــوفى لـــه ولـــست أخونُـــهْ

وإليـــك ظـــاهره وباطنـــه معـــاً

وإليـــك معلـــنُ ســـره ودفينُـــهْ

لارُدَّ لى عقلـــى ولا ثـــاب النـــهى

ما دام يعـــذب فى هـــواك جنونُـــهْ

إنْ طويــسـت علـيـــه حـبـسـةَ مهجـــتي

وخبّأتـــه خلـــف الجفـــون أصـــونُهْ

(٨٦) نشرت يوم ١٠ أغسطس ١٩٤٨.

أحمس الأول

خبرينا خمائل النوارِ
خبرينا صوادح الأطيار
خبرينا نواضر الآس إذ رف
على خده النسيم الساري
عانقته مع الأصيل الغوادي
وجلته كصورة فى إطارِ
خبرينا بالله إن قصَّر اللف
ظ وخانت روائعُ الأشعارِ
كيف يُجزى الأديب والكاتب
الموهوب قد بات قبلة الأنظارِ
والصديق الماضى لأروع أفق
والمجلِّى السبَّاق فى المضمارِ

* * *

أيها الكاتب الذى يكتب التا
ريخ صوَّرْ تاريخنا من نارِ

وانشر الصفحة الكريمة مالو

ثها مرةً صداد العارِ

إنما نحن أمة ترفض الذل

وتأبى بقاءها فى الإسارِ

كم وكم حلّ أرضنا من نسور

دخلتها دوامىَ الأظفارِ

كل نسر يحط شكل طود

مستقر مهيمن جبّارِ

اقتحمنا جلاله وغزونا

ودككنا شواهق الأسوارِ

* * *

إنما «أحمسٌ» تراث من المجدِ

ودنيا غنية بالفخارِ

هو هام مكلل بالمعالى

وجبين متوج بالغارِ

هو مصر وكل ما فى حنايا

مصر من عزمة ومن إصرارِ

هــو مــصر وكــل مـــا في خفايـــا

مــصر مــن قـــوة ومــن أســـرارِ

بـــارك الله «عـــادلا» بعـــث المـــا

ضـــيَ نـــورا يـــضيء للأبـــصارِ

في نظـــام مــــن البيـــان بـــديع

معجـــز مـــن خـــوارق الأفكـــارِ

* * *

عظـــة وهـــو بالعظـــات خـــبير

سمـــر وهـــو أعـــذب الـــسمارِ

يا أديب الشباب يا مرسل الشـــــــــــ

ـــــــــعر قويـــا كزاخـــر التيـــارِ

* * *

فائــضاً مـــن خـــواطر عبقريـــات

وذهـــــن محلــــــق فـــــوارِ

أنـــا عـــن معـــشر الـــشباب أُهـــني

وأحـــــيي تحيـــــة الإكبـــــارِ

(٨٧) ألقيت في مهرجان لتكريم عادل الغضبان - عام ١٩٤٨.

بطاقـــــة توصيـــــــــــــة

محمد مصطفى الماحي

للصاحب الـــشهم الكـــريم الــساحِ
هذى الشفاعة للــصديق «المــاحى»

بعض النقود وقد تركــتُ لــصاحبي
تقـــديرها بذكائـــه اللمـــاحِ

هـــذا قريـــب فـــاقضِ حــقَّ قرابــة
والرمـــز يغنـــى عـــن الإفـــصاحِ

(٨٨) كتبت خلال عام ١٩٤٨.

أمـــــــــــل

حبيبـــــة قلـــبي حيـــاتي الفــــدا
وإن كــــان في مقلتيـــك الـــردَى

إذا مـــر يـــومي بـــلا ملتقـــي
أقـــول لقلـــبي انتظرهـــا غــــدًا

رويـــــدك إن غــــداً فدفـــــدٌ
خفـــيّ الـــدروب بعيـــد المـــدَى

إذا لم تجـــد لفحـــــة في الرمـــــال
فإن الهـــوى مـــضجع مـــن نَـــدَى

لعينيـــك أطـــوي الحيـــاة اصـــطباراً
شـــقيا بهـــا عانيـــاً مفـــردَا

هبـــيني لأجلـــك ضـــيعتُها
فـــو الله لم أقـــض عمـــري سـدَى

فأنـــت الوجـــود وأنـــت الخلـــود
وأنـــت النـــداء وأنـــت الـــصدَى

وكيف بغيرك تحلو الحياة

ويعذب موردها موردا

وأنتِ النعيم وأنت العذاب

وأنت مواردها والصدا

وأنتِ أحب المحبين فيهما

وأنت كذاك أحب العدا

تناديني إن قلبي إليك

غدا هاتفاً وسرى منشدا

وأنت اللهيب وإني الفراش

فهاتي على نارك الموعدا

تظنينني ناعماً بالرقاد

وإني الذي خاصمَ المرقدا

سأسهر عمري حتى أراك

وأجعل من حبنا معبدا

(٨٩) نشرت يوم ١٠ يناير ١٩٤٩.

تحيــــــــــــــــــــة للطالبــــــــــــــــــــة (٢)

حمــل الطــير لــك الحــظ فهــل
ركــب الحــظ جنــاحيْ ملَــكْ؟
لم لا يحمــل مــا أملتــه
والــذي أملــه القلــب لَــكْ؟
مــن فنــون المجــد طــرا والعلــى
جعــل الله العلــى منزلــكْ
طالمــا أنــت لهــا «طالبــة»
طالمــا قــد درتهــا في فلَــكْ

(٩٠) نشرت في فبراير ١٩٤٩.

علـــــــى ضفـــاف النيـــــــل

سحر الجمال علـــى ضـــفاف النيـــلِ
في مـــشرق أو في احمـــرارِ أصـــيلِ
والعـــين تنتـــهب المفـــاتن كلـــها
وتجـــول بـــين مـــزارع ونخيـــلِ
طـــب النفـــوس وراحـــة العـــاني إذا
حل الـــضني وشـــفاء كـــلّ عليـــلِ
ونعـــيم أحـــلام ومتعـــة نـــاظر
متنقـــل مـــن رائـــع لجميـــلِ
ولربما بخـــل الزمـــان علـــى الـــورى
والنيـــل بـــالخيرات غـــير بخيـــلِ
وكفاه أن الـــنفس في وقـــد اللظـــى
تـــأوى لظـــل في ربـــاه ظليـــلِ
وكفـــاه أن شـــهد الحـــضارة مولـــدًا
لا ريـــب كـــل حـــضارة بأصـــولِ

والمجـــد أعـــراق وهـــذا شـــاهد

عـــن ســـامق مـــن مجـــدنا ونبيـــلِ

(٩١) نشرت في مايو ١٩٤٩.

الجمـــــــــــال الناعـــــس

انقلْ عيونـــك فى الجمـــال النـــاعسِ
وارتعْ بلحظك فى القـــوام المـــائسِ
واهبط هبـــوط الـــوحى فى همـــساته
وانقل خطاك على دُمـــى وعـــرائسِ
هـــذا هـــو المحـــراب فـــادفع بابـــه
وانقـــذ هيكلـــه بغـــير منـــافسِ
إن الجمـــال هـــو المتـــاع ففـــزْ بـــه
مـــا بـــين أعـــلاقٍ وبـــين نفـــائسِ
إن لم تفـــز يومـــاً بميـــدان الهـــوى
فارجع فلستَ على الجمال بفـــارسِ
أو دَعْه فى حفـــظ المهـــيمن وحـــده
كرمتْ يد الحـــانى وعـــين الحـــارسِ
لمن الربيـــع النـــضر ينطـــق حـــسنه
ما بـــين إفـــصاح لديـــه وهـــامسِ

تمشي إليه العينُ نحو حقيقة
فتنام منه على خيالٍ وساوسِ
وتكاد من فن لديه معجز
ترتاب فيه يد المحس اللامسِ
وتكاد تقبس من سناه ونوره
ما يستعز به خيال القابسِ
متجانس أحلى بهاه شذوذه
وشذوذه يطغى على المتجانسِ
ما كان منه عاريًا فجماله
أن الزهور غدت له كقلانسِ

(٩٢) نشرت بيوم ١٨ مايو ١٩٤٩.

إلى أم كلثوم

ليسعد النيلُ وليهتفْ لك الجيلُ لك الخلودُ وللشعر الأكاليلُ
تلقَى تحدى مصراً بأجمعها تحنو عليك ويرنو نحوك النيلُ
جرى النسيمُ على وجه الغدير به كأنه فى شفاه الفنِّ تقبيلُ
تسَمَّعى فى العُلىَ همساً وأغنية أذاكَ صوتُك أم فى الخُلد ترتيلُ
على الثرى لك أكبادٌ مصفقةٌ وفى السماوات إكبارٌ وتهليلُ
قد يجلوكِ وهل فى العبقرية ما يكفى لتمجيدها فخر وتبجيلُ
ولمْ تقامُ تماثيلٌ ممجدةٌ وفى قلوب الورى هذى التماثيلُ
وحسبُ صوتك أن يعدو بنا سوَراً كأنه فى كتاب الفن تنزيلُ
رأى الحقيقة رأى العين منطلقٌ مصفدٌ بقيود العيش مكبولُ
سرى له الصوتُ مسرى النور فانقشعتْ عنه وعن قلبه الصافى الأضاليلُ
فإن يكن حُلُماً كالوهم طاف به فإنه الحقُّ.. والباقى أباطيلُ
فليفخر النيلُ وليزهى بمعجزة لها على قدرة الخلَّاقِ تدليلُ
من أنت؟ ما أنت.. فالأفهام حائرة وكيف للفن تفسير وتعليلُ
للفنِّ عندك آيات منزلةٌ أنتِ الفراقينُ فيها والأناجيلُ
وحسبهُ وقطوفٌ منكِ دانيةٌ بأنه فى وجومِ العيشِ تجميلُ

(٦٣) ألقيت مساء ٢٢ أكتوبر عام ١٩٤٩.

إنعـــــام .. والإلهـــــام

ثغــرٌ كمـــا يعـــشقُ الفنّـــانُ بـــسّامُ

للكَ النعيمُ أخـــى موســـى وإنعـــام

إن كـــانَ عنـــدكَ إلهـــامٌ نتـوق لـــه

فمالنا مثـــلُ هـــذا الحـــسنِ إلهـامُ

ســـــذاجةٌ وبـــــراءاتٌ مطهـــــرةٌ

كأنها مـــن نـــواحى الخلـــد أنـــسامُ

إنْ كانَ للناسِ جـــامٌ يـــشربونَ بهـــا

فعندكَ الكـــأسُ والـــصهباءُ والجـــامُ

حقيقـــةٌ مـــن جمـــالٍ ســـاحرٍ غَـــردٍ

كأنه مـــنْ رقيـــق الظـــلِّ أحـــلامُ

حسنٌ قصاراه فى وصـــفٍ ومـــوجزه

بأنه الحـــسنُ ضَـــلّتْ فيـــه أفهـــامُ

يد على الجـــرح تأســـو مـــا ألمّ بـــه

ومـــسرهم تتلاشـــــى فيـــه آلامُ

وصورة أعجزتْ فى الوصفِ شـــاعرَهَا

وتــاهَ فى وصـــفها شــارد ورَشّـــامُ

لا تعجبى للـــورى إنعـــامُ إن عبـــدوا

عينيك أو إن هُمُو فى وصقها هـــامُوا

فأنـــتِ طـــاهرة والفـــن أظهـــرُ مـــا

يطوفُ حولَكِ حاشَـــا الفـــنَّ آثـــام

الحسن عنـــدكِ لحـــن والبيـــان لـــه

لحـــن يهدهـــده والحســـن أنغـــام

مصر الجديدة صباح السبت

١٩ نوفمبر سنة ١٩٤٩

(٩٤) كتبت فى ١٦ نوفمبر ١٩٤٩.

أنعام – نظرة وبسمة

هــــبَّ علينــــا عطــــر أنــــسامِ

مـــن ســـاحرِ المقلـــة بـــسَّامِ

ماحـــلَّ حـــتى ســـارَ فى ركبِـــه

معجـــــزُ ألبـــــابٍ وأفهــــامِ

فحــــسنه مالــــيهم أقــــلامٍ

وشــــاعرٍ شــــادٍ ورســــامِ

وكيـــف لا يـــسمو بأرواحنَـــا

لطف كلمــحِ الكوكــبِ الــسامى

يلمـــع لَمْـــعَ الـــبرق فى رقَـــةٍ

وكُـــلُّ بـــرقٍ وحـــى إلهـــامِ

وكـــلُّ لَحـــظٍ مرســـلٍ للـــورى

يـــد المـــداوى فـــوق آلامِ

وعينـــها الـــنجلاء إن تَلْفــــتْ

فموقــــع الــــصهباء فى الجــــامِ

وأينما حلَّتْ بنا نضَّرتْ

همةٌ عابسَ أيَّامِ

لقد تجلَّتْ قدرة من عملٍ

مذ أنعمَ الله بأنعامِ

(٩٥) كتبت في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٩.

أنـــــت ســـــحر الإبـــــــداع

يـــا جزيـــلَ الهبـــات والإنعـــامِ

زدت لطفـــاً بـــاللطفِ مـــن أنعـــامِ

وجلـــوتَ الظـــلام حـــتى تقَـــضَّى

ما على الكون مسحةٌ مـــن ظـــلامِ

وجلوتَ الجمالَ والـــسحرَ والفجـــرَ

علـــى ضـــوءِ ثغرهَـــا البـــسَّامِ

وجلـــوتَ الزهـــورَ تَنْـــدَى علينـــا

فكـــأني أرى الربيـــعَ أمـــامي

يا حفيفَ النـــسيمِ يـــا رقـــةَ الـــوردِ

تجلَّـــى في ناضـــرِ الأكمـــامِ

أنـــا إنْ قلـــت للجمـــالِ ســـلاماً

فقليـــلٌ لـــذا الجمـــالِ ســـلامي

وســـلامي علـــى الـــبراءةِ والطهـــرِ

ومعناهمـــا الرفيـــعِ الـــسامي

وسلامي على سنى وسناء

كجمال البدور عند التمام

وسلامي على عذوبة نفس

وصفاء كمسعد الأحلام

وسلامي على العيون اللواتي

هنّ للفنّ مصدرُ الإلهام

وجلال الدهور إمّا تقضّتْ

وجمالُ السنينَ والأعوام

خالدات بما يَخلّدْنَ فينا

من فنون تفردتْ بالدوام

إيه إنعام والقصائد تترى

أنت سرُّ الإبداع في الأقلام

وَضَحَ الوحي، مثلما وَضَحَ الحبُّ

فما في القلوب من إبهام

«قهوة البندق – مصر الجديدة»

(٩٦) كتبت في ١٤ ديسمبر ١٩٤٩.

حيــــــاة جـــديـــدة

ســـنة أقبلــــت فحيــــوا العيــــدا

وابدأوا فى الزمـــان عهــداً جديـــدا

انظروا الفجـــر فى حواشـــى الليـــالى

طالعـــاً بالرجـــاء يحيـى الوجـــودا

كيـــف لا تبـــسم الحيـــاة وهـــذا

طـــالع اليمن ضـــاحكاً وسعيدا

يـــوم عيـــسى ويـــوم أحمـــد فى آن

ألـــستم علـــى اللقـــاء شـــهودا؟

وانظروا للضياء يلمـــع فى الآفـــــق

وخـــروا لـــذا الـــضياء ســـجودا

وخـــذوا العـــبرة الكـــبيرة مـــن ذاك

ونـــادوا الـــورى وهـــزوا الرقـــودا

وليحيِّـــى القـــوىُّ منـــا ضـــعيفاً

ويحـــىِّ القريـــب منـــا البعيـــدا

ولتعشْ عيشة المحبة والسـ

لم ونطوِ الأذى وننسَ الحقودا

سنة أقبلتْ عليها جلال

فاغنموا عندها العلى والصعودا

واملأوها حباً وبِشْراً ومجدا

واسألوا الله مثلها أن يعيدا

كم مسهد على الإخاء تقضَّى

يتمنى أخو الهوى أن يعودا

(٩٧) نشرت في يناير ١٩٥٠.

لا تعجبـــــــــــى

أنغـــام يـــاروح النـــدى وأنـــسه
الشعر أنتِ وأنـــتِ روح الـــشاعرِ
فى أى معـــنى مـــن معانيـــكِ الـــتى
تَسبى النهَى، إبداع هـــذا الخـــاطرِ
فى الشعر أم فى النحـــرِ أم فى مـــائسٍ
متمايـــلٍ أم فى الجمـــال الـــساحرِ
لا تعجـــبى للـــشعرِ إنـــك غنـــوة
واللحن من صـــنعِ الإلـــهِ القـــادرِ
وأنـــا كطـــيرٍ فى الـــروابى صـــادح
أشـــجته أفنـــان الربيـــع الزاهـــرِ
غنَّـــى لمعـــنىً فى الطبيعـــةِ ســـاكنٍ
في جفنِها الـــساجى وآخـــرَ ســـافرِ
وكذاكِ أنـــتِ فكـــم جمـــالٍ مختـــفٍ
في النفسِ موصـــول بـــآخرَ ظـــاهرِ

(٩٨) كتبت في ١٨ يناير ١٩٥٠.

نشـــــيد الطالبــــــــــــة

إن تطلــــــبي فنـــــــا وفكـــــــرا

ذا نـــــــــشيد الطالبـــــــــــــه

فى كــــــــل صـــــبح طـــــــالع

وبكـــــــل شمـــــــس غاربـــــــه

إنى أحــــــب العلـــــم فهـــــو

التـــاج يرفـــع كـــل آمــــه

إن تحمـــــدوا نعـــم الإلـــه

فــإن حــب العلــم نعمــه

العلــــم مثـــل الـــشمس كــم

دفء تجـــود بـــه وظـــلٌ

وجمالـــه كـــالروض كـــم

فى الـــروض حـــسن لا يُمَـــلُّ

وإليــــه أغــــدو كـــالطيور

طبعـــى الـــتغنى والبكـــور

وإلى الحيـــــاة أسير تمـــــــــــــــ

ــــــــــلأن البـــشاشة والـــسرور

ويـــــدى لمــن حـــولى تمـــد

علـــــى المحبــــة والـــــوداد

أغـــــدو علـــى حـــب لهـــم

وأعــــود صـــــافية الفــــؤاد

فهجــــى الـــسوىّ ومبـــدئى

«كـــل يـــؤدى واجبـــــه»

إن شـــــئتم مــــنى النـــشيد

فــــذا نـــشيد الطالبــــه

لأبى وأمـــــــــــى طــــــاعتى

ورضـــــاهما هـــــو مغنمـــــى

وعلـــــىَّ أن يغـــدو احتـــــرا

مــــى كـــــاملاً لمعلمــــى

وإذا ابتــــــسمت إلى الحيـــــاه

وإذا رضــــــيت بمــــــا أراه

وشـــــكرت حظـــــي فى الوجـــــود

فإنـــــــه شـــــــكر الإلـــــــه

(٩٩) نشرت في فبراير ١٩٥٠.

حققـت الأيـام أحـلامـي

حققـت الأيـام أحلامـي

وأنعـم الله بأنعـام

في ليلـة ليست ببـالي ولا

مـرت ولا دارت بأوهـامي

كتبـت شـعري مثـل عاداتـه

يلقـاك مـن عـام إلى عـام

مقـدماً كـالنجم في أوجـه

قربانـه للفلـك السامي

(١٠٠) كتبت في يناير ١٩٥٢.

دعاء للعالم الجديد

فليقرع الحظ السعيد

بكفه ويدق بابَكْ

بُسطُ المنى مجلوة

كخضرة تكسو رحابَكْ

ونرى ابتسامات السعا

دة حلوةً ملأت شعابَكْ

بيضها لك غاية

ليس السواد بها حسابَكْ

وليرعك الله الكريم

مجدداً أبداً شبابَكْ

(١٠١) نشرت في يناير ١٩٥٣.

مرثية إبراهيم الدسوقي أباظة

ودعـــت أحلامـــي وعفـــت حيـــاتي
ودفنت بعهدك في التـــراب ثبـــاتي
هيهات ليس الـــدمع فيـــك بمـــسعف
جفتْ على حوض الـــردى عبراتـــي
يتمثـــــل الماضـــــي إليّ بأنـــــسه
متـــألق الآمـــال والبـــسماتِ
فـــإذا التفـــتُّ لحاضـــري ألفيتـــه
جهمـــاً، وفـــزّعني خيـــال الآتـــي
ما أرتجي؟ ذهـــب الـــصديق وعقـــني
زمني وأصـــبح في القفـــار لـــداتي
وإذا انطوى طيب الزمـــان وحـــسنه
لم يبق غـــير الوجـــد والحـــسراتِ
عذراً أخـــي عَـــيَّ البيـــان وخـــانني
قلمي وغـــصّتْ بالـــدموع لهـــاتي

أيــن الدســوقي والمــروءة والنــدى

وعظــائم الأعمــال والخطــراتِ؟

أيــن الليــالي الحاشــدات بفــضله

مأهولــــة معمــــورة الجنبــــاتِ؟

واحــسرتا صــارت فِــساح رحابــه

قــبرا بعيــدا ضــيق العرصــاتِ

لمن الشكاة؟ وكنت مهمــا ضــاق بي

صدري أبث لــه طويــلَ شــكاتي

وألــوذ مــن ترحابــه بــصداقة

مأمونـــة جَلَّـــتْ عـــن العثـــراتِ

وألــوذ مــن آفاقــه بكواكــب

شــفافة الأنــوار والــضحكاتِ

ومروءة تلقــاك عــن قــرب وعــن

بعدٍ بمــا ترجــو مــن الحسناتِ

إقــدام أبطــال وحــزم غــضنفر

في لــينِ أخــلاقٍ وعلــم ثقــاتِ

يا هادمَ العقبات من صخرٍ ومن
شوكٍ لِيَ الرحمن من عقباتي
ومقلما ظفر الأعادي لفتة
مَنْ لي إذا كثر الغداةَ عداتي
ويحي تشاكلت الليالي كلها
حزناً عليك عشيتي كغداتي
أرنو إلى الدنيا فأهتف قائلا
لمدامعي هاتي معينك هاتي
وأقول للسحب الهواطل هاهنا
فيضٌ من الأخلاق والعزماتِ
فاسقي ثراه المستطابَ وساجلي
شُؤبوبةً فيضاً من الرحماتِ

(١٠٢) ألقيت أواخر يناير ١٩٥٣.

عاصفة غضب

في ليلةٍ عاتيةٍ صاخبه
ثارتْ علىَّ الفتنةُ الغاضبه
وفي اشتباكاتِ الهوى والقلى
ومن سِنانِ الكَلِمِ الواثبه
ذاقَ فؤادي طعنةً طعنةً
مرارةُ الموتِ بها ذائبه
أطبقتْ عيني وخيالُ الردى
يحومُ وجنتي الشاحبه
وأطبقَ الليلُ سوى بقعةٍ
حمراءَ من دمعتيَ الساكبه

* * *

وطافياتٍ من حطام المنى
على متونِ الرقمِ الراسبه
وحائماتٍ من فلول القوى
ومن بقايا الهممِ الغاربه

مـــستنقذات مـــن جحـــيم الجـــوى

تزحـــفُ خلـــفَ الجنـــة الهاربـــه

(١٠٢) نشرت في فبراير عام ١٩٥٣، أي قبل رحيل ناجي عن عالمنا بأكثر مـــن شـــهر واحد..

صولة الحسن

إيهِ إنعامُ والمحاسنُ كُثْرُ
ما لمنْ لم يقمْ بوصفكِ عذرُ
خلقَ اللهُ ذلكَ الحسنَ لكنْ
للذي يخلقُ المفاتنَ سرُّ
سرهُ أنَّ كلَّ حسنٍ لهُ الشعرُ
تبيعٌ فالمجدُ حسنٌ وشعرُ
وأنا الشاعرُ الذي قد تصبّاه
فريدٌ منَ المباهجِ نضْرُ
أينما وَجَّهَ المشاهدُ عينيهِ
فسحرٌ يتلوهُ سحرٌ فسحرُ
فمنَ الخدِّ للجبينِ إلى العينينِ
للثغرِ منْ معانيكِ سِفْرُ
يقرأُ الناظرونَ فيه عجيباً
إنْ تولّى سطرٌ تتابعَ سطرُ

مــا علــى الحــسنِ أن تمــر حيــاةٌ

في تجليـــه أو يـــضيعُ عمـــرُ

ربَّ حـــسنٍ مـــن الوداعـــةِ يبـــدو

فيـــه عطـــف وفي حنايـــاه بـــرٌّ

ولقـــد تحـــسب الوداعـــةَ ضـــعفاً

ولهـــا دولـــة ونهـــى وأمـــرُ

فمرينـــا إنعـــام مـــن غـــيرِ أمـــرٍ

نحن أســـراكِ مـــا بأســـراكِ حـــرٌّ

ومرى الدهرَ يـــصبح الـــدهر عهـــداً

واضـــحكي في فـــم المُـــني يفتـــرُ

ومرى الروضَ يصبحِ الـــروض فينـــانَ

وينمـــو ورد ويـــورق زهـــرُ

ومرى الطيرَ يسجعِ الطـــير جـــذلانَ

ويـــشدو غـــصن ويطـــرب وكـــرُ

ومرى القلبَ يخفق القلـــب فرحـــانَ

ويحنـــو روح ويطـــرب صـــدرُ

ومرى الخمرَ يــصبحِ الجســم كالمــاءِ

وتغنـــو نــــار ويخـــضع جمـــرُ

ومرى البحر يهـــدأ البحـــر أمواجـــاً

ويغنـــو مـــوج ويهجـــع بحـــرُ

إيـــه إنعـــام هـــذه صـــولة الحســـنِ

الـــتي تحطـــم القـــوىً وتـــذرو

(١٠٤) كتبت في فبراير ١٩٥٢.

مصــــــادر

القَصائد المجهولـــة*

مائة قصيدة وقصيدة

* أضيفت إلى هذه الطبعة الجديدة ثلاث قصائد مجهولة أخرى ، وبهذا يصبح عدد القصائد مائة وأربع قصائد.

١ - مناجاة الهاجر - نشرت في العدد الأول من السنة الثالثة من مجلة «السيدات والرجال» التي كان يصدرها نقولا حداد نوفمبر ١٩٢١ - ص ٤٠، وقد تصدرت القصيدة كلمة قُصِدَ بها التعريف بالشاعر الناشئ وقتها، وهذا نصها: «عرفنا الدكتور ابراهيم افندي ناجي نجل حضرة صاحب السعادة أحمد بك ناجي مدير مصلحة التليفون تلميذاً في مدرسة الطب السلطانية، على حداثة سنه يتوقد ذكاء ويتدفق معرفة وعلما، وقد انتهى في هذا العام من الدراسة. ولكن ما خطر أن الذهن الذي يغوص في أعماق الخليات البيولوجية يستطيع أن يسبح في الطبقات الأثيرية ويرسم في صفحات الخيال رسوم الجمال العاطفي، فقد وقفنا على بعض قصائد له تعد من المعجب المطرب. واليك مثالين منها: وبعد تلك الكلمة الموجزة نشرت المجلة قصيدة «مناجاة الهاجر» التي يعينا أمرها، وهي بالطبع غير قصيدة «مناجاة الهاجر» التي نشرها ناجي ضمن قصائد «وراء الغمام» ومطلعها:

دع النفس تمرح في خيال وأوهام

وخل لأجفاني كواذب أحلامي

أما المثال الثاني من «المعجب المطرب» فهو قصيدة «على البحر»، وقد نشرها ناجي ضمن قصائد «وراء الغمام» ص ٢٠١ وصدرها بعبارة تقول إنها «من شعر الصبا قاله الناظم في الثالثة عشرة من عمره»، مع أن ناجي عندما نشرت تلك القصيدة في : «السيدات والرجال» كان عمره اثنين وعشرين عاماً.

* * *

٢ – الذكرى – لى حبيب مريض – نشرت لأول مرة في العدد الثانى من السنة الثالثة من مجلة «السيدات والرجال» – ديسمبر ١٩٢١ – ص ١٢٤، وقد نشرت مرة ثانية في العدد الأول من المجلد الثانى من مجلة «أبولو» الصادر في سبتمبر ١٩٣٣، لكن الشاعر لم يشأ نشرها ضمن قصائد أى من ديوانيه اللذين صدرا فى حياته.

* * *

٣ – قبلة التوديع – نشرت في العدد الخامس من السنة الثالثة من مجلة «السيدات والرجال» مارس ١٩٢٢ – ص ٢٩٦ وقد تصدرتها عبارة تقول: «نظم حضرة النطاسى الدكتور إبراهيم أفندى ناجى».

* * *

٤، ٥، ٦ – قصائد: إلى القمر، أسعد الله مساءك، التوبة – نشرت فى العدد السادس من السنة الثالثة من مجلة «السيدات والرجال» – أبريل ١٩٢٢ – ص ٣٦٧ – وقد تصدرتها عبارة تقول: «أتحفنا حضرة النطاسى الدكتور إبراهيم أفندى ناجى بالمنظومات الثلاث التالية».

* * *

٧ – الختام – نشرت في العدد الأول من السنة الرابعة من مجلة «السيدات والرجال» – نوفمبر ١٩٢٢ – ص ٤١، وتصدرتها عبارة «نظم الشاعر الرقيق الدكتور إبراهيم أفندى ناجى»، ونشرت ثانية فى العدد من المجلد

الأول من مجلة أبولو ١٩٣٢ ص ١٩٠ وتصدرها عبارة «من شعر الصبا»، وقد حذف الشاعر عدة أبيات منها عندما نشرها في «أبولو»، ثم حذف عدة أبيات أخرى عندما نشرها في ديوانه، والأبيات المحذوفة مدرجة بطبيعة الحال في النص المنشور ضمن «القصائد المجهولة» وهي الأول والثاني عشر والثالث عشر والعشرون والحادي والعشرون، كما أبدل الشاعر لفظة «فيك» بلفظة «منك» في الشطر الأول من البيت الثاني بحيث أصبح «عجبا لقلب ديض منك جناحه»..

* * *

٨ – الصورة – نشرت لأول مرة في العدد العاشر من السنة الرابعة من مجلة «السيدات والرجال» – ١٥ أغسطس ١٩٢٣ – ص ٥٨٩ وقد نشرت في باب «عرائس الشعر وشعر العرائس» وتصدرها عبارة تقول انها «للشاعر الرقيق الرشيق الدكتور إبراهيم ناجي» والقصيدة – في نصها هذا المجهول – تتألف من أربعة وعشرين بيتاً وقد نشرها الشاعر مرة ثانية في ديوانه «وراء الغمام»، ولكن بعد أن حذف منها خمسة عشر بيتاً، وبهذا يكون النص المنشور في الديوان مؤلفاً من تسعة أبيات فحسب، والأبيات المحذوفة هي: من الأول إلى الثامن، ثم الرابع عشر، ومن التاسع الى الرابع والعشرين وقد أبدل الشاعر لفظة «جلى» بلفظة «بلى» في البيت العاشر ..

* * *

٩ ، ١٠ — قصيدتان هما : حنين، الموسيقى – نشرتا في العدد الثاني من السنة الخامسة من مجلة «السيدات والرجال» – ١٥ ديسمبر ١٩٢٣ – ص ١٢٣، وقد نشرت القصيدتان بتوقيع «الدكتور إبراهيم ناجي»، تتألف القصيدة الأولى من عشرة أبيات، حذف الشاعر منها أربعة عندما ضمنها ديوانه «وراء الغمام» وهي الأبيات من السابع إلى العاشر : كما أنه أبدل لفظة «قسوت» بلفظة «هجرت» في الشطر الأول من البيت الأول بحيث صار «هجرت فلم تجد ظلاً يقينا»، أما القصيدة الثانية فتتألف من أربعة أبيات، وهي أول قصيدة ينظمها ناجي من بحر الطويل، ويبدو أنه عانى في نظمها على هذا البحر الجليل، إذ إننا لا نحس فيها بانسياب موسيقاه التي نألفها منه ..

* * *

١١ – إهداء صورة – عنوان هذه القصيدة من اختياري، وهي قصيدة مخطوطة لم تنشر في أية جريدة أو مجلة، وأبيات القصيدة مكتوبة على ظهر صورة فوتوغرافية لناجي، وهي مؤرخة بتاريخ ١٩٢٤/٩/٢٠، وقد حصلتُ على الصورة من السيدة جمالات مظهر زوجة أحد أشقاء ناجي وهو المرحوم عبدالعزيز ناجي، وأعتقد أن «محمد» الذي تتوجه أبيات القصيدة إليه هو محمد ناجي الشقيق الأكبر للشاعر.

* * *

١٢ - بين الشباب والشيب - نشرت في العدد السابع من السنة السابعة من مجلة: «السيدات والرجال» - يونيو ١٩٢٦ - ص ٣٩٢ - وهى أول قصيدة لناجى تظهر فيها محاولته للتفلسف الذى يبدو ساذجاً، ومن الناحية الفنية نجد أن الشاعر يرسم فيها لأول مرة صورة الشاعر الذى يستحيل فراشة تحوم حول الضوء إلى أن تحترق، وهذا ما يبدو فى قوله:

وأرى قلبي فراشاً حول هذا الضوء حاما

وهذه الصورة ذاتها رسمها تفصيلا في قصيدة بأكملها فيما بعد، وهى قصيدة «الفراشة» التى نشرها لأول مرة في العدد الأول من مجلة «الأسبوع» الصادر بتاريخ ٢٩ نوفمبر ١٩٣٣، ثم ضمنها ديوانه «وراء الغمام» وفيها يقول:

فراشة روحى تعالى وثوبا

ستلقين قلباً إليك يثب

اذا ما امتزجنا احترقنا معاً

ونلنا الخلود بهذا العطب

ثم صور ناجى نفسه في هيئة فراشة احترقت على الربى، وذلك عندما استعرض شريط حياته في أخريات أيامه في قصيدة «الطائر الجريح»:

فراشة حائمة

على الجمال والصبا

تعرضت فاحترقت

أغنية علـــى الربـــى

تناثرت وبعثـــرت

رمادهـــا ريح الصبا

١٣ – جسر التنهدات – نشرت هذه القصيدة في جريدة «الـــسياسة الأسبوعية» عدد ١٨ ديسمبر عام ١٩٢٦، ثم نشرها وديع فلسطين مرة ثانية في مجلة «الأديب» - عدد ديسمبر عام ١٩٣٦، وقد ترجمها ناجي عن الشاعر الإنجليزى توماس مور. وليس في النص المنشور في جريدة «السياسة الأسبوعية» أى خطأ في الوزن، كما أشار وديع فلسطين في ثنايا تقديمه للقصيدة، وكل مـــا في الأمر أن الذى نقلها له من «السياسة الأسبوعية» قد نقل أحـــد الأبيـــات بصورة غير صحيحة، والقصيدة تنشر هنا لأول مرة ضمن هذه القصائد المجهولة لناجى.

١٤– صخرة الملتقى - نشر النص المجهول هـــذه القـــصيدة فى عـــدد «السياسة الأسبوعية» الصادر بتاريخ ٦ اغسطس ١٩٢٧ – ص٢٠، وتصدرتها مقدمة نثرية هذا نصها: «صخرة ألفناها في صبانا وتعرفنا عليها وعلـــى شـــلى وبيرون وكيتس، وأوحت إلينا كثيرا من شعرنا، جثمت بين العبـــاب المـــائج والصحراء المنبسطة،عدنا إليها بعد كر السنين فكتبنا عليها القطعـــة التاليـــة». والواقع أن هذه المقدمة مضللة لقارئها، إذ إنها توحى له بأن الشاعر قد أصـــبح كهلا، بينما حقيقة الأمر تبين أنه لم يكن قد تجاوز السابعة والعشرين من عمره

عندما نظم القصيدة، ثم أنه لم يعمل بالمنصورة ولم يتعرف فيها على رفاق الشعر والحب والشباب إلا فى عام ١٩٢٧، فكيف بالله عاد إلى «صخرة الملتقى» بعد كر السنين؟ ترى لماذا إذن كتب مقدمته؟ هل كتبها في وقت من أوقات الضيق التي يحس فيها حتى الشباب بالكهولة النفسية؟ أم أنه أراد بها أن يثبت لهيئة تحرير: «السياسة الأسبوعية» أنه رجل مكتمل النضج وليس حدثا صغيراً، وبذلك يتسنى لقصيدته أن تنشر؟ لا أدرى! على أى حال فإنني قد سبق أن بينت كيف أن علي محمود طه كان أسبق من ناجي في مجال نشر قصائده في «السياسة الأسبوعية»، فقد نشرت له عدة قصائد قبل قصيدة ناجى هذه، ثم نشرت له في عدد ١٦ يوليو ١٩٢٧قصيدة «صخرة الملتقى» التي نشرها - فيما بعد - في ديوانه الأول «الملاح التائه» (ص ١١٨) وفيها يقول:

صخرة الملتقى أتيتك بعد الأين أشكو من الحياة أذاتي

أنا ذاك الشادى الذى نسلتْ ريش جناحيه هبةُ العاصفات

وهذه الحقائق التاريخية الواضحة تتناقض مع ما قاله صالح جودت في مقدمة ديوان ناجي (ص ١٦) حيث قال: وفي المنصورة نظم ناجي «صخرة الملتقى» التي تجدها في هذا الديوان، وبعث بها إلى السياسة الأسبوعية، وكانت من أمهات الصحف الأدبية في ذلك العهد، فاحتفت بها الصحيفة ونشرتها في مكان كريم، وبدأنا نفعل ما فعل ناجي، بعد أن كنا نشفق من إرسال شعرنا إلى الصحف وأخذنا طريقنا منذ يومئذ إلى الناس» ثم ذكر صالح جودت

(ص ٢١٠) إن شاعرنا ناجي «نظم هذه القصيدة في المنصورة حوالى عام ١٩٢٨» مع أن الحقيقة – هي كما بينت – أنها نشرت (أي بعد أن نظمت بطبيعة الحال) في يوم ٦ أغسطس ١٩٢٧، على أن صالح جودت يبدو أقرب إلى الحقيقة من أحمد عبدالمعطى حجازى الذى جزم بأن ناجى «نشر في عام ١٩٣٠ أولى قصائده «صخرة الملتقى» في جريدة «السياسة الأسبوعية» وهي يومئذ من أمهات الصحف الأدبية وكان يشرف عليها طه حسين والمازنى وهيكل»، جزم حجازى بهذا ولم يتواضع بأن يقول «حوالى» كما فعل صالح جودت، ولم يبين لنا المصدر الذى رجع إليه في هذا إن كان هذا المصدر موجودا ولم يتسن لمثلى أن يطلع عليه!!..

مهما يكن من أمر فإن ناجي اختصر أبيات قصيدته اختصاراً عجيباً، ونشرها ثانية في العدد الرابع عشر في مجلة «الأسبوع» بتاريخ ٢٨ فبراير ١٩٣٠، ثم عاد فنشرها مرة ثالثة ضمن قصائد ديوانه «وراء الغمام» ولكن بعد أن رضى عن عدة أبيات كان قد حذفها من النص المنشور في مجلة «الأسبوع»، وقد صدرها بعبارة أصدق مما سبق أن قاله عندما نشر القصيدة لأول مرة، إذ قال: «صخرة بين البحر والصحراء كنا نلتقى عندها ونستلهم البحر والصحراء أشعارنا» وقد نشرت القصيدة مرة رابعة ضمن ديوان ناجى، واعتمد المحققون النص المنشور في «وراء الغمام» وليس في هذا مأخذ عليهم مادام الشاعر ارتضى ذلك النص وضمنه ديوانه، وبطبيعة الحال فإن النص المنشور ضمن «قصائد

مجهولة» هو النص الأول الذى يجهله قراء ناجي الجدد، بل القدامى أيضاً ممن لم يقرأوا له غير دواوينه نفسها، والنص المنشور هنا يتألف من تسعة وثلاثين بيتاً، بينما يتألف النص المنشور في مجلة الأسبوع من أحدى عشر بيتاً أى أن الشاعر حذف منه ثمانية وعشرين بيتاً، وأما المنشور في ديوان «وراء الغمام»، وهو نفسه المنشور في ديوان ناجى، فإنه يتألف من ستة عشر بيتاً أى أن الشاعر حذف من النص الأول ثلاثة وعشرين بيتاً هى: الرابع والخامس والسادس والثاني عشر، والأبيات من السابع عشر إلى التاسع والعشرين، والأبيات من الرابع والثلاثين إلى التاسع والثلاثين، وقد غير الشاعر نص الشطر الأول من البيت الثاني بحيث أصبح نصه في «وراء الغمام» و«ديوان ناجى»

فيا صخرة جمعت مهجتين

أفاءا إلى حسنها المنتقى

أما نص الشطر الأول الذى يطالعه قارئ القصيدة هنا هو:

فيا كعبة شهدت هائمين..

* * *

١٥ - اللقاء - نشرت في جريدة «السياسة الأسبوعية» بتاريخ ١٢ نوفمبر ١٩٢٧ص ٩ وقد ذيلها الشاعر باسم المدينة التي نظمها فيها وهى «المنصورة» وقد نشرت هذه القصيدة فيما بعد - ضمن قصائد «وراء الغمام» بعنوان «رجوع الغريب» بدلا من «اللقاء»، كما أن ناجى أستبقى منها سبعة

عشر بيتاً أى أن حذف ثمانية أبيات من النص الذى ننشره هنا نقلا عن السياسة الأسبوعية، والأبيات التى كان الشاعر قد حذفها هى: الخامس والسادس والسابع والحادى عشر والثانى عشر والسابع عشر والعشرون والثانى والعشرون والثالث والعشرون والرابع والعشرون، وقد أبدل لفظة «المنشود» بلفظة «المعبود» فى الشطر الأول فى البيت الرابع (يا إلفيَ المعبود سرك ذائع ...» كما أنه أبدل لفظة «أحلامى» بلفظة « أيامى» فى الشطر الأول من البيت الخامس والعشرين (قضيت أيامى أضم خيالها)

* * *

١٦ - وداع المريض - نشرت فى عدد «السياسة الأسبوعية» الصادر بتاريخ السبت ١٣ مارس ١٩٢٨ ص ١٣، وتصدرتها مقدمة نثرية هذا نصها: «فى هذه الأبيات الشاكية يودع الشاعر مريضاً عزيزاً اشتدت به العلة بعد ليال كثيبة قضاها بجوار سريره، وكان وداعه فى الصباح، وعاد الشاعر إلى مكانه المهجور يذكر أيامه ويتوجع لآلامه». والقصيدة تتألف من ثمانية وعشرين بيتا وقد استبقى منها الشاعر سبعة عشر بيتاً عندما نشرها فى «وراء الغمام» بعد ذلك، أما الأبيات المحذوفة فهى الثالث والتاسع ومن الرابع عشر إلى الثامن عشر، ومن الثانى والعشرين إلى الرابع والعشرين والثامن والعشرين، وقد أبدل الشاعر صورة البيت الثانى بحيث أصبح:

عصفت علينا غير راحمة لنا

يا صفوة الأحباب أى رياح

وهذا بالطبع ما جعله أجمل مما كان عليه بصورته الأولى:

عصفت علينا غير منذرة لنا

يا فرقة الآلاف أى ريـــاح

كما رتب الشاعر لفظتى «ضعف» و«لطف» ترتيباً عكسياً في الـــشطر الثانى من البيت الحادى والعشرين بحيث أصبح على النحو التالى (في لطف زنبقة وضعف أقاح) بدلا من صورته الأولى (في ضعف زنبقة ولطف أقاح) كما غير ناجى المقدمة النثرية السابقة على النحو التالى: «مهداة .. إلى س .. مريض عزيز سهر الشاعر عند سريره يعنى به وكان وداعه في الصباح فكتب يودعه بالقصيدة التالية» وقد ذيل الشاعر قصيدته باسم المدينة التى نظمها فيها وهى «المنصورة»

* * *

١٧ - الشك: نشرت في عدد «السياسة الأسبوعية» الصادر بتـــاريخ السبت ١٩مايو ١٩٢٨- ص ٢١ وتصدرها مقدمة نثرية هذا نـــصها: «كنـــا نتحدث عن الألم في ليلة ما فانبرى أديبه يذكر أن هناك نوعاً من الألم الحقيقى لا يتذكر أن أحداً من الشعراء قد وصفه ذلك الألم الذى لا نفهم سببه ونحـــن متمتعين بكل ما نحب وبالغين مآربنا في لقاء أحبابنا ..إلخ.

قلت أذكر أني قرأت شيئاً من هذا للأستاذ العقاد في كلامه عن المنفلوطي رحمه الله وقد أسماه ألم النفس الإنسانية .. وقال: هو ذلك الألم الذي يعتري المرء وهو شاعر تام المآرب .. أما آلام الجوع والمرض فليست بإنسانية، بل يشترك فيها الإنسان والحيوان .. قال صديقي: لو حللنا ذلك الألم لوجدناه مزيجاً من الإحساس بالجراح القديمة وشكا في الحاضر إذا قسناه بالماضي ومثارد، وخوفاً من المستقبل .. وتفكيراً في الزمن المتقلب وسرابه الكاذب .. أليس جديراً بالشعر أن يصف لنا الدموع في السعادة لا في الشقاء وأن يصف الشك فيهما وهي مقبلة طارئة لا نكاد نثق أنها هي بعينها: والتقينا بعد يومين فدفعت إليه بالقصيدة التالية» وقد حذف الشاعر هذه المقدمة عندما نشر القصيدة ضمن قصائد «وراء الغمام» وكتب بدلا منها مقدمة موجزة نصها: «قد يظفر المرء بقرب حبيبه، لكنه يشك في النعيم الذي لقيه، فيبكي في النعمة كما يبكي في الشقاء»، ونص القصيدة كما نشرته السياسة الأسبوعية يتألف من اثنين وعشرين بيتاً، استبقى الشاعر منها ثمانية عشر بيتاً، وحذف أربعة هي: العاشر والسادس والسابع عشر والحادي والعشرون، وقد أبدل الشاعر لفظة «ومشت» بلفظة «وجرت» في الشطر الأول من البيت الرابع بحيث أصبح:

(وجرت يميني في غزير حالك ...)

* * *

١٨ - خواطر الغروب - نشرت في عدد «السياسة الأسبوعية» الصادر بتاريخ السبت ٢٢ نوفمبر ١٩٣٠، ولم يذيلها الشاعر باسم المدينة التي نظمها فيها، لكنني أجزم بأنه قد نظمها في الإسكندرية، إذ يبدو من خلال الإعلان المنشور بجريدة «مسامرات عزمي» أن الشاعر قد افتتح عيادة في الإسكندرية، وهذا هو نص الإعلان المنشور في العدد ٦٣ الصادر بتاريخ ٣٠ سبتمبر ١٩٣٠ أي قبل نشر قصيدة «خواطر الغروب» بأقل من شهر: «الدكتور إبراهيم ناجي - اختصاصي في الأمراض الباطنية والأطفال - شارع فؤاد الأول نمرة ٥٠ - الإسكندرية - العيادة من ٨ - ١٠ صباحاً و ٤ - ٧ مساءً»، وفي هذا العدد ذاته نشر ناجي قصيدة «في هيكل الهوى» التي ضمنها ديوانه «وراء الغمام» بعد ذلك، وكان ناجي نشر قبل قصيدة «خواطر الغروب» قصيدتين ذيلهما باسم المدينة التي نظمها فيها وهي الإسكندرية، هاتان القصيدتان هما «إهداء أشعار» وقد نشرها في جريدة «السياسة الأسبوعية» بتاريخ ٦ سبتمبر ١٩٣٠ وقد صدر بها ناجي ديوانه «وراء الغمام» فيما بعد، وهذا ما ضلل محققي ديوان ناجي على نحو ما ذكرت من قبل في معرض حديثي عن الأخطاء التي وقع فيها محققو ديوان ناجي، أما القصيدة الثانية التي ذيلها الشاعر باسم الإسكندرية فقد نشرها في عدد «السياسة الأسبوعية» الصادر بتاريخ ١٨ أكتوبر ١٩٣٠ وهي قصيدة «رباعيات الشاعر والعزلة» وهي نفسها القصيدة التي نشرها في مجلة أبولو بعنوان «ليالي ناجي - الشاعر والنهر» ثم ضمنها ديوانه «وراء الغمام» وأطلق عليها

«الليالى»، كما أن الشاعر ذيل قصيدته التالية لقصيدة «خواطر الغروب» باسم مدينة الإسكندرية، وهذا ما يجعلنى أجزم بأن ناجى كان في الإسكندرية يعمل بها طيلة تلك الفترة، فضلا عن أن قصيدة «خواطر الغروب» تتحدث عن تأملات الشاعر عندما وقف أمام البحر مساء ..

والنص الذى نشرته «السياسة الأسبوعية» لهذه القصيدة يتألف من ثمانية وعشرين بيتاً، استبقى الشاعر منها سبعة عشر بيتاً عندما نشرها في عدد ديسمبر ١٩٣٣ من مجلة أبولو - ص ٣٣١، ثم عاد فحذف بيتين آخرين عندما نشر القصيدة في «وراء الغمام»، وهذان البيتان هما:

وكأنى أرى بعين خيالى

ساهر المقلتين يغضى حياء

وكأن الوجود لم يحوِ إلا

حسنه والطبيعة الحسناء

والحق أن الشطر الأول بنصه من ثانى هذين البيتين ليس لناجى، وإنما لعلى محمود طه، ففى قصيدة «صخرة الملتقى» «ص ١١٤» من ديوان «الملاح التائه» يطالع القارئ هذا البيت:

وكأن الوجود لـــــم يحوِ الا

ذلك الصخر رائع الجنبات

ومن الغريب أن عبدالعزيز الدسوقي قد نقل نص قصيدة «خواطر الغروب» من مجلة أبولو، ونقل بطبيعة الحال البيتين اللذين حذفهما ناجي من نص القصيدة في «وراء الغمام» وقد نقل عبدالعزيز الدسوقي نص القصيدة في ص ٤٥٢ من كتابه «جماعة أبولو» لكنه لم يتنبه إلى البيتين المحذوفين ويبدو أنه لم يشغل نفسه بهذا خاصة وأن دراسته ليست تحقيقاً لنصوص أدبية وإنما هي دراسة شاملة لشعراء جماعة أبولو مجتمعين، والذي يجعلني أقرر أن الدارس لم يتنبه إلى هذين البيتين هو الهامش الذي ذكر به قصيدة ناجي في كتابه ونصه: «مجلة أبولو - المجلد الثاني — ٣٣١ (ديسمبر سنة ١٩٣٣) وراجعها في ديوان وراء الغمام لناجي ص ٨٥ وما بعدها» .. إذا عدنا إلى النص الذي نشره ضمن «القصائد المجهولة» نقلا عن «السياسة الأسبوعية» فإننا سنجد أن الأبيات التي حذفها ناجي هي الخامس والسادس والسابع، ثم الأبيات من السادس والعشرين إلى الثامن والعشرين، وقد أبدل الشاعر لفظة «ولعل» بلفظة «وكأن» في الشطر الأول من البيت الرابع والعشرين بحيث أصبح (وكأن القضاء يسخر مني ..) ثم غير ناجي نص البيت الخامس والعشرين من صورته التالية:

فليدعني القضاء أبكي لأشفي

لم تدع ذلة الهوى كبرياء

غير الشاعر هذا البيت إلى هذه الصورة:

ويح دمعي وويح ذلة نفسي

لم تدع لي أحداثه كبرياء

* * *

١٩ السآمة نشرت في عدد «السياسة الأسبوعية»، الصادر بتاريخ ٢٤ يناير ١٩٣١ وهي مذيلة باسم المدينة التي نظمت فيها .. «الإسكندرية»

* * *

٢٠- ظلام ونور - نشرت في عدد أبريل ١٩٣٣ من مجلة أبولو ص ٨٥٥ وقد نشر نصها هذا - فيما بعد - في كتاب «جماعة أبولو» نقلا عن المصدر السابق، ولكن محققي ديوان ناجي لم يتنبهوا إلى هذا بحيث يتسنى لهم نشرها ضمن القصائد التي اشتمل عليها ديوان ناجي.

٢١، ٢٢ قصيدتان: وصف أصلع، حسناء بجانب أمها الدميمة - نشرتا في باب الشعر الفكاهي - عدد أبريل ١٩٣٣من مجلة أبولو - ص ٨٠٩.

* * *

٢٣ - تحية مصر لفلسطين - نشرت في عدد مايو ١٩٣٣م من مجلة أبولو- ص ١٠٤٦ وتصدرتها عبارة تقول إنها: «ألقيت في حفلة الشاي التي دعا إليها سعادة راغب بك النشاشيبي عمدة القدس وأعضاء المؤتمر الطبي، وفي البيت التاسع والعشرين إشارة إلى شخصيتين هما «راغب النشاشيبي بك» و«الدكتور علي إبراهيم باشا» ..

* * *

٢٤ – الشباب الثاني - نشرت في عدد يناير ١٩٣٤ من مجلة أبولـــو - ص ٣٩٧ في باب «شعر الحب».

* * *

٢٥ – رثاء صديق – نشرت في عدد يناير ١٩٣٤ من مجلة أبولـــو – ص٤٠٨، في باب «شعر الرثاء» وهي مرثية لطبيب من أصدقاء الشاعر هـــو الدكتور محمد نصر الدين، وقد تحدثت من قبل عن هذه القصيدة في معـــرض حديثي عن شعر الرثاء ..

* * *

٢٦ - يادار لاشين – نشرت في عدد ٣١ يناير عام ١٩٣٤ من مجلـــة «الأسبوع» ، وهي القصيدة الوحيدة التي كتبها ناجي، جريا وراء نهج «الشعر الحلمنتيشي» ..

* * *

٢٧ – تحية لمجد مصر – ألقى ناجي هذه القصيدة في مؤتمر طبي عقـــد بمدينة الأقصر في يناير عام ١٩٣٤، ثم نشرها في مجلة «أبولـــو» عـــدد فبرايـــر ١٩٣٤، ولم تنشر في أي ديوان من دواوين الشاعر من قبل، أي أنها تنشر هنـــا لأول مرة ..

* * *

٢٨ – تحية إلى ذقن الدكتور محجوب ثابت – نشرت في العدد الرابع من السنة الأولى – مجلة «حكيم البيت» أبريل ١٩٣٤ – ص ١٩٥، في باب «الشعر الفكاهي»، وقد كان الشاعر هو صاحب هذه المجلة ومنشئها وكانت تتخذ من عيادته مقرا لإدارتها (١٢ شارع ابن الفرات بشبرا مصر)، وهذه القصيدة هي الوجه الهزلي لرحلة الشاعر إلى فلسطين، أما الوجه الجاد لها فيتمثل في قصيدة «تحية مصر لفلسطين» وقد سبقت الإشارة إليها، والحق أن قصيدة «تحية الى ذقن الدكتور محجوب ثابت» قد نشرت بدون توقيع، وتصدرتها عبارة «من طبيب مداعب في حفلة سنوية» وقد سبق أن بينت هذا..

* * *

٢٩– كأس كوكتيل – نشرت في عدد ديسمبر ١٩٣٤ من مجلة أبولو – ص ٧٤٢ ؛ في باب «شعر الحب» ..

* * *

٣٠ – إلى منيرة توفيق – منيرة توفيق كانت شاعرة جيدة ومتميزة لكن لم يلتفت إليها أحد من النقاد، وقد أصدرت ديواناً واحداً بعنوان «أنوار منيرة» وطبعته في الإسكندرية، وقد كتب ناجي لمنيرة توفيق الأبيات التي اخترت لها عنوان «إلى منيرة توفيق» ردا علي بيتين كانت قد كتبتهما بعد أن زارته في عيادته بالإسكندرية مع شقيقتها، وهذان البيتان اللذان كتبتهما منيرة توفيق هما:

لم أنس في الترحاب منك دعابة

وأخالــها وهما من الأوهام

لما هممت إلى اللقاء مرحــــبا

أيقنت أنك كالملاك السامي

وقد كتبت منيرة توفيق عن لقائها بناجي في ديوانها «أنوار مــضيئة» ص ١٧٠ والديوان صدر عن مطبعة المصرى بالإسكندرية عام ١٩٦٦، وقد جمعت فيه قصائدها التي نشرت بعضاً منها في مجلة «الرسالة» خلال عام ١٩٣٣، أمــا أبيات ناجي المنشورة هنا فقد كتبها – على ما أعتقد – خلال عام ١٩٣٤.

* * *

٣١ – توأم الروح – نشرت في العدد التاسع والخمسين مــن «المجلــة الجديدة الاسبوعية» – ٧ اغسطس ١٩٣٥ ص ١١.

* * *

٣٢ – نساء الشوارع – نشرت في العدد الحادى والستين من «المجلة الجديدة الأسبوعية» – الأربعاء ٢١ اغسطس ١٩٣٥ – ص ١٠.

* * *

٣٣ – عاصفة روح – نشرت في العدد التاسع عشر من مجلة «مجلــي» الصادر بتاريخ أول سبتمبر ١٩٣٥ – ص ٦٣٤ وقد تصدرها عبارة نثرية هــذا نصها «الزورق يتحطم والملاح يستصرخ» وقد أعاد ناجي نــشرها في ديــوان

«ليالى القاهرة» ص ٦١ بعد أن حذف منها أربعة أبيات هي السابع والعاشر والخامس عشر والسادس عشر، كما أنه غير الشطر الثاني من البيت الحادي عشر، ففي نص مجلة «مجلتي» يقول ناجي «قهقهي بالرعود» وفي النص المنشور ضمن «ليالى القاهرة» يقول: «قهقهي يا رعود» وفي البيت التاسع عشر استبدل الشاعر لفظ «كأسك» بلفظ «طيفك» ..

* * *

٣٤ المساء – نشرت لأول مرة في مجلة «الرسالة» عدد ١٦ سبتمبر ١٩٣٥، ثم نشرت مرة ثانية ضمن ديوان «ليالى القاهرة» – ص ٨٦ من الطبعة الأولى، وبمراجعة النص المنشور في «الرسالة» ومقارنته بالنص المنشور في الديوان، يتبين لنا أن ناجي قد أجرى تغييرات عديدة كما حذف أبياتاً عديدة أيضا من النص المنشور في الديوان، فالنص الذي نشره في «الرسالة» يتألف من اثنين وعشرين بيتاً: أما النص الذي نشره ضمن ديوان «ليالى القاهرة» فيتألف من اثنى عشر بيتاً، أي أنه حذف عشرة أبيات من النص الأول.

* * *

٣٥ – أنوار المدينة – نشرت لأول مرة في عدد أول أكتوبر عام ١٩٣٥ من مجلة «مجلتي» – ص ٨٨٠، ثم نشرت ضمن ديوان «ليالى القاهرة» – ص ١٩٣، والنص المنشور هنا والذي نقلته من مجلة «مجلتي» يزيد بيتين عن النص

المنشور في «ليالي القاهرة» فهو يتألف من سبعة أبيات استبقى ناجي خمساً منها وحذف بيتين من النص المنشور في «ليالي القاهرة».

٣٦ - أعاصير مصرية - نشرت في العدد الرابع من السنة الثانية من «مجلتي» أول فبراير ١٩٣٦ - ص ٣٠٨ ، وهذا النص يتألف من أحد عشر بيتاً، وقد نشره الشاعر مرة ثانية بعد مرور عشرين يوماً على نشره في «المجلة الجديدة الأسبوعية» وأضاف إلى النص المؤلف من أحد عشر بيتاً أحد عشر بيتاً غيرها، وبذلك أصبح النص الجديد مؤلفاً من اثنين وعشرين بيتاً، وقد نشر هذا النص الجديد في عدد الأربعاء ٢١ فبراير ١٩٣٦ ، ونشرت إلى جانبه قصيدة لحسن محمد حبشي مطلعها:

قل لمصر يا مصر حسبك عزا

فتية النيل قد مضوا للجلاد

وقد تصدرت القصيدتين مقدمة تقول إنهما ألقيتا «في حفل جماعة الأدب المصرى وأبولو على مسرح نادى موظفى الحكومة بالإسكندرية»، وكلتا هاتين القصيدتين «مهداة إلى روح الشهيد عبدالحكم الجراحى»، أما النص المنشور ضمن «القصائد المجهولة» فهو النص الأول المبتسر، أما النص الكامل فيمكن للقارئ الرجوع إليه في «ليالى القاهرة» أو «ديوان ناجى» وقد رأيت أن أختار النص المبتسر لأنه النص الوحيد - في تلك الفترة - الذى ينشره صاحبه مبتسراً ثم يضيف إليه بعد ذلك ما يوصله إلى الضعف،فقد جرت العادة من

ناجى أن يحذف من النص الذى ينشره أول مرة إذا شاء أن يجرى تعـــديلا، و لم تجر العادة أن يضيف إليه كما فعل هذه المرة، وقد سبق أن تحدثت عن ملابسات هذه القصيدة فى معرض حديثى عن شعر الحماسة الوطنية عند ناجى.

* * *

٣٧ - إلى رياض المعلوف - دعابة لم تنشر من قبل في آية جريدة أو مجلة وقد وجدناها فى ثنايا كتاب محمد مصطفى الماحى عن ناجى وهو كتـــاب مخطوط ..

* * *

٣٨ -- بايعت حسنك. نشرت للمرة الأولى فى مجلة (مجلتى) عدد أول يناير عام ١٩٣٦، وقد أشار إليها الباحث الجاد الأستاذ مصطفى يعقوب فى دراسته التى أسماها (الأعمال الشعرية الكاملة لإبراهيم ناجى - ملاحظات ونصوص مجهولة) وقد أبدلت العنوان الأصلي للقصيدة من (مبايعة) التى قد ترتبط بالسياسة، وليس بالحب إلى (بايعت حسنك).

* * *

٣٩ - صخور وأشواك - نشرت للمرة الأولى فى مجلة (مجلتى) - عدد أول يناير عام ١٩٣٦، وهو نفس العدد الذى نشرت فيه القصيدة السابقة وقد أورد نصها مصطفى يعقوب فى دراسته.

* * *

٤٠- استرحام – نشرت في مجلة «المجلة الجديدة الشهرية» – عدد يوليو ١٩٣٦، وهي تنشر لأول مرة ضمن «قصائد مجهولة»، وقد غيرت حرف « لم» بحرف «لن» في البيت الثالث حرصاً على سلامة اللغة، حيث نشر النص في المجلة «طرت عمن لم يخونك» ويبدو أنه خطأ مطبعي،لأن ناجي مبرأ من أن يقع في خطأ نحوي مثل هذا.

* * *

٤١ - محمود بك بسيوني – نشرت في مجلة «المجلة الجديدة الأسبوعية» عدد الأربعاء ٢٩ يوليو ١٩٣٦ – ص ١٠ وتصدرتها هذه العبارة «هذه هي القصيدة العصماء التي ألقاها الشاعر العاطفي الكبير الدكتور إبراهيم ناجي في حفلة تكريم الأستاذ الجليل محمود بسيوني رئيس مجلس الشيوخ»، وهذه القصيدة لم تنشر من قبل إلا ضمن «قصائد مجهولة»

* * *

٤٢- مرة – نشرت في العدد السابع والأربعين من السنة الثالثة – «مجلتي» أول يناير ١٩٣٧- ص ٢٥٧.

* * *

٤٣ - إحياء ذكرى حافظ إبراهيم – نشرت في عدد «السياسة الأسبوعية» الصادر بتاريخ السبت ١٣مارس ١٩٣٧ - ص ١٧ ، وقد خصصت هيئة تحرير «السياسة الأسبوعية» صفحات من هذا العدد لمهرجان

«ذكرى شاعر النيل»، فقد تضمن إلى جانب الافتتاحية كلمات «الأستاذ محمود تيمور» و «حفنى بك محمود» و «الدكتور هيكل بك» وقصيدتى «الأستاذ محمد الهراوى» و«الدكتور إبراهيم ناجى»، وقد ذكرت من قبل أن لناجى أربع قصائد خصصها لرثاء «أمير الشعراء أحمد بك شوقى»، بينما لم يخصص شيئاً من قصائد الرثاء عنده لحافظ إبراهيم، باستثناء هذه القصيدة التى ألقاها فى ذكرى شاعر النيل، و لم ينشرها فى «ليالى القاهرة» و لم يضمها بطبيعة الحال ديوان ناجى ..

* * *

٤٤ – الأطلال «الضائعة» – نشرت هذه القصيدة في مجلة «الحديث» الحلبية – عدد يوليو – تموز عام ١٩٣٧ – ص ٤٨٠، والنص المنشور فى «الحديث» يتألف من اثنى عشر بيتاً لم ينشر ناجى منه فى «ليالى القاهرة» غير أربعة أبيات بعد أن عدل فيها أيضاً، ولهذا فقد اخترت أن أسميها الأطلال الضائعة تمييزاً لها عن نص الأطلال المنشور ضمن ديوان «ليالى القاهرة».

* * *

٤٥ – بعد الشباب – نشرت في العدد الخامس من المجلد الثالث عشر من «مجلتى» – ٢٧نوفمبر ١٩٣٨– ص ٢١٩، وقد تحدثت عن هذه القصيدة فى معرض حديثى عن الأخطاء التى وقع فيها محققو ديوان ناجى.

* * *

٤٦- الشاطىء الخالي – نشرت هذه القصيدة في مجلة «الثقافة» عدد ١٢ سبتمبر ١٩٣٩، وهي تنشر هنا لأول مرة ضمن القصائد المجهولة ..

* * *

٤٧ – أنوار – نشرت في عدد مجلة «الرسالة» الصادر بتاريخ ٤ ديسمبر ١٩٣٩ ص ٢٢٣٦، وتصدرها عبارة تقول إنها «مهداة إلى الأستاذ خليل شيبوب»، والقصيدة منشورة في «ليالى القاهرة» ضمن ما أطلق عليه الشاعر اسم «ملحمة ليالى القاهرة» والنص الذى ننشره هنا نقلا عن «الرسالة» يتألف من سبعة عشر بيتاً، أما النص المنشور فى «ليالى القاهرة» فيتألف من عشرة أبيات من التاسع إلى الثانى عشر ..

* * *

٤٨ – أحلام سوداء – نشرت فى «الرسالة» وبتاريخ ١١ ديسمبر ١٩٣٩ – ص ٢٢٧٠ – ونص القصيدة يتألف من اثنين وعشرين بيتاً، وقد حذف منه الشاعر ستة أبيات عندما ضمنه «ليالى القاهرة»، أما الأبيات المحذوفة فهى الرابع والخامس والسادس والرابع والثانى والعشرون.

* * *

٤٩ – تحقيق الأمانى – نشرت لأول مرة فى مجلة «الطالبة» – عدد فبراير عام ١٩٤٠، ثم نشرها وديع فلسطين فى عدد أغسطس عام ١٩٦٣ من مجلة «الأديب»، ضمن مقال له بعنوان «قنص الشوارد من شعر ناجى»..

* * *

٥٠ – اثنان في سيارة – نشرت في عدد ٢٦ فبراير عام ١٩٤٠ من مجلة «الرسالة» ثم نشرت ضمن قصائد ديوان «ليالي القاهرة»، والنص المنشور في «الرسالة» يتألف من أربعة عشر بيتاً، بينما يتألف النص المنشور في الديوان من عشرة أبيات، أي أن الشاعر قد حذف أربعة أبيات من النص الأول، كما أجرى عدة تعديلات في الألفاظ على نحو ما يتبين لمن يراجع النصين في هذه الأعمال الشعرية الكاملة ..

* * *

٥١ – الربيع – عام ١٩٤٠ – نشرت في مجلة «الطالبة» عدد أبريل عام ١٩٤٠ بعنوان «الربيع»، وقد أضفت «عام ١٩٤٠» إلى العنوان تمييزاً للقصيدة عن غيرها من قصائد ناجي التي تحمل نفس العنوان.

* * *

٥٢ – صخرة الملكس – نشرت في العدد ٣٥٦ من «الرسالة» وهو العدد الصادر بتاريخ ٢٩ أبريل ١٩٤٠ – ص ٧٣٩، وقد تحدثت من قبل عن هذه القصيدة في معرض حديثي عن تأثرات ناجي بمن أعجب بهم من الشعراء، وذلك في مقدمة الطبعة الأولى من «قصائد مجهولة».

* * *

٥٣ – أمينة نور الدين – حصلت على نص هذه القصيدة من الفنانة أمينة نور الدين، وقد نشرتها في عدد يونيو عام ١٩٧٧من مجلة «الهلال» ضمن

مقال لي بعنوان «خمس قصائد مجهولة لشاعر الأطلال إبراهيم ناجي». وقد كتب ناجي أبيات هذه القصيدة عام ١٩٤٠ دون تحديد لليوم والشهر.

* * *

٥٤- ليلة من ليالي القاهرة – نشرت هذه القصيدة في عدد الثلاثاء ٢٢ أبريل عام ١٩٤١ من مجلة «الثقافة»، ثم نشرها ناجي ضمن ديوان «ليالي القاهرة» بعنوان «لقاء في الليل» ص ٣٥، والنص المنشور في «الثقافة» يتألف من اثنين وخمسين بيتاً، أي أن ناجي حذف اثنين وعشرين بيتاً من النص الأول الذي نشرته «الثقافة» وهذا النص هو الذي ننشره هنا ضمن «قصائد مجهولة» التي تشتمل عليها هذه الأعمال الشعرية الكاملة لناجي..

* * *

٥٥ – الميعاد الضائع - نشرت في العدد ١٢٤ من «الرسالة» وهو العدد الصادر بتاريخ ٢٨ يوليو ١٩٤١- ص ٩٦٠، والنص منشور تحت عنوان: «ليالي القاهرة» ويتألف من ستة وعشرين بيتاً، استبقى الشاعر منها ثمانية عشر بيتاً، وحذف ثمانية أبيات هي الأبيات من الخامس إلى الثاني عشر من النص المنشور ضمن «القصائد المجهولة» نقلا عن «الرسالة»..

* * *

٥٦ – الكأس – نشرت في العدد ٤٢٤ من «الرسالة» وهو العدد الصادر بتاريخ ١٨ أغسطس ١٩٤١ – ص ١٠٧٤، والنص منشور تحت عنوان

«ليالى القاهرة» ويتألف من اثنى عشر بيتاً حذف منه ناجى بيتين هما الثالث والعاشر وذلك عندما ضم القصيدة إلى ديوانه «ليالى القاهرة» بعد ذلك، والحق أننى ما كنت أريد ضم هذه القصيدة إلى هذه المجموعة من «القصائد المجهولة» لأن الشاعر لم يحذف سوى بيتين كان من الممكن الإشارة إليهما فى مقدمتى ولكن الذى دفعنى دفعاً إلى ضمها كاملة هو تلاعب الشاعر فى ترتيب أبيات النص المنشور في الديوان وهو تلاعب غريب حقا:

١ - البيت الاول من النص المنشور فى «الرسالة» هو البيت السابع من النص المنشور في ديوان «ليالى القاهرة» ص ٢٤٩ من ديوان ناجى ..

٢ - البيت الثانى من النص المنشور في «الرسالة» هو الثامن من النص المنشور فى «ليالى القاهرة».

٣ - البيت الثالث من النص المنشور فى «الرسالة» حذفه الشاعر كما ذكرت.

٤ - البيت الرابع هو التاسع.

٥ - البيت الخامس هو العاشر.

٦ - البيت السادس هو الأول.

٧ - البيت السابع هو الثانى.

٨ - البيت الثامن هو الثالث.

٩ - البيت التاسع هو الرابع.

١٠ – البيت العاشر حذفه الشاعر كما ذكرت.

١١ – البيت الحادى عشر هو الخامس

١٢ – البيت الثانى عشر هو السادس، وقد بدل الشاعر فيه لفظة «الفناء» بلفظة «الزمان» بحيث أصبح «غال الزمان ضبابها وحبابها» كما أنه قدم الضباب على الحباب على عكس ما فعل فى النص الأول وهو «غال الفناء حبابها وضبابها»..

* * *

٥٧ – خائن – نشرت فى العدد ٤٢٧ من مجلة «الرسالة» وهو العدد الصادر بتاريخ ٨ سبتمبر ١٩٤١ – ص ١١٣٣ والنص منشور تحت عنوان «ليالى القاهرة» ويتألف من عشرة أبيات، حذف الشاعر منها أربعة أبيات عندما ضم النص إلى ديوانه «ليالى القاهرة» والأبيات المحذوفة هى الأبيات من السابع إلى العاشر، وقد غير الشاعر عنوان القصيدة من «خائن» إلى «ختام الليالى».

* * *

٥٨ - الدمعة الخرساء – نشرت فى العدد ٤٣٠ من «الرسالة» وهو العدد الصادر بتاريخ ٢٩ سبتمبر ١٩٤١– ص ١٢١٧ – والنص منشور تحت عنوان «ليالى القاهرة» لكن الشاعر لم يضمه إلى ديوانه «ليالى القاهرة» ولم يضمه بطبيعة الحال محققو ديوان ناجى إلى قصائد ذلك الديوان.

* * *

٩٥ – بين الشاعر والربيع – نشرت هذه القصيدة في عدد ١٣ أكتوبر عام ١٩٤١من مجلة «الرسالة» وقد جعلها ناجي في هيئة حوارية بين الشاعر والريح، فهناك أبيات على لسان الشاعر وأخرى على لسان الريح، وقد جعل ناجي هذه القصيدة فيما بعد جزءاً من قصيدة «الأطلال» التي يضمها ديوان «ليالي القاهرة» - ص ٤٠ ويمكن أن يتضح هذا لمن يراجع «الأطلال» ويراجع «بين الشاعر والريح» في هذه الأعمال الشعرية الكاملة.

* * *

٦٠ – الربيع – عام ١٩٤٢– نشرت في عدد أبريل عام ١٩٤٢من مجلة «الطالبة» وقد أضفت عام ١٩٤٢ إلى عنوان القصيدة تمييزاً لها عن سواها من قصائد «الربيع» عند ناجي.

* * *

٦١ – الورد نشرت في العدد السابع من مجلة «العمارة» عام ١٩٤٢، وقد سبق أن تحدثت عنها من قبل

* * *

٦٢ - ليالي القاهرة – نشرت لأول مرة في مجلة الرسالة – عدد ٤٩٣– الصادر بتاريخ ١٤ ديسمبر ١٩٤٢ (ص ١١٤٨)، وقد حذف الشاعر من النص المنشور في «الرسالة» ثمانية أبيات، وغير ألفاظاً وردت في بعض الأبيات بألفاظ غيرها، فهذا البيت من نص القصيدة في «الرسالة» وهو:

كأن على مصر ظلامين أعكر

وآخر من خالي المقادير مربد

تغيرت صورته في نص القصيدة المنشورة في ديوان «ليالي القاهرة» إلى:

كأن على مصر ظلاما معلقا

بآخر من خالي المقادير مربد

والبيت التالي وهو:

ركود وإبهام وصمت ووحشة

وقد ضمها الغيب المحجب في برد

غير الشاعر فيه لفظة «ضمها» وأبدلها بلفظة «لفها»، أما الأبيات الأربعة التالية لهذا البيت، فقد حذفها الشاعر تماماً من نص القصيدة المنشور في الديوان على الرغم من أهميتها التاريخية في تصوير ما أراد هو تصويره من ظلام الحرب العالمية الثانية ووطأة هذا الظلام على نفوس الناس في «القاهرة». وهذه هي الأبيات المحذوفة:

كأن سماء النيل لم تلق حادثا

ولا قصفت فيها القواصف بالرعد

أحقا تولى ذلك الهول وامحت

خواطر ذاك الويل والرعب والحقد

فيا للقلوب الصابرات وقد غفت

على نعمة الإيمان والشكر والحمد

ويا للقلـــوب المؤمنات وأمنــها

وضجعتها في رحمـــة الصمد الفرد

أما البيتان التاليان، فقد أبدل الشاعر تركيب الشطر الأول من أولها من «أتيتك استسقي فكيف تركتني» إلى «بوردك استشفي فكيف تركتني» وبعـــد هذا قام بحذف البيت الثاني كله:

أتيتك أستسقي فكيف تركتني

لهذي الفيافي الصم والكثب الجرد

أتيتك آستعدي فكيف تركتني

إلى هـــذه الدنيـــا وأحداثها اللد

وفيما يتعلق بالبيتين التاليين، فإن الشاعر قد أبدل «فواحربا» بلفظة «فوا أسفا» في الشطر الثاني من البيت الأول، ثم قام بحذف البيت الثاني كله:

وكنت إذا ناديت لبيت صرختي

فواحرباً كم بيننا اليوم من سد

وقد كان للعطف والحب مسلك

فـــأغلقتـــه دوني فبت بلا رد

وأما الأبيات الثلاثة التالية، فإن الشاعر قد غير في أولها لفظة «شـاعر» وأبدلها بلفظة «معشر» كما أبدل لفظة «يمشي» بلفظة «سـاروا» ثم حـذف الشاعر البيتين الثاني والثالث، وبهذا يكون قد حذف ثمانية أبيات من النص الذي نشره في مجلة «الرسالة». وهذه هي الأبيات التي غير ناجي أولها وحذف ثانيها وثالثها:

تنادمنا فيـه تباريح شـاعر

على الدم والأشواك يمشي إلى الخلد

فبودلير محزون وفرلين بائس

وميسيه مجروح الهوى عاثر الجد

وللمتنبي غضبـة مضـرية

وثورة مظلوم وصيحة مستعدى

* * *

٦٣ – قلق – نشرت في عدد يناير عام ١٩٤٣ من مجلة «الحـديث» الحلبية، وهي تنشر هنا لأول مرة ضمن الأعمال الشعرية الكاملة لناجي.

* * *

٦٤ – أنا والقمر – نشرت في العدد الثاني من السنة السابعة عشرة من مجلة «الحديث» الصادر في شباط (فبراير) ١٩٤٣، وهي تنشر هنا لأول مرة ..

* * *

٦٥ - غيوم - نشرت في العدد الثالث من السنة السابعة عشرة من مجلة «الحديث» وهو العدد الصادر في آذار (مارس) ١٩٤٣، وهي تنشر هنا لأول مرة.

* * *

٦٦- الطبيعة - نشرت في عدد أبريل عام ١٩٤٤ من مجلة «الطالبة»، ثم نشرها وديع فلسطين في مجلة «الأديب» - عدد سبتمبر ١٩٦٣، ثم نشرت مرة ثالثة في جريدة «الراية» القطرية، وهي تنشر هنا لأول مرة ضمن الأعمال الشعرية الكاملة لناجي.

* * *

٦٧- نداء إلى صديق -- نشرت في عدد مارس عام ١٩٤٥ من مجلة «الطالبة» وهي تنشر هنا لأول مرة ضمن الأعمال الشعرية الكاملة لناجي.

* * *

٦٨ - أغنية النصر - نشرت في عدد مايو عام ١٩٤٥من مجلة «الطالبة» وهي تنشر هنا لأول مرة ضمن الأعمال الشعرية الكاملة لناجي، وكان ناجي قد عربها لأنها قصيدة لشاعرة شابة إنجليزية ..

* * *

٦٩ مرثية الشيخ محمد مصطفى المراغي - لم تنشر هذه القصيدة في أي ديوان من دواوين ناجي، وقد نشرها وديع فلسطين ضمن مقال له بعنوان

«إبراهيم ناجي وشعره المضيع» – عدد سبتمبر عام ١٩٦٠ من مجلة «الأديب» كما ضمنها محمود الشرقاوي في كتابه «إبراهيم ناجي – الشاعر والإنسان» ص ٦١ وقد قارنت بين النصين، فوجدت اختلافاً في بيت واحد، ووجدت خطـأ مطبعيا في الغالب قد ورد في النص الموجود ضمن كتاب محمود الشرقاوي وقد صححت هذا الخطأ، وقد رحل الشيخ محمد مصطفى المراغي عن عالمنا يوم ٢٢ أغسطس عام ١٩٤٥ ، وكانت القصيدة موجودة بخط ناجي عند أسرة الشيخ المراغي إلى أن حصل عليها محمود الشرقاوي ونشرها في كتابه كما نشرها وديع فلسطين في «الأديب».

* * *

٧٠- السراب -- نشرت في العدد ٦٣٤ من مجلة «الرسالة» وهو العدد الصادر بتاريخ ٢٧ أغسطس ١٩٤٥ ، ص ٩٣١ ، والنص منـشور بعـنوان «السراب الثاني» وقد رأيت أن أسميه هنا «السراب» لأنني لم أثبت قـصيدتين لناجي أولاهما تسبق هذه القصيدة في النشر وهي «السراب الأول» وثانيتـهما تلي هذه القصيدة في النشر وهي بعنوان «السراب الأخير» والحق أني لم أثبـت هاتين القصيدتين لأن صاحبهما لم يُجرِ تعديلا يذكر في نصيهما عندما نشرهما في ديوانه «ليالي القاهرة». أما النص الذي ننشره ضمن «القـصائد المجهولـة» فيتألف من ثمانية وثلاثين بيتاً، استبقى الشاعر منها في ديوانه خمسة وعشرين بيتاً، وحذف ثلاثة عشر بيتاً، وهذه الأبيات المحذوفة هي: السابع، والأبيـات مـن

العاشر إلى السابع عشر، والبيت الحادى والعشرون، والثانى والعشرون، والرابع والعشرون والثلاثون ..

* * *

٧١ - العام الجديد — ١٩٤٦ نشرت في عدد يناير عام ١٩٤٦ من مجلة «الطالبة»، وقد أضفت إلى العنوان (١٩٤٦) تمييزاً للقصيدة عن سواها ..

* * *

٧٢ - شهادة - نشرت في عدد ٢٧ مايو عام ١٩٤٦من مجلة «الرسالة» وهى موجهة للشاعر أحمد عبدالمجيد الغزالي، والقصيدة تنشر هنا لأول مرة ضمن الأعمال الشعرية الكاملة لناجي.

* * *

٧٣ - القمر نشرت في عدد يوليو عام ١٩٤٦ من مجلة «الطالبة» مع قصيدة ثانية لناجى في نفس العدد بعنوان «خسوف القمر» والقصيدة تنشر هنا لأول مره ضمن الأعمال الشعرية الكاملة لناجي ..

* * *

٧٤ - خسوف القمر - نشرت - كما ذكرت من قبل في عدد يوليو عام ١٩٤٦من مجلة «الطالبة» وهي تنشر هنا لأول مرة ضمن الأعمال الشعرية الكاملة لناجي.

* * *

٧٥ – إلى حيفاء . كتبت في مدينة حيفا بفلسطين مساء الأحد ٣ نوفمبر عام ١٩٤٦، وقد عثرت على القصيدة في ثنايا مقال كتبه رشيد خوري ونُشر في مجلة «العالم العربي» التي كان يرأس تحريرها الأستاذ أسعد حسني.

* * *

٧٦ – سلام الشعر – كتبت هذه القصيدة بخط ناجي في سجل الزيارات بمقر بلدية مدينة حيفا الفلسطينية أوائل شهر نوفمبر عام ١٩٤٦، وهي مثل سابقتها «إلى حيفاء» منشورة في ثنايا مقال لرشيد خوري في مجلة «العالم العربي» ..

* * *

٧٧ – العام الجديد - أهداف وأماني – نشرت هذه القصيدة في عدد يناير عام ١٩٤٧ من مجلة «الطالبة» ونشرها وديع فلسطين في مجلة «الأديب» – عدد أغسطس عام ١٩٦٣، ضمن مقال له بعنوان «قنص الشوارد من شعر ناجي»، ثم نشرتها في جريدة «الراية» القطرية – عدد ٣٠ ديسمبر عام ١٩٩٥، وهي تنشر هنا لأول مرة ضمن الأعمال الشعرية الكاملة لناجي ..

* * *

٧٨ – الربيع - عام ١٩٤٧ نشرت ضمن مجموعة من القصائد لشعراء آخرين في كتاب «أدب العروبة» الصادر عام ١٩٤٧ وقد ألفيت هذه

القصيدة في الفيوم ربيع ذلك العام الذى أثبته في العنوان، وهى تنشر هنـــا لأول مرة ضمن الأعمال الشعرية الكاملة لناجى ..

*　　*　　*

٧٩ – مصر والخلد – ألقيت عام ١٩٤٧ وهى من قصائد كتاب «أدب العروبة» الذى سبق أن أشرت إليه، وهى تنشر هنا لأول مرة ضمن الأعمـــال الشعرية الكاملة لناجى.

*　　*　　*

٨٠ – المجد الحى – ألقيت مثل سابقتها عام ١٩٤٧ وهى من القصائد التى يضمها كتاب «أدب العروبة»، وتنشر هذه القصيدة هنا لأول مرة ضمن الأعمال الشعرية الكاملة لناجى.

*　　*　　*

٨١-تحية للطالبة (١) – نشرت في عدد فبراير عام ١٩٤٨ من مجلـــة «الطالبة» وقد نشرها وديع فلسطين ضمن مقال له في مجلة «الأديب البيروتيـــة» – عدد سبتمبر ١٩٣٦، وهى تنشر هنا لأول مرة ضمن الأعمال الشعرية الكاملة لناجى.

*　　*　　*

٨٢ - شهر زاد - نشرت مع القصيدتين التاليتين في عدد ٣ نوفمبر عام ١٩٤٨من مجلة «الأستوديو»، وهى تنشر هنا لأول مرة ضمن الأعمال الشعرية الكاملة لناجي.

* * *

٨٣ - سامية جمال - نشرت في عدد ٣ نوفمبر عام ١٩٤٨ من مجلة «الاستديو» كما سبق أن ذكرت، وهي تنشر لأول مرة ضمن الأعمال الشعرية الكاملة لناجي.

* * *

٨٤ - سهام رفقي - نشرت في عدد ٣ نوفمبر عام ١٩٤٨ من مجلة «الأستديو» كما سبق أن ذكرت، وهي تنشر لأول مرة ضمن الأعمال الشعرية الكاملة لناجي، وكانت هذه القصيدة وسابقتاها من أسباب تحكم عباس خضر على ناجي وتلقيبه بـ «الدكتور عمر بن أبي ربيعة»!..

* * *

٨٥ - أماني فريد - أطلعتني على هذه القصيدة الشاعرة أماني فريد، وقالت لي إن علي أيوب كان قد طلب من علي محمود طه ومن ناجي أن يصفاها شعراً، بينما كانت جالسة معهم في «الأمريكين»، وقد كتب كل شاعر منهما بيتين على ورقة واحدة، وكانت جلسة «الأمريكين» خلال عام ١٩٤٨

دون تحديد لليوم والشهر، والقصيدة ننشرها هنا لأول مرة ضـــمن الأعمـــال الشعرية الكاملة لناجي.

*　　*　　*

٨٦ - أنغام قلب - نشرت في عدد ١٠ أغسطس عام ١٩٤٨من مجلة «العالم العربي» وقد نبهتني إلى هذه القصيدة الشاعرة أماني فريد لأن ناجي كان قد وجهها إليها ..

*　　*　　*

٨٧ - أحمس الأول - ألقيت في مهرجان لتكريم الشاعر عادل الغضبان بمناسبة فوز مسرحيته «أحمس الأول» بجائزة أدبية وقد صدرت المسرحية عن دار المعارف في ديسمبر عام ١٩٥٥، وتشتمل على ثلاث من قصائد التكريم أولاها لخليل مطران والثانية لناجي والثالثة لمحمد مصطفى الماحي الذى أشار في كتابـــه المخطوط إلى تلك القصائد ومناسبتها التي أقيمت خلال عام ١٩٤٨.

*　　*　　*

٨٨ - بطاقة توصية لمحمد مـــصطفى المـــاحي - وردت في الكتـــاب المخطوط الذى لم ينشر بعد للشاعر الراحل محمد مصطفى الماحي، وأرجح أنها قد كتبت خلال عام ١٩٤٨، وهي تنشر هنا لأول مرة ضمن الأعمال الشعرية الكاملة لناجي.

*　　*　　*

٨٩ - أمل – نشرت في عدد ١٠ يناير عام ١٩٤٩ من مجلة «العالم العربي» ولديّ نسخة أحتفظ بها من هذا العدد، كانت الشاعرة أماني فريد قد أهدتها لي، لأن القصيدة ذاتها موجهة إليها، والقصيدة تنشر هنا لأول مرة ضمن الأعمال الشعرية الكاملة لناجي ..

* * *

٩٠ - تحية للطالبة (٢) – نشرت في عدد فبراير عام ١٩٤٩ من مجلة «الطالبة» وهي تنشر لأول مرة ضمن الأعمال الشعرية الكاملة لناجي.

* * *

٩١ - على ضفاف النيل – نشرت في عدد مايو عام ١٩٤٩ من مجلة «الطالبة» وهي تنشر لأول مرة ضمن الأعمال الشعرية الكاملة لناجي ..

* * *

٩٢ – الجمال الناعس - نشرت في عدد ١٨مايو ١٩٤٩م من مجلة «الأستديو» وهي تنشر هنا لأول مرة ضمن الأعمال الشعرية الكاملة لناجي.

* * *

٩٣ - إلى أم كلثوم - ألقى ناجي هذه القصيدة مساء يوم ٢٢ أكتوبر عام ١٩٤٩ بمعهد الموسيقى العربية، ضمن المهرجان الذى أقيم فيه احتفالاً بعودة كوكب الشرق إلى مصر بعد رحلة طويلة خارجها، وقد شارك في ذلك المهرجان كل من عباس محمود العقاد وعزيز أباظة وكامل الشناوى وبديع خيرى

وبيرم التونسي، وقد نشرت هذه القصيدة للمرة الأولى ضمن (الأعمال الشعرية المختارة) وقد اخترت لها العنوان، وفي القصيدة إشارة إلى فكرة لم تتحقق فعليا وقتها، تتمثل في إقامة تمثال لأم كلثوم. وها هي تضاف إلى هذه الأعمال الشعرية الكاملة لناجي في طبعتها الجديدة هذه.

* * *

٩٤ - إنعام .. والإلهام - حصلت على مخطوطة هذه القصيدة من الأستاذ عبدالمنعم شميس مع مخطوطات لقصائد أخرى سيأتي ذكرها بعد هذه القصيدة، وكانت هذه القصيدة وأخواتها لدى الدكتور أحمد موسى الذي سلمها لعبدالمنعم شميس، وسلمني هو إياها لكي أكتب عنها مقالا، وقد نشر المقال مع القصيدة وأخواتها في عدد أول مارس عام ١٩٦٩ من مجلة «الأدب» ثم ضممتُ القصيدة إلى «قصائد مجهولة» في طبعته الأولى، وعنوان القصيدة من اختياري، والقصيدة - كما كتب ناجي في تذييلها - مؤرخة بتاريخ صباح السبت ١٩ نوفمبر عام ١٩٤٩ وقد كتبها في مصر الجديدة ..

* * *

٩٥ - إنعام - نظرة وبسمة - حصلت على هذه القصيدة مخطوطة وقد نشرت في عدد أول مارس عام ١٩٦٩ من مجلة «الأدب» والعنوان من اختياري، والقصيدة - كما أشار ناجي بخطه - كتبت في مصر الجديدة - في منتصف ليلة ٢٩ نوفمبر عام ١٩٤٩.

* * *

٩٦ - أنت سر الإبداع - حصلت على هذه القصيدة مخطوطة وقد نشرت في عدد أول مارس عام ١٩٦٩ من مجلة «الأدب» والعنوان أيضاً من اختياري، والقصيدة - كما كتب ناجي - مؤرخة بتاريخ منتصف ليلة ١٤ ديسمبر عام ١٩٤٩ - وقد كتبت في قهوة البندق بمصر الجديدة.

* * *

٩٧ - حياة جديدة - نشرت في عدد يناير عام ١٩٥٠ من مجلة «الطالبة» ثم نشرها وديع فلسطين ضمن مقال له بعنوان «شعر ناجي الضيع» في مجلة «الأديب» عدد مارس ١٩٣٦ ، وهي تنشر هنا لأول مرة ضمن الأعمال الشعرية الكاملة لناجي.

* * *

٩٨ - لا تعجبي حصلت على هذه القصيدة مخطوطة وقد نشرت في عدد أول مارس عام ١٩٦٩ من مجلة «الأدب» والعنوان من اختياري: والقصيدة كما كتبها مؤرخة بتاريخ ١٨ يناير ١٩٥٠.

* * *

٩٩ - نشيد الطالبة - نشرت في عدد فبراير عام ١٩٥٠ من مجلة «الطالبة» وهي تنشر هنا لأول مرة ضمن الأعمال الشعرية الكاملة لناجي ..

* * *

١٠٠ حققت الأيام أحلامي – كتبت هذه القصيدة يوم ٢٧يناير عام ١٩٥٢، وقد نشرت ضمن مقال في مجلة «الأديب» – عدد نوفمبر ١٩٥٤ وأشار إليها فيما بعد في نفس المجلة الأستاذ وديع فلسطين – عدد سبتمبر ١٩٦٠ من «الأديب»..

* * *

١٠١ – دعاء للعالم الجديد – نشرت في مجلة الطالبة – عدد يناير ١٩٥٣.

* * *

١٠٢ – مرثية إبراهيم الدسوقي أباظة - لم تنشر هذه القصيدة في أي ديوان للشاعر أو في أية مجلة أو جريدة ، وقد كتبها متفجعاً على صديقه إبراهيم الدسوقي أباظة الذي رحل عن عالمنا يوم ٢٢ يناير عام ١٩٥٣، وقد حصلت على نص القصيدة من كتاب الشاعر محمد مصطفى الماحي عن ناجي، وهو كتاب مخطوط كما أشرت من قبل.

* * *

١٠٣ عاصفة غضب – لم تنشر هذه القصيدة في أي ديوان من دواوين ناجي، وقد نشرت مرة واحدة في إحدى المجلات الأدبية وهي مجلة «الحديث الحلبية» – عدد فبراير ١٩٥٣ أي قبل شهر واحد من رحيل ناجي عن عالمنا ..

١٠٤ - صولة الحسن - حصلت على هذه القصيدة مخطوطة من الأستاذ عبدالمنعم شميس وقد نشرتها ضمن مقال لى فى مجالة «الأدب» - عدد أول مارس عام ١٩٦٩، ثم ضممتها إلى الطبعة الأولى من «قصائد مجهولة» وعنوان القصيدة من اختيارى، لأنها كانت بغير عنوان فى الأصل المخطوط، وهى مؤرخة بتاريخ فبراير ١٩٥٣ دون تحديد اليوم، وبهذا تكون هذه القصيدة - على ما أرجح - هى آخر قصيدة أو أواخر القصائد التى كتبها ناجى قبل رحيله عن عالمنا ..

فهرس الأعمال الشعرية الكاملة

المحقق في سطور

حسن توفيق:

- شهد حي شبرا بالقاهرة ميلاد حسن توفيق يوم ٣١ أغسطس ١٩٤٣
- حصل على الليسانس من كلية الآداب - جامعة القاهرة سنة ١٩٦٥
- حصل على الماجستير في الأدب العربي الحديث سنة ١٩٧٨
- عمل- بعد تخرجه- مديرا لمكتب الشاعر العظيم صلاح عبد الصبور في الهيئة العامة للكتاب.
- عمل في جريدة الراية القطرية رئيسا للقسم الثقافي على امتداد ثلاثين سنة ابتداء من سنة ١٩٧٩
- عاد إلى مصر ابتداء من يوم ٥ يونيو ٢٠٠٩ ليتفرغ للكتابة.
- يكتب عمودا أسبوعيا بعنوان "مرايا الروح" في جريدة الشرق القطرية.
- أصدر ديوانه الأول "الدم في الحدائق" سنة ١٩٦٩ ثم توالت دواوينه الشعرية ومنها "أحب أن أقول لا" "قصائد عاشقة" "حينما يصبح الحلم سيفا" "انتظار الآتي" "وجهها قصيدة لا تنتهي" "بغداد خائنتي".
- أحدث دواوينه بعنوان "أحبك أيها الإنسان"، وله قيد الطبع ديوان جديد بعنوان "حلم يتفتح في صخر".
- اتجه لإحياء فن المقامة، حيث أصدر كتابه الأول في هذا الفن بعنوان "مجنون العرب بين رعد الغضب وليالي الطرب"، ثم أصدر "ليلة القبض على مجنون العرب".

- أصدر أولى دراساته النقدية بعنوان "اتجاهات الشعر الحر" سنة ١٩٧٠.
- قام بتحقيق الأعمال الشعرية الكاملة للدكتور إبراهيم ناجى، وقد أصدرها على نفقة فى طبعة محدودة سنة ٢٠٠١ وها هي تصدر في طبعة شاملة عن المجلس الأعلى للثقافة.
- تمكن من اكتشاف رواية كاملة مجهولة للدكتور إبراهيم ناجى وهى ناجي وهى بعنوان "زازا" وستصدر هذه الرواية مع دراسة مطولة عنها فى القريب
- له كتاب ضخم فى أدب الرحلات وهو بعنوان رحلات شاعر عاشق- رحلات مع الشعر والحب فى الشرق والغرب.
- أنجز كتابة روايته الأولى سنة ٢٠٠٩ وهي بعنوان "عرفة ينهض من قبره"، وقد نشرت مجلة نزوى العمانية نص هذه الرواية في عددها الثالث والستين.
- حصل على جوائز أدبية عديدة في ملتقيات ومهرجانات ثقافية متنوعة.

الناشيء

يشتمل هذا المجلد الثاني على ديوان الطائر الجريح الذي صدر عن دار المعرف سنة 1957 بعد أن جمع قصائده الشاعر الكبير أحمد رامي وقدم له الشاعر الأستاذ محمد عبد الغني حسن، والى جانب الطائر الجريح يشتمل هذا المجلد الثاني على ما صحت نسبته لناجي من قصائد الديوان الذي قام بجمع قصائده كلٌ من صالح جودت والدكتور أحمد هيكل وأحمد رامي ومحمد ناجي، ونلتقي بعد ذلك مع قصائد مجهولة التي بلغ عددها في الطبعة الأولى مائة قصيدة وقصيدة، لكني في هذه الطبعة الجديدة أضفت إليها ثلاث قصائد أخرى مجهولة، كان الشاعر حسن توفيق قد عثر عليها بعد صدور الطبعة الأولى.

